شؤون فلسطينية

٥٢

كانون الاول (ديسمبر) ٩٧٥

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٥٢ — كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

رسالة الاخ ابو عمار ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية
في الذكرى الحادية عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية

عام التصدي والتحفز

يا شعبنا الثائر المثابر
يا ثوارنا الاشاوس الابطال
يا مناضلينا الاحرار المكافحين

وسط دخان المعارك وغبارها في مختلف جبهات القتال الضاري ومن بين الخنادق والمتاريس التي واكبت عام التصعيد والتلاحم الثوريين فأصبحت صفة مميزة له، وفرضت نفسها وواقعها ونتائجها على جميع الخطى السياسية والتحركات الدولية في منطقتنا العربية وعلى ساحة قضيتنا الفلسطينية معلنة بكل الحزم والحسم الارادة الثورية الصلبة التي لا تلين ولا تميد ، والتي تتحدى بكل العنفوان الثوري المؤامرات والمتآمرين والعملاء والمأجورين دفاعا عن امتنا العربية المناضلة التي يتعرض وجودها الحضاري لابشع عملية اغتصاب وتشريد وتآمر امبريالي صهيوني استعماري . تقفون يا ثوارنا الابطال في هذا المعترك وللسنة الحادية عشرة على التوالي وقفة الصمود هذه بكل اعتزاز وثقة وفخر تسطرون بدمائكم الزكية وتضحياتكم النبيلة صفحات من التاريخ المضيء لشعبكم الاصيل وامتكم العربية الخالدة .

تسطرون صفحات تشكل مشاعل ساطعة على الدرب السرمدي الطويل لكل الرسالات الحضارية والمقدسة والمتجمعة في السجل الحافل لهذه الامة العظيمة .

ومن هنا تأتي المعاني السامية لنضالكم البطولي يا اخوتي واحبتي لتصب في هذا المجرى الحضاري والانساني لرسالة بندقية الثوار في الثورة الفلسطينية والتي حملتم فيها يا ثوارنا الميامين الامانة بوعي وادراك ، برجولة وصلابة ، بقناعة واختيار ، بطوع وايمان .

ولتلتف حول هذه البندقية الثائرة افئدة جماهيرنا تحميها وترعاها ، تأخذ منها مثلا وشعارا وقدوة وتعطيها زخما واندفاعا وقوة . كل ذلك ضمن اهداف النضال لثورتكم العتيدة الخلاقة . والتي تثبت الايام بتعاقبها اصالة وصلابة هذه الاهداف ، وابداع وروعة الطاقات المتفجرة والتي اتسمت بها ثورتكم ، واصبحت سمة من سماتها الثورية المتجددة المتطورة نحو الكمال والرفعة والسؤدد .

يا رفاق المسيرة والدرب الطويل

يطل عامنا الثاني عشر لثورتنا المظفرة من خلال كل هذا ليتواكب مع المعاناة المستمرة والالم الدائم الذي يعاني منه شعبنا الصابر المثابر امام الطاغوت الصهيوني الفاشي والتآمر الامبريالي الاستعماري والطعنات الحاقدة العميلة .

وشعبنا الاصيل في حركته الثورية وفي مده العظيم يتحداها كلها مجتمعة ومتفرقة بالرغم من الفارق المادي الهائل والامكانات القليلة بالمقابل لامكانياتها الضخمة الكبيرة .

ولكنها المعجزة ... معجزة الثورة حيثما كانت واينما وجدت . ولكنه الاعجاز ... اعجاز الثوار حيث يحلون وانى يتحركون ، معجزة الصمود والثبات ، معجزة الايمان والحق ، معجزة الثائر الاصيل الذي يفجر الطاقات الكامنة ويبعث الامكانات الدفينة ، ويرسخ الابداع الثوري في ملاحم وانتصارات وبطولات ثم يصوغها وقائع وماديات وحقائق على طريق النصر لمسيرة شعبه البطل ليصنع من خلالها مستقبله ، وليسجل عبر صلابة النضال لشعبنا وقوة الكفاح لجماهيرنا الارادة الثورية بكل كبريائها وعظمتها التي لا تهادن ولا تساوم ، لا تسترخي ولا تستكين .

يا جماهير شعبنا

يا ثوارنا الابطال

يا رفاق المسيرة

هل انقشع غبار المعارك . وهل انزاح دخانها .. لا . لا زلنا في الاتون الملتهب لان قدرنا ان نعيش في قلب الاحداث بدخانها وغبارها ولهيبها . وفي ظل البندقية صاحبة الارادة والتصميم والعزم ، صانعة الثورة والثوار والنصر ، حامية الشعب وانتصاراته ومكتسباته التي ثبتها وسجلها على كل صعيد وفي كل جبهة .

ومن هنا تتعاظم المسؤوليات وتتكاثر التبعات وتصبح الامانة خطيرة وثقيلة ولا يتحملها الا الرجال **الرجال** . ولا يحملها الا الابطال **الابطال** . ولا يحميها الا الثوار **الثوار** .

لاننا نشكل اليوم في ثورتنا مركزا اساسيا ورئيسيا من **مراكز الحرية والتقدم** في عالمنا المعاصر ، **وركنا متينا من اركان النضال لحركة التحرر والتقدم** في العالم ، **وطرفا اصيلا في الخندق الامامي** لجبهة الصراع بين امتنا العربية المجيدة والعدو الامبريالي الصهيوني الاستعماري البغيض .

ومن هنا يا رفاق الدرب الشاق الطويل يأتي ايماننا الثابت الذي لا يتزعزع وتمسكنا القوي **بهذه البندقية صانعة الانتصارات وحامية الشعب وحاميها** .

فمزيدا من القبضة الفولاذية على هذه البنادق وبهذه السواعد الفتية الملتفة حولها .

ولنتذكر جميعا ان هذه المؤامرات التي تدور حولنا تبغي **انتزاع سلاحنا من ايدينا وتريد تحطيم وترويض البندقية** التي في قبضتنا .

يا رفاق المسيرة ويا اخوة الدرب

يا جماهير شعبنا الصابرة المثابرة

تتواكب كل هذه الانتصارات عبر الالام والمعاناة ووسط اتون المعارك الملتهبة وفي ظلال البنادق الثائرة ونحن نعبر بها الى عامنا الثاني عشر من عمر ثورتنا والتي سجلتها على اكثر من صعيد من اصعدة نضالنا وفي كل جبهة من جبهات كفاحنا ، انتصارات شعبية وعسكرية وسياسية كانت كلها من خلال هذا الزخم المتدفق الرائع الذي اعطته جماهيرنا البطلة وهذه التضحيات الجبارة التي منحتها جموعنا الثائرة في كل مكان فيه تجمعات من شعبنا داخل فلسطيننا المحتلة وخارجها ، والتي اتسعت دائرتها لتشمل

المناضل منا في اروقة الامم المتحدة ، الى الثائر فينا في داخل خندقه ، والى المسجين الشامخ منا في ظلام زنزانته .

وكان تحرك جماهيرنا المنظم والقوي والاصيل يرسم انشودة رائعة بتراص صفوفنا، وتوزيع مهامنا ، وبتكامل نضالنا ، وتلاحم كفاحنا — رغم الشتات والغربة والتشرد ، رغم القهر والظلم والاحتلال ، رغم المؤامرات والمتآمرين والمأجورين — .

وجاءت هذه الانتصارات كلها في ظل هذه الظروف البالغة الصعوبة والتعقيد ، واثناء هذه المحن والمصاعب والالام ومن خلال نزيف الدماء الزكية وهذه التضحيات الجسام وعبر قوافل الشهداء الابرار .

جاءت واعداؤنا يخططون لاغتيال هذه الثورة والاجهاز عليها او تحجيمها واحتوائها . ولكن الملاحم كانت جبارة والصمود عظيما والتصدي متلاحقا دفاقا قويا ، صنعت جميعها اهزوجة الانتصارات التي حققتها يا شعبنا العظيم بجماهيرك الواعية القوية وثوارك الاشاوس المؤمنين .

صنعتها يا شعبنا من خلال هذا التلاحم العضوي بينك وبين الجماهير الحرة الابية من امتنا العربية وخاصة هذا الالتحام المصيري الرائع العظيم ، مع اخواننا واحبائنا وشركائنا جماهير الشعب البطل ، ومع هذه الجبهة العريضة من الاخوة والاصدقاء والحلفاء .

نصنع معهم جميعا هذا الاعجاز الثوري الرائع نتحدى المؤامرة ونقهرها ونقارع المتآمرين ونصرعهم . ثم لتتكسر هذه الغارات الصهيونية الفاشية الهمجية ضد قرانا اللبنانية ومخيماتنا الفلسطينية ، على صخرة الصمود والثبات والتضحية والفداء وبكبرياء وتحد رائعين .

فمزيدا من هذا التلاحم الثوري الاصيل
مزيدا من هذا التمازج الحي العظيم
مزيدا من هذا الترابط الانساني الرائع
مزيدا من الوحدة والاتحاد والالتحام
مزيدا من تراص الصفوف وتعاضدها .

يا جموع شعبنا العظيمة
يا ثوارنا — يا ابطالنا

في ظل القهر والاحتلال لفردوسنا الحبيب تقف جموع شعبنا شامخة مترفعة تعطي في كل يوم امثولة فريدة في الثبات وقدرة فذة في التحدي وتساميا رائعا في الكبرياء امام همجية وفاشية الاحتلال الصهيوني العنصري البغيض ، امام ارهابه وبطشه وغروره وصلفه .

ولكن جماهيرنا المؤمنة القوية الصامدة تتحدى بكل الكبرياء الكامن في النفوس العربية وفي اعلى درجات مدها الثوري فتختلط بطولة براعمنا واشبالنا في مدارسهم مع خطى ثوارنا القوية في مكامنهم بجوار العطاء السامي المتجدد لنسائنا اللواتي يخرجن من خدورهن الى المجابهات المنيفة . في القدس ونابلس، في الخليل وغزة، في يافا والناصرة.

هذا الانصهار في موجه الجماهيري النضالي الثوري انما يرسم في ايقاعاته المتلاحمة

مع نضال جميع ثوارنا وكل جموع شعبنا في مختلف تجمعاتهم المنتشرة صورة الغد المشرق وخطوط النصر المبين لشعب يصنع معجزته من خلال مخزونه الشعبي المملوء بالرجال والنساء ، الابطال والاحرار والثوار والمناضلين ، في وحدة متكاملة متراصة فما اروعه من احتياطي بشري ديناميكي اصيل .

ونحن باصدقائنا الثوريين في العالم اجمع ، وبعيد انتصار الثورات ، في فيتنام وكمبوديا ولاوس وافريقيا واميركا اللاتينية ، تقع علينا مسؤوليات جسام وخطيرة . مسؤوليات تتعدى حدودنا الاقليمية الضيقة الى هذا العالم من الاصدقاء والحلفاء ، ومستندين بقوة الى جماهير امتنا العربية العظيمة ، لنمد معهم جسورا من الالتحام والصداقة والتضامن والمحبة لتنير لهذه الانسانية المعذبة طريقها الثوري للخلاص من الظلم والعبودية **والاضطهاد** والاستغلال ، ولنبني مستقبلنا جميعا في ظل العدالة والمساواة والتقدم والحرية على طريق جلجلتنا وفي مسار معراجنا وفوق ارض كنعاننا .

يا جماهير شعبنا العظيم

بوركت يا شعبنا ، يا شعب العطاء والتضحيات
بوركت يا شعبنا ، يا شعب المجد والسؤدد
بوركت يا شعبنا ، يا شعب الشهداء والابطال
بوركت يا شعبنا ، يا شعب المعجزات والعطاء
بوركت يا شعبنا ، يا شعب الصبر والمثابرة

بوركت يا شعبنا وانت تخترق طريقك الوعر الشائك بارادة الثوار وعزم الاحرار .

بوركت يا شعبنا وانت تخط في كل يوم مسارا في الثورة والتاريخ قويا وثابتا ومضيئا ، جنبا الى جنب مع احرار امتنا العربية المناضلة ولنواجه جميعا قدرنا ولنواجه جميعا هذا العام من مسيرتنا الثورية بقوة وثقة واخلاص وتفان .

لنواجهه بكل ايماننا وبمثلنا السامية البناءة
لنواجهه بكل العطاء المتعاظم في افئدتنا
لنواجهه بكل الكوامن الخيرة والطاقات الثورية

لنواجه هذا العام بكل هذا . لنواجه عام التصدي والتحفز فوق ترابنا المحتل لنصون انجازاتنا ونجني ثمار انتصاراتنا في الطريق الطويل الشاق .

وانها لثورة حتى النصر

اخوكـــم

ابو عمار

١٩٧٦/١/١

قرار ادانة الصهيونية بالعنصرية :
ماذا يعني على الصعيد العملي ؟

الدكتور كلوفيس مقصود

كتب هذا المقال قبل يوم من غارة اسرائيل في ٢ كانون الاول (ديسمبر) على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في البداوي ونهر البارد والنبطية حيث استشهد ما يزيد عن مئة رجل وامرأة وطفل فلسطيني ولبناني . وقد صرح وزير دفاع الكيان الصهيوني شيمون بيريز بان هذه الغارات هي « من قبيل الاحتياط » وليست « غارات ثارية » .

ان اسرائيل قامت بهذه الاعتداءات الوحشية والبربرية كجواب من عنصرها ومن صميم معدنها الصهيوني على قرار مجلس الامن في دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في مناقشاتها يوم ١٢ كانون الاول (ديسمبر). فهي بهذه الغارة تثار للطوق العالمي الذي يزيد احكاما حول شراستها المزمنة . فالصهيونية ككل فاشستية في التاريخ تدمن على الاجرام لان التمييز اذا ووجه بثورة المسحوقين لا يروي ظماه الا من خلال المزيد من النزعة التدميرية والتقتيلية .

من هنا ضرورة ترجمة قرار اعتبار الصهيونية وجها من اوجه العنصرية الى عقوبات رادعة على المستويين القومي والعالمي .

ك . م .

جاءت قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الاخيرة والمتعلقة بالقضية الفلسطينية تشير الى اتساع وعمق التفهم والتأييد المتعاظمين لا لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واسترجاع وطنه وحقوقه المسلوبة فحسب بل لتثبيت اهلية وشرعية مؤسساته الثورية ونضالاته التحررية بقيادة وتوجيه منظمة التحرير الفلسطينية . الا ان القرارات المتعلقة بشرعية النضال الفلسطيني واهلية منظمة التحرير تعبر بدورها عن وجهة سير دبلوماسية الثورة الفلسطينية وعن نجاح استراتيجيتها العالمية كما ان هذا النجاح يجيء برغم ما شكلته سياسة الخطوة خطوة واتفاقية سيناء من مزالق لدبلوماسية الثورة وما انطوت عليه من احتمالات اضعاف لتوجه الثورة وقدرتها على ضمان حد ادنى من الاجماع العربي المطلوب . فالانتصارات الفلسطينية في الامم المتحدة تنبثق من ان القضية الفلسطينية هي جوهر واساس ومحور الصراع العربي الاسرائيلي . وهذه المركزية للقضية الفلسطينية تجعلها اداة تفجير للطاقات التصحيحية الكامنة في الوطن العربي ومن ثم اداة استقرار حقيقي في المنطقة اذا ما تحققت للفلسطينيين اهدافهم القومية والوطنية والقانونية المشروعة والعادلة المعترف بها دوليا .

الا ان قرار الامم المتحدة الذي يجعل الصهيونية وجها من اوجه العنصرية ومن ثم يدين ادانة واضحة الممارسات العنصرية التي يقوم بها الكيان الصهيوني في فلسطين هو في الواقع منعطف تاريخي وهو بمثابة اعادة فتح القضية الفلسطينية من جذورها وعلى مصراعيها . ولعل هذا القرار ولاول مرة منذ قرار التقسيم يتحدى فكريا وعقائديا وسياسيا شرعية قرار التقسيم ويفتح الابواب امام احتمالات ترشيح كيان الاغتصاب الصهيوني للانقراض التاريخي .

قد تسجل بعض الاوساط الدبلوماسية العربية — ضمنا ان لم يكن علنا — بعض المحاذير حول هذا القرار التاريخي لا انتقاصا منها من اهمية القرار بل كونه في حال تأمين فعاليته قد يؤدي الى ابطال مفعول القرارات والنشاطات الدبلوماسية التي تستهدف انجاز مهمات مرحلية او آنية تتعلق بازالة الاحتلال في الاراضي العربية وما نشأ من اوضاع اثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ . كما ان هذه الاوساط تردد ان القرار المتعلق باعتبار الصهيونية وجها من اوجه العنصرية لا ينطوي على الصفة الاجرائية ولم يحظ بموافقة دول هامة في اوروبا بل اقترعت هذه الدول ضد القرار في حين ان قرارات الامم المتحدة ذات الصفة الاجرائية حازت على تأييد اوسع مما كان يجب ان يدفعنا نحو مزيد من التريث في السعي نحو انجاح هذا القرار . لقد اثبتت هذه المحاذير التي تقال همسا تحت ظلال الذرائعية الدبلوماسية ، ضآلة جدواها بعد ان برهنت الصلابة في الموقف السوري مثلا عندما بحث موضوع التجديد لقوات الطوارىء في الجولان عن قدرة في انتزاع مكاسب اضخم من مجلس الامن من المكاسب الوهمية التي تنتهجها المناحي الدبلوماسية القائلة بان **كل** الاوراق في ازمة الشرق الاوسط هي بيد الولايات المتحدة .

يتراءى لنا من هنا ان المحاذير التي يبديها البعض والتي لا بد ان تدخل في حساباتنا وفي بحوثنا للخيارات المتاحة امام التحرك العربي العام والتحرك الفلسطيني بشكل خاص تصبح — اي هذه المحاذير — متضائلة القيمة الى درجة الانعدام امام الفوائد الجمة التي تجنيها القضية الفلسطينية من جراء هذا القرار . كما ان اعتبار الصهيونية وجها من اوجه العنصرية يستوجب مكافحتها ، يضفي بعدا دوليا على مشروعية النضال العربي الفلسطيني من اجل استرجاع حقوقه الوطنية بل للتصدي العربي لاسس ومسببات وجود الكيان الصهيوني في جزء من وطننا العربي . يضاف الى ذلك أن القرار يزعزع موضوع **حق** اسرائيل في الوجود دون ان يؤثر فعلا بحق تواجد اليهود في فلسطين مما يضفي الشرعية الدولية والموافقة الدولية على ما تعتبره الثورة الفلسطينية البديل الانساني السليم لاسرائيل اي الدولة الديمقراطية العلمانية .

ان قرار جعل الصهيونية وجها من اوجه العنصرية يشكل الارضية الصلبة لمجابهة استراتيجية شاملة مع الكيان الصهيوني بحيث يجعل من المجابهة واجبا من الواجبات الدولية بموجب الفقه المتنامي حول هذا الموضوع بالاضافة الى جانب كونها الواجب القومي المفروض تعبئة قوانا لتحقيق اهدافه .

بمعنى اخر فان ما كان بديهيا ومسلما به على الصعيد القومي اصبح حقيقة دولية يفرض مسؤوليات مشتركة بين العرب والمجتمع العالمي في مضمار مكافحة الصهيونية والتصدي لاعمالها وممارساتها ، ومنظماتها ولعقائديتها . يستتبع هذا القرار مباشرتنا في ان نضع تحت تصرف المجتمع الدولي لا مجرد تجاربنا الملموسة مع الكيان الصهيوني وما ترتب على عملية التعمير الصهيوني من تشريد لشعب وتدمير لكيان ولمعالم تراثية فقط ، بل ان نبادر الى حملة توعية مكثفة بغية تسهيل عملية نفاذ الفكر العالمي الى حقيقة المخاطر التي تشكلها الصهيونية لعديد من القيم الانسانية والحضارية وللمبادىء

الديمقراطية بشتى اشكالها ومعطياتها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. ان التحدي الذي يواجهنا بهذا الصدد هو ان يـلازم نضالنا القومي ضد الاغتصـاب الصهيوني والاحتلال الاسرائيلي مهمات اعلامية تثقيفية لا تفنـد مزاعـم وادعـاءات الصهاينة فحسب ، ولا تكتفي بتسليط الاضواء على الممارسات التمييزية العنصريـة والدينية التي تقوم بها اسرائيل في مختلف المجالات فقط ، بل ان نقوم بايضاح المنحى المبدئي الشامل العالمي لهذا النضال ، من حيث تصبح حركة التحرير الفلسطينية شأنها شأن كل الحركات التحريرية الاصيلة عملية تصحيح وتحرير لجميع اولئك اليهود الذين نجحت الصهيونية في احتوائهم داخل اطرها ، واليهود الذين تستهدفهم لجذبهم بشتى وسائل الاغراء والتضليل ، وحتى التهديد الى مؤسساتها وتنظيماتها . بكلام اخر فان هذا القرار التاريخي افسح المجال لقيام حوار بناء مع يهود العالم يستهدف تنمية روابطهم الوطنية في مختلف بلدانهم وترسيخها ، ويحول بالتالي دون انخراطهـم في المؤسسات الصهيونية ، اما نتيجة سياسة التجهيل التي تتعمدهـا هذه المؤسسات او فقـدان تصميمنا على تبيان الحقائق والوقائع لهم من قبلنـا .

وبرغم ان مثل هكذا برنامج توعية يفرض علينا بادىء ذي بدء توعية ذاتية بهذا المضمار، فان احدى نتائج هذا القرار هو ان يدفعنا نحو استعجال مهمات كثيرا ما اهملنـاها او تجاهلنا اهميتها وقيمتها . يتضح لنا اذا ان هذا القرار يفرض علينا انماطا من السلوك العام في حياتنا القومية ندعي الالتزام بها لكننا لا نطبقها بالدرجة المطلوبة . ولقد سبق لنا في مجالات دولية متعددة ان قلنا ان ممارسة التمييز في بعض الاقطار العربية قائمة لكنها تشكل بالنسبة للعرب **مشكلة** شأنها شأن المشكلات العنصرية في الكثير من الدول المتعددة الاعراق والاديان في حين ان ممارسة التمييز العنصري والديني في اسرائيـل شأنها شأن الكيانات العنصرية في افريقيا الجنوبية وروديسيا ، تشكل **سياسة** عـامة ثابتة ، اي ان الممارسات التمييزية التي قد نجدها في بعض الاقطار العربية وفي الهند والولايات المتحدة مثلا تشكل مخالفات تستوجب الملاحقة والتنديد في حين ان الممارسات التمييزية في اسرائيل وفي العقيدة الصهيونية تشكل تعبيرا عن عقيدة الدولـة ومبررا لوجود الكيان الصهيوني . اذا ادركنا نحن هذه الحقيقة تبين لنا الفرق في الجوهر بين القومية العربية كعملية تحرير وبالتالي عملية توسيع مشاركـة الانسان العربي القيم الانسانية في حين ان الصهيونية هي في الواقع سلخ للانسان اليهودي عن مثل هـذه المشاركة وجعل التقوقع بحد ذاته قيمة مطلقة لسلوكه السياسي وهدفا نهائيا بحد ذاته .

من هذا الموقع القومي العربي المتلاقي والمنسجم مع تنامي التراث الانساني نجـد كيف اننا مع دول العالم الثالث نشكل طليعة المجابهة مع الصهيونية ، مثل مـا نحن سباقون في التصدي لكل اوجه العنصرية في العالم . الا انه لا بد من التذكير ان عـدم اقتراع معظم الدول الاوروبية الى جانب هذا القرار ، وبالعكس التصويت ضده، يعود الى عقدة الاثم التي لا تزال تستشعرها الدول الغربية مـن جراء الاضطهاد الشرس الذي مارسته النازية ضد الكثيرين من يهود اوروبا ، كما ان عقدة الاثم لا تنتج عـن الاستذكار للمذابح النازية بل عن عدم المساهمة الغربية لاحباط الممارسات النازية في مستهل قيامها ومباشرة النازية باعمالها . الا ان عقدة الاثم التي يستشعرها الغرب الاوروبي — والولايات المتحدة بشكل اخر — كثيرا مـا وظفتها اسرائيل والحركـة الصهيونية من اجل القيام بعملية ابتزاز دائمة تفقد بواسطتها قدرة الغرب على تبيـان الحقائق الموضوعية المتعلقة بالنزاع العربي — الاسرائيلي من جهة والاسس العنصرية المتزمتة للعقيدة الصهيونية من جهة اخرى . اكثر من ذلك فان اسرائيل ارادت تسخير عقدة الاثم هذه من اجل انتزاع موافقات غربية مسبقة عـلى سياساتها العدوانيـة

والتوسعية القائمة والمنوي القيام بها . كما ان اسرائيل ارادت ان تحدد معادلة تقوم بينها وبين الحركة الصهيونية العالمية من جهة ، وبين الغرب الاوروبي — الاميركي من جهة اخرى ، مقوماتها ان تعطي اسرائيل صك غفران لاوروبا عن ما قامت به من ممارسات ضد اليهود في الماضي ولا تعود تطرح السؤال لاوروبا عن ما فعلته ليهودها مقابل ان الغرب بشقيه الاوروبي والاميركي لا يعود يسأل اسرائيل عن ما قامت به وتقوم به وسوف تقوم به ضد العرب في فلسطين وخارج فلسطين حاضراً ومستقبلا .. بهذه الطريقة تكون اسرائيل قد انتزعت من الغرب اعترافا بكونها مع الصهيونية العالمية الاطار الاوحد المستوعب ليهود العالم ولمصيرهم . اي ان المسعى الصهيوني الاسرائيلي يستهدف جعل اسرائيل بمنأى عن اية محاسبة دولية ناهيك عن اية معاقبة دولية ما دامت هي مصممة على الاستمرار في خرق كل المواثيق والقرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه . كما ان اسرائيل تستهدف من هذا المسعى حصر التعامل الدولي والعالمي مع يهود العالم من خلالها وبواسطتها حتى يتم لها وللحركة الصهيونية التطابق الكامل بين الصهيونية واليهودية. فاذا ما نشأ اي تحد يهودي للصهيونية او تميز لليهود عن الصهيونية تمكنت الحركة الصهيونية من اتهام هؤلاء اليهود « بكره الذات » او بافقادهم ، من خلال عملية الارهاب الفكري والمعنوي الذي تقوم به اجهزة الصهيونية العالمية ، فرص التعبير وقدرة التحرك ، وان تحكم حولهم طوق العزلة وتشوه صورتهم في كل المحافل ، ليتأمن لاسرائيل والحركة الصهيونية السلطة المطلقة والاحتكار الكامل .

وعندما يتأمن مثل هذا التطابق بين الصهيونية واليهود ، عندئذ تتمكن اسرائيل من ان تنتحل لذاتها صفة التمثيل ، لا للاسرائيليين اليهود فحسب ، بل اهلية المحاورة حول مصير اليهود في كل العالم . ويستتبع هذا بالضرورة عندئذ قدرة اسرائيل على جعل يهود العالم في مختلف اوطانهم ادوات مطواعة لتنفيذ السياسات الاسرائيلية والاهداف الصهيونية داخل هذه الاوطان ، واذا امكن بموافقة هذه الاوطان . بمعنى اخر يصبح بامكان اسرائيل ، من خلال عملية الابتزاز والارهاب الفكري والسياسي والمعنوي الذي تقوم به مباشرة بواسطة اجهزتها الدبلوماسية والاعلامية ومن ثم بواسطة منظماتها الصهيونية المرتبطة عضويا معها ، ان تأخذ موافقة استثنائية على ان تكون علاقة المواطنين اليهود في مختلف اوطانهم علاقة اولية ، وفي احسن الاحتمالات متممة لعلاقتهم بأوطانهم الاصلية .

هذه الخطة الاسرائيلية — الصهيونية من شأنها ان تخلق جوا يجعل اسرائيل فوق المحاسبة ، ويمكنها من ان تصور ان كل تشكيك بسياستها او مجرد التساؤل حول سلوكها او اي انتقاد لممارساتها او اي ادانة لعمليات التمييز التي تقوم بها ، يصبح بمفهومها ملازما للاسامية .

يتراءى لنا ان هذا المخطط كان من شأنه ان يستبق مثل هذا القرار ، فقامت اسرائيل والاجهزة المتعاملة معها بتصوير من يقترع الى جانبه وكأنه يساهم في اعادة الحياة والاحيوية للاسامية العالمية . من هنا جاء التردد الاوروبي الغربي في مواكبة القرار ، وارادت معظم الدول الاوروبية الغربية التصويت ضد القرار خوفا من ان تتأثر سياساتها المتنامية في الموضوعية ازاء الصراع العربي — الاسرائيلي سلبيا من جراء قرار قد يعطل ما تصورته الناحية الاجرائية لعلاقاتها المستجدة مع الدول العربية . كما ان هذه الدول الاوروبية تصورت انها باقتراعها ضد هذا القرار تتمكن من ان تشتري سكوت اسرائيل عن مواقفها ازاء القرارات الاخرى المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي

اقرتها الامم المتحدة . الا ان هذا الموقف الاوروبي الغربي نشأ عن كون اوروبا الغربية شعرت انها مداهمة بمشروع هذا القرار ، وانه نتيجة لتراث عقدة الاثم الكامن في ذاتها، لم تستطع ان تفتح عقلها لاستيعاب مغزاه التاريخي والتصحيحي . كما ان اوروبا الغربية اجمالا لا تزال هي نفسها خارجة من ممارسات استعمارية وعنصرية في اسيا وافريقيا ، وان قطاعات منها لا تزال تستسيغ الممارسات الاستعمارية والعنصرية ، والتي تبدو تصرفات اسرائيل وعقيدتها وكأنها تصرفات تقوم بها بالنيابة عنها، وبالتالي تستوجب المهادنة ان لم يكن التأييد الدائم .

من هذه الزاوية نستطيع ان نجزم بان اقتراع معظم الدول الاوروبية الغربية ضد قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة باعتبار الصهيونية وجها من اوجه العنصرية ليس قفلا لباب الحوار مع الرأي العام الاوروبي ، اذ انه علينا ان ننطلق من كون الاقتراع الاوروبي ضد هذا القرار هو نتيجة ارتهان لمعادلة جهنمية اسميناها بـ « الغفران المتبادل » وليس نتيجة قناعات عقلانية مدروسة .

اما فيما يتعلق بالولايات المتحدة فان هذيان مندوبها في الامم المتحدة وجعل ذاته وموقف بلاده ترديدا ببغائيا للموقف الصهيوني الاسرائيلي ، انما ينبع عن تصور الولايات المتحدة بانه ما دام بامكانها ان تمرر سياسة الخطوة خطوة ودبلوماسية « المكوك » فانه صار بامكانها تعجيز العرب عن القيام باية مبادرة مبدعة لصالح القضية الفلسطينية على المستويين الفكري والدبلوماسي . فالموقف الاميركي ، بالاضافة الى كونه يحتوي على الكثير من حيثيات الموقف الاوروبي الغربي فانه يشمل بعد الغضب الامبريالي الذي يجد في كل عرقلة لهيمنته تحديا مباشرا لسطوته وسلطانه .

من هنا يبدو جليا ان التصدي للموقف الاميركي يشمل في طياته التحاور مع مختلف قطاعات الرأي العام وقادة الرأي بنفس المعطيات تقريبا التي يقتضيها الحوار مع اوروبا الغربية في هذا المضمار . الا انه فيما يتعلق بالموقف الاميركي ، فان المحاورة يجب ان يلازمها قصد مباشر للاستراتيجية الدبلوماسية والاقتصادية في الشرق الاوسط، من حيث اننا لا نستبعد اية من العقوبات المتوفرة لدينا ، خاصة لان الولايات المتحدة هي الى جانب كونها قطاعات رأي عام نافذة ، الا انها دولة كبرى ذات مصالح كونية ، لا بد ان تعتبر بعض هذه المصالح مهددة لكي يتقبل الرأي العام اهمية وضرورة الحوار بالشأن العربي . فالرأي العام الاميركي هو في معظمه غير ميال الى حد كبير لما يتعدى الشؤون الاقتصادية والداخلية ، ولا يستطيع ان يبدي اهتماما بالاوضاع الدولية الا بمقدار ما تؤثر على انماط حياته الاقتصادية والمصيرية . يضاف الى ذلك ان الرأي العام الاميركي اكثر ابتعادا عن معايشة الاوجه المأسوية التي عاشتها اوروبا في العصر النازي وبالتالي فهي اقل تأثرا بعقدة الاثم التي تستحوذ على الجيل الاوروبي المخضرم. كما ان التنظيم الصهيوني في الولايات المتحدة يقوم باعمال سياسية مباشرة ويمارس ضغوطا ذات اثر هام في الحياة السياسية الاميركية وتزيد نسبة تأثير التنظيم الصهيوني كلما اقتربت مواعيد الانتخابات للكونغرس وللرئاسة . وتتكل المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة على تفوقها التنظيمي والتعبوي ، وعلى دفعها الرأي العام عن المشاركة في الاهتمام ، ناهيك عن رسم سياسة اميركية مستقلة للشرق الاوسط ، مما يؤدي بدوره الى ان تظهر الصهيونية في الولايات المتحدة وكأنها مستحوذة على تقرير السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، وعلى بلورة الرأي ، مهما كان محدودا ، فيما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي وبالعقيدة الصهيونية نفسها . وهكذا بدا الموقف الاميركي اكثر تشنجا في عدائه للقرار التاريخي المتعلق بالصهيونية مما بدت عليه ردود الفعل

الاوروبية لانه اثار في اوروبا مخاضات فكرية صميمية ، وان كانت بمعظمها معادية للقرار فانها من حيث كونها مخاضا فكريا شكلت مدخلا لان تنفذ حواريا اليه ، في حين ان الولايات المتحدة لا بد ان تكون الاستراتيجية الاعلامية العربية فيها بشكل عام ، والحملة التوضيحية بشأن القرار بشكل خاص ، قائمة على اشراك قطاعات الرأي العام الاميركي في التفكير بالمعنى الاعمق لهذا القرار ، وبالمغزى التاريخي والمبدئي له، لان الموقف الاميركي في هذا الصدد كان في قمة السوء خاصة وانه لم يجابه اي تحد داخلي له . لذا فاية حملة عربية توضيحية اعلامية في الولايات المتحدة حول هذا الموضوع تكسب العرب مواقع مهيأة لتقليص حجم التحيز وتخفيف وتيرة التشنج . فالطرح العربي اذن يبدو منذ بدايته عملية دفع نحو الموضوعية ، من خلال الترحيب الحقيقي باشراك الرأي العام بموضوع فتح الملف الصهيوني .

ان اسرائيل ومعها الحركة الصهيونية العالمية ادركت منذ البداية اهمية هذا القرار ومدى تأثيره مستقبلا على وجودها العدواني وعلى امكانياتها في الابقاء على تغليف سياساتها وجذورها الفلسفية وتطلعاتها التوسعية بغطاء من الادعاءات الكاذبة، لتضع نفسها فوق المحاسبة وفي موقع عدم المسؤولية تجاه الغير . من اجل ذلك عبأت اسرائيل — والحركة الصهيونية — كل اجهزتها وامكاناتها وانصارها لافشال هذا القرار وتبهيته ، كما استنفرت الغرائز لدى محازبيها بشكل يستهدف استبعاد تحكيم العقل وابعاد اليهود انفسهم وانصار اسرائيل عن الفرص التي يتيحها هذا القرار ، من اجل وضع الصهيونية تحت مبضع تطبيق المعايير العقلانية والحضارية والديمقراطية والعضوية . لان اسرائيل — والحركة الصهيونية — ادركت انه اذا ما حصل مثل هذا التدقيق فان القرار يكون قد اسهم بشكل مباشر وفوري في زرع بذور عملية التصحيح اليهودية وبالتالي استعجل سلخ ولاءات العديد العديد من يهود العالم وتكون الخديعة التي لا تزال اسرائيل تريد استمرار وقوع معظم اليهود فيها سارية المفعول وقادرة على الفعالية .

من هنا قامت اسرائيل وانصارها في العالم ، وبتوجيه اسرائيلي ، بحملة تشهير مسعورة على القرار وعلى الاكثرية في الامم المتحدة وعلى منظمة الامم المتحدة . فبدلا من مناقشة القرار ومضامينه ، ارادت اسرائيل ولا تزال تسعى لاقفال باب المناقشة لتجعل موضوع النقاش هو الامم المتحدة ومستقبلها ، لا مضمون القرار والممارسات العنصرية والتمييزية التي تقوم عليها الصهيونية واسرائيل .

وكان ان قامت اسرائيل باستدعاء كافة القيادات الصهيونية في العالم من اجلوضع خطط في كيفية اتهام الامم المتحدة واكثرية الدول التي أيدت هذا القرار التاريخي من اجل ان لا توضع في موقع يفرض عليها دفع الاتهام ، لان اسرائيل تريد ممارسة العنصرية والتمييز وممارسة سلخ اليهود عن انتماءاتهم الانسانية وممارسة طمس حقوق الشعب الفلسطيني ووجوده دون ان تكون هذه الممارسات مرشحة للطعن بها فتستمر اسرائيل قادرة على وضع استثنائي ، تحمي سياساتها العدوانية والعنصرية قدرتها على التخويف والارهاب الفكري والدبلوماسي والمعنوي في بعض المحافل الاميركية والغربية ، لانها تعجز مثل كل الكيانات العنصرية عن اقناع حتى معظم انصارها بصوابية فلسفتها وسياساتها الصهيونية .

هذا القرار اقفل امام اسرائيل باب الدجل وفتح امام بصيرة العالم بدء النفاذ الى الحقيقة التي طالما غيبتها وعملت على كبتها . فهذا القرار انتصار للانسان قبل انيكون انتصارا لفلسطين وفلسطين لا تنتصر الا بانتصار الانسان .

ملاحظات سياسية حول قرار ادانة الصهيونية بالعنصرية

الدكتور صلاح الدين الدباغ

« الصهيونية هي اوقح عنصرية في النصف الثاني من القرن العشرين » .

غ . سافين ، يعلق وكالة انباء نوفوستي السوفياتية

مساء يوم الاثنين الواقع في العاشر من شهر تشرين الثاني ١٩٧٥ اقرت الجمعية العامة للامم المتحدة بعد نقاش مشحون وعاصف ، وفي جلسة تاريخية تعتبر اهم جلسة في دورتها الثلاثين قرارا يقضي بان « الصهيونية هي شكل من العنصرية ومن التمييز العنصري » .

وبعد انتهاء التصويت وقف دانييل باتريك موينهان ، مندوب الولايات المتحدة الاميركية ليعبر بلغة ليست مألوفة ولا معهودة في الامم المتحدة عن سخط حكومته على هذا القرار وليكرس تطابق الموقفين الاسرائيلي والاميركي . قال موينهان : « ان الولايات المتحدة تنهض لتعلن امام الجمعية العامة وامام العالم انها لن تعترف ولن تلتزم ولن ترضخ لهذا العمل المشين ... ان شرا عظيما قد اطلق على العالم ... ان الاقتراح الذي اقرته الجمعية العامة بقرارها هو ان الصهيونية شكل من العنصرية والتمييز العنصري . انها لاكذوبة ، ولكنها اكذوبة اعلنتها الامم المتحدة على انها حقيقة، ولكن الحقيقة الصحيحة يجب ان يعاد اثباتها » (١).

وكانت الكلمة الاخيرة قبل ان ينفض الاجتماع هي كلمة الدكتور مايز صايغ مندوب دولة الكويت الذي ضمن رده على مندوب الولايات المتحدة ما يلي : « ان التعنيف الوقح والسباب الذي لجأ اليه وفد الولايات المتحدة منذ الثالث من تشرين الاول ، سواء داخل الامم المتحدة او خارجها (« الانحراف » ، « البذاءة » ، « عدم اللياقة » واليوم « الاكاذيب ») قد نمقت بيانات ممثلي الولايات المتحدة وتكررت فيها . وانني غير منزعج او قلق لذلك . فمنذ زمن بعيد جدا قال لي اساتذتي في اول درس ابتدائي في الفلسفة : « ينبغي ان لا تلجأ الى السباب الا عندما لا يكون لديك اساس للجدال ». ان السباب ليس بديلا عن المناقشة العقلانية ، انه اقرار بالافلاس الفكري » .

بدأ موضوع ادانة الصهيونية في اللجنة الاجتماعية والانسانية والثقافية (اللجنة الثالثة) التابعة للجمعية العامة، وذلك لدى بحث موضوع التمييز العنصري والاجراءات المقترحة كبرنامج عمل للعقد الذي اعلنته الجمعية العامة بقرارها ذي الرقم ٣٠٥٧ (٢٧)

كعقد لمحاربة العنصرية والتمييز العنصري ابتداء من ١٠/١٢/١٩٧٣ . ففي الثالث من تشرين الاول قدم للجنة اقتراح يقضي باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . وبعد مناورات عديدة وضغوط مختلفة اقرت اللجنة مشروع هذا القرار باكثرية ٧٠ صوتا ضد ٢٩ صوتا وامتناع ١٦ دولة عن التصويت وغياب ٢٧ دولة . كما اقرت اللجنة اربعة مشاريع قرارات اخرى ، الاول يتعلق بالاجراءات الرامية الى تنفيذ برنامج عقد محاربة العنصرية والتمييز العنصري ، والثاني يتعلق باقامة مؤتمر عالمي لمحاربة العنصرية والتمييز العنصري في غانا عام ١٩٧٨ ، والثالث يناشد الدول الاعضاء التصديق على ميثاق محاربة جريمة الابارتهيد ومعاقبتها،والرابع يناشد الدول الاعضاء المصادقة على الميثاق الدولي لالغاء كافة اشكال التمييز العنصري.

وبعد ان اقرت اللجنة الثالثة مشاريع القرارات هذه تقدمت بها جميعا الى الجمعية العامة لاقرارها (٢) . وكان اهتمام الجمعية العامة متركزا على القرار المتعلق بالصهيونية الذي اتى ترتيبه ثالثا بين مشاريع هذه القرارات . فبذلت الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية جهودا كبيرة للحؤول دون اقرار هذا المشروع ، اذ تقدم مندوب بلجيكا باقتراح يرمي الى تأجيل التصويت على مشروع القرار الثالث الى جلسة اخرى وايده في ذلك مندوبا ليبريا والاورغواي وعارضه كل من مندوب الداهومي والعراق . ولدى طرح هذا الاقتراح على التصويت سقط باكثرية ٦٧ صوتا ضد ٥٥ وامتناع ١٥ . ولكن مندوب بلجيكا ، الذي عهدت اليه الولايات المتحدة ودول المجموعة الاوروبية ، بالتكلم باسمها لعرقلة قرار ادانة الصهيونية عاد فاقترح التصويت على مشروع هذا القرار قبل مشروعي القرارين الاول والثاني بحجة انه سيضطر الى التصويت ضد هذين القرارين اذا اقر مشروع القرار الثالث ، اي انه سيقف ضد برنامج العمل المعد لمحاربة العنصرية والتمييز العنصري اذا ما اعتبرت الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . فسقط اقتراحه ايضا باكثرية ٧٤ صوتا ضد ٤٦ وامتناع ٢٦ .

ولدى التصويت على مشروع القرار الثالث المتعلق بالصهيونية فاز القرار باكثرية ٧٢ صوتا ضد ٣٥ وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت وغياب ٣ دول .

اما الدول التي صوتت الى جانب القرار فهي : البانيا ، الاتحاد السوفياتي ، الاردن ، افغانستان ، المانيا الديمقراطية ، اندونيسيا ، اوغندا ، اوكرانيا ، ايران ، باكستان ، البحرين ، البرازيل ، البرتغال ، بلغاريا ، بنغلادش ، بوروندي ، بولنده ، تركيا ، تشاد ، تشيكوسلوفاكيا ، تنزانيا ، تونس ، الجزائر ، جزر المالديف ، داهومي ، دولة الامارات العربية ، الرأس الاخضر ، راوندة ، روسيا البيضاء ، ساوتومي برنسيب ، السعودية ، السنغال ، السودان ، سوريا ، سيري لانكا ، الصومال ، الصين ، العراق ، عمان ، غامبيا ، غرانادا ، غوايانا ، غينيا ، غينيا الاستوائية ، غينيا بيساو ، قبرص ، قطر ، كمبوديا ، الكميرون ، الكنغو ، كوبا ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، مالطا ، مالي ، ماليزيا ، مدغشقر ، مصر ، المغرب ، المكسيك ، منغوليا ، موريتانيا ، موزامبيق ، النيجر ، نيجيريا ، الهند ، هنغاريا ، لاوس ، اليمن ، اليمن الديمقراطي ، يوغوسلافيا .

والدول التي صوتت ضد القرار هي : استراليا ، اسرائيل ، افريقيا الوسطى ، المانيا الغربية ، اورغواي ، ايرلندا ، ايسلندا ، ايطاليا ، باربادوس ، باهاما ، بريطانيا ، بلجيكا ، بنما ، جزر الفيجي ، الدنمارك ، الدومنيكان ، ساحل العاج ، السلفادور ، سوازيلاند ، السويد ، فرنسا ، فنلندا ، كندا ، كوستاريكا ،

لوكسمبرغ ، ليبيريا ، ملاوي ، النرويج ، النمسا ، نيكارغوا ، نيوزيلندا ، هايتي ، هندوراس ، هولنده ، الولايات المتحدة .

أما الدول التي امتنعت عن التصويت فهي : الارجنتين ، اكوادور ، باباوا ، باراغواي ، بهوتان ، بوليفيا ، بوتسوانا ، بورما ، بيرو ، تايلاند ، ترينداد وتوباغو ، تشيلي ، توغو ، جامايكا ، الحبشة ، زائير ، زامبيا ، سنغافورة ، سيراليون ، غابون ، غانا ، غواتيمالا ، الفلبين ، فنزويلا ، فولتا العليا ، كولومبيا ، كينيا ، ليسوتو ، موريتشس ، نيبال ، اليابان ، اليونان .

وتغيب عن الجلسة كل من رومانيا واسبانيا وجنوب افريقيا .

★ ★ ★

ان قرار اعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري يستدعي منا عدة ملاحظات سنبينها تباعا بما يلي :

اولا : ان هذا القرار هو قرار هام بل هو هام جدا . فهو يدين الحركة الصهيونية بصفات اجمعت الانسانية على نبذها ومحاربتها وقطع دابرها . وبما ان الكيان الاسرائيلي هو التجسيد المادي للحركة الصهيونية ، فان في هذا القرار نفيا للاساس الذي يرتكز عليه هذا الكيان . من هنا كان رد الفعل الاسرائيلي عنيفا وقاسيا . فغداة اقرار القرار اجتمع الكنيست الاسرائيلي ، واصدر قرارا — بمعارضة اعضاء حزب راكاح — بادانة قرار الجمعية العامة كما حث بالمقابل على زيادة هجرة اليهود الى اسرائيل . ودعت الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية الى عقد مؤتمر لحوالي مئة من القادة اليهود عقد في القدس في ٣ كانون اول (ديسمبر) وأقر الخطوات اللازمة لمحاربة القرار (٣) . وكذلك تظاهر الطلاب خارج مبنى الامم المتحدة احتجاجا على القرار ، واعلن اساتذة المدارس عن « اسبوع الصهيونية » لاعطاء دروس خاصة في فلسفة الصهيونية وتاريخها . وطالبت غولدا مئير يهود العالم بوضع دبوس على ستراتهم كتب عليه « انا صهيوني » وذلك تحديا للقرار . واعادت بلدية القدس تسمية شارع الامم المتحدة باسم شارع الصهيونية .

واما في الخارج ، فقد حركت الصهيونية العالمية اتباعها في العالم لاتخاذ مواقف معادية من القرار وملأت الصحف بمقالات ورسائل تندد به . ومن ناحية وصف ناحوم غولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي القرار بانه من اكثر القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة في السنوات الاخيرة لاخلقية ومضرة . ان تعريف الصهيونية بالعنصرية هو تشويه سخيف للوقائع البدائية وهو يوازي افكار حق الشعب اليهودي في وطنه ودولته الخاصة به (٤) .

ان رد الفعل الاسرائيلي العنيف هذا مفهوم وطبيعي . فالقرار ، كما اوضحنا ، ينفي شرعية الاساس السياسي للكيان الاسرائيلي . وهو ادانة للمجتمع الاسرائيلي باللاانسانية وانعدام الحضارة واللاخلقية . وفضلا عن ذلك كله فهو يعطي الثورة الفلسطينية شرعية دولية اضافية لانه يدين نقيض هذه الثورة . فهو قرار بعدم شرعية الكيان الاسرائيلي لفساد اساسه السياسي وفي الوقت ذاته هو قرار بشرعية النضال الفلسطيني . وعلى هذا الاساس فهو الوجه الاخر المتمم للقرار الذي اقرته الامم المتحدة بشرعية النضال الفلسطيني . وهو يشكل حلقة اساسية في سلسلة هزائم

اسرائيل السياسية على الصعيد الدولي . وقبل هذا كله ، فان القرار يعكس صمود الثورة واستمرارها ، فثمة علاقة طردية بين انتصارات الثورة وصمودها على ارضها وبين انتصاراتها في المجال الدولي .

ثانيـــا : ان هـــذا القرار هو قرار صحيح ومحق

ان الاصوات الصهيونية التي ارتفعت ضد قرار ادانة الصهيونية يجب ان لا تحجب عنا اطلاقا صحة هذا القرار . فلئن كانت الامم المتحدة قد عرفت التمييز العنصري بأنـــه « اي تمييز او حرمان او تقييد او افضلية على اساس العنصر او اللون او السلالـــة او الأصل العرقي او القومي » (٥) ، فان الصهيونية تشكل اسوأ انواع العنصرية وابشع اشكال التمييز العنصري على الاطلاق . ان ما تهدف اليه الحركة الصهيونية هو انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتحقيق هذا الهدف يتوقف على طرد الشعب الفلسطيني، بل انه يشترط ذلك كشرط مسبق . وبتعبير اخر ، فان الكيان الصهيوني على ارض فلسطين كان يستلزم لانشائه وكشرط مسبق ليس فقط هدر حقوق الشعب الفلسطيني ، بل وتصفية وجود هذا الشعب على ارضه ووطنه . فالحركة الصهيونية حركة عنصرية تؤمن بوحدانية العنصر وترمي الى تجميع اليهود في فلسطين وتصفية وجود كل ما هو غير يهودي فيهـــا .

وعلى هذا الاساس ، فلئن كان التمييز العنصري هو تفضيل عنصر على آخر او فئة على اخرى او شعب على اخر ، فان الصهيونية ترمي الى الغاء وتصفية وجود شعب واحلال شعب اخر محله . من هنا فان نعت الصهيونية بالعنصرية والتمييز العنصري يقصر في الواقع عن تبيان حقيقة الصهيونية ، فهي في الحقيقة لا تشكل شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري فحسب ، بل هي العنصرية في اسوأ اشكالها والتمييز العنصري في ابشع صوره . انها اخر مدى وآخر حد في حدود العنصرية والتمييـــز العنصري . والتشابه شديد بين الصهيونية والنازية . فبينما آمنت هذه الاخيرة بان حل المشكلة اليهودية في المانيا يكمن في تصفية الوجود اليهودي ، آمنت الاولى بان حـــل مشكلة عرب فلسطين تكون بتصفية وجودهم في بلادهم .

ان تصفية الشعب الفلسطيني كان هدفا للحركة الصهيونية منذ نشوئها . فلقد طالب هرتزل في يومياته باخراج السكان الاصليين خارج الحدود وبمصادرة عقاراتهم . وعندما سئل حاييم وايزمان عام ١٩١٩ عما يعنيه بالوطن القومي اليهودي اجاب : « فلسطين بالنهاية ستصبح نتيجة للهجرة اليهودية يهودية كما انجلترا هي انجليزية » (٦) .

وبالفعل استطاعت الحركة الصهيونية بالارهاب والقوة طرد القسم الاكبر مـــن الشعب الفلسطيني من فلسطين حتى استطاعت انشاء دولة لليهود فيها .

وبينما ترفض السلطات الاسرائيلية عودة اي فلسطيني الى ارضه ، فهي تمنـــح بموجب قانون العودة الصادر عام ١٩٥٠ وقانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ . كـــل يهودي اينما وجد في العالم الحق في اكتساب الجنسية الاسرائيلية لدى اقامته فـــي اسرائيـــل .

ان هذا ليس تمييزا عنصريا فحسب ، بل هو الغاء وجود وهوية شعب لايجاد هويـــة لشعب اخر محله . انه ليس التمييز او المفاضلة بين شعب وشعب ، بل هو نفي للوجود الوطني لا بل الوجود المادي والجسدي لشعب من اجل ايجاد وجود وطني لشعب اخر .

ثالثا : ان هذا القرار يشير الى انحسار سطوة الولايات المتحدة والامبريالية بوجه عام عن الامم المتحدة

عندما جرى بحث موضوع ادانة الصهيونية في اللجنة الاجتماعية والانسانية والثقافية بذلت الولايات المتحدة جميع جهودها ، سواء في الامم المتحدة ، او خارجها للحيلولة دون نجاح القرار . وارتدت هذه الجهود طابع التهديدات العلنية السافرة والضغوط على مختلف الدول . فرئيس الولايات المتحدة اعلن عدم رضاه عن مشروع القرار ، وتبعه مجلس الشيوخ بقرار اجماعي حث فيه الجمعية العامة على رفض هذا القرار ، وكذلك فعل مجلس المثلين حيث قدم مشروع قرار بهذا الشأن وقعه ٤٣٦ ممثلا من مجموع ٤٣٧ .

وكان من جملة هذه التهديدات والضغوط المؤتمر الصحافي الذي عقده دونالد فريزر ، عضو وفد الولايات المتحدة الى الامم المتحدة ، في مقر هذه الاخيرة بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٣٠ وهدد فيه بقطع الاموال الامريكية عن مؤسسات الامم المتحدة في حال اقرار الجمعية العامة للقرار .

بيد ان هذه الضغوط لم تفلح بل ارتدت على اصحابها بضرر فادح اذ وقف مندوب دولة جزر الموريتشس في الجمعية العامة ليفضح دور الولايات المتحدة في الضغوط والمناورات التي مارستها على حكومة بلاده قائلا ما حرفيته : « يتذكر الوفود بانه لدى تناول اللجنة الثالثة لمشروع القرار المتعلق بالصهيونية بتاريخ ١٧ تشرين الاول قام وفدنا بتفسير موقفه من التصويت ، وبالواقع صوت الى جانب مشروع القرار وذلك على اساس التعليمات التي تلقاها من حكومة موريتشس . وفي هذا الصباح اتصل بي هاتفيا احد مندوبي وفد دولة ، قد يكون هو اكبر الوفود لدى الامم المتحدة — وانني لن اسمي ذلك الوفد حتى لا اتسبب في اي احراج او افشي سرا ثنائيا — ليعلمني بان سفير بلاده في عاصمة بلادي قد استلم تأكيدا واضحا من حكومتي بان وفدنا هنا في الامم المتحدة سيبدل موقفه ويصوت ضد مشروع القرار المتعلق بالصهيونية كما اوصت بذلك اللجنة الثالثة .

« ... ويبدو لي ان الضغط والاكراه والتهديدات واللغة النابية والمواقف المتعالية والعنجهية التي لجأ اليها ممثلو بعض الدول المتقدمة الكبرى لم تعد منذ مدة ذات تأثير كبير على الدول الصغيرة المستقلة ذات السيادة والاعضاء في الامم المتحدة » .

بهذه التعابير الواضحة ، فضح مندوب دولة موريتشس ضغوط الولايات المتحدة وبذلك يكون قد ثبت انهيار سطوة الامبريالية الامريكية على الدول المستقلة وانحسار هيمنتها على الامم المتحدة . وبالفعل ، فعلى الرغم من هذه التهديدات والمناورات والضغوط التي تلاحقت بين تاريخ ٧٥/١٠/١٧ ، وهو تاريخ اقرار اللجنة الثالثة لمشروع القرار ، و ٧٥/١١/١٠ وهو تاريخ اقرار القرار في الجمعية العامة ، ارتفع عدد الدول التي صوتت الى جانب القرار من ٧٠ دولة الى ٧٢ دولة .

ان هذا يثبت ان العالم في العقد الثامن من القرن الحالي هو غير العالم في العقد السادس من القرن ذاته وان سطوة الامبريالية ، وسطوة الولايات المتحدة قد انحسرت وتقلصت امام مد حركات التحرر والاستقلال .

رابعا : ان هذا القرار يشير الى تطابق الموقف الامريكي مع الموقف الاسرائيلي

فضلا عن الضغوط والتهديدات العلنية والمستترة التي لجأت اليها الولايات المتحدة

لمحاربة هذا القرار قبل صدوره ، فان ردود الفعل الامريكية على القرار كانت تساوي في عنفها وسرعتها لرد الفعل الاسرائيلي . فبعد المصادقة على هذا القرار ، وفي اليوم التالي على وجه التحديد ، اعلن رئيس الولايات المتحدة ان ليس للقرار « ما يبرره اطلاقا » . وبعد يومين من صدور القرار سارع وزير الخارجية الامريكية الى عقد مؤتمر صحافي في مدينة بتسبرغ ليصف القرار بأنه على « درجة عالية من اللامسؤولية » وكرر تهديده للدول التي صوتت الى جانب القرار قائلا « اننا نطلب من هذه الدول ان تتذكر بان استمرار هذا التصويت سيكون له اثر على علاقاتنا الثنائية والمتعددة الاطراف » (٧) . وكما انعقد الكنيست الاسرائيلي في اليوم التالي لصدور القرار ، انعقد مجلس الشيوخ الامريكي واصدر قرارا شجب فيه قرار الجمعية العامة ووصفه بانه يشجع على اللاسامية كما طالب لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ولجنة الشؤون الدولية في مجلس المثلين باعادة تقييم مساهمة الولايات في الجمعية العامة للامم المتحدة .

وكذلك اجتمع مجلس المثلين الامريكي في اليوم التالي لاصدار القرار وطالب ايضا باعادة تقييم مساهمة الولايات المتحدة في الجمعية العامة للامم المتحدة مما حمل رئيس وفد سيري لانكا لدى الامم المتحدة على القول : « لم اكن اعلم ان قرارات الامم المتحدة تحتاج الى موافقة الكونغرس الاميركي ! »

هذا الموقف الرسمي لاعلى السلطات الرسمية والمسؤولة في الولايات المتحدة يشير بكل وضوح وتأكيد الى تطابق الموقفين الرسميين لدى كل من اسرائيل والولايات المتحدة ويدفعنا مجددا الى التساؤل :

لئن كانت هذه هي مواقف الولايات المتحدة وحملة التحييد التي يقوم بها بعض المسؤولين العرب على اشدها وفي ذروتها ، فاي دليل على فشلها اكبر من هذا الدليل ؟

خامسا : ان هذا القرار بحاجة الى مزيد من التوضيح والتدعيم والاجراءات المساندة

ان هذا القرار يحتاج اولا الى مزيد من التوضيح والشرح لا سيما تجاه الدول التي وقفت ضده دون ان تكون معادية لنا بطبيعتها . فمن هذه الدول ، على سبيل المثال ، فنلنده وفرنسا وايطاليا والسويد وهي كانت قد امتنعت عن التصويت عن اقرار القرار المتعلق بحق الفلسطينيين في العودة الى بلادهم وتشكيل لجنة لوضع برنامج تنفيذي لتمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره وممارسة حقوقه الثابتة . وكذلك الامر بالنسبة الى الدول التي امتنعت عن التصويت عن هذا القرار كزائير وزامبيا ورومانيا التي تغيبت عن قصد عن الجلسة .

ان معالجة مواقف هذه الدول والدول التي وقفت ضدنا عامة ينبغي ان يتم على صعيدين اثنين : الاول هو الاتصال والحوار الدبلوماسي والاعلامي ، والثاني هو على صعيد مصالح تلك الدول في البلاد العربية . فعلى الصعيد الاول ، وعلى سبيل المثال ، يمكن الاستفادة من لجنة الحوار العربي الاوروبي وبالفعل اثير هذا الموضوع في اخر اجتماع لها في دولة الامارات العربية وينبغي تكثيف الجهود لشرح قضية الصهيونية في الاجتماعات القادمة ، لا سيما وان دول المجموعة الاوروبية وقفت موقفا موحدا ومنسقا ضد قرار ادانة الصهيونية وبذلت مجهودات واسعة لعرقلة اقراره . وعلى صعيد اخر ينبغي ان تشعر هذه الدول بان مواقفها المعادية لنا ستنعكس على مصالحها في البلاد العربية . وهذا امر هام لا سيما وان اسرائيل والحركة الصهيونية قد اخذت بممارسة هذه السياسة . ومثال ذلك التعميم الذي اصدرته الحركة الصهيونية في

نيويورك بتاريخ ٧٥/١١/٢٥ والـذي طلبت فيه الى اليهود الامتناع عن السفر الـى المكسيك بقصد السياحة وذلك كعقاب للمكسيك على موقفها من قرار الجمعية العامة تجاه الحركة الصهيونية (٨) . وفي هذا المجال نذكر ان مجلس الامة الكويتي قد كرر رفضه مؤخرا المصادقة على اتفاقية عقدتها الحكومة الكويتية مع رومانيا وذلك بالنظر لموقف هذه الاخيرة من القرار ضد الصهيونية في الامم المتحـدة .

والى جانب الحاجة الى توضيح هذا القرار وتدعيمه لدى الدول ، فانه يحتاج الى مزيد من الايضاح لدى المؤسسات الشعبية التي نددت به لعجزها عن فهم حقيقـة الصهيونية.ومن هذه المؤسسات الحزب الشيوعي الايطالي الذي نددت الصحيفة الناطقة باسمه « لونيتا » بقرار الامم المتحدة ورفضته لاسباب مبدئية . كذلك فعل سكرتير عام مجلس الكنائس العالمي في جنيف حين دعا الامم المتحدة الى اعادة النظر في قرار ادانة الصهيونية على اساس عدم قيام دليل على ان الصهيونية شكل من اشكال العنصرية . وكذلك اعترض على هذا القرار ببيان خطي عدد من المفكرين واصحاب الرأي الفرنسيين من بينهم فرنسوا ميتران ، بير مندس فرانس ، اندره مالرو ، جان بول سارتر ، سيمون دو بوفوار ورينه كاسان .

ان على منظمة التحرير ومؤسساتها المختلفة ان تبادر الى فتح حوار متصل ومكثف مع هذه المؤسسات والهيئات والشخصيات من اجل تبيان تطابق الصهيونية والعنصرية، ان على صعيد الفكر الصهيوني المجرد ، او على صعيد الممارسة العملية القائمة في اسرائيل . اننا لا زلنا بحاجة الى دراسات وابحاث لا سيما في اللغات الاجنبية لشرح كل ذلك . وفي الممارسات الاسرائيلية معين لا ينضب من اساليب العنصرية والتمييـز العنصري فعلى سبيل المثال نشير الى قانوني العودة والجنسية والى وضع العرب في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ وتعارضها التام مع ابسط القواعد المتعارف عليها لحقوق الانسان ، وكذلك الى التمييز في التعليم والى التمييز تجاه اليهود الشرقيين .

ان قرار ادانة الصهيونية بحاجة ثالثا الى مزيد من الدعم والاجراءات المساندة في الامم المتحدة . فالجمعية العامة قد قررت اعتبار العقد المبتدىء في ١٩٧٣/١٢/١٠ عقد محاربة العنصرية والتمييز العنصري ووصفت برنامج عمل لذلك من علاماته البارزة اقامة مؤتمر دولي لمحاربة العنصرية والتمييز العنصري في دولة غانا عام ١٩٧٨ . وعلينـا الاستعداد منذ الان لهذا المؤتمر ، كما يقع على الدول العربية واجب تقديم المؤازرة المادية له . ومن الامور الجديرة بالبحث في هذا المجال الدعوة الى انشاء لجنة او وحدة خاصة في الامم المتحدة لدراسة الصهيونية كحركة عنصرية تعنى باعداد الدراسات والتقارير والنشرات الدورية عن عنصرية الصهيونية ــ فكرا وممارسة ــ وذلك على غرار وحدة الابارتهيد التي انشأتها الامم المتحدة . وهذا الامر ليس عسير التحقيق اذ ان الوفود العربية لدى الامم المتحدة قد نجحت في تشكيل لجنة خاصة للتحقيق فـي الممارسات الاسرائيلية التي تؤثر في حقوق الانسان في المناطق المحتلة (٩) .

ثم ان قرار ادانة الصهيونية بحاجة ، رابعا واخيرا ، الى مزيد من الدعم والاجراءات المساندة لدى اليهود نفسهم . فالقرار له وزن معنوي كبير وهام لدى اليهود غـير الصهيونيين او المعادين للصهيونية . وقد قامت بعض المنظمات اليهودية غير الصهيونية بالاشارة له كما هلل له بعض الافراد اليهود الذين بعثـوا برسائل الى الصحـف والمجلات مؤيدين ومباركين خطوة الامم المتحدة . ولعل اهم اجراء مساند ومدعم لهذا القرار في هذا المجال هو قيام الدول العربية بالاعلان عن استعدادها لاعادة توطـين مواطنيها اليهود الذين غررت بهم الدعاية الصهيونية وحملتهم على مغادرة البلاد العربية

الى اسرائيل . ان مثل هذا الاعلان ، اذا ما عزز عمليا بفتح مجال العمل امام اليهود الراغبين في العودة وبانشاء مراكز في اوروبا لهجرة اليهود العرب من اسرائيل لاعادتهم الى بلادهم الاصلية ، سيشكل ضربة قاصمة للفكرة الصهيونية وشرخا هاما في المجتمع الاسرائيلي حيث يقدر عدد اليهود العرب بنحو ستين بالمئة من مجموع عدد اليهود في اسرائيل .

الحواشي

١ — ان اقوال المندوبين في جلسة الجمعية العامة منقولة من السجل الحرفي للجلسة كما هو وارد في وثيقة الامم المتحدة رقم A/PV 2400

٢ — اقرت الجمعية العامة ايضا وفي ذات الجلسة مشروع قرار اخر تقدمت به اللجنة الثالثة في تقرير منفصل يؤكد مجددا على شرعية نضال الشعوب من اجل الاستقلال والسيادة الاقليمية والتحرر من الاستعمار والسيطرة الاجنبية وذلك بجميع الوسائل المتاحة بما فيها الكفاح المسلح. ولقد اقر هذا القرار باكثرية ٩٩ صوتا وامتناع ١٨ دولة عن التصويت ولم يعارضه احد سوى اسرائيل .

٣ — جريدة **التايمز** اللندنية ، ١٩٧٥/١١/١٣ .

٤ — جريدة **لوموند** الفرنسية ع ١٩٧٥/١١/١٣ .

٥ — كما وردت في الميثاق الدولي لالغاء جميع اشكال التمييز العنصري — القرار رقم٢١٠٦ (٢٠)

٦ — Chaim Weizmann, *Trial and Error* (London, Hamish Hamilton, 1950), p. 305

٧ — جريدة **الهيرالد تريبون** (الدولية) ، ١٩٧٥/١١/١٣ .

٨ — تجدر الاشارة الى انه فشلا عن موقف المكسيك المؤيد للقرار ، كان الرئيس المكسيكي، ايتشفيريا ، قد عقد مؤتمرا صحفيا بعد صدور القرار في مكسيكو سيتي ادان فيه الصهيونية كحركة عنصرية . وقد رد رئيس رابطة الفنادق في المكسيك على بيان الحركة الصهيونية بقوله ان السياح اليهود يشكلون ٧٠٪ من عملاء المخابرات المركزية الاميركية في المكسيك .

٩ — انشئت هذه اللجنة بالقرار رقم ٢٤٤٣ (١٢) تاريخ ٦٨/١٢/١٩ وهي مؤلفة من ثلاث دول هي السنغال (التي حلت محل الصومال) وسيري لانكا ويوغوسلافيا وقد قدمت ستة تقارير حتى نهاية عام ١٩٧٥ ادانت فيها ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة .

حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية

صبري جريس

اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/١١/١٩٧٥ ، في دورة انعقادها الثلاثين ، بناء على توصية اللجنة الاجتماعية التابعة لها ، قرارا يقضي باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري ، وذلك باكثرية ٧٢ صوتا ضد ٣٥ صوتا ، وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت وغياب ٣ دول . واثار هذا القرار موجة استنكار شديدة لدى الدوائر الصهيونية والفئات المتعاطفة معها داخل اسرائيل وخارجها ، في اماكن مختلفة من العالم ، ثم حملة تشهير ضد الامم المتحدة عامة والدول التي صوتت لصالح القرار خاصة . كذلك قامت بعض الدول الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، باصدار تصريحات تنم عن تهديد للدول التي تبنت هذا القرار او صوتت لصالحه ، بينما اعلنت اكثر من منظمة دولية او اقليمية استنكارها له باعتباره مجحفا بحق الصهيونية ، وينم عن انحياز لجانب العرب . وفي الوقت نفسه شنت مختلف الاجهزة الاسرائيلية والصهيونية الرسمية حملة مضادة على القرار ومؤيديه ، تخللتها نداءات تقليدية الى يهود العالم تدعوهم الى «دعم اسرائيل وتحقيق الصهيونية» .

ان ردة فعل الدوائر الاسرائيلية والصهيونية على قرار الجمعية العمومية ليست غريبة ، اذ ان هذا القرار عدا عن كونه ادانة عالمية لعقيدة يزعم اتباعها انهم « حركة تحرر قومي » يهودية ، ولهذا لا بد ان يثير سخطهم ، يمس في الوقت نفسه باحدى الاسس القانونية المهمة التي ارتكزت عليها اسرائيل عندما اعلن عن قيامها كدولة ، وذلك بوضعه علامة استفهام على قرار الجمعية العمومية الصادر في ٢٩/١١/١٩٤٧ والقاضي بتقسيم فلسطين الى قسمين ، واقامة دولة يهودية على قسم منهما . كذلك قد يعتبر هذا القرار بمثابة بداية اعادة نظر من قبل المجتمع الدولي في شرعية الانتداب الذي فرض على فلسطين مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، وشرعية الاجراءات التي اتخذت بموجبه واسفرت في نهاية الامر عن صدور قرار تقسيم فلسطين لسنة ١٩٤٧ .

ان ما يثير الغرابة في هذه الحملة المضادة هو اشتراك عدد من الهيئات والمؤسسات المختلفة في العديد من دول اوروبا واميركا فيها ، وبعضها بحماس بالغ تكاد تظهر معها كأنها ملكية اكثر من الملك ، رغم انه ليس لهذه المواقف ما يدعمها ولا اساس موضوعيا لها . ان نظرة سريعة ، مع قليل من الجهد ، الى العقيدة الصهيونية وتاريخها وممارستها العملية في فلسطين وخارجها ، قبل قيام اسرائيل وبعدها ، تكفي لاظهار النزعات العنصرية في الصهيونية بشكل واضح ، يبدو معه ان مندوبي الدول التي صوتت الى جانب قرار ادانة الصهيونية باعتبارها شكلا من اشكال العنصرية لم يكونوا على خطأ في موقفهم هذا ، وبالتالي ليس هناك ما يبرر الحملة التي تشنها ضدهم الاجهزة الصهيونية او المتعاطفون معها او بعض الهيئات الدولية والشعبية التي تعتقد انها

بموقفها هذا تتصدى لما تسميه اللاسامية الجديدة . وسنحاول فيما يلي ان نعرض الملامح الرئيسية للنزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونيتين ، منذ نشوئها وحتى اليوم ، وهي ملامح تبدو كافية للاثبات ان قرار ادانة الصهيونية ، الذي اتخذته الامم المتحدة ، كان قرارا عادلا له ما يبرره .

تحت تأثير الاستعمار

رغم ادعاء دعاة الصهيونية وبعض مؤرخيها ان حركتهم « عريقة » وتكاد تضاهي في قدمها قدم اليهودية نفسها ، وذلك من خلال الاشارة الى الحركات الدينية التي كانت تظهر بين اليهود من حين لاخر ، في هذا البلد او ذاك ، داعية اياهم للعودة الى فلسطين (« ارض ــ اسرائيل » حسب التعاليم الصهيونية) ، فلا بد من الاشارة اولا الى ان الحركة الصهيونية ، بعقيدتها ومفاهيمها الداعية الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، نشأت وتبلورت بين يهود روسيا واوروبا الشرقية خاصة ، وبعض يهود دول اوروبا الغربية ، خلال النصف الثاني من القرن الماضي ، دون ان تكون لها علاقة موضوعية واضحة مع المحاولات التي كانت تبذلها بعض الفئات اليهودية للعودة الى فلسطين والعيش بالقرب من الاماكن اليهودية المقدسة فيها ، من خلال نزعات دينية صرفة ، وكذلك دون ان تكون لها علاقة مع الدعوات التي كان يطلقها بعض الكتاب المغامرين من غير اليهود ، مقترحين اقامة دولة يهودية في الشرق . واذا اردنا تحديد تاريخ معين لبداية نشاط الحركة الصهيونية ، التي انجبت دولة اسرائيل ، ولا تزال تعمل حتى اليوم علنا بين اي فئة يهودية ، وفي اي دولة يسمح لها بالعمل فيها ، وسرا في البلدان التي لا تستطيع مزاولة نشاطها شرعيا فيها ، يمكننا ان نشير الى العام ١٨٦٢ ، عندما نشر ــ في العام نفسه ــ كتابان لمؤلفين يهوديين ، لا علاقة لاحدهما بالاخر ، يدعوان الى حل المسألة اليهودية ، التي تأزمت في اوروبا وقتها ، بواسطة اقامة دولة يهودية في فلسطين ونقل اليهود اليها . والكتابان هما « دريشات تسيون » (بحثا عن صهيون) لمؤلفه الحاخام تسفي هيرش كاليشر و « روما والقدس » لمؤلفه موشي هس .

بقيت آراء كاليشر وهس حبرا على ورق خلال العشرين سنة المقبلة ودون ان تبذل اية جهود جدية لاخراجها الى حيز الوجود ، عدا محاولتين محدودتين ، قامت باولاهما جمعية الاليانس اليهودية الفرنسية التي استطاعت ، سنة ١٨٧٠ ، اقامة مدرسة زراعية لليهود في وسط فلسطين بالقرب من يافا ، اطلق عليها اسم « مكفيه يسرائيل » وذلك بهدف مساعدة يهود فلسطين على الانتقال الى حياة العمل الزراعي المنتج ، ونفذ الثانية اليهودي البريطاني الثري ، السير موشي مونطفيوري ، الذي استطاع اقامة عدد من المساكن ليهود القدس خارج اسوار المدينة المقدسة ، بهدف التخفيف من ضائقة سكنهم وكمقدمة لتحسين اوضاعهم عامة . ولكن هذا الوضع تغير مع مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، عندما ادى اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني عام ١٨٨١ من قبل جماعة من الثوريين الروس ، كان بينهم احدى اليهوديات ، الى قيام حملة منظمة من المذابح والاعتداءات ضد اليهود في كافة انحاء روسيا ، وبولونيا ، التي كانت خاضعة وقتها للحكم الروسي (وكانت اغلبية اليهود في العالم تعيش وقتها في تلك البلدان) . وجاءت هذه المذابح والاعتداءات بمثابة تتويج للاجراءات والقيود اللاسامية التي فرضتها سلطات روسيا القيصرية على مواطنيها اليهود من جهة ولانهيار اسس حياتهم الاقتصادية ، بعد ان قطعت حملة تصنيع روسيا وسيرها على طريق النمو الرأسمالي شوطا لا بأس به من جهة اخرى ، مما ادى الى قيام حملة هجرة واسعة بين اليهود ،

بذلت السلطات الروسية كل ما في وسعها لتشجيعها . وتوجه معظم اولئك المهاجرين الى الولايات المتحدة (واستمرت الهجرة اليهودية من روسيا وبولونيا الى هذا البلد منذ ذلك الوقت وحتى الربع الاول من القرن الحالي ، واسفرت عن دخول نحو ٣ ملايين يهودي الى هذا البلد) والى اميركا الجنوبية ، أكثريتهم بقواهم الذاتية وقلتهم بمساعدة بعض المؤسسات اليهودية في اوروبا الغربية ، خاصة شركة الاستيطان اليهودية (J C A) ، التي اسسها البارون هيرش الفرنسي خصيصا لهذه الغاية . كذلك توجهت اعداد قليلة من اولئك المهاجرين ، لم تزد على بضعة الاف ، الى فلسطين .

ان بداية هجرة اليهود هذه من روسيا وبولونيا لم تتم ، بالطبع ، خلسة ، اذ كانت المسألة الرئيسية التي شغلت المجتمع اليهودي هناك خلال فترة غير قصيرة ، واثارت نقاشا واسعا وحادا بين اعداد من المثقفين اليهود الروس ، نخص بالذكر منهم بيرتس سمولينسكين وموشي ليف ليلينبلوم والدكتور يهودا ليف بينسكر (مؤلف كتيب «التحرير الذاتي » — ١٨٨٣) واليعزر بن يهودا . ويلاحظ عند الاطلاع على آراء اولئك المثقفين (وبعضهم تزعم حركة الهجرة الى فلسطين فيما بعد) من كتاباتهم المختلفة ان تفجر المسألة اليهودية في روسيا ، بالشكل الذي تم ، اوقعهم في حيرة وذهول ودفعهم الى التخلي تدريجيا عن مواقفهم السابقة الداعية الى العمل على ايجاد حل بواسطة تفاهم مع السلطات ، بعد الغاء اجراءاتها المناهضة لليهود ومنحهم حقوقهم المدنية ، اسوة بيهود اوروبا الغربية ، وتبني موقف اخر يدعو الى تأييد هجرة اليهود من روسيا وبولونيا . ومع الاقتناع بضرورة هجرة اليهود من بلدانهم تلك ، بدأ الحديث عن اقامة دولة يهودية في مكان ما ، وهو المكان الذي سرعان ما حددته الفئات المتدينة التي راحت تفرض زعامتها تدريجيا على هذه الدعوات واصحابها بأنه فلسطين ، دون غيرها . ويلاحظ ايضا من كتابات المثقفين والمفكرين اليهود الذين اشرنا لهم ، دون استثناء ، ومن كتابات غيرهم ان دعوتهم الى اقامة دولة يهودية في فلسطين تأثرت بشكل واضح للغاية بالمناخ السياسي الذي كان سائدا في اوروبا يومها ، وخاصة حصول عدد من الشعوب على الاستقلال والحكم الذاتي من جهة وازدياد نشاط الاستعمار وتعاظم نفوذه وسيطرته في اسيا وافريقيا من جهة اخرى . وبمقارنة اوضاع اليهود مع اوضاع الشعوب التي كانوا يعيشون بينها ، ومن خلال التفتيش عن حل للمشاكل التي تجابههم ، توصل اولئك المثقفون الذين تزعموا الدعاوة الصهيونية وقتها ، الى نتيجة مفادها ان اليهود لا يقلون شأنا عن باقي الشعوب الاوروبية ، وكما يحق لتلك الشعوب الحصول على استقلالها او استعمار مناطق معينة في اسيا وافريقيا ، يحق لليهود ايضا المطالبة « باستقلالهم » وترك البلدان التي يعيشون فيها واستعمار جزء خاص بهم — في فلسطين وجوارها بالطبع ، نظرا للعلاقات التي تربط اليهود بفلسطين عقب نشوء ديانتهم فيها — بل ان اليهود ، نظرا للمشاكل الخاصة التي تعترضهم والاضطهاد الذي يلاقونه هنا وهناك ، احق من غيرهم في ذلك .

وبهذا يكون التشبه بالاستعمار ومحاولة السير على خطاه اول عنصر في مركب الصهيونية .

آحاد هعام : المستوطنون « يحتقرون العرب ... ويضربونهم »

كانت حصيلة موجة الهجرة اليهودية من روسيا وبولونيا ورومانيا خلال الفترة الواقعة بين ١٨٨١ و ١٩٠٤ قدوم نحو ٢٥ الف مهاجر الى فلسطين ، ضمن حركة هجرة عرفت فيما بعد باسم الهجرة الاولى الصهيونية ، اتجه عدد منهم الى اقامة

مستوطنات زراعية لهم في اماكن مختلفة في فلسطين . ولكن لم يمر اكثر من عامين على بداية مشاريع الاستيطان هذه ، التي تعتبر بمثابة نقطة انطلاق للنشاط الصهيوني على ارض فلسطين ، حتى كانت الحركة التي دعمت اولئك المستوطنين وتأسست مع بداية موجة الهجرة اليهودية من روسيا — حركة هواة (او احبـاء) صهيون — تعلن عن افلاسها ، بحيث اضطر المستوطنون الى الاستنجاد بالبارون روتشيلد في باريس وطلب مساعدته ، فاستجاب لنداءات الاستغاثة التي وجهت له واعلن عن تبنيه لهم . وخلال الفترة التي عمل روتشيلد فيها في فلسطين ، اي منذ مطلع الثمانينات وحتى نهاية القرن الماضي ، استطاع شراء مساحات لا بأس بها من الاراضي الزراعية لصالح المستوطنين ، تقدر ببضعة مئات الالاف من الدونمات ، معظمها من عائلات اقطاعية كبيرة — بعضها كان يسكن خارج فلسطين — وساهم في انشاء المستوطنات ، التي وصل عددها مع مطلع القرن الحالي الى نحو ٢٠ مستوطنة .

رغم المكاسب الاستيطانية التي حققها البارون روتشيلد وحركة هواة صهيـون في فلسطين ايام الهجرة الاولى ، يجمع مؤرخو الصهيونية عـلى ان تلك التجربة انتهت بالفشل . ويرى اولئك المؤرخون ان اسبـاب ذلك الفشل تعود اساسا الى اعتمـاد المستوطنين على العمال العرب في ادارة شؤونهم — وبهذا تظهر الملامح الاولية للسياسة العنصرية الصهيونية — حيث اضطروا ، بسبب قلة خبرتهم في شؤون الزراعة وغربتهم عن البيئة التي انتقلوا اليها ، الى تشغيل العمال العرب لديهم « وتناسوا » ضائقـة اخوانهم خارج فلسطين ومهمتهم في « تحقيق الصهيونية » وتنفيذ الدور الطليعي الذي اوكل لهم لخلق اوضاع مناسبة في فلسطين لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليها . ولكن الحقيقة تختلف عن هذا التقييم ، اذ ان ما حدث فعلا يتلخص في ان اولئك المستوطنين ، الذين حصلوا على الارض والمعدات الزراعية مجانا ، وحصلوا كذلك على اعـانات مالية شهرية ثابتة من صندوق البارون روتشيلد او حركة هواة صهيـون ، لم يجدوا طريقة اسهل لتأمين عيشهم من استغلال العمال العرب ، الذين كانوا يعيشون اساسا على الاراضي التي سلمت لاولئك المستوطنين . ولم يمر وقت طويل حتى كـانت مئات العائلات العربية تعمل بأسرها لدى المستوطنين الجـدد ، بعـد ان انتقلت للسكن في المستوطنات او بجوارها ، بحيث يعمل رجال العائلة في حقول المستوطن ونساؤها في خدمة بيته . وعدا عن اوضاع الاستغلال هذه التي عاشها العمال العرب ، تعرضوا ايضا للاهانات وسوء المعاملة من قبل المستوطنين . ويصف آحاد هعام ، احد كبـار الفلاسفة الصهيونيين — اليهود ، الذي كان قد انتدب في حينه للتحقيق في اوضاع تلك المستوطنات ، هذه المعاملة بقوله ان المستوطنين « يتعاملون مع العرب بعداء وقسوة ، يعتدون عليهم دون مبرر ويضربونهم باحتـقار دون سبب » . ويضيف آحاد هعـام محذرا : « ساد لدينا الاعتقاد خارج البلد بان العرب جميعهم متوحشون صحراويون ، شعب يشبه الحمير ، لا يرون ولا يفهمون ما يدور حولهم . ولكن هذا خطأ كبير ... ان العرب ، وخاصة سكان المدن ، يرون ويفهمون نشاطنا واهدافنا في البلد ، ولكنهم يسكتون ويتظاهرون بانهم لا يعلمون ، لانهم لا يرون في اعمالنا حتى الآن خطرا عـلى مستقبلهم ... ولكن اذا جاء وقت ، يتطور فيه نشاط ابنـاء شعبنـا الى حد سحب البساط من تحت ارجلهم ، قليلا او كثيرا ، فان هؤلاء لن يتحركوا بسهولة من اماكنهم . » والواضح ان آحاد هعام صدق في نبوءته — تحذيره هذا .

هرتسل : « طلائع حراس المدنيـة ضد البربرية »

في الوقت الذي كانت فيه تجربة الاستيطان الصهيوني الاولى في فلسطين تصل الى

ريق شبه مسدود، مع نهاية القرن الماضي، كانت الفكرة الصهيونية تنتعش في مكان اخر،
ضل يهودي هنغاري الاصل ، يدعى الدكتور تيودور هرتسل ، كان قد انتقل للعيش
، باريس ليعمل فيها مراسلا لصحيفة نمساوية . وهرتسل مؤلف كتاب « دولة اليهود »
١٨٩٦) ، احد الكتب الصهيونية الرئيسية ، ومؤسس المنظمة الصهيونية العالمية ،
ي المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) ، واول رئيس لها .

تأثر هرتسل اثناء وجوده في باريس — هكذا يقول في مذكراته — بظواهر اللاسامية
والعداء لليهود التي برزت اثناء محاكمة ضابط يهودي فرنسي ، يدعى درايفوس ، كان
قد اتهم زورا بخيانة بلاده وتسليم معلومات عسكرية الى المانيا ، واستمرت محاكمته
وقتا غير قصير ، الى ان ثبتت براءته في النهاية . ويبدو ان ظواهر العنصرية اللاسامية
تلك قد اثرت على تفكير هرتسل ونشاطه اكثر مما ينبغي ، بحيث دفعته الى الترويج
لعنصرية مضادة . ففي كتابه « دولة اليهود » الذي يدعو فيه للعمل على حل المسألة
اليهودية بواسطة اقامة دولة لليهود ، ينطلق هرتسل من فرضيات تثير الاستغراب ،
منها ان كل الشعوب التي يعيش اليهود بينها لاسامية ، « بعضها بقناع وبعضها بدون
قناع » ، والمسألة اليهودية قائمة في كل مكان يوجد فيه يهود ، وتبرز مجددا في كل مكان
يصلون اليه ، وان الشخصية اليهودية لن تسمح لنفسها ، ولن يسمح لها ، بالزوال
لان أعداءها يعملون على تكتلها ، بعد ان جعلوا من اليهود شعبا واحدا . والواضح ان
هرتسل بفرضياته هذه ينزع الثقة من كل شعوب العالم ، ولا يأمل منها اي خير تجاه
اليهود — والطريق بين مثل هذه المعتقدات وبين العنصرية ليس طويلا . ويلاحظ ايضا
ان هرتسل ، في تعامله السياسي مع الدول التي كان بحاجة لمساعدتها لتأمين تنفيذ
مشروعه الصهيوني ، ينطلق ايضا من هذه الفرضيات ، اذ لم يجد ما يقوله للدول
الاوروبية ، في محاولة منه لحملها على تأييد منظمته ، الا وعدها بان الصهيونيين
سيكونون في فلسطين بمثابة « سور تجاه اسيا وطلائع لحراس المدنية ضد البربرية » .
ولكن رغم ذلك لا نراه يكن احتراما كبيرا لتلك الدول ، او ممثليها ، ولا لغيرهم . ففي
مذكراته يصف هرتسل ، مثلا ، كيفية مقابلته للممثل البابوي في فيينا بقوله انه دخل الى
مقره بعد ان تلفت حوله ، يمينا ويسارا ، خشية ان يراه احد ، « كمن يدخل الى بيت
اساسه رديء » ، وخلال مقابلته مع سلطان تركيا ، لمفاوضته بشأن اقامة دولة
يهودية في فلسطين ، لفت نظره اسنان السلطان « الطويلة الصفراء » .

لم يسفر نشاط هرتسل السياسي ، منذ عقد المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧
وحتى وفاته سنة ١٩٠٤ عن مكاسب صهيونية تذكر ، عدا عن اقامة المنظمة الصهيونية
العالمية ووضع الاسس للاجهزة التابعة لها (وهي انجازات صهيونية مهمة بحد ذاتها) .
ولكن خلال عهده وضعت الاسس لمؤسسة تعتبر من اكثر المؤسسات الصهيونية
عنصرية ، وهي شركة الكيرن كاييمت لاسرائيل (JNF) ، وارسيت القواعد التنظيمية
« الفلسفية » لاكثر التجمعات الصهيونية عنصرية ، ونقصد بهذا الصهيونيين المتدينين .

اقيمت شركة الكيرن كاييمت باعتبارها الاداة الرئيسية للحركة الصهيونية لشراء
الاراضي في فلسطين . وبصفتها هذه ، ادخل الى عقد تأسيسها بند رئيسي ينص على
ان الاراضي التي تشتريها ستكون ملكا دائما لليهود ، دون غيرهم . وقد عملت الشركة
على تطبيق هذه السياسة بشكل صارم للغاية ، ودون هوادة ، بحيث لم تنتقل قطعة
ارض من اراضي فلسطين الى ملكيتها الا وعملت اولا على طرد العمال الزراعيين العرب
منها وسلمتها لليهود لاستغلالها ، محرمة عليهم حتى السماح للعرب بالعمل لديهم كعمال
ماجورين ، وبموجب شروط قاسية تخولها استرجاع تلك الارض اذا اخل المستوطن

بهذه الشروط . ورغم المشاكل العديدة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، التي نجمت عن هذه السياسة والخلافات الشديدة التي كانت تقع بين اليهـود والعرب في فلسطين ، واحيانا بين الوكالة اليهودية وسلطات الانتداب ، بسببها ، ورغم ان هذه الممارسات تفضح الادعاءات الصهيونية التقليدية بشأن اعمال « التطوير » التي كانت تقوم بها في فلسطين ، لمصلحة اليهود والعرب ، فقد واظبت الكرن كاييمت ، بعناد فريد في نوعه ، على تنفيذها خلال الحكم العثماني في فلسطين والانتداب البريطاني على البلد . واستمرت الشركة في تطبيق سياستها حتى بعد اقـامة اسرائيل ، بل حملت حكومتها — كما سنرى — على اتباع سياسة التمييز العنصرية هذه حتى ضد سكانها العرب ، الذين يعتبرون ، رسميا على الاقل ، مواطنين فيها .

« شعب اللـه المختـار » و « ارض — اسرائيـل »

اذا كانت الكرن كاييمت قد اقيمت بتأييد هرتسل وبركته فان «المؤسسة» العنصرية الاخرى — التنظيمات الصهيونية المتدينة — اقيمت رغما عنه ، او بصورة اكثر دقة ، كتحد لسياسته ومواقفه . فحتى ظهور هرتسل كان اليهود المتدينون ، عامة، يحجمون عن الحديث عن اقامة دولة يهودية في فلسطين او غيرها ، وان كان بعضهم يهاجر الى فلسطين من حين لاخر للعيش هناك ، وخاصة بالقرب من الاماكن اليهودية المقدسة ، او يساهم في تأسيس بعض المستوطنات اليهودية في البلد ، وذلك بفضل تقـاليد او اجتهادات دينية مفادها ان دولة يهودية ، تجمع شتات اليهود ، ستقوم عنـد ظهور المسيح — المخلص ، الذي سيأتي لانقاذ اليهود خصيصا ، عندما يقترب العـالم من نهايته وقبيل قيام القيامة . ومن يتوق مـن اليهـود الى ساعة الخلاص هذه ويأمل « بالمساهمة » فيها وهو حي ، عليه الاكثار من اقامة الصلوات والابتهـالات لله ، للاسراع في ارسال مسيحه . واما العمل على اقامة دولة يهودية ، بقوى بشرية،فليس الا كفرا ، لان اقامة مثل هذه الدولة يعتبر نوعا من « الضغط » على المسيح — المخلص و « اجباره » على الظهور قبل الوقت الذي حدده لذلك ، او « الاسراع في نهاية العالم » قبل اوانه. ولكن مع تأسيس المنظمـة الصهيونيـة العالمية وتكثيف هرتسل لنشاطه السياسي ولقاءاته مع عدد من زعماء العالم يومها ، لحملهم على تأييد مشاريعه، بشكل بعث الامل في اقامة دولة يهودية — وقريبا — تكونت لدى فئات المتدينين افكار اخرى . وعلى الاثر بدأت حملة اعادة نظر في الاجتهادات الدينية ومحاولة ملاءمتها للتطورات المتوقعة ، اهمها ادخال تعديلات عليها مفادها ان دولة يهودية ستقام فعلا عند ظهور المسيح — المخلص ، ولكن لا مانع من « مساعدته » والقيام بخطوات معينة تمهد لاقامة مثل هذه الدولة ، ثم اذا كان اليهود العلمانيـون « الكفرة » ، من امثـال هرتسل ومؤيديه ، يعملون لاقامة دولة يهودية لا يلتزم سكانها بتعاليم التوراة والتلمود ، فعلى اليهود المتدينين التعاون معهم ومحاولة التأثير عليهم للسير على هدى تعاليم الدين ، وليس مقاومتهم ، والسماح لهم بالاستمرار في جهلهم و « كفرهم » . ولـم يتوقف الصهيونيون المتدينون عند هذا الحد ، اذ سرعان ما اتجهوا الى العمل على بلورة عقيدة متكاملة لهم ، وذلك بالاتجاه — طبعا — الى كتب الدين واختيار نصوص منها ، كانت سارية المفعول وملائمة للواقع — ربما — قبل مئات او الاف السنين لتبرير مواقفهم الجديدة . وتلخصت المعتقدات الجديدة هذه في الاعلان ان اليهودية هي دين وقومية في آن معا ، وان اليهود هم شعب الله المختار وفلسطين ملك لهم ، بناء على وعد الهي . وفي الوقت نفسه اسقطت كل الاسماء التي كانت تطلق على الديار المقدسة ، وخاصة اسم « فلسطين » ، واستبدلت بعبارة « ارض — اسرائيل » ، وبوشر بحملة مركـزة

تهدف الى ابراز ذلك النوع من الاجتهادات الدينية الذي يركز على قدسية ارض — اسرائيل واهميتها بالنسبة لليهود ، من خلال تضخيم وتعميق الاراء التي تعتبر ان استيطان ارض — اسرائيل فريضة يجب على اليهودي تأديتها ، اسوة بباقي الفرائض التي تلزم اليهودية اتباعها بها . وارفقت هذه الاجتهادات بحملة من التشكيك في جدوى حياة اليهود في المهجر وانجازاتهم هناك ، مهما كان نوعها ، وبشكل يوحي بان اليهودي المؤمن ملزم بالانتقال من بلده للعيش في ارض — اسرائيل في اول فرصة تسنح له . واما تجاه غير اليهود ، وخاصة العالم المسيحي ، فقد تم التركيز على ان الصهيونية ليست الا مرادفا لليهودية او ، على الاقل ، اليهودية المتجددة .

لم يترك الصهيونيون المتدينون اجتهاداتهم هذه بمثابة حبر على ورق ، اذ سرعان ما اتجهوا الى تنفيذها بواسطة حمل المنظمة الصهيونية العالمية على تبني مطالبهم واضفاء طابع ديني على كل نشاطاتها ، وعندما فشلوا في ذلك عمدوا الى تنظيم انفسهم ليصبحوا قوة ضغط فعالة ، فاسسوا منظمة مزراحي المتدينة (التي تشترك حاليا في حكم اسرائيل تحت اسم « الحزب الديني القومي ») وكانوا بذلك اول حزب منظم داخل الحركة الصهيونية . واثر نشاطهم ، منذ مراحل تنظيمهم الاولى ، بشكل مباشر على الحركة الصهيونية . وكان من بين النتائج المترتبة على هذا النشاط ، مثلا ، ان اضطر هرتسل ، للحد من تأثيرهم او ربما لكسب تأييدهم ، الى تأليف كتاب جديد ، بعد ان نشر كتاب « دولة اليهود » ، بعنوان « الارض الجديدة — القديمة » (١٩٠٢) ، يصف فيه دولة المستقبل اليهودية ونظامها وطريقة العيش فيها في فلسطين ، دون غيرها ، « ككفارة » عما كتبه في « دولة اليهود » بشأن امكانية قيام دولة يهودية في الارجنتين ايضا ، وليس في فلسطين بالذات . كذلك كان اولئك المتدينون من كبار المعارضين لمشروع اقامة دولة يهودية في اوغندا ، الذي عرضته الحكومة البريطانية على هرتسل ، واجبروه على التخلي عنه بعد ان هددوا بالانشقاق عن المنظمة الصهيونية .

ولم يقف الصهيونيون المتدينون عند هذا الحد ، وانما اتجهوا ايضا الى مناوءة ، ثم مطاردة التيارات المعارضة لهم داخل اليهودية ، التي لا تقبل باجتهاداتهم . وقد ذاق ، مثلا ، اليهود الذين يطلق عليهم اسم ناتوري كارتا ، داخل اسرائيل وخارجها ، الذين لا يؤمنون باقامة دولة يهودية من قبل الصهيونية ولا « يعترفون » باسرائيل وسلطاتها ، الامرين من اضطهادهم . كذلك كانت هذه المعاملة من نصيب اليهود الاصلاحيين ، المتمركزين بشكل خاص في الولايات المتحدة ، نظرا لخلافاتهم الدينية معهم ، ومنها عدم ايمان الاصلاحيين بضرورة عودة اليهود الى فلسطين . وحتى اغودات يسرائيل ، رغم مساهمتها في المشروع الصهيوني ، ورغم ان نوابا منها يجلسون في الكنيست (البرلمان) الاسرائيلي ، لم تسلم من اذاهم ، لانها لا تفضل عيش اليهود في فلسطين على عيشهم في « المهجر » ، وتعتقد ان ارض — اسرائيل و « المهجر » متساويان من هذه الناحية .

ومع مرور الزمن وسع الصهيونيون المتدينون نشاطهم وازداد نفوذهم ، بحيث سيطروا على كافة النواحي الدينية في النشاط الصهيوني — وفيما بعد على الحياة الدينية في اسرائيل — وصبغوه بالعنصرية المكثفة الكامنة في مفهومهم الخاص لعقيدة « شعب الله المختار » وما يتفرع عنها . ولا نبالغ ان قلنا ان ادعاء «شعب الله المختار» وما يتبعه حتما من استعلاء على باقي الشعوب صراحة وضمنا ، ثم الادعاء ان فلسطين ملك ابدي ، وبناء على وعد الهي لهذا الشعب ، وما يترتب على ذلك من اجراءات لاستعادة البلد من سكانها وتسليمها لليهود ، هي الاسس العقائدية الرئيسية للعنصرية الصهيونية ، بشطريها « المتدين » و « العلماني » ، وما نجم عنها من اضطهاد للشعب الفلسطيني ، ثم طرده من بلده .

سياسة « العمل العبري »

مع وفاة هرتسل ، بدأت حقبة جديدة في تاريخ الصهيونية اسفرت عن وضع الاسس لعنصرية-صهيونية-« علمانية » ، لا تقل خطورة عن تلك التي سبقتها ، المتخفية وراء قناع الدين . فقد صادف موت هرتسل بداية موجة جديدة من الهجرة اليهودية من روسيا ، استمرت نحو ١٥ سنة (١٩٠٤ — ١٩١٨) وعرفت باسم الهجرة الثانية . وخلال هذه الفترة دخل الى فلسطين نحو ٣٠ الف مهاجر يهودي جديد ، ولكن معظمهم اضطر الى ترك البلد ، خاصة خلال الحرب العالمية الاولى ، بحيث لم يبق منهم هناك مع نهاية الحرب الا نحو ٦ الاف مهاجر .

لعب المهاجرون من ابناء الهجرة الثانية دورا حاسما في تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين وبلورة اكثر من ناحية في عقيدتها وممارستها العنصرية ، وامتد تأثيرهم ليشمل الواقع الاسرائيلي اليوم ، على اكثر من صعيد . فقد كان معظم اولئك المهاجرين من الشباب المتحمس ، الذي قدم من روسيا ، بعد الاضطرابات التي حدثت فيها وقتها وانعدام الاستقرار الذي ساد بسببها ، وهو متأثر بالمبادىء الاشتراكية التي كانت منتشرة في بلده ، وينوي دمج هذه المبادىء بالصهيونية واقامة مجتمع عمالي يسعى الى تحقيق « الصهيونية — الاشتراكية » في فلسطين . ولكن مع وصولهم الى البلد صدمهم الواقع ، اذ ان الحركة الصهيونية كانت تعارض حتى ذلك الوقت القيام بنشاط استيطاني رسمي في فلسطين قبل حصولها على ضمانات دولية لذلك ، ولم تكن في الوقت نفسه تملك الامكانات المالية الكافية لدعم مثل هذا الاستيطان ، حتى ان ارادت ذلك . واما المستوطنون القدامى فقد رفضوا استخدام اولئك المهاجرين كعمال في مزارعهم ، بدل العمال العرب ، لانهم لم يكونوا يتقنون القيام بالاعمال الزراعية مثل العمال العرب اولا ، بينما يطالبون بأجر يفوق اجر اولئك العمال ثانيا . ولم يمر وقت طويل حتى ادرك المهاجرون الجدد ان عليهم الاعتماد على انفسهم ان ارادوا البقاء في فلسطين ، وايجاد السبل الكفيلة بتأمين ذلك .

وفي محاولاتهم لتأمين وجودهم في فلسطين ، او لتبريره ، اكتشف المهاجرون الجدد اكثر من طريقة ، كانت احداها اقامة المزارع الجماعية الخاصة بهم ، كالكيبوتس والموشاف وغيرها ، وذلك كحجر اساسي لاقامة المجتمع الصهيوني — الاشتراكي الذي تطلعوا اليه . وفي الوقت نفسه ، ومن خلال التجربة التي خروا بها ، وخاصة رفض المستوطنين القدامى استخدامهم وتفضيل العمال العرب عليهم ، ومن خلال سعيهم الى تأمين حاجاتهم الاقتصادية ، اتجه اولئك المهاجرون الى وضع الاسس لعقيدة خاصة بهم تبين كيفية تصورهم لبناء المجتمع الصهيوني — الاشتراكي في فلسطين . وملخص هذه العقيدة هو ان الحركة الصهيونية ملزمة بالعمل على ادخال تغيير طبقي على حياة اليهود الذين يفدون الى فلسطين ، وذلك بواسطة نقلهم الى حياة العمل الزراعي المنتج ، بدلا من المهن التي كانوا يتعاطونها في المهجر ، كالتجارة والحرف والمال وغيرها . وهذا التحول ضروري ايضا من ناحية اخرى ، لانه لا يمكن ان تكون فلسطين ملكا لليهود بمجرد استملاك اراضيها من قبلهم فقط ، وانما ينبغي ايضا ان يقوم اليهود انفسهم بالعمل على تلك الاراضي ، وتعاطي جميع الاعمال ، السهلة والشاقة ، عليها : « ارض عبرية » و « عمل عبري » . وبهذا رفع اولئك المهاجرون شعار « العمل العبري » ، الذي وضع ولا شك لتأمين حاجاتهم الاقتصادية ايضا ، الى مرتبة مبدأ اساسي ينبغي على الحركة الصهيونية الكفاح من اجل تحقيقه ، مهما كلفها ذلك من خسائر مادية ومعنوية ومن توتر للعلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين ، بسبب الاجراءات

التي كانت تتخذ لطرد العمال العرب من اماكن عملهم لدى مستخدميهم اليهود ، لمجرد كونهم عربا ، واحلال يهود محلهم ، ورغم الخسارة الاقتصادية التي كانت تعود على اليهود بسبب ذلك . ومن الجدير بالذكر ان العمال الصهيونيين ، برفعهم شعار « العمل العبري » التقوا بشكل كامل مع رجال الكيرن كاييمت وسياستهم في استملاك الاراضي ، واصبحوا النصف المكمل لهم وساعدهم الايمن في تنفيذ سياستهم العنصرية ، بعد ان قام بينهم تحالف مرتكز على مصالح عنصرية مشتركة : الكيرن كاييمت تقوم « بتحرير » الارض او « اعتاقها » ، اي شرائها من مالكيها ، ومعظمهم من الاقطاعيين العرب ، وتطرد العمال العرب منها وتسلمها الى العمال اليهود ، الذين يتعهدون ، رسميا بناء على عقود توقع مع الكيرن كاييمت وادبيا بناء على الالتزام العقائدي بسياسة « العمل العبري » ، بعدم السماح للعمال العرب بدخول تلك الارض والعمل فيها ثانية . ومنذ ذلك الوقت ، اي منذ مطلع القرن الحالي ، وحتى اليوم لا يزال الطرفان ملتزمين بتنفيذ هذه السياسة ، سياسة « تحرير الارض » و « العمل العبري » التي اصبحت بمثابة صيحة الحرب للاستيطان الصهيوني في فلسطين ، ضد العرب ووجودهم في البلد .

ولعله من المناسب ان نورد هنا بعض الحوادث للدلالة على السخف العنصري الكامن في هذه السياسة . ففي عام ١٩٠٥ قام العمال اليهود في مزرعة بن ــ شيمن، في اواسط فلسطين بقلع غابة من اشجار الزيتون ، زرعت تخليدا لذكرى هرتسل ، كان عمال عرب قد قاموا بغرسها ، واعادوا غرسها من جديد ، لكي لا « تدنس » ذكرى هرتسل بزرع غابة تحمل اسمه من قبل عمال عرب . ويروي الدكتور روبين ، مدير المكتب الصهيوني في فلسطين ايام الحكم العثماني ، في مذكراته ان الادارة الصهيونية صممت ، عند وضع الاسس لمدينة تل ــ ابيب بصفتها اول مدينة يهودية في العالم ، استخدام عمال يهود فقط في بناء المدينة ، ولكنها عدلت عن هذا الرأي واضطرت ــ آسفة ــ الى طلب النجدة من عمال البناء العرب ، بعد ان انهارت الابنية التي اقامها العمال اليهود نظرا لعدم كفاءتهم . وفي الفترة نفسها ايضا ارسل المكتب الصهيوني في فلسطين مبعوثا من قبله الى اليمن ، استطاع حمل عدد من اليهود فيها ، على الهجرة الى فلسطين ، بهدف اسكانهم بجانب المستوطنات القديمة وحمل مستوطنيها على استخدامهم ، بدلا من العمال العرب ، لقاء أجر زهيد يقل حتى عن ذاك الذي كان يدفع للعمال للعرب ، بحيث يستطيعون منافسة اولئك العمال ، لان « متطلباتهم قليلة » ويكتفون باجور زهيدة ، وذلك بعد ان خسر العمال الاشكناز تلك المنافسة . اي ان الادارة الصهيونية ، بعملها هذا ، لم تتورع عن استغلال عمال يهود من اصل شرقي ، في سبيل المحافظة على السيطرة الاشكنازية على العرب وعليهم (واليهود اليمنيون ، وحتى اولئك منهم الذين قدموا الى اسرائيل بعد قيامها ، لا يزالون يعتبرون من الطبقات المسحوقة للغاية في اسرائيل ، واوضاع اليهود الشرقيين عامة في اسرائيل ليست احسن كثيرا من اوضاع اليهود اليمنيين) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان عنصرية سياسة « العمل العبري » لم تنحصر في الفترة التي تبلورت فيها او بين الذين وضعوا اسسها ، اي خلال الحكم العثماني في فلسطين وبين ابناء الهجرة الصهيونية الثانية الى فلسطين ، اذ ان جذورها تعمقت وامتدت لتلف اكبر جناح في الحركة الصهيونية ، وهو الجناح العمالي ، الذي تبناها كسياسة رسمية ولا يزال يمارسها حتى اليوم ، وذلك بفضل الظروف الخاصة التي نشأت فيها هذه السياسة وتأثيرها على المنظمات الصهيونية

وزعمائها ، الذين سيطروا فيما بعد على الحركة الصهيونية . فخلال الفترة التي تبلورت فيها أسس « العمل العبري » ، اقيم في فلسطين حزبان عماليان صهيونيان ، « بوعلي تسيون » و « هابوعيل هاتسعير » ، قبلا بهذه السياسة باعتبارها جزءا من عقيدتهم . وعندما اقيم حزب احدوت هعفوداه ، سنة ١٩١٩ ، بعد اتحاد بوعلي تسيون مع مجموعة من غير الحزبيين ، ليصبح اكبر الاحزاب الصهيونية في فلسطين خلال اولى سنوات الانتداب البريطاني في البلد ، ورث الحزب الجديد هذه السياسة عن آبائه ، ثم اورثها بدوره الى حزب مباي ، الذي اقيم سنة ١٩٣٠ بعد اتحاد احدوت هعفوداه مع هابوعيل هاتسعير . وعندما اقيم حزب العمل الاسرائيلي ، سنة ١٩٦٨ ، بعد اتحاد مباي مع حزبي احدوت هعفوداه ورافي ، اللذين كانا قد انشقا عنه سابقا ، انتقلت العدوى الى الحزب الجديد أيضا . وسنرى فيما يلي ان الجناح العمالي الصهيوني واصل على تنفيذ سياسة العمل العبري العنصرية واضطهاد العمال العرب ومحاولة طردهم من اعمالهم او دفع اجور اقل لهم ، خلال كل فترة وجوده ، ومهما كان الاسم الذي يحمله ، رغم ان ظواهر هذه السياسة اختلفت من فترة لاخرى ، بحسب الظروف التي كانت تمر بها . ومن الجدير بالذكر أيضا ان سياسة العمل العبري اكتسبت ، من ناحية ثانية ، اهمية كبيرة وبعدا عميقا بفضل تأييد عدد من زعماء الهجرة الثانية لها ، الذين قدر لهم فيما بعد ، بسبب اقدميتهم او مثابرتهم وعنادهم ، احتلال مراكز مرموقة في الاجهزة الصهيونية ، مكنتهم من تنفيذ هذه السياسة . ونخص بالذكر من بين هؤلاء دافيد بن ـ غوريون (سكرتير الهستدروت ، ثم رئيس الوكالة اليهودية واول رئيس حكومة ووزير دفاع في اسرائيل) ويتسحاق بن ـ تسفي (ثاني رئيس لاسرائيل) وليفي اشكول (ثالث رئيس حكومة في اسرائيل) وشموئيل دايان (احد مؤسسي حركة الموشافيم ـ ووالد موشي دايان) وابراهام هرتسفيلد (رئيس المركز الزراعي واحد كبار المشرفين على الاستيطان الصهيوني في فلسطين ايام الانتداب) ويتسحاق طابنكين (زعيم حزب احدوت هعفوداه الذي انشق عن مباي خلال الاربعينات) وابراهام غرانوت (رئيس مجلس ادارة الكيرن كاييمت) وغيرهم ـ وكلهم من كبار المؤمنين بسياسة العمل العبري والعاملين على تنفيذها ، كل في مجال عمله او نفوذه .

عارضوا الديمقراطية البرلمانية

مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، التي صدر خلالها وعد بلفور ، ثم اقرار الانتداب البريطاني على فلسطين الذي تعهدت بريطانيا بموجبه بتسهيل اقامة « وطن قومي يهودي » في البلد ، وسعت الصهيونية نشاطها ، وحاولت حمل السلطات البريطانية على اتباع سياسة عنصرية ، في اكثر من مناسبة وعلى اكثر من صعيد ، تجاه العرب في فلسطين من خلال الزعم بأن تلك « الاجراءات الاستثنائية » التي كانت تطالب بها ضرورية لوضع الانتداب ، وشروطه التي تنص على اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، موضع التنفيذ . وعند تقديمها لهذه المطالب استندت الحركة الصهيونية على بنود صك الانتداب ، والوثائق المتعلقة به ، التي كانت قد صيغت من خلال التواطؤ بين الصهيونية والاستعمار البريطاني ، وكلها تركز على ضرورة اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، والاجراءات التي ينبغي اتخاذها لتسهيل العملية ، وتتجاهل حقوق ابناء البلد الاصليين . ولعل ابلغ دليل على ذلك أن صك الانتداب يذكر اسم اليهود فقط ويتحدث عن حقوقهم وامتيازاتهم ، بينما يشير الى السكان العرب الاصليين بعبارة « الطوائف الاخرى » رغم ان هذه « الطوائف

الاخرى » كانت تشكل ، يوم صدور صك الانتداب ، نحو ٩٠ ٪ من سكان فلسطين .

استنادا الى نصوص صك الانتداب ، التي أصرت الحركة الصهيونية علي التمسك بها ، عارض زعماؤها العديد من الاجراءات التي كانت تتخذها سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين ، من حين لاخر ، لمصلحة السكان العرب واليهود في آن معا . وكان من ابرز هذه الحوادث ، على سبيل المثال ، المعارضة الصهيونية لاقامة اي نوع من الحكم الديمقراطي في فلسطين ، اذ عدا عن موافقة الادارة الصهيونية على اقامة مجلس تشريعي في فلسطين خلال اولى سنوات الانتداب ، عندما كانت الحركة الصهيونية ضعيفة ، عامة ، وهو الاقتراح الذي رفضه العرب من خلال رفضهم للانتداب اساسا ، ولهذا كان نصيبه الفشل ، اصر الزعماء الصهيونيون بعد ذلك على رفض اي خطوة تهدف الى منح السكان العرب اي نوع من المشاركة في حكم البلد بواسطة اي هيئة منتخبة ، كليا او جزئيا ، وافشلت كل المشاريع التي قدمت في هذا الصدد ، منتقدة « الديمقراطية العددية » التي كانت اساسا لتلك المشاريع . وتلخص الرد الصهيوني « المنطقي » على تلك المشاريع بالقول ان تنفيذها سيكون ممكنا عندما يصبح اليهود اكثرية في فلسطين . كذلك وجهت الادارة الصهيونية اللوم ، في اكثر من مناسبة ، الى سلطات الانتداب ، عندما كانت تبادر الى انشاء مشاريع ، تعليمية او زراعية او صناعية ، قد تعود بالفائدة على العرب ، مدعية ان مثل هذه الاعمال يعتبر « تمييزا » بين العرب واليهود .

الكتاب والشعراء الصهيونيون ضد العمال العرب

بعد اقرار الانتداب على فلسطين ، اعاد الجناح العمالي الصهيوني تنظيم نفسه . ونركز في هذا المقال على هذه الفئة بالذات لكونها اكبر الفئات الصهيونية واكثرها تأثيرا على السياسة الصهيونية ، خاصة وانها تسيطر على الحركة الصهيونية العالمية منذ مطلع الثلاثينات وتحكم اسرائيل منذ اقامتها وحتى اليوم ، دون انقطاع ، في سلسلة من الاجراءات التنظيمية التي نفذت في مطلع العشرينات ، عندما شكلت احزاب وتنظيمات ، واقيمت مؤسسات صهيونية عمالية مختلفة . وخلال ارساء الاسس التنظيمية الجديدة هذه ، عاد الجناح العمالي وتبنى مبادىء « الصهيونية الاشتراكية » التي كانت قد اقرت حتى ذلك الوقت ، بما في ذلك سياسة « تحرير الارض » و « العمل العبري » . ثم اضاف اليها عنصرا آخر ، اكثر « تقدمية » ، وذلك عندما رسم سياسته تجاه العرب ، معلنا انه لن يتعامل مع الزعماء العرب الاقطاعيين ، بل يعتبر الحركة العمالية الفلسطينية حليفا له ، ومعها فقط يمكن ان يصل الى حل لمستقبل العلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين ، واذا كانت مثل هذه الحركة العمالية غير موجودة او ضعيفة ، فمن واجبه العمل على خلقها او تقويتها . ولكن ، على الرغم من ذلك ، عندما اقام العمال اليهود اتحادهم العمالي العام ، الهستدروت (النقابة العامة للعمال اليهود في ارض ــ اسرائيل) اصروا على استبعاد العمال العرب منه ، ولم تشطب كلمة « اليهود » من اسم الهستدروت الا سنة ١٩٦٥ ، اي بعد مرور ٤٥ سنة على قيامها ، بعد أن سمح يومها للعمال العرب في اسرائيل بالانضمام اليها (وكانت الزعامة الصهيونية قد شجعت ايام الانتداب اقامة اتحاد مستقل للعمال العرب في فلسطين ، ولكن مساعيها باءت بالفشل) .

ولم تكتف الزعامة العمالية الصهيونية بالاصرار على اتباع سياسة « العمل العبري » حتى خلال ايام الانتداب البريطاني في فلسطين فقط ، بل حاولت ايضا حمل

السلطات على اتباع هذه السياسة ومنح الافضلية للعمال والموظفين اليهود في ورش الحكومة ودوائرها . وفي بعض المناسبات طالبت السلطات حتى بأن تدفع للعمال اليهود اجورا تزيد عن تلك التي تدفع للعمال العرب ، لقاء العمل نفسه ، مبررة طلبها هذا بادعاء عنصري آخر مفاده ان « المتطلبات الثقافية » للعمال اليهود تزيد عن تلك التي يحتاجها العمال العرب . وبقيت سياسة العمل العبري ، خلال فترة الانتداب ، تتأرجح بين مد وجزر ، حتى مطلع الثلاثينات عندما وصلت درجة من الحدة دفعت السلطات البريطانية الى التدخل والحكم بالسجن على بعض مؤيديها من الزعماء العماليين . ولعله من المناسب التوقف قليلا عند هذه الفترة ، للاطلاع على بعض الاجراءات العنصرية « الطريفة » التي اتخذتها الزعامة الصهيونية لمنع العمال الزراعيين العرب من الوصول الى اعمالهم لدى مستخدميهم اليهود . فخلال النصف الاول من الثلاثينات كان الاقتصاد الصهيوني في فلسطين ، خاصة في مجال الزراعة ، يمر في فترة ازدهار لا عهد له بها ، وبحاجة الى اعداد كبيرة نسبيا من الايدي العاملة ، لم تكن متوفرة لدى اليهود ، بحيث اضطر ارباب العمل اليهود الى استخدام اعداد كبيرة من العمال العرب . ولكن تلك الفترة نفسها امتازت ايضا بصراع حاد بين الجناح العمالي الصهيوني وبين الصهيونيين الاصلاحيين اليمينيين ، بزعامة جابوتينسكي ، واتحادات العمال التابعة لهم ، المعروفة باسم نقابة العمال القومية ، في محاولة للسيطرة على مقاليد الامور بين المستوطنين اليهود في فلسطين ، وبالتالي على الحركة الصهيونية العالمية . وكانت احدى ساحات هذه الحرب ، محاولات السيطرة على سوق العمل اليهودي في البلد ، التي سرعان ما اتسعت من حرب بين العمال واليمين الى حرب على العمال العرب . وخلال هذه الحرب اضطرت الزعامة الصهيونية ، على سبيل المثال ، الى اصدار امر بتعطيل الدراسة في المدارس الثانوية اليهودية وارسال الطلاب الى البيارات اليهودية لقطف ثمارها لمنع وصول العمال العرب الى هناك . ولما لم يجد هذا نفعا عمدت الى اقامة حراسات على مداخل البيارات لمنع العرب من دخولها — وكان من بين الذين اشتركوا في هذه الحراسات بنحاس سابير (فيما بعد وزير مالية اسرائيل ثم رئيس الادارة الصهيونية والوكالة اليهودية) ، الذي حكم عليه ، سنة ١٩٣٤ ، بالسجن ٦ اشهر بسبب ذلك . وقد أثار هذا الحكم مشاعر المثقفين الصهيونيين فقرروا الانضمام الى تلك الحراسات لابعاد « خطر » العمال العرب عن البيارات اليهودية التي كان اصحابها يفضلون العمال العرب لقيامهم بكمية اكبر من العمل لقاء أجر اقل من ذلك الذي يحصل عليه العامل اليهودي . وكان من بين المثقفين الذين اشتركوا في تلك الحراسات الشعراء تشرنيحوفسكي وشمعوني وفيخمان والكتاب براش وعجنون (الحائز فيما بعد على جائزة نوبل للاداب) وبورلا وكويغمان وغيرهم ، ومحرر « هآرتس » ، الدكتور موشي غليكسون .

بقي ان نشير فقط الى أن حدة سياسة العمل العبري قد خفت تلقائيا بعد الاحداث التي وقعت خلال الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦/٣٩) ، وما تبعها من تزعزع العلاقات الاقتصادية بين العرب واليهود في فلسطين ، الى ان عادت حكومة اسرائيل الى تطبيقها بعد اقامة الدولة .

« الشرق » يثير قرف جابوتينسكي

لم تكن « مبادىء » العمل العبري الاسس الوحيدة التي تبناها الجناح العمالي الصهيوني او تصرف بموجبها ، خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، اذ ان

تعديلات مهمة طرأت على عقيدة هذا الجناح السياسية ، وخاصة موقفه من العرب عامة ، وتصوره للعلاقات معهم ، حاضرها ومستقبلها . وكما كان عهد هرتسل والفترة التي تلته ، المرحلة التي تبلورت خلالها عقيدة الجناح الصهيوني المتدين ، كانت فترة الانتداب ، وخاصة سنوات العشرين ، الفترة التي تبلورت خلالها عقيدة الجناح العمالي . واستنادا الى نصوص صك الانتداب ، وربما مجاراة لها ، اعلن العمال عن نظرية سياسية جديدة ، تتلاءم مع الامتيازات التي منحها الانتداب للصهيونية . وتتلخص هذه النظرية — التي تعبر بحد ذاتها عن موقف اكبر الاجنحة الصهيونية من العرب — في ان « الحقوق في ارض — اسرائيل » (اي فلسطين) تعود لليهود الذين يسكنونها ولكل يهود العالم الذين ينوون القدوم اليها ، بينما يملك العرب الفلسطينيون حق السكن فيها فقط ، وهو الحق الذي يفقدونه في اللحظة التي يتركون البلد فيها (و « تطورت » هذه الاراء — المواقف فيما بعد ووصلت الى ضرورة « تشجيع » العرب الفلسطينيين ، من قبل الاجهزة الصهيونية ، على ترك البلد) ولهذا فالسيادة على فلسطين تعود لليهود ، دون غيرهم . أما ممارسة هذه السيادة فينبغي أن تؤجل الى أن يصبح اليهود اكثرية في فلسطين .

بقيت هذه الاراء — والعنصرية الكامنة فيها واضحة لجهة ادعائها بامتيازات وحقوق سيادة لليهود لمجرد كونهم يهودا — حتى نهاية العشرينات ، عندما اضطر العمال الى تعديلها تدريجيا ، منذ بداية الثلاثينات ، واتباع مواقف اكثر تطرفا نتيجة لمعارضة العرب المتزايدة للنشاط الصهيوني في فلسطين من جهة والصراع داخل الحركة الصهيونية ، الذي اشتد يومها ، من جهة أخرى .

فعلى صعيد موقف العرب ونشاطهم ، جوبهت الحركة الصهيونية في فلسطين ، منذ مطلع الثلاثينات ، بمعارضة راحت تشتد من فترة لاخرى ، وصلت احيانا الى حد الاضطرابات كما حدث خلال ١٩٢٩ ثم ١٩٣٣ والثورة العربية الكبرى خلال ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وما تبعها من كتب بيضاء ، صادرة عن سلطات الانتداب ، والحديث عن تغيير السياسة البريطانية في البلد ، ثم ما فسرته الصهيونية بانه تخل عنها من قبل بريطانيا ، وخاصة بعد صدور الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ ، الذي بقي رسميا ساري المفعول حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٤٨ . وقد دفعت هذه الاوضاع الصهيونيين ، في اكثر من مناسبة ، الى محاولة التقرب من العرب وبذل الجهود لايجاد حل للقضية الفلسطينية معهم . وجرى خلال الثلاثينات اكثر من لقاء ، ودارت اكثر من جولة من المفاوضات بين اليهود والعرب من فئات مختلفة ، داخل فلسطين وخارجها ، بهدف الوصول الى حل ما ، الا ان تلك المحاولات باءت بالفشل ، بسبب اصرار الصهيونيين على « حقوق » السيادة التي ادعوها لانفسهم وما تبع ذلك من طلبات منها مثلا ، عدم المس بالهجرة اليهودية الى فلسطين وعدم تقرير مصير البلد حتى يصبح اليهود اكثرية فيه ، او الاعتراف بامتيازات خاصة طالبوا بها من جهة ، واصرار العرب على رفض الانتداب وما ترتب عليه ، ثم تقرير مصير فلسطين بناء على ذلك من جهة اخرى . أما العبرة التي استخلصها الصهيونيون من فشل محاولات التفاهم هذه فكانت ضرورة العمل على ايجاد حل منفصل لمسألة وجودهم في فلسطين ، دون الحصول على موافقة عرب فلسطين ، او حتى دون أخذ رأيهم .

غير ان التطور الاكثر أهمية ، الذي حدث خلال هذه الفترة ، وخاصة خلال النصف الاول من الثلاثينات ، كان ذلك الذي نجم عن الصراع الذي دار يومها داخل الحركة الصهيونية ، وما تبعه من تطرف ، ثم عنصرية ، في المواقف الصهيونية عامة . فخلال

النصف الثاني من العشرينات ، وفي نفس الفترة التي كان الجناح العمالي يبسط خلالها نفوذه على الاجهزة الصهيونية ، واحدا بعد الاخر ، ويدعم وجوده في فلسطين ، انتقل الجناح الصهيوني اليميني — الاصلاحي ، بزعامة فلاديمير جابوتينسكي ، من طور وضع النظريات وبلورتها الى مرحلة اقامة التنظيم الخاص به . ومع بداية الثلاثينات كان اليمين يخوض مع العمال صراعا مريرا هدفه السيطرة على الحركة الصهيونية ، داخل فلسطين وخارجها ، وخاصة في دول اوروبا الشرقية ، حيث كانت تتركز اكثرية مؤيدي الحركة الصهيونية بين اليهود . ولم تمر اكثر من ٥ سنوات على بداية هذا الصراع عمليا ، حتى ربح العمال الحرب وسيطروا على المنظمة الصهيونية ، سنة ١٩٣٥ ، بعد ان انتخب المؤتمر الصهيوني التاسع عشر ، الذي انعقد يومها ، اكثرية من ممثلي العمال ومن المتحالفين معهم لعضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، واصبح بن — غوريون رئيسا للوكالة اليهودية ، بينما قام اليمين بالانشقاق عن المنظمة الام ، وأسس منظمة صهيونية خاصة به اطلق عليها اسم « المنظمة الصهيونية الجديدة » (التي عادت ، على اي حال ، وانضمت الى المنظمة الام بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سنة ١٩٤٦) .

كان للصراع بين اليمين والعمال داخل الحركة الصهيونية تاثيره الواضح على مواقف ، ثم عقيدة بعض اجنحتها ، وخاصة العمال ، وهو تأثير لم يتوقف عند محاولة اليمين السيطرة على الحركة ثم فشله فانشقاقه عنها فقط ، وانما تعداه الى اكثر من ذلك . فالصراع بين التيارين لم يتوقف في اية فترة ، لا عندما كان اليمين جزءا من المنظمة الصهيونية ، ولا عندما انشق عنها او حتى عندما عاد اليها ، ولا يزال مستمرا الى حد ما ، حتى يومنا هذا . وقد شمل هذا الصراع ، في حينه ، معظم نواحي الفكر والممارسة الصهيونية ، وخاصة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ولكن اضراره الرئيسية ، لجهة تصليب الموقف الصهيوني من العرب عامة ، نجمت عن الصراع في المجال السياسي اساسا ، رغم عدم وجود اي خلاف جوهري بين التيارين ، في هذا المجال ، بعد ان انخصرت مشاحناتهما في النواحي التكتيكية لا الاستراتيجية ، وبحيث لم يكن الاختلاف في وجهات النظر بين جابوتينسكي من جهة وبن — غوريون ، او وايزمان ، من جهة اخرى اكثر من تلك القائمة حاليا ، مثلا ، بين بيغن ورابين . ولكن على الرغم من هذا ، كان لتلك المشاحنات التكتيكية تأثير حاسم على بلورة موقف صهيوني عام من العرب يفوق في عنصريته كل المواقف التي سبقته . فاليمين الصهيوني ، في محاولته كسب التأييد والتصدي للعمال ، الذين كانوا يحتلون خلال صراعهم معه الموقع تلو الاخر ، لم يجد احسن من الغوغائية والتطرف لتوسيع نفوذه . وكان اولى خطواته ، في هذا المجال ، سحب « مسوا قفته » على حدود فلسطين ايام الانتداب ، التي رسمت بموجب الصلاحيات التي منحها فرض الانتداب على فلسطين ، من خلال الادعاء بأن جابوتينسكي ، الذي صوت سنة ١٩٢٢ لصالح قبول اقتراح بريطانيا بفصل شرق الاردن عن المنطقة التي ينبغي ان يقام فيها وطن قومي لليهود ، وحصرها في فلسطين فقط ، اضطر الى القيام بذلك مرغما ! وعلى الاثر ، عاد اليمينيون الى المطالبة بالحدود التي رسمتها الخارطة التي تقدمت بها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩ ، وطالبت بموجبها بفرض الانتداب (وبالتالي سيادة الوطن القومي) على فلسطين بكاملها وجنوب لبنان ومنطقة الجولان في سوريا والقسم المأهول من شرق الاردن ! وعلى الدولة المنتدبة — وفقا لطلبات الصهيونيين الاصلاحيين — اليمينيين — تنفيذ الانتداب والسعي حثيثا لاقامة الوطن القومي اليهودي ، دون لف او دوران ، حسب ما تفرضه عليها نصوص

الانتداب . وأما العرب فلا ينبغي اخذ رأيهم ، او استشارتهم في ما ينبغي عمله لتنفيذ ذلك ، لان هذه هي ارادة المجتمع الدولي . ومع استكمال تنفيذ الالتزامات التي ينص عليها الانتداب واقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، اي عندما يصبح اليهود اكثرية هناك وينشأ مجتمع ومؤسسات يهودية قادرة على البقاء بقواتها الذاتية ، ينتهي الانتداب وتسلم السلطة في البلد الى المنظمة الصهيونية ، ويعلن عن قيام الدولة اليهودية . أما العرب سكان البلد فيستطيعون الاستمرار في العيش فيها كمواطنين ، وفق الانظمة التي تقررها تلك الدولة ، ومن منهم يريد الهجرة يستطيع القيام بذلك في اي وقت .

ان خلاصة افكار اليمين الصهيوني هذه صيغت هنا بلغة « مهذبة ولطيفة » ، ولكنها نشرت في الاصل باشكال ولهجات وصيغ تتضح عنصرية ، جعلت اكثر الصهيونيين اعتدالا يبتعدون عن التفكير في اي حل يتعايش بموجبه العرب واليهود في فلسطين او ، على الاقل ، لا يجرأون على التعبير عن آرائهم تلك خشية حملات التشهير التي كانت تشن ضدهم . ونكتفي هنا للدلالة على النفسية التي صيغت بها تلك العقيدة ، وبالتالي لمدى تأثيرها على المؤمنين بها او المتعاونين معهم باثبات رأي جابوتينسكي — وللرجل تأثير سحري على الجناح اليميني الصهيوني ويعتبر منظره الوحيد ، ويحتل تلامذته والمتحالفون معهم ثلث مقاعد البرلمان الاسرائيلي حاليا — في الشرق والغرب وحتى اليهود الشرقيين ، طريقة التعامل التي يقترحها معهم . « غريب عني هذا « الشرق » وكل ما يتعلق بهذا التعبير » — هكذا يعلن جابوتينسكي ، « لا استسيغ جماله ولا افهم تقاليده ، اذناي تتمردان على انغامه ، وفكره لا يهمني ، ولو قدر لي ان ازور قبيلة اسكيمو في اقصى الشمال . . . لوجدت نفسي مرتاحا بينها اكثر مما أشعر هنا » . وكيف اذن ستستطيع الدولة اليهودية العيش في هذا « الشرق » والتعامل مع سكانه « الشرقيين » ؟ — الجواب واضح : « بالمدى الذي ستضطر فيه ، خلال فترة الانتقال او بعد ذلك ، الى العيش في ارض — اسرائيل (اي فلسطين) في بيئة تفوح منها روائح « الشرق » — ان كانت تلك بيئة عربية او يهودية من اخواننا (يقصد اليهود الشرقيون) — فاننا نوصي بتلك الحركة ، التي يقوم بها كل منا بديهيا ، عندما يمر وهو يرتدي معطفا طويلا في الشوارع « الشرقية » الضيقة ، في استانبول او القاهرة او القدس : حين يرفع المعطف كي لا يطاله الغبار بأي شكل كان ، وينظر في اي مكان يضع رجله . لا لاننا يهود ، ولا لاننا من اوروبا ، ولكن ببساطة لاننا بشر متحضرون » .

فضلوا التقسيم على فلسطين الموحدة

كان للآراء التي طرحها اليمين ونشاطه الواسع على الساحة الصهيونية ، ثم فشل محاولات الوصول الى حل سياسي لمسألة العلاقات العربية — اليهودية في فلسطين خلال الثلاثينات ، وكذلك نشوب الثورة العربية الكبرى في البلد خلال ١٩٣٦ — ١٩٣٩ والتغيير في السياسة البريطانية ، كما تمثل في الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ ، الذي اعتبرته القيادة الصهيونية بمثابة تراجع من قبل بريطانيا عن الالتزامات التي تعهدت بها بموجب صك الانتداب بشأن اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين — كان لكل هذه العوامل مجتمعة تأثيرها الواضح في ازدياد تصلب السياسة الصهيونية . ويلاحظ ان الزعامة الصهيونية بدأت ، منذ نهاية الثلاثينات تتبع سياسة جديدة تمتنع بموجبها حتى عن النظر في اي اقتراح يدعو الى حل المسألة الفلسطينية من خلال

التعاون بين العرب واليهود ، وخاصة بعد ان كان المجتمع اليهودي في فلسطين قد وصل ، من ناحية ثانية ، الى مستوى من النمو والازدهار ، وبالتالي القوة ، يستطيع معه ، بحسب تقديرات الزعماء الصهيونيين ، اقامة كيان خاص به هناك والصمود امام المخاطر التي قد تواجهه ، ومنذ تلك المرحلة ادخلت الحركة الصهيونية تعديلا مهما على برامجها وسياستها ، بحيث راحت ترفض الحلول القائمة على اساس فلسطين موحدة ، واتجهت بدلا من ذلك الى المطالبة بالتقسيم .

تبنت الحركة الصهيونية فكرة تقسيم فلسطين حال طرحها جديا ، لاول مرة ، في اواخر الثلاثينات ، رغم الاحتجاجات اللفظية التي رافقت موقفها هذا وحديثها عن الغبن الذي يلحق باليهود واضطرارهم الى « التنازل » عن جزء من فلسطين ، بعد ان كانوا قد « تنازلوا » عن شرق الاردن يوم صدر الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢ . صحيح ان مشروع التقسيم ، الذي اعلنت عنه بريطانيا يومها ، والقاضي باقامة دولة يهودية على جزء من فلسطين ، رفض من قبل المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين ، المنعقد سنة ١٩٣٩ ، والذي انهى اعماله قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ببضعة ايام ، ولكن المؤتمر فوض الادارة الصهيونية في الوقت نفسه الاستمرار في الاتصالات مع بريطانيا حول اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وهو قرار اعتبر بمثابة موافقة ضمنية على اقامة تلك الدولة على جزء من البلد فقط . وصحيح ايضا ان برامج بلتيمور ، الذي صيغ سنة ١٩٤٢ ، طالب ايضا بتحويل فلسطين بأكملها ، بعد الحرب ، الى « كومنولث يهودي » ، ولكن القيادة الصهيونية وبضمنها اولئك الذين كانوا من كبار مؤيدي ذلك البرنامج اصرت ، على الرغم من ذلك ، في كل اتصالاتها مع السلطات البريطانية ، وغيرها ، على الترويج لمشاريع تقسيم البلد ، واقامة دولة يهودية على جزء منه ، مع بذل المحاولات المضنية ، على مختلف الاصعدة ، لان يكون ذلك الجزء المخصص للدولة اليهودية كبيرا قدر الامكان . ومن المعروف جيدا ان الحركة الصهيونية وافقت ايضا ، دون تردد ، على قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ وقبلت به .

لم يقتصر قبول الحركة الصهيونية بفكرة التقسيم على الصعيد النظري ، وانما تعداه — بالطبع — ليصل الى الصعيد العملي ، فاتخاذ الخطوات الفعلية لتكريس ذلك التقسيم ثم تثبيته عند وقوعه . وفي هذا المجال ، استغلت القيادات الصهيونية التقسيم الذي حدث على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي بين العرب واليهود ، خلال احداث ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وعملت بنشاط على الافادة من هذا الوضع واقامة نظام اقتصادي يهودي مستقل في فلسطين ، يستطيع عند الضرورة الوقوف على رجليه دون التعامل اقتصاديا مع العرب . وحتى عندما انتهت الاضطرابات في فلسطين مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، اصرت القيادة الصهيونية على التمسك بسياستها هذه خلال سنوات الحرب وبعدها ، فاقامت فعلا اقتصادا يهوديا مستقلا في فلسطين ، كان في ما بعد من العوامل المهمة التي شجعتها على القبول بقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ ، وساعدتها على الاعلان عن اقامة اسرائيل كدولة سنة ١٩٤٨ .

اضافة الى الاجراءات التي اشرنا لها ، شنت القيادة الصهيونية الرسمية ايضا ، منذ قبلت بفكرة التقسيم ، حملات شعواء على معارضيها السياسيين الذين كانوا ينادون بحلول على اساس فلسطين موحدة . وخلال هذه الفترة تعرضت ، بشكل خاص ، حركات هاشومير هاتسعير (اليوم جزء من حزب مبام) وايحود وغيرها من

الفئات الصغيرة ، او الافراد ، الذين كانوا ينادون بحل على اساس اقامة دولة ثنائية القومية ، من العرب واليهود ، في فلسطين الى حملات تبريرية لدفعهم الى التخلي عن تلك « الشعارات الضارة » ، التي لا يعترف اصحابها بسيادة اليهود ، دون غيرهم ، على فلسطين . اما المعارضة ، المتمثلة في اليمين — الاصلاحي ، فقد عملت كل ما في وسعها ، خاصة بواسطة منظماتها العسكرية ، وعلى رأسها اتسل (الارغون) ، لتوسيع الشرخ النفسي بين العرب واليهود وزرع الشكوك بينهم ، وذلك بواسطة قتل الابرياء من بين العرب ، من حين لاخر ، دون تمييز ، واحيانا لأتفه الاسباب . وفي هذا المضمار ، كان رجال اتسل اول من لجأ الى استعمال وسيلة تفجير السيارات الملغومة في الاسواق والمحلات العربية الامنة (وهي الطريقة التي « اقتبسها » العرب فيما بعد) . وخاصة خلال المرحلة الثانية من احداث ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، كوسيلة لارهاب المواطنين العرب وحملهم على التخلي عن معارضتهم للصهيونية او ، في مرحلة لاحقة ، الى ترك البلد . كذلك كان رجال اتسل اول من لجأ الى طرد العرب من قراهم ، خاصة في منطقة تل ابيب وجوارها ، قبل الاعلان عن قيام اسرائيل ، بينما اقرت الهاغاناه ، في الوقت نفسه ، اي خلال الاشهر الاولى لسنة ١٩٤٨ ، « الخطة د » القاضية بالسيطرة على القرى والمدن العربية ، الواقعة ضمن المساحة المقررة للدولة اليهودية ، واحيانا خارجها ، وطرد سكانها منها ثم هدمها ، في محاولة منها لاقامة دولة يهودية تكون اكثر ما يمكن « نقاء » وعلى اكبر مساحة من فلسطين يمكن السيطرة عليها .

قوانين عنصرية ...

رغم الجهود المضنية التي بذلتها القيادات الصهيونية ، على مختلف انتماءاتها العقائدية ، خلال ١٩٤٧ — ١٩٤٩ ، لاقامة اسرائيل كدولة يهودية « نقية » ، وجدت تلك الدولة نفسها بعد اقامتها ثم توقيعها على اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية المجاورة ، تضم اقلية عربية ، يزيد عددها قليلا على ١٠ ٪ من مجموع السكان ، قسم منها بقي في منطقتي الجليل والنقب بعد احتلالهما والقسم الاخر سلم مع قراه ، في منطقة المثلث في وسط فلسطين ، الى اسرائيل ، بناء على اتفاقية الهدنة الاردنية — الاسرائيلية لسنة ١٩٤٩ . وفي تعامل سلطات اسرائيل مع هذه الاقلية ، منذ ١٩٤٨ وحتى اليوم ، تبرز العنصرية بأوضح اشكالها ، مصاغة في شكل قوانين عنصرية تطبقها سلطات دولة بحق جزء من سكانها ، يعتبر ، رسميا من مواطنيها .

باشرت اسرائيل بتطبيق سياستها العنصرية بحق سكانها العرب منذ لحظة اقامتها ، عندما قامت بفرض الاحكام العسكرية عليهم حال سيطرتها على المناطق التي يعيشون فيها ، استنادا الى انظمة طوارىء كانت سلطات الانتداب البريطاني قد سنتها في حينه لاضطهاد كل من العرب واليهود في فلسطين ، تحت ستار المحافظة على استتباب الهدوء والامن . و بموجب الاحكام العسكرية هذه ، فرضت مختلف القيود على السكان العرب ، واهمها منعهم من الانتقال من قراهم ومدنهم الى اي مكان آخر في اسرائيل دون تصريح خطي بذلك ، صادر عن الحاكم العسكري او من ينوب عنه ، بحيث اجبروا على العيش في غيتوات صغيرة ، مكن وجودها السلطة من التحكم في مقدراتهم . وقد استغل نظام الحكم العسكري هذا بشكل ضمن للسلطة الاسرائيلية السيطرة على حياة العرب ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، ومنع نشوء تنظيمات او تطورات « معادية » بينهم ، لا ترضى عنها السلطة . وبقي هذا النظام

قائما ١٨ عاما ، الى ان الغي جهازه في اواخر سنة ١٩٦٦ ، وبعد ان ادى المهام التي اوكلت له ، رغم ان اساسه القانوني لا يزال قائما ، ويمكن اللجوء لاستعماله في اي وقت (ويعمل نظام مماثل له حاليا ، وعلى نطاق واسع ، في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧) .

ولم تتوقف الاجراءات الاسرائيلية ، الصهيونية العنصرية ، عند هذا الحد بالطبع ، اذ ان جهاز الحكم العسكري لم يكن الا الارضية الضرورية لتنفيذ تلك الاجراءات ، التي سرعان ما اتسعت لتشمل كل المجالات التي اعتبرتها الصهيونية « حيوية » لضمان طابع يهودي — صهيوني لاسرائيل .. وكانت اولى هذه الاجراءات تلك التي تتعلق بنظريات « تحرير الارض » الصهيونية القديمة ، اذ ان السلطات الاسرائيلية لم تكتف بالاستيلاء على ملايين الدونمات من الاراضي الزراعية وغيرها والاف البنايات ومئات القرى ، التي كان يملكها العرب الفلسطينيون الذين طردوا من بلادهم او اضطروا الى النزوح عنها ، لتوطين المهاجرين اليهود الجدد عليها ، وانما اتجهت ايضا الى مصادرة الاراضي التي يملكها العرب الذين بقوا داخل اسرائيل . ولهذه الغاية لجأت السلطات الاسرائيلية الى استغلال قوانين قديمة ، ثم سنت مجموعة جديدة من القوانين الخاصة بها ، اسفرت في نهاية الامر عن مصادرة ما تزيد مساحته على مليون دونم من الاراضي التي يملكها العرب سكان اسرائيل ، ابتداء بانظمة الدفاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥ وانظمة الدفاع (مناطق امن) لسنة ١٩٤٩ ، مرورا بانظمة الطوارىء (استغلال الاراضي المبورة) لسنة ١٩٤٩ ، قانون تنظيم الاستيلاء على عقارات في ساعات الطوارىء لسنة ١٩٤٩ ، قانون اموال الغائبين لسنة ١٩٥٠ وتعديلاته وقانون استملاك الاراضي (مصادقة الاعمال والتعويض) لسنة ١٩٥٣ ، وانتهاء بقانون التقادم لسنة ١٩٥٨ وتعديل قانون الاراضي (تسوية حقوق الملكية) لسنة ١٩٦٠ ثم قانون الاراضي (الاستملاك للمقاصد العامة) لسنة ١٩٤٣ .

سلمت الاراضي التي صودرت بالشكل الذي اشرنا له الى المستوطنين اليهود ، لزراعتها او اقامة المستوطنات عليها ، ومع نهاية الخمسينات كانت عمليات المصادرة والتسليم تشرف على نهايتها . غير أن قصة هذه الاراضي ، وغيرها ، لم تنته عند هذا الحد ، فمع اواسط الستينات اكتشفت السلطات الاسرائيلية ان جزءا من المستوطنين الذين استلموا تلك الاراضي لفلاحتها راحوا يؤجرونها لعمال عرب لزراعتها او يشركونهم في مشاريع لاستغلال تلك الاراضي ، لقاء منافع اقتصادية جمة تعود على المستوطنين من خلال استغلالهم للعمال الزراعيين العرب (استمرارا لظاهرة استغلال العمال العرب التي رافقت الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ نهاية القرن الماضي) . وعلى الاثر تحركت السلطات الاسرائيلية المختصة للتصدي لهذا « الخطر » وابعاد « وباء العمل العربي » عن الاستيطان الصهيوني ، فعملت على اقرار قانون عنصري اخر — قانون الاستيطان الزراعي (قيود لاستعمال الاراضي الزراعية ولاستعمال المياه) لسنة ١٩٦٧ — منع بموجبه المستوطنون اليهود الذين سلمت لهم « اراضي الامة » ، وهو تعبير يطلق على معظم الاراضي التي استدلت اسرائيل عليها او صادرتها من اصحابها ، لاستغلالها من استخدام العمال العرب لديهم ، او اشراكهم في استغلال تلك الاراضي ، تحت طائلة مصادرة حقوقهم في تلك الاراضي ، اي طردهم من مستوطناتهم . وبلغة اخرى ، منع العمال العرب بذلك من العمل حتى كاجراء على الاراضي التي كانت قد صودرت منهم او من آبائهم . ويبدو ان الاجراءات التي نص عليها القانون المشار اليه لم تكن كافية للقضاء على « وباء العمل العربي » وابعاد العمال الزراعيين العرب عن المستوطنات اليهودية (تماما كما كانت

تفعل الكيرن كاييمت ايام الانتداب وقبلها) ، فلجأت السلطات فيما بعد الى تعديل القانون وفرض عقوبات اشد قسوة على مخالفيه .

كذلك امتدت الاجراءات العنصرية الاسرائيلية ـ الصهيونية ، الى مجالات اخرى ، ومن ابرزها فرض قيود على حقوق الجنسية العائدة للعرب . فقد اقرت اسرائيل ، مثلا ، بعد اقامتها قانون العودة الذي يسمح بموجبه ، عامة ، لكل يهودي بالقدوم الى اسرائيل والعيش فيها ، على ان يمنح الجنسية الاسرائيلية حال قدومه الى البلد ، بينما منع اللاجئون العرب الفلسطينيون من العودة الى ديارهم ، رغم القرارات المتعاقبة التي اتخذتها الامم المتحدة بهذا الشأن . وفي مرحلة لاحقة عدلت هذه القوانين بحيث سمح للسلطات بمنح الجنسية الاسرائيلية لاي يهودي يطلبها ، في اي مكان من العالم ، حتى وان كان وقتها مواطنا في دولة اخرى ، وذلك في محاولة لفرض « هيبة » اسرائيل، من خلال مطالبتها « بحماية » اولئك اليهود ، وبالتالي التدخل في شؤون الدول الاخرى الداخلية . ومقابل هذه التسهيلات في منح الجنسية الاسرائيلية ، وما ترتب عليها من حقوق ، نرى قيودا خاصة تفرض على العرب من سكان اسرائيل ، لجهة حقوقهم في الجنسية (غيرهم لا يحق له حتى المطالبة بذلك) في محاولة واضحة لتقليص ذلك العدد منهم الذي يحمل الجنسية الاسرائيلية والانتقاص من حقوقه داخل بلده .

ومن « مآثر » اسرائيل في مجال التمييز العنصري ضد مواطنيها العرب ايضا ، اتباع اجراءات تهدف الى « تقليل » عددهم والحد من تكاثرهم الطبيعي . فالحركة الصهيونية سعت دائما ، كما هو معلوم ، الى خلق اكثرية من السكان اليهود في فلسطين ، وقد تم لها ذلك داخل اسرائيل في حدود ما قبل ١٩٦٧ ، التي وصلت نسبة السكان اليهود فيها نحو ٩٠٪ . ولكن هذه النسبة ، رغم الهجرة اليهودية المستمرة الى اسرائيل ، راحت تنخفض من حين لاخر ، بسبب النسبة المرتفعة للتكاثر الطبيعي بين السكان العرب ، وبشكل ازعج السلطات الاسرائيلية المختصة وحملها ، خاصة في منتصف الستينات ، على التفتيش جديا عن طرق كفيلة بتغيير هذا الوضع . واستقر الرأي ، بعد دراسات عديدة ، على ضرورة زيادة المعونات المالية التي تدفعها الدولة للعائلات كثيرة الاولاد لمساعدتها على تربية اولادها وتشجيع العائلات الاخرى على انجاب المزيد من الاولاد . ولكي لا تستفيد العائلات العربية من هذه المعونات (وبعد ان قررت السلطات ان المعونات التي تحصل عليها تلك العائلات بموجب قوانين الضمان الاجتماعي كافية) عمدت السلطة الى دفع تلك المعونات بواسطة تعديل قانون الجنود المسرحين، سنة ٧٠ بحيث تقتصر هذه المساعدات على العائلات اليهودية كثيرة الاولاد فقط ، اذ ان معظم العرب لا يخدمون في الجيش الاسرائيلي ، وبالتالي لا يحق لهم الحصول على تلك المساعدات (ولكن على الرغم من ذلك ، على اي حال ، لم تزد نسبة التكاثر الطبيعي بين اليهود ، ولم تقل بين العرب، عما كانت عليه قبل اقرار هذه الاجراءات) .

وحتى العمال العرب لم يسلموا من التمييز ضدهم ، بعد اقامة اسرائيل . فحتى اولئك العمال كانوا يحصلون خلال السنوات الاولى لاقامة اسرائيل على اجر يقل عن الاجر الذي يتقاضاه العمال اليهود ، لقاء قيامهم بالعمل نفسه . وحتى موظفي الدولة العرب ، وعلى رأسهم معلمي المدارس الرسمية ، وهم اكثرية موظفي الدولة العرب ، كانوا يحصلون على اجور تقل عن تلك التي يحصل عليها المعلمون اليهود . ولم يتوقف هذا التمييز ، رسميا ، الا مع مطلع الستينات ، عندما وافقت الهستدروت ، النقابة العامة للعمال ، على قبول العمال العرب اعضاءا فيها ، وبعد ان اصبح الاقتصاد الاسرائيلي بحاجة لليد العاملة العربية (وبعد احتلال ١٩٦٧ ، انتقل هذا التمييز الى المناطق المحتلة يومها ، وطبق ضد عمال تلك المناطق الذين يعملون في اسرائيل) .

وما اوردناه لا يمس الا بعض مظاهر التمييز العنصري « الرسمي » الذي تطبقه اسرائيل ضد مواطنيها العرب . وينبغي ان نضيف اليها تلك الاجراءات غير المكتوبة التي تنفذ في مجال العمل والتوظيف والتعليم ، الخ ، مما يجعل العربي في اسرائيل ، في نهاية الامر وفي احسن الحالات ، مواطنا من الدرجة الثانية .

... وممارسات عنصرية

لم تقتصر تجربة التعامل العنصري ، من قبل السلطات الاسرائيلية ، على سكان اسرائيل العرب دون غيرهم ، اذ ان الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء سنة ١٩٦٧ ادى الى فرض تلك المعاملة على السكان العرب في تلك المناطق المحتلة ايضا . والسياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، على اي حال ، لم تتوقف عند حد التمييز العنصري فقط ، وانما تعدته لتتخذ طابع سياسة استعمارية كلاسيكية .

لا حاجة بنا للحديث كثيرا عن الطابع الاستعماري للسياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ويكفينا ان نشير في هذا الصدد الى الملامح الرئيسية لهذه السياسة ، التي تمتنع من جهة عن ضم معظم المناطق المحتلة اليها ولكنها تصر في الوقت نفسه على عدم الانسحاب منها ، تدعي انها تعترف « بالهوية القومية » لسكانها الفلسطينيين من جهة وتطالب بحل مشكلتهم القومية من خلال مصالحها وحسب ارادتها من جهة ثانية ، تعلن انها لا تريد التدخل في حياة السكان العرب في تلك المناطق من ناحية وتعمل على ربطهم بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي من ناحية ثانية . يضاف الى هذا كله اجراءات القمع التي تنفذها سلطات الاحتلال ضد السكان العرب ، من اعتقال وطرد واقامة معسكرات اعتقال ونسف بيوت ومصادرة املاك ، ثم اقامة المستوطنات في الاماكن التي تختارها ، وحتى دون ضم اراضي تلك المستوطنات اليها .

خلاصة القول ، يبدو ان الاستعمار الذي كان من بين العوامل الرئيسية التي ادت الى نشوء الصهيونية في نهاية القرن بعث ليصبح الطابع المميز للسياسة الصيونية ، كما يتضح من ممارساتها في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وخلال الربع الاخير من القرن العشرين .

تعاونوا مع اللاساميين والفاشيين والنازيين

يلاحظ المتتبع لتاريخ الصهيونية ونشاطها ، ان هذه الحركة وزعماءها ، على اختلاف مذاهبهم ، لم يمتنعوا عن التعاون مع اكبر اعداء اليهود ، من لاساميين وفاشيين ونازيين ، خلال تاريخهم الطويل ، في اي وقت بدا لهم فيه ان مثل هذا التعاون قد يعود بالنفع على الصهيونية او يساعدها على تنفيذ اي من مشاريعها . ونكتفي هنا للدلالة على ذلك بايراد بعض الامثلة على هذا التعامل .

ففي سنة ١٩٠٢ قام هرتسل بزيارة لروسيا القيصرية اجتمع خلالها مع فون بليفه ، وزير الداخلية وجزار الحركة الثورية واليهود في روسيا ، ووصل الى تفاهم معه (وحصل منه على رسالة خطية بهذا الشأن) مفاده ان تمتنع السلطات القيصرية عن اضطهاد اليهود الصهيونيين الذين يريدون الهجرة الى فلسطين ، وان توصي خيرا بالحركة الصهيونية لدى السلطان التركي ، وذلك في الوقت الذي كان بليفه يشن فيه ابشع حملات الاضطهاد ضد الحركة الثورية الروسية وضد اليهود في روسيا .

وفي سنة ١٩٢١ عقد جابوتينسكي ، وكان لا يزال يومها عضوا في الادارة الصهيونية، اتفاقا مع وزير داخلية حكومة روسيا البيضاء ، رغم ان تلك الحكومة قامت بارتكاب مذابح ضد اليهود في اوكرانيا من خلال مناوءتها للبولشيفيكيين ، تعهدت الحكومة الاوكرانية بموجبه باقامة وحدة شرطة يهودية ، تساعد على حفظ الامن بين اليهود ، بناء على طلب جابوتينسكي ، وتعتبر جزءا من القوات المسلحة التابعة للحكومة الاوكرانية (حكومة بتليورا) . ولما وجهت الادارة الصهيونية اللوم الى جابوتينسكي لاقدامه على هذا العمل ، اعلن انه سار على خطى هرتسل وفعل مثله ، عندما عقد اتفاقه مع بليفه .

وفي اواخر الثلاثينات تمكن جابوتينسكي ايضا من اقناع حكومة بولونيا ، التي كانت تنتهج سياسة مناوئة لليهود فيها ، بتولي تدريب اعضاء منظمته العسكرية ، اتسل ، لقاء تعهده بنقل اولئك الاعضاء وغيرهم من اليهود الى فلسطين ، بحيث تتخلص بولونيا منهم في النهاية . ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية ، سنة ١٩٣٩ ، منع الاستمرار في عمليات التدريب تلك .

وفي مطلع الثلاثينات اجريت اتصالات عدة بين الزعامة الصهيونية وبين سلطات ايطاليا الفاشية ، واجتمع وايزمان بموسوليني اكثر من مرة ، في محاولة للوصول معه الى اتفاق يساعد على تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين .

وفي سنة ١٩٣٣ ، وبعد سيطرة النازيين (كبار اعداء اليهود واليهودية) على المانيا توصلت الزعامة الصهيونية الى اتفاق معهم ، بقي ساري المفعول حتى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، سمح بموجبه لليهود الراغبين في الهجرة الى فلسطين بنقل (هعفراه) املاكهم الى هناك . وقد تمكنت الحركة الصهيونية ، بواسطة هذا الاتفاق ، من تحويل ما قيمته ٨ ملايين ليرة فلسطينية ، وهو مبلغ ضخم اذا قيس بمقاييس تلك الفترة ، من الاموال والبضائع التي كان ملكا لليهود الالمان الى فلسطين ، وهي الاموال والبضائع التي ساعدت على اقامة اسس الصناعة اليهودية في فلسطين . اما القيادة النازية ، من ناحيتها ، فقد وافقت على هذا الاتفاق ونفذته لاستغلاله في كسر حملة المقاطعة التي شنتها المنظمات اليهودية في مختلف انحاء العالم للبضائع النازية ، احتجاجا على الاجراءات المعادية لليهود التي اتبعتها المانيا ، وقد تم لها ما ارادت .

وبعد اقامة اسرائيل قامت الحركة الصهيونية ، كما هو معروف ، بالحصول على ما تبقى من تلك الممتلكات (بل واكثر من قيمتها) في اطار اتفاقية التعويضات التي عقدت بين المانيا الغربية واسرائيل ، وساعدت على دعم اسرائيل وتقدمها اقتصاديا .

وحتى اليوم ، لا تزال اسرائيل — ومنذ فترة غير قصيرة — تحافظ على علاقات ودية للغاية وتعاون وثيق في عدة مجالات مع النظام العنصري في جنوب افريقيا .

وعليه ، استنادا الى السجل الذي قدمناه حول الملامح العنصرية في عقيدة الصهيونية وممارساتها ، منذ نشأتها وحتى اليوم ، يظهر بوضوح ان الجمعية العمومية للامم المتحدة لم تخطىء عندما ادانت الصهيونية واعتبرتها شكلا من اشكال التمييز العنصري . ولا اساس موضوعية للحملة التي تشنها الدوائر الصهيونية في العالم ، او المتعاونين معها ، ضد هذا القرار او ضد الدول التي صوتت لجانبه .

لنا ملاحظة واحدة فقط حول هذا القرار — جاء متأخرا .

قراءة في الفسيفساء اللبنانيـــة

مـازن البنـدك

من الامور الصعبة قراءة فسيفساء السياسة اللبنانية في المرحلة الحالية . فهي اقرب شيء الى كلمات متقاطعة ولكن بلغات مختلفة ، فمسرح السياسة اللبنانية يشهد تفاعل الحقائق اللبنانية مع الحقائق الفلسطينية مع التيارات والمداخلات العربية والدولية . فلبنان يعيش صراع القوى المتناقضة في داخله ، والوجود الفلسطيني بكل نتائجه والذي اصبح احدى الحقائق السياسية الجديدة ، وعلى ارضه تتداخل وتتجابه القوى الدولية والعربية التي تحاول كل منها ان تدفع الرياح الى قلاعها المتعارضة مع الاخرى ، ولبنان بعد ذلك دولة مواجهة مع اسرائيل بحكم كونها على حدود اسرائيل ، حتى ولو ارادت ان تكون خارج المواجهة الساخنـــة .

اذن ، نحن في لبنان نواجه وضعا مركبا وبالغ التعقيد ، ويكون من باب التبسيط الغبي محاولة تحميل احد عناصر الوضع اكثر مما يحتمل ، فعناصر الازمة او ازمـــة المأساة الحالية متشابكة ، متداخلة ، مؤثرة ، ومتأثرة ، وهي في مجملها تضع لبنان على مفرق طرق وتجعل من لبنان ساحة مجابهة ساخنة في الشرق الاوسط. من اين نبدأ ؟ من الاساس ، وهو الوضع اللبناني الداخلي ، وهو وضع مثالي للتفاعل مع المؤثرات والقوى الاخرى ، ثم الوضع الفلسطيني في لبنان ، ثم الصراع في وعلى الشرق الاوسط، وبعد اتفاقية سيناء، ثم ... ثم ... اين هي الطريق السالكة والامنة ؟!

١ ــ لبنان : برميل البارود الذي ينتظر عود الثقاب !

ينفرد لبنان بين الاقطار العربية جميعا بانه الوحيد الذي لم يتعرض بناؤه السياسي وبنيته الاجتماعية للتغيير او التطور منذ الاستقلال الى اليوم ، اي حوالي ثلاثين سنة . ففي خلال هذه الفترة شهد الوطن العربي من الكويت الى المغرب هزات سياسيـــة واجتماعية عنيفة غيرت جزءا ليس بسيطا من معالمه . فقد سقطت طبقة الافندية والبكوات في مصر وسوريا والعراق ، وسقطت الملكية في مصر والعراق، وانتزعت اقطار الشمال الافريقي استقلالها ، وفي الجزائر انتزعته بدماء مليون شهيد ، ودول الخليج والجزيرة شهدت ثورة نفطية نقلت حياة المواطنين كما لم تفعل ثورة اخرى في التاريخ ، ولم تبق ارض عربية لم تنلها يد التغيير ولم تتزحزح فيها الامتيازات السابقة للطبقات الحاكمة والعليا . وفي بعض الاقطار العربية اندثرت تماما الطبقات السابقة ، كما هو الحال في سوريا ومصر والعراق وليبيا واليمن بشقيه والجزائر وتونس ، وفي البقيـــة تراجعت الطبقات التقليدية ، واخيرا في السعودية تألفت وزارة جديدة معظم اعضائها من الشعب وليس من الاسرة المالكة . وفي الكويت نشاهد نموذجا فريدا للمشاركة فـــي السلطة بين القوى التقليدية والقوى الجديدة في ظل نظام برلماني .

الا في لبنان . فرغم الواجهات البراقة في الحمراء والكازينو والفنادق الفاخرة فقـــد احتفظت الطبقات العليا في المجتمع اللبناني بامتيازاتها واتيحت للفئات المالية فـــرص

الاثراء بلا حدود وبلا رقيب . ونظرة واحدة على اسماء الطبقة الحاكمة تكشف نظاما « وراثيا » يخلف فيه الابناء اباءهم ، والنظام الطائفي الذي اوجدته الصيغة اللبنانية حول الطوائف الى قبائل يحتكر زعامتها زعماء بالحصر والتعيين . ونظرة فاحصة على بنية المجتمع تبين مجتمعا متخلفا في قوانينه وتطبيقاته المالية والاقتصادية والاجتماعية .

ورغم تدفق رؤوس الاموال العربية النفطية ولجوء عناصر انسانية من اكفأ العناصر العربية التي اضطرت الى الخروج من اقطارها لسبب او لاخر واختيار لبنان كمقر جديد فان الطبقة العليا عجزت عن الافادة الكاملة من هذه الفرص الذهبية وتحويل لبنان الى سويسرا الشرق ، بمعنى قيام صناعة حديثة وزراعة الية وموطن مختار لرأس المال العربي ، فلا تكون بيروت محطة عابرة في رحلة المال النفطي الى عواصم العالم الاخرى، وايجاد دولة حديثة يشعر فيها المواطن بروابط الانتماء الكاملة متجاوزا حدود الطائفية والعشائرية .

ولا يمكن العبور او الاستخفاف بالجهود الفردية الجريئة التي اتجهت الى بناء صناعات جديدة مستغلة ظروف توافر رأس المال العربي التي تنبىء في حد ذاتها عن العبقرية اللبنانية وتنبىء ايضا عن امكانية بناء دولة صناعية حديثة .

ولكن الجهاز الحكومي تخلف عن موازاة التقدم اللبناني الخاص ، اي ان المفهوم الحديث في الدولة الليبرالية الرأسمالية الحديثة لم يتحقق ، من حيث دور الدولة ومهماتها في وضع الضوابط والكوابح والحوافز لايجاد مجتمع متوازن بين الطموح الجارف للطبقات المالية الجريئة وضرورات الامن الاجتماعي للمواطن . وحين تعاظم قطاع البناء واشتدت الحاجة الى ايد عاملة جديدة ، اتجهت الفئات المالية الى الايدي الرخيصة القادمة من الخارج ، السورية والفلسطينية بل والتركية والباكستانية ، حتى سادت الايدي العاملة غير اللبنانية في قطاعات البناء والطرق وبقية القطاعات الشاقة . وكان اللجوء الى هذا الاتجاه يعفي النظام من مهامه الاساسية في الدولة الحديثة ، الاعتناء بالطبقات الكادحة والدنيا في المجتمع ، وبناء نظام ضرائبي حديث ، وايجاد مختلف الضمانات الاجتماعية ، فلم تعط الدولة اهتمامها لهذه المهام الواجبة ، بل ، على العكس من ذلك فان استيراد العمل الرخيص ادى الى انخفاض الاجور في وقت قفزت فيه الاسعار العالمية ، واسعار المواد الاساسية بصفة خاصة ، حتى اصبحت اعباء الحياة العادية وبشق النفس ليست مسالة سهلة للذين يعملون .

وانخفاض الاجور او تجميدها في نقطة معينة وارتفاع الاسعار والايجارات العقارية شد الطبقة الوسطى الرقيقة الى تحت وقلل منها وزاد الاستقطاب الى فقراء معدمين وهم الغالبية المسحوقة واقلية محظوظة هي الاقلية الساحقة .

فبنية الدولة لم تتقدم على طريق التحديث ، بغض النظر عن الاعتبارات الايديولوجية اليمينية او اليسارية . فبقيت الدولة القديمة هي الاطار البالي لحياة ديناميكية متجددة. فالدولة الحديثة في الغرب الليبرالي ، تعني الضمانات الاجتماعية في التعليم وفرص العمل والصحة والتقاعد ، وتعني الضرائب التصاعدية وحماية الفقير والحد من ثراهة رأس المال الخاص وتقنين وتهذيب اندفاعات المغامرات الفردية وجنونها للتملك والاستئثار والتسلط . ففي الوقت الذي تحمي فيه الدولة الليبرالية رأس المال الخاص فانها تقدم ضمانات للحد الاولي من الانسانية والتكافل الاجتماعي . فقد انتهت عصور الرأسمالية القديمة التي لا تعرف حدودا . والدولة الحديثة في العالم الاشتراكي تعني امتلاك الدولة لادوات الانتاج واخضاعها لخدمة المواطن وتحقيق رفاهيته وسعادته .

فاين لبنان من كل هذا ؟

بقي لبنان « بلد الخمسة في المئة الذين يسيطرون على الخمسين في المئة من الدخل العام ، بينما القطاعات الشعبية — العمال الزراعيون وعمال القطاع الصناعي والبناء وسواهم لا يتجاوز مجموع مداخيلها ١٢ — ١٥ بالمائة من الدخل العام ، وهم غالبية السكان ؟! » والتشريع لا يطال الاغنياء ، فالقانون القاصر نفسه لا يطبق ، وليس هناك اية ضرائب على المضاربات العقارية التي رفعت ثمن المتر الواحد في الحمراء من مئتي ل.ل. الى حوالي ١٦ الف ل.ل.

والمحاولات القليلة لاضفاء صفات التحديث على مجتمع ليبرالي بلا كوابح باءت بالفشل . فمحاولة رفع الضريبة على المواد الاستهلاكية والمعروفة بقانون ١٩٤٣ ، تضافرت عليها وحوش النظام حتى اجهزت عليها . والمحاولة الاخرى لتقنين استيراد الدواء (محاولة الوزير اميل بيطار) الذي اصبح مجانا في معظم بلاد الغرب الرأسمالي ، ناهيك عن العالم الاشتراكي ، انقضت عليه ايضا وحوش النظام . وبالاضافة الى معاناة الطبقة الكادحة ساد الشعور بعدم المساواة والاحساس بالفروق الهائلة بين طبقات كتب عليها ان تأكل خبزها بدمها وطبقات اخرى تصنع الثروات الاسطورية بالعمولات والوساطات وبأهون السبل .

وكان النظام اللبناني القائم على الطائفية اي الصيغة اللبنانية التي اصطنعت سنة ١٩٤٣ هو سبب هذا التعطيل الذي اصاب الحياة اللبنانية وجمدها في نقطة معينة . فهذه الصيغة كانت تصلح ان تكون بداية مؤقتة ، فحسب ، في رحلة طويلة ومتجددة . فليس من المعقول اقامة وطن على اقتسام المنافع والوظائف على اساس طائفي . فالاعتراف بالوضع الطائفي وهو الصيغة اللبنانية شيء ، ولكن اقامة الدولة التي تعني انتماء المواطن قلبا ولسانا ويدا لوطن وارض ، فهي شيء اخر . والاعتراف بالطائفية كاحدى مخلفات الماضي المتخلف واحدى رواسبه الهمجية هو تشخيص ضروري لامراض الجسم اللبناني ، على اساس المضي في بناء الدولة على طريق انهائها والقضاء عليها ، وتحويل الولاء القبلي للطائفة الى ولاء علماني للوطن . ولكن الاعتراف بالطائفية والاقرار ببقائها حالة دائمة يجب الاحتفاء بها والمحافظة عليها فهو يعني اولا واخيرا اقامة تجمع قبلي في ظروف طارئة ، سرعان ما يتشتت متى انتهى الظرف او استمر ظرف جديد .

ولعل السيد ريمون اده حين يقول بان الرؤساء الموارنة هم سبب بلاء هذا الوطن ، فهو يعني تخلف الرؤساء اللبنانيين عن اقامة الدولة الحديثة ، نظرا للسلطات الواسعة التي يملكها الرئيس اللبناني بموجب الدستور . ولعل الرئيس شهاب هو الرئيس الوحيد الذي استخدم كلمة العدالة الاجتماعية ، واتجه اليها ولو بنصف قلب ، واقام بضع مؤسسات فوقية ، ولكنها بعيدة عن صلب النظام واسسه ، التي بقيت على حالها لا يمسها شيء من قدام او خلف . اما الرئيس فرنجية فقد جاءت ولايته بعد ان تفاقمت الامور وتعرضت المنطقة لظروف صعبة تواجه ظروفا اصعب .

كذلك فان الديمقراطية اللبنانية التي نتجت عن الصيغة اللبنانية هي صيغة قاصرة في وجهين اساسيين : فهي ، اولا لا تتيح تمثيل القوى الجديدة في المجتمع ، اي القوى الشابة الطموحة واستيعابها ، وبالتالي قصور النظام عن التمثيل الحقيقي او الكافي للسكان والاستفادة من العناصر المثقفة والمستقبلية والقادرة على التجاوب مع متطلبات ومتغيرات العصر . وذلك نتيجة الاعتلال في قانون وطرق الانتخاب الحالية التي تحصر دائرة المنافسة بين طبقة سياسية تنتمي في معظمها الى مدرسة واحدة .

وثانيا ، فان النظام البرلماني الحالي ، ونتيجة لعجزه عن التمثيل الدائم لقوى المجتمع المتغيرة الجديدة ، قد فقد احدى مقومات الديمقراطية الحديثة وهي وجود التكنيك الذي

يسمح بالتغيير من داخل النظام وبواسطة اجهزته . وكما يقول هارولد لاسكي ، فان الدولة الديمقراطية التي تفقد تكنيك التغيير من داخلها فانها تحكم على نظامها بالموت حين لا تبقي لغير القوة والسلاح طريقا لاحداث التغيير المطلوب .

وبسبب ظروف مختلفة اتجهت الدولة الى الاعتناء بمناطق دون اخرى ، حتى تحولت مناطق بكاملها ، كالجنوب والهرمل وعكار الى مناطق محرومين .

وفي السنوات الاخيرة ، ازدادت الهجرة الى المدن حتى نما ما سماه المعلقون الاجانب « حزام البؤس » حول بيروت وهو حوالي ستماية الف من البؤساء الذين يعيشون في « مدن تنكية » بتعبير ادبيات حراس الارزة ، ولا يملكون من الاشعاع اللبناني سوى التلمظ بمشاهدة الانوار الحمراء وفترياتها .

وبسبب التوافق بين بؤس المناطق المحرومة وعذاب الحزام « التنكي » حول بيروت وبين انتماء هؤلاء الى طائفة معينة بالذات احس الكثيرون بان الامتيازات الطبقية هي نتيجة للامتيازات الطائفية ، حتى اصبح الشعور الطبقي ملازما للشعور الطائفي في احيان كثيرة . وفي الوقت نفسه ، فان « عقدة الاقلية » استمرت تنخر في جسم الطرف الاخر وتزداد حساسية وانفعالا .

وهكذا انتهت الصيغة اللبنانية سنة ١٩٧٥ الى ما يشبه « الانقسام العمودي » وتحول المجتمع الى هم ، اي اهل النظام واكلة الجبنة ، ونحن ، اي المسحوقين والفقراء .

ولعل اسوأ ما تتجلى فيه فظاعة صيغة ١٩٤٣ هو طبقة السياسيين اللبنانيين خاصة الاحزاب اليمينية التي تنتمي في الواقع الى عصر مضى . فاين هو الزعيم الذي يقول : اتركوا الاغنياء فلهم الله ... بالمفهوم الاوربي الحديث ، لو ان سياسيا اوروبيا ظهر على التلفزيون ودافع عن الاغنياء بهذا المنطق ، لانتهت حياته السياسية على الفور . واين موقع الزعيم الذي يتحرك بمنطق مختار الضيعة فيبيع الكلام والمواقف بما يناسب المقام ، فهو مع قومه اشد ما يكون تعصبا ولبنانية وهو مع زواره الفلسطينيين اشد ما يكون عروبة وفلسطينية حتى تحسبه من اتباع القسام ؟

وتعبير اليسار الدولي الذي ورد على لسان بعض الزعماء هو تعبير قد انقرض ، بانتهاء الحرب الباردة وانقسام الكتلة الشيوعية لعدة محاور : موسكو ، بكين ، بلغراد ، صوفيا وانتهى استخدامه بوفاة دالاس . وتكراره يدعو الى السخرية والشفقة معا .

فالاحزاب التي تدعي تمثيل اعرض القطاعات المارونية لا تقدم شيئا جديدا يتجاوز صيغة ١٩٤٣ ، بل هي تريد ان تقف الدنيا عندها . وزعاماتها لا تجد غير الخوف والتخويف ايدلوجية تدعم بها مواقفها واستمرارها وتحويل النظام الى ساتر لكل امتيازاتها وفظاعاتها .

وفي الجانب الاخر ، ورغم الامراض التقليدية التي يتعرض لها اليسار العربي من الفرقة والانقسام ، نشأت الحركات التقدمية الجديدة ، التي تتكلم لغة العصر وتفهم بنطقه وتعاني عذاب المحرومين وتقدم ايديولوجية الفقر الغاضب والبؤس المتمرد . وليس غريبا ان تجد في الحركة التقدمية اللبنانية اكثر الشباب اللبناني ، ومن جميع طوائفه ، وعيا وثقافة ونشاطا . ولا يمكن الا التسليم بان العناصر الديناميكية في اليسار اللبناني قد استطاعت ان تحوز ثقة الفئات المحرومة وان تحرك هذه الفئات بقيادتها . وهل ابقى اهل النظام القديم بابا اخر امام الشباب الجديد وضرورات التغيير وطموحات اجيال الفقر ؟!

وحرية التعبير النسبية التي يتمتع بها لبنان كان الجو المثالي الذي تستطيع فيه القيادات التقدمية ان تشحن طاقات الجماهير وتنمي وعيها وتحرك ارادتها في اتجاه التغيير . فلقاء العذاب مع الوعي به وباسبابه لا يترك سوى منفذ واحد ، قد يتأخر الوصول اليه ولكن لا بد منه .

ويجب الاعتراف ايضا بان المثقفين التقدميين استطاعوا ان ينفذوا في كثير من الاحيان من جدار الطائفية وان يكسبوا جزءا لا يستهان به من الرأي العام المحسوب على الطائفية ، الى جانبهم .

ثم كانت هناك القضية الوطنية . فالوطن العربي ، خاصة في الشرق ، يعيش دائما قضية وطنية واحدة ، وهي القضية الفلسطينية منذ اقامة الدولة اليهودية في فلسطين المحتلة . فالقضية الفلسطينية هي القضية المركزية في الحياة العربية منذ ١٩٤٨ اي منذ اكتمل الوعي العربي بالخطر الصهيوني ، لان الوعي به قبل ذلك اقتصر على الشعب الفلسطيني وجزء من الطلائع العربية الواعية . وكل المعارك التي خاضتها المنطقة كانت في سبيل فلسطين ، بشكل او باخر وبطريقة مباشرة او غير مباشرة ، سواء مقاومة الانظمة الفاسدة واسقاطها ، او طرد الاحتلال او محاربة الاحلاف كحلف بغداد الذي كان يتحدث عن خطر شيوعي موهوم لتفادي مجابهة الخطر الصهيوني الداهم ، او النضال في سبيل الوحدة .

ومنذ استقلال لبنان انعكست صيغة ١٩٤٣ او انعكس جانبها السلبي في المفهوم الطائفي للقضية الوطنية . فالواقع ان مواجهة الخطر الصهيوني لا تكتفي من لبنان بموقف ان لا يكون لبنان مقرا او ممرا للاستعمار وقد يكون هذا الموقف مقبولا او مفهوما سنة ١٩٤٣ ، ولكنه اصبح موقفا متخلفا بعد ١٩٤٨ . فلو غضضنا النظر عن روابط الامة الواحدة التي تربط الشعب المحيط بفلسطين المحتلة ، مهما كانت النظرة القومية ، فلا يمكن غض النظر عن الخطر المباشر الذي تشكله الدولة اليهودية على لبنان . فمنذ ١٩١٩ ، وفي مؤتمر فرساي طالب حاييم وايزمان ، ابو الصهيونية الحديثة ، بضم الجنوب اللبناني ومصادر المياه فيه الى حدود الوعد بالدولة الصهيونية . فكيف اذن ، اذا لم يكن من الممكن الى جانب الخطر الصهيوني ومطامعه في لبنان ، اسقاط الروابط القومية التي ترتبط لبنان بالكفاح العربي ضد الصهيونية .

وقد يقول البعض بان حماية جنوب لبنان هو اجدى بالضمانات الاجنبية ولكن هذه الحجة قد سقطت تماما في حرب ١٩٦٧ ، حين عجزت الضمانات الاميركية عن ان تحمي الضفة الغربية ورغم ان النظام الاردني هو من اخطر واهم حلقات الانظمة الموالية للسياسة الاميركية . ومن الخطأ اذا لم يكن من السفاهة والبلاهة الاعتقاد بأن الضمانات الاجنبية ، او اميركا ، يمكن ان تضع لبنان في موضع افضل من النظام الاردني . واذا كان الجنوب اللبناني لم يسقط للان فلأن الظروف التي تتيح حرية الحركة لاسرائيل في هذا الاتجاه لم تنضج بعد ، وحين تؤاتي الظروف فان اسرائيل لن تتوانى لحظة عن احتلال جنوب لبنان .

على اي حال ، ومهما اختلفت الاراء في جدية الخطر الصهيوني على لبنان فان عنصرا اساسيا في القضية لا يمكن المرور به ، وهو الاعتقاد العميق لجزء اساسي من السكان بان القضية الفلسطينية وبكل ما تعنيه من خطر على السيادة والارض اللبنانية هي قضية لبنانية . ولا يمكن الاستهانة بالمشاعر الجياشة لغالبية الرأي العام اللبناني التي تعتقد بان الدولة لم تقم بكل ما عليها من اعداد عسكري والتزام مبدئي بالقضية ، وان المواقف

السياسية مهما كانت حيوية ومهمة فهي لا تكفي ، بل ذهب الشك الى ان هذه المواقف السياسية التي لا تكلف كثيرا هي حجة للتنصل من الالتزام المبدئي .

وقد ادت صيغة ١٩٤٣ الطائفية الى تقسيم عامودي جديد في الجسم اللبناني ، فجزء اساسي من الشعب اللبناني يعتقد بان القضية الفلسطينية هي قضيته الوطنية وجزء اخر ينظر اليها ، ان لم نقل بالشك والريبة ، فبالحياد والابتعاد . ومما زاد في حدة الانقسام الجديد حرارة القضية الفلسطينية العالية وتأثيرها العميق في القلوب والنفوس . فالرأي العام المتعاطف مع القضية الفلسطينية يرفض موقف الحياد ، وبالتالي يشكك في وطنية واخلاص الذين يقفون موقف الحياد .

وحين تقول احدى المجلات التي تصدرها المخابرات الاسرائيلية بان هنالك وجهتي نظر واحدة لبنانية وواحدة فلسطينية ، فان هذا الطرح مرفوض كله ، لانه في النهاية محاولة للخروج بلبنان من التزامه بالقضية الفلسطينية التي هي لبنانية بقدر ما هي فلسطينية .

جغرافيا ، لبنان دولة مواجهة مع اسرائيل ، وسياسيا ليس امامها الا ان تكون في موقعها الطبيعي حلقة اساسية في الجدار العربي المحيط باسرائيل . وتعلمنا تجارب التاريخ ان الحقائق الجغرافية — السياسية (الجيوبوليتيك) هي اقوى من كل الاراء والنظريات والاتجاهات ، فالحقائق اقوى من ارادة الافراد ومستقلة عنها . وحين لا تعترف الدولة بهذه الحقائق فانها تغامر بفقدان شعور الانتماء لمواطنيها ، والذي بدونه لا يكون هنالك وطن .

وهكذا فنحن في لبنان نشهد وضعا مثاليا للتحرك والانتفاضة :

* نظام قديم لا يعترف بالقوى الجديدة ويحصر الامتيازات السياسية والطبقية في طبقة يصعب تجاوز حدودها .
* جماهير مسحوقة ، تعاني الحرمان ، وتعتقد بان الفرص غير متكافئة بين المواطنين واخطر من ذلك بين المناطق .
* دولة قديمة غير قادرة على التلاؤم مع نمو القوى الجديدة والتجدد معها .
* انتشار الشعور بان الامتيازات الطبقية هي نتيجة للامتيازات الطائفية .
* نشوء حركات يسارية نشطة وجادة قادرة على الوصول الى اوسع قطاعات الرأي العام والجماهير المسحوقة .
* تخاذل الدولة ، وجزء من الراي العام المناصر لها ، في مجابهة القضية الوطنية والتهرب من حقائق التاريخ والجغرافيا والقومية ، التي تفرض الالتزام المبدئي والفعلي والحياتي لمواجهة الخطر الصهيوني ، الذي يهدد المصير .

ماذا بقي اذن حتى يشتعل برميل البارود ؟ . . .

٢) الثورة الفلسطينية : حقيقة سياسية جديدة في لبنان .

اليمين اللبناني : ثورة مضادة او ضربة استباقية ؟

لم تأت الثورة الفلسطينية الى لبنان اعتباطا ، فقبل الطلقة الاولى في بداية ١٩٦٥ تجول اثنان من قيادة فتح ، ابو جهاد والشهيد ابو علي اياد ، في جنوبي لبنان وعرفا ان

الجبهة اللبنانية هي ارض مثالية للحرب الشعبية التي تنوي فتح ان تفجرها . فطبيعة الارض تساعد على شن حرب العصابات داخل الاراضي المحتلة إنطلاقا من جنوب لبنان والعودة اليه بعد ذلك ، كما ان الاهداف الاسرائيلية التي يمكن ان تطالها الضربات الفدائية تصيب شمال اسرائيل الذي يتركز فيه جزء اساسي من الصناعة الاسرائيلية وتزداد فيه الكثافة السكانية .

وبعد سنة ١٩٦٧ ، وبعد ان تصاعدت الاعمال الفدائية من جنوب لبنان قال جمال عبد الناصر لبعض زواره من القادة الفلسطينيين : ان العمل الفلسطيني الذي ينطلق من جنوب لبنان شيء اساسي ، فهو يضطر اسرائيل الى وضع جزء من قواتها في الجبهة اللبنانيه ، وهذا يخفف من الضغوط على بقية الجبهات من ناحية ويزيد التزيف الاسرائيلي من ناحية اخرى . وقد قال عبد الناصر هذا الكلام حين كان يخوض حرب الاستنزاف في قناة السويس وسيناء ورأى في الجبهة اللبنانية التي يشعلها العمل الفدائي حلقه مكملة لاستراتيجية حرب الاستنزاف في القناة .

وكان العمل الفلسطيني من لبنان يعني شيئين :

اولا ، تأكيد الالتزام اللبناني بالقضية الفلسطينية . فالوجود الفلسطيني جاء بكل نتائجه ، فالهجمات يقابلها هجمات ، والمواجهة الساخنة تجري يوميا على ارض الجنوب ، والذين يؤمنون بان فلسطين هي قضية لبنان راوا في الوجود الفدائي قوة يجب ان تكون ، ونذيرا بالخطر الصهيوني الذي يتهدد لبنان لا بد من ان يستنفره .

ثانيا ، تحول الفلسطينيون في لبنان من مجرد لاجئين الى ثورة تحمل السلاح . ولم يعد ممكنا ان تتعرض المعسكرات الفلسطينية الى صنوف المعاملات التي كانت تتعرض لها في السابق .

ولم تمض فترة طويلة قبل ان تبدأ الحساسيات وتحدث الصدامات ، المفتعل جزء منها . وكان من ابرز اسباب الصدام لجوء بعض اطراف الصراع اللبناني الداخلي الى استخدام المسالة الفلسطينية لاسباب داخلية محضة . فالمكتب الثاني ، حينذاك ، كان يفتقر الى تأييد الراي العام المسيحي ، فضخم الاحداث وافتعل الصدام لاستعادة بعض الراي العام ، وقد فضحت رسالة فتح المشهورة سنة ١٩٦٩ للشعب اللبناني تحركات المكتب الثاني لافتعال الصدام وكشفت عن خطة لاحراق بيروت . (هل حريق سرسق تنفيذ لخطة قديمة ؟ .) ولكن تماسك القوى العربية ، في عهد عبد الناصر ، منع المزيد من المتاجرة والتدهور ، وانتهت المصادمات الى اتفاقية القاهرة التي وقعها عن الطرف اللبناني (حينذاك) قائد الجيش العماد بستاني ، وصدقها رئيس الجمهورية السيد شارل حلو ومجلس الوزراء ومن بين اعضاءه السيد بيير الجميل .

ورغم مختلف الاراء حول اتفاقية القاهرة فهي تعني ان وضعا جديدا قد نشأ في لبنان ، وهو حرية العمل الفدائي وشرعيته من وفي الاراضي اللبنانية وفق شروط معينة ، وهذا الوضع يشكل الحد المعقول للالتزام اللبناني بالقضية الفلسطينية .

ولكن احداث الاردن سنة ١٩٧٠ والتي انتهت بتصفية العمل الفدائي هناك دفعت ببعض القوى الى اعادة النظر في الوضع الفلسطيني في لبنان . وتضافر عاملان ، واحد داخلي واخر دولي ، لدفع الاحداث لصدام لبناني ــ فلسطيني جديد ، ينهي اتفاقية القاهرة ويعود بالفلسطينيين في لبنان من ثورة الى لاجئين من جديد .

العامل الداخلي ، الذي قد يكون مخاوف حقيقية او عودة لاستخدام المسالة

الفلسطينية في الصراع السياسي الداخلي ، يوجه للثورة الفلسطينية اتهامين : الاول : انها اخلت بالتوازن السكاني ورجحت عدد احدى الطوائف على حساب الاخرى . والثاني : ان الثورة الفلسطينية هي نصير لليسار اللبناني وهي التي اتاحت له فرص التحرك والتعبئة والقوة .

ومن السخف المرور بهذين الاتهامين وكأنهما مجرد تجريح مقصود وسوء نية . فمن المؤكد ان الثورة الفلسطينية بقوتها واشعاعها وديناميكيتها لها تأثير مهم في كل الاقطار العربية ، ويختلف هذا التأثير من بلد الى بلد . ومن الطبيعي ان يكون تأثيرها في القطر الذي تتواجد فيه اكثر من مكان اخر لا تتواجد فيه . وفي العشرين سنة الاخيرة عاش الوطن العربي كله وهو يتفاعل ويتأثر بثورة عبد الناصر ، وليس عيبا ان تتمتع الثورة الفلسطينية بالقدرة على التأثير ، بل ان ذلك احد اسباب قوتها واستمرارها .

وفي لبنان ، وبدون شك ، استطاعت الثورة الفلسطينية ان تكون قوة مؤثرة بحق . ولكن ، في اي اتجاه ، ولمصلحة من ؟

فالثورة الفلسطينية لم تكن تعرف جيدا فسيفساء التركيبة اللبنانية ، ولم تع الوضع الطائفي او لو وعته فانها اعتقدت بان ثلاثين سنة من الاستقلال الوطني قد صهرت اللبنانيين في بوتقة واحدة ، والثورة بتجربتها الذاتية لم تواجه الطائفية ، وبنظرتها المستقبلية فانها كانت تدعو الى دولة علمانية في فلسطين تختفي منها الفوارق الطائفية والعرقية . ولذلك ، فان الثورة ، من رسالة فتح سنة ١٩٦٩ الى تصريحات ابو اياد في الازمة الاخيرة الى رسالة ابو عمار ، قائد الثورة ، الى الشعب اللبناني في الفترة الاخيرة لم تعتبر نفسها عددا ينضاف الى طائفة ما . والثورة ترفض بعنف مبدأ الوطن البديل . فهي ترفض كل مشاريع الاسكان ، والتجنيس والهجرة ، وتجاهد وتقدم اسخى التضحيات الدامية في سبيل العودة . كيف اذا يمكن ان تكون عددا جديدا في قطر لن تبقى فيه ، ولو في المدى الطويل ؟!

وفي المأساة الدامية التي عاشها لبنان استطاعت الثورة الفلسطينية ان تكبح الجنون الطائفي بالخطف والتقتيل على الهوية ، **واستطيع ان أؤكد ان الثورة الفلسطينية لم تقتل اسيرا واحدا ، حتى بعض الاسرى من الذين كانوا يحملون السلاح ضدها اطلقت سراحهم ، وانها كانت تضع كل ثقلها لتخليص المخطوفين** . وفي المجال الطائفي ، اذا كانت الثورة قد مارست دورا ما فانه دور ضد الطائفية ، سواء بادانتها وكبحها وتهذيبها .

ولكن ، للاسف ، فان النصرة اللبنانية للثورة عكست اتجاها معينا هو بموجب الفسيفساء اللبنانية يمكن اضفاء صفة طائفية عليه . ولكن اليسار اللبناني مسألة اخرى .

فالمقاومة تعتبر نفسها « الشرارة التي تشعل النار في كل الحقل » ، فهي تحفز كل القوى العربية الى مناصرتها وحمل السلاح معها ، خاصة في اقطار المواجهة . وفي الجنوب ، تدفق اليها شبابه وابناؤه وكان عليها ان تعتني بالامر هناك بعد ان اغفت السلطة نفسها من مهامها الجنوبية . وفي الشارع ، اندفعت الجماهير المسحوقة وقوى اليسار الى مناصرة الثورة اكثر من غيرها .

ولكن الثورة لم تفقد الامل في الطرف الاخر ، فحاورت الكتائب بعد احداث ١٩٧٣ ، واستمرت محادثات فتح — الكتائب اكثر من شهر ، وحين اتفق على بيان مشترك رفض السيد بيير الجميل ، الذي كان في الخارج ، اصداره ، بعد عودته . والثورة تقيم الان حوارا متصلا مع قوى كثيرة غير يسارية . فنظرتها الى الصراع العربي —

الاسرائيلي بأنه صراع قومي يجمع كل فئات الامة وطبقاتها يجعلها دائما تطمح الى تأييد ومناصرة كل لبنان .

والثورة لا تستطيع ان تعترض على دعم اليسار ومناصرته ، بل ترحب به . والثورة لا يمكن إلا ان تؤكد على وحدة المصير ، الذي تدعو له قوى اليسار اللبناني . واذا كان اليسار يتسلح دعما للثورة ، واذا كان اليسار يحقق مزيدا من القوة بسبب ذلك ، فهذا من طبيعة الامور .

فالقول بان الثورة الفلسطينية تمس التوازن السكاني فيه من سوء النية الكثير ، وفيه من المخاوف المشروعة التي يفرزها الواقع اللبناني المريض ، الكثير ايضا .

والقول بان اليسار قد قوي بالثورة ليس خطأ ، والصحيح ايضا ان الاوضاع اللبنانية الناضجة للثورة ، للاسباب التي اوردناها في الحلقة الاولى من هذه الدراسة وجدت في الثورة الفلسطينية قوة دفق هائلة حركتها وتحركت بها .

وبذلك ، فان كل النتائج الداخلية للثورة تنتج من الواقع اللبناني نفسه ، وهو واقع حي تفاعل في السابق مع عبد الناصر وهو يتفاعل اليوم مع الثورة الفلسطينية .

ثم هنالك العامل الدولي الخارجي ، الذي لا يمكن بدونه فهم الابعاد الكاملة لما يجري في لبنان .

دوليا ، هنالك اعتراف بحقوق شعب فلسطين . كذلك هنالك اعتراف بان منظمة التحرير الفلسطينية بقيادتها الحالية والمقاومة بتشكيلها الحالي بقيادة فتح ، هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني وهذا الاعتراف تقرر عربيا بالرباط اخيرا ، وتوافق عليه معظم دول اوروبا الغربية ، وتدعمه الكتلة الشرقية كلها ، وتعترض عليه امريكا واسرائيل .

وبعد اتفاقية سيناء ، واخراج العنصر الفلسطيني من الحسابات الامريكية كما هو واضح الان ، إشتد العداء الامريكي للثورة الفلسطينية التي ترى فيها الخطر الذي يتهدد كل خططها في المنطقة والشرارة التي يمكن أن تشعل روح المقاومة العربية من جديد .

والمخرج الوحيد للسياسة الامريكية ، ومن ورائها السياسة الاسرائيلية ، يكمن في الحلول التالية :

- استيعاب المقاومة بشكل او باخر ، ولكن لم تتوفر بعد طريقة لذلك .
- تصفية المقاومة في موقعها الاخير في لبنان على الطريقة الاردنية ، ويتوافق مع هذا الهدف تصريح وزير الخارجية الامريكية هنري كيسنجر ، في ايار الماضي وعند بداية الاحداث اللبنانية ، بان ما يجري في لبنان هو شبيه لما جرى في الاردن .
- واذا لم يكن من الممكن تطبيق الحل السابق فلا اقل من اغراقها في رمال السياسة اللبنانية المتحركة وتوريطها في معركة دائمة تستهلك قواها ، ومحاولة اصطناع قضية لبنانية في مكان القضية الاساسية والحقيقية وهي القضية الفلسطينية .

وحين يربط المراقبون السياسيون بين العوامل الداخلية التي يتذرع بها اعداء الثورة، وبين العامل الدولي الذي تمثله امريكا فانهم لا يبتعدون عن الحقيقة .

وحين تنشر ملف غودلي في لبنان اوساط المقاومة التي تملك هذا الملف ، وحين تكشف تحقيقات مجلس الشيوخ الامريكي عن التورط الامريكي في احداث لبنان ، فان الصورة تصبح واضحة جدا .

والغريب في احداث الازمة المأساة التي نعيشها في لبنان ان الطرف المفترض فيه ان يندفع الى الثورة لم يندفع . فاليسار وجماهيره العريضة تمثل غالبية اللبنانيين وظروفها الناضجة والمهيأة للثورة فضلت خوض المعركة السياسية فحسب ، حتى ان السيد كمال جنبلاط قبل الاحداث الاخيرة صرح لبعض الصحفيين الاجانب ان اليسار قوة خلقية اكثر من اي شيء اخر ، وانها تسعى للاصلاح في اطار النظام .

ولكن الاغرب من ذلك ان تندفع قوى النظام الى اطلاق الرصاصة الاولى ، وان تحاول دفع الاحداث الى ما هو اعظم من مذبحة عين الرمانة في نيسان الماضي الى الان.

ترى ، هل هو توافق بين العوامل الداخلية والخارجية .

ام ، هو ثورة مضادة قام بها اليمين استباقا لثورة شعبية ! او كلاهما .

وعلى اي حال ، ماذا حققت هذه الثورة المضادة، وهل تساعد نتائج المعركة الساخنة ان تفتح باب الحل السالك والآمن ؟!

٣)الحل : حسابات ... واستنتاجات

لبنانيا : صيغة متوازنة ولكن حضارية

فلسطينيا : المطلوب حياد السلطة الرسمية .

ويل لبيت الخزف من الفيل المجنون ! وقد كان لبنان ، هذا البيت الجميل مسرحا لصراع مجنون يكاد يقضي عليه ، عندئذ ، تتساوى الاضداد ، لانهم جميعا مهزومون .

والنتائج حتى الان هي هزيمة ساحقة للاهداف التي انطلق من اجلها الرصاص والنار والخراب ، فالذين حملوا السلاح ، منذ استشهاد معروف سعد ومجزرة عين الرمانة حتى اليوم قالوا انهم يفعلون ذلك في وجه ما سموه بخطر اليسار وبتجاوزات العمل الفلسطيني وذهب بعضهم الى حد الاعتراض على وجود الثورة نفسها . هذه هي الاهداف المعلنة ، واذا كانت هنالك اهداف اخرى ، كالتقسيم فذلك لم يزل في منطقة النوايا بعد .

فهل حققت الثورة المضادة ، او الجنون المسلح الذي انطلق بغير حدود هدفا من هذه الاهداف ؟!

في مجال اليسار ، فان اليسار اللبناني بعد المعركة هو غيره قبل المعركة . فجبهة القوى التقدمية والوطنية كانت تخوض معركة سياسية في سبيل القيام ببعض الاصلاحات في النظام ، ولكن من داخل النظام وليس خروجا عليه كما كان يؤكد السيد كمال جنبلاط دائما وباستمرار . وكانت هذه القوى تخوض معركتها بالطرق السلمية ، وبالاجتماعات والمظاهرات والدعاية والصحافة . ومن المؤكد ان هذه القوى لم تكن تفكر باستخدام العنف لتحقيق اهدافها .

ورغم كل ما يقال فان اليسار لم يكن مسلحا في بداية المعركة . ولكن ، انتشار ظاهرة الميليشيات اليمينية، ومعسكرات التدريب في المناطق المعروفة، وظهور الجيوش الخاصة،

هذا كله نبه اليسار الى خطورة التسلح اليميني . وبعد الشراسة والاستهتار بحياة الناس اتجه اليسار الى تسليح نفسه .

ونتيجة للصدام المسلح الذي فرضته قوى اليمين فرضا ، فان الصورة قد تغيرت تماما .

فالمطالب التي كان يمكن ان يتم التوصل الى بعضها خلال بضعة اعوام ، اصبحت مطروحة طرحا جديا واشبه ما تكون بالامر الواقع .

واليسار الذي كان يخوض معركته بالطرق السلمية قد اصبح اليوم يسارا مسلحا ، وقدم تضحيات سخية لا يمكن ان يتنازل عن ثمنها وعن الاهداف التي دفعته الى هذا الثمن الدامي .

كذلك ، فان الثورة الفلسطينية اليوم اقوى منها في اي وقت مضى . ورغم ذلك ، فان الثورة تظهر من الاعتدال والتفهم للواقع اللبناني والنية على التأثير الايجابي ، كما يعرف جميع الاطراف ، لانها حريصة على لبنان حرصها على قضيتها .

بقي التقسيم ، ورغم كل ما افرزته المعركة من عوارض مرضية وظواهر بدائية منحطة فان التقسيم الذي لاكته بعض الالسن ، جديا او من باب التهويل ، قد سقط تماما . فصيغة التعايش اللبنانية يحرص عليها الجميع وهي ليست مسألة عارضة ولكنها عميقة الجذور التي لا يمكن اجتثاثها .

الا اذا كانت هنالك جهة قد اتخذت قرار التقسيم وتريد مواصلة القتال وافتعال الاحداث وفرض الهجرة حتى التقسيم !

ففي حساب الارباح والخسائر يمكن القول ان القوى التي حملت السلاح لم تحقق نقطة واحدة .

وفي راينا ان معركة اليمين كانت خاسرة من اللحظة الاولى . ولعل بعض هذه القوى كانت تحاول استدراج الجيش للمعركة ، لعلها تستطيع حسم الامور لصلحتها ، ولكن ذلك لم يتحقق ، ولم يكن ممكنا ، كما اكد رئيس الوزراء السيد رشيد كرامي الذي عرف ان استخدام الجيش لا يدرأ خطرا ولكنه الخطر الاعظم .

ولعل القوى اليمينية قد استهانت بموقف الدفاع الذي اصر عليه خصومها في المراحل الاولى . ولكن التغير الذي اضطرت اليه القوى الوطنية والتقدمية ، من الدفاع الى الرد العنيف والى الرد الرادع ، بين حدود القوى اليمينية التي لا يمكنها ان تتجاوزها . وحين استطاعت القوى التقدمية ان تنقل معركة الاستنزاف الى الطرف الاخر ، فان معركة اليمين انتهت بالفعل .

هذا كله ، وجبهة القوى الوطنية والتقدمية لم تستخدم سوى جزء بسيط من قوتها الممكنة والفعلية . فاذا كانت القوى اليمينية لا تستطيع ان تدفع الامور في اتجاه الحسم لصلحتها ، فان القوى التقدمية لا تريد ان تحسم الامور لصلحتها . فالطابع الطائفي الذي صبغ الاحداث كان هاجسا عنيفا يدفع القوى الوطنية الى ان تدافع بيد وتمد يدا اخرى بحثا عن حل لوقف النزيف الدموي والخراب العام . وهكذا ، فان الصراع الذي انفجر تحدد من لحظته الاولى بانه صراع متوازن لا يمكن لاحد اطرافه ان يحسمه لصلحته ، ولا يريد الطرف المقابل ان يحسمه لصلحته ايضا .

ورغم ذلك ، فان حصيلة هذا الصراع هي شيء جديد في السياسة اللبنانية . فهي ليست صيغة : « لا غالب ولا مغلوب » التي طرحت بعد ثورة ١٩٥٨ ، لان ذلك لم يعد ممكنا . ويذهب بعض المعلقين الى القول بان احداث ١٩٧٥ حققت ما فشلت فيه ثورة ١٩٥٨ . فقد انتهت ثورة ١٩٥٨ الى مصالحة بين اهل النظام ، اما احداث ١٩٧٥ فهي تشهد صورة اخرى .

- فنحن نشاهد اليوم لجان التنسيق التي تتألف من جوزف شادر وداني شمعون في جانب وابراهيم قليلات وعباس خلف في جانب اخر . وفي لجنة الحوار ، يجلس بيير الجميل وكميل شمعون وفي مقابلهما عاصم قانصوه وحسن عواضة . وحين يقول كمال جنبلاط « اننا » اي التقدميين لن نشترك في الحكم الا اذا كنا خمسين في المئة زائد واحد ، فانه يكاد يعبر عن واقع جديد في الحياة اللبنانية .

اذن ، نحن على اعتاب صيغة لبنانية جديدة ، مهما تكن التسمية او الشكل الذي سوف تتخذه التسمية .

والقوى التقدمية تواجه تجربة صعبة وهي تسهم في ايجاد هذه الصيغة الجديدة . فمن المفترض ان تكون صيغة متوازنة بمعنى ان تكون محصلة لعنصرين :

الاول ، ان تكون صيغة حضارية وحديثة ، تتيح اقامة الدولة — الوطن ، وتهيء ظروف النمو الروحي للمواطن في اتجاه الولاء لهذا الوطن ، فلا يكون دولة « اولئك » دون « هؤلاء » ، وتضع العربة على الخط ، اي تبدأ من نقطة الانطلاق التي تؤدي الى لبنان الغد ، من حيث قانون الانتخاب والتشاريع المالية والضرائبية والاجتماعية .

الثاني ، هو وجود عنصر التوازن ، فالارقام ليست كل شيء ، والعدد مهم ولكنه لا يلغي الاعتبارات الاخرى . وبعد ثلاثين سنة من الاستقلال انفجرت الطائفية كأنها كابوس لا يمكن ان يحدث . واي صيغة جديدة لا يمكن ان تلغي المخاوف المقيمة بجرة قلم . ومن الضروري حساب هذه المخاوف ، وتوفير المناخ الذي يمكن ان يقلل منها ، حتى لا تصبح معوقا في انشاء بلد حديث بلا طائفية .

ولعل الصيغة الجديدة لا تتعثر في شأن عزوبة لبنان او اعتبار قضية فلسطين هي قضية العرب الوطنية بما فيهم لبنان ، ما دام هنالك احتلال اسرائيلي . واذا امكن تفادي مشاعر التخوف والعزلة الحادة ، فان العقل اللبناني المجرد يستطيع ان يرى وبسهولة اننا نعيش عصر التكتلات الكبرى ، وان عصر الاوطان الصغيرة انتهى ، وان الرفاهية الغربية الحالية امكن التوصل اليها عبر السوق المشتركة والاحلاف المشتركة ، حتى اصبح الاستقلال الوطني لقطر واحد هو الاستقلال المشترك لكل اوروبا Interdependence ، فهذه هي الطبيعة الجديدة للاستقلال الوطني في عصرنا الحديث ، والحقيقة الاولية ان رفاهية لبنان مرتبطة ارتباطا تاما بالمنطقة العربية ، كمصيره . ولا يمكن وقف تدفق الهجرة لخارج لبنان وافراغه من احسن كفاءاته البشرية الا اذا تأكدت جسور اتصاله بالمنابع والاصول .

تبقى مسألة العلاقات اللبنانية والفلسطينية ، او الوجود الفلسطيني في لبنان .

وفي راينا ، ان المسألة تتعدى الاتفاقيات المعقودة بين الدولة اللبنانية والثورة الفلسطينية ، فهذه الاتفاقيات يمكن تطبيقها بنصوصها وروحها . واذا كانت هنالك تجاوزات ، وهي لا بد من ان تحدث فان الموقف هو ادانة هذه التجاوزات بالتحديد والتحرك الى منعها ومنع حدوثها ثانية .

ولكن المسألة هي الصراع الذي تخوضه الثورة الفلسطينية ضـــد القوى المعادية . والثورة من موقعها في لبنان قادرة على التصدي لاعدائها ، وتحريك الراي العام العربي ، وكشف مواقع الخطأة والخونة وتهيئة المنطقة لانطلاقة جديدة .

ولهذا فان محاولة اشغال الثورة في لبنان ، بحجة او باخرى ، هي محاولة لتعطيل دور الثورة ، واخطر من ذلك ، فان هذه المحاولة هي لحساب القوى المعادية للثورة . ومهما اختلفت آراء اللبنانيين بشأن الثورة الفلسطينية ، فليس من مصلحة لبنان معاداة الثورة ، خاصة اذا انطلق هذا العداء لحساب قوة خارجية .

والثورة لا تنتظر عونا من الذين لا يؤيدونها في لبنان ، ولكنهـــا لا تنتظر منهـــم ان يورطوها في عراك مسلح . وذلك من حقها .

ولعل سابقة الرئيس شهاب سنة ١٩٥٨ تصلح ان تكون هي المثال للعلاقات القادمة بين لبنان والحركة الفلسطينية . فقبل ان يتولى فؤاد شهاب مقاليد الرئاسة ، كـــان لبنان قـــد جعل نفسه طرفـــا في الصراع الدائر حينذاك ، ضد حركة التحرر الوطني العربية التي كان يقودها جمال عبد الناصر . ولكن مجيء شهاب انهى تورط لبنان ضد الحركة العربية الحديثة ، ولو على المستوى الرسمي ، واصبح لبنان مسرحا محايدا ، لا ينحاز لطرف ولا يعادي طرفا . والمطلوب اليوم هو موقف مشابه ، على المستوى الرسمي ، لا يعادي الثورة ، ولا يشغلها عن دورها ، ولا يبعدها عن خندقها الحقيقي .

واذا استقرت القلوب على مفهوم كهذا ، للعلاقات اللبنانية ـــ الفلسطينية ، فان الثورة الفلسطينية سوف تذهب الى ابعد مدى في مقابلة كل المطالب اللبنانية الرسمية ، والى ان تكون عنصر الاعتدال الاساسي .

وبدون هذا الحل ، صيغة لبنانية جديدة حضارية ومتوازنة ، وموقف لبناني رسمي لا يعادي الثورة فان الفيل المجنون سوف يبقى يعربد في بيت الخزف !

الاثار السياسية والاقتصادية لمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس

حسين ابو النمل

من ضمن سياسة النظام المصري لتمرير اتفاقية سيناء ركزت اجهزة الاعلام المصرية والمرتبطة بها على الطابع العسكري للاتفاقية المذكورة ، واستصرخت الكثيرين بهدف تمرير الحملة التي كان مصيرها الفشل ، وفي محاولة منها لاستغلال الاوراق التي بيدها لاخر مدى حاولت الاستفادة من رصيد الفريق عبد الغني الجمسي لدى الجماهير العربية بوصفه احد الاشخاص الذين ارتبطت بأسمهم حرب تشرين . حيث لم يتورع النظام المصري عن وضع رصيد الجمسي في خدمة هدف تمرير التسوية فاستصرخه كلاما نسبته اليه وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية ونشر في جريدة النهار يوم ١٩٧٥/٩/١٩ ، يقول التصريح « **ان اتفاق سيناء اتفاق عسكري وقعه العسكريون وهو احد استثمارات حرب تشرين الاول** » . ولو تجاوزنا مغالطة الفريق الجمسي باعتبار ان الاتفاق قد وقع بالاضافة الى العسكريين من قبل دبلوماسي مصري أوفد خصيصا لتوقيع الاتفاق ، ولو تجاوزنا الحديث الصريح للاتفاقية المذكورة عن انهاء حالة الحرب وغيرها من النصوص التي وردت في الاتفاق المذكور ، لو تجاوزنا كل هذا وتساءلنا عن معنى ان يكون الاتفاق المذكور من استثمارات حرب تشرين ؟ فكيف يمكن ان يسمي تقديم المكاسب لاسرائيل استثمارات لحرب تشرين ، الا اذا كان المقصود استثمارا سلبيا ؟

ان التلاعب بالنصوص وبالكلمات امر سهل ، ولكن عندما تكون المسألة متعلقة بالارقام فان احدا لا يستطيع الخداع حتى ولو كان له رصيد الفريق الجمسي . وقد اشار الكثيرون الى المضامين السياسية للاتفاق المذكور ، وكان الرد دائما أن الاتفاق هو اتفاق عسكري ، ولكن من بين القضايا التي لا يستطيع احد المجادلة بشأنها تلك القضايا ذات الطابع الرقمي حيث لا تحتمل المسألة الا تفسيرا واحدا . وفي راس هذه المسائل قضية مرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس ، لان هذا المكسب الذي اعطي لاسرائيل قد اعطى للاتفاق المذكور بعدا جديدا هو البعد الاقتصادي اضافة الى الطابع العسكري والسياسي للاتفاق المذكور . فبهذا اعطيت اسرائيل مكسبا ضخما كما سيدلنا العرض التالي ، فبالاضافة الى معناه السياسي فله مضمون اقتصادي بعيد الاثر .

ضمن سياسة النظام المصري ومحاولته تصوير الاتفاق المذكور باعتباره مكسبا لمصر فقد حاولت ان تلقي ظلالا من الشك حول جدوى ما حصلت عليه اسرائيل ، وعلى صعيد مرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس ارتكزت الحملة الاعلامية المصرية على « **ان البضائع الاسرائيلية كانت قبل ذلك تمر في قناة السويس** » بهدف القول ان المكسب الذي اعطي لاسرائيل هو مكسب قديم ، ولم تحصل على اي شيء جديد

على هذا الصعيد ، ولم تكن تلك الحملة الا تطبيقا حرفيا لسياسة « توسيع الشبهة » التي درج عليها النظام المصري . وقد كانت اسرائيل متفهمة تماما لظروف النظام المصري فشاركته حملته واذا بسيل من التصريحات الرسمية لمسؤولين اسرائيليين موجهة خصيصا للمواطن العربي يتحدثون بها عن عدم وجود حاجة اسرائيلية ماسة لقناة السويس في ظل وجود ميناء ايلات على البحر الاحمر والذي يؤمن تجارة اسرائيل الخارجية مع اسيا وافريقيا ، ووجود عدة موانىء على البحر المتوسط تؤمن التجارة البحرية مع اوروبا وغيرها من الدول الواقعة في حوض البحر الابيض المتوسط. وما لا خلاف حوله ان الحملة المصرية بما فيها المساهمة الاسرائيلية لم تستطع ان تحجب حقيقتين بديهيتين يعرفهما اي انسان يمتلك حدا ادنى من المتابعة للامور .

١ — ان تكالب اسرائيل على المرور في قناة السويس امر معروف ولطالما اثارت اسرائيل ضجة حول هذا الامر منذ العام ١٩٥٠ ، وقد اتى عدوان ١٩٥٦ ليشكل محاولة اخرى من اسرائيل للمرور في القناة ولم تقف الحملة منذ ذلك التاريخ ، بل على العكس كانت تزداد ضجيجا ، وكانت تتسع لتشمل مطالب جهات اخرى غير اسرائيل للسماح بمرور سفنها وبضائعها في القناة . ومن غير المعقول او المنطقي ان تكون حملة اسرائيل حملة مفتعلة تهدف للحصول على (مكسب) سبق لها الحصول عليه ، او لانجاز هدف هي في غير حاجة اليه .

٢ — حتى لو سلمنا جدلا بان البضائع الاسرائيلية كانت تمر قبل ذلك في قناة السويس وهو اخلال صريح وواضح بمبدأ الصراع مع العدو الصهيوني ، ولكن تضمين ذلك في اتفاق رسمي ، يعطى شرعية دولية لما تحصل عليه ، وهنالك معنى هام جدا لاعطاء امر ما صفة الشرعية ، ولو استرسلنا مع اصحاب هذا المنطق الى نهايته لطرحنا السؤال التالي هل (سيطرة) الدولة العنصرية على ارض فلسطين يجعل من مسألة الاعتراف باسرائيل امرا بسيطا ونوعا من تحصيل الحاصل ، واذا كان الامر كذلك فما هو تفسير لهاث العدو وتكالبه على انتزاع الاعتراف من قبل العرب به طيلة الحقبة التاريخية التي مضت على انشاء دولة العدو ؟

ان مرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس كتمهيد في مراحل لاحقة لمرور السفن الاسرائيلية نفسها هو موضوع ذو شقين ، سياسي واقتصادي . ان السماح بمرور البضائع الاسرائيلية هو شكل من اشكال **« ممارسة التعايش »** بين العرب واسرائيل ونوع من اختبار نوايا العرب ومدى جديتهم في هذه المسألة والمرور في قناة السويس يمكن اعتباره مرحلة اولى من مراحل التعايش ، وكمقدمة لمرور السفن الاسرائيلية وبدورها مقدمة لرفع المقاطعة نهائيا عن اسرائيل وذلك بشكل متدرج وفي ضوئها تتم انسحابات اسرائيل من بعض المناطق المحتلة، بحيث لا تقدم على اي انسحاب جديد الا اذا نجحت التجربة السابقة ، وهذا هو تفسير سياسة التسوية الجزئية او سياسة الخطوة خطوة . او ما عرف تحت شعار « قطعة من الارض مقابل قطعة من السلام » . وقد قال المراسل السياسي للاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية في نشرة ١٩٧٥/٨/٢٨ ، بشأن هذا الموضوع ما يلي : « **هناك محاولة لارسال بضائع اسرائيلية عبر قناة السويس ... لاختبار نوايا المصريين** » . وهذا ما حدث فعلا ، ففي الوقت الذي يبحث فيه المندوبون المصريون والاسرائيليون تفاصيل الاتفاق ، تبحر سفينة تحمل شحنة من البضائع الاسرائيلية في طريقها لعبور قناة السويس .

وفي هذا الصدد اشارت الاذاعة الاسرائيلية يوم ١٩٧٥/٩/١٦ الى ما نشرته صحيفة واشنطن بوست و « هي احدى الصحف الموثوقة جدا في الولايات المتحدة » —

حسب تعبير الاذاعة ـــ عن « ان الولايات المتحدة الامريكية قد تعهدت خطيا بألا تتوقع من اسرائيل تطبيق التسوية الجزئية طالما لا تسمح مصر بمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس » . والاتفاق الذي اشارت اليه الاذاعة الاسرائيلية هو جزء من الاتفاق الثنائي الذي وقع بين اسرائيل والولايات المتحدة على هامش الاتفاق الذي وقع بين اسرائيل ومصر .

ان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين وتصرفاتهم تظهر حرصهم الشديد على تأمين طلباتهم بأقل قدر من الاحراج للنظام المصري ، ففي الوقت الذي قالت فيه الاذاعة الاسرائيلية يوم ١٩٧٥/٩/١٠ « في مكان ما وسط البحر تبحر سفينة .. ستمر في قناة السويس كاختبار لاحد بنود اتفاق التسوية الجزئية .. وتحمل السفينة اكثر من خمسة الاف طن من البضائع لمستوردين اسرائيليين » .. وعن حمولتها قالت الاذاعة «البضائع تشمل جديدا ومنتجات الكترونية » .. وقد انقطعت بعد ذلك اخبار السفينة ، ولكن الاذاعة الاسرائيلية عادت لتقول بعد ذلك بصريح العبارة في يوم ١٩٧٥/٩/١٤ « **الى ان المصريين اشترطوا عدم نشر معلومات عن عبور السفن** » ولذا فقد قامت « مصادر رفيعة المستوى من القدس » ـــ حسب وصف الاذاعة الاسرائيلية ـــ بالتصريح « **الى انه لا توجد نية للاعلان مسبقا عن عبور سفينة شحن في قناة السويس** » . وبهذا كانت اسرائيل تحقق شرط السادات الوحيد تجاه هذا الموضوع وهو عدم النشر .

اما على الصعيد الاقتصادي فان مرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس لا بد وان يكون له اثره على وضع اسرائيل الاقتصادي ولسوف تتشعب نتائجه في مجالات عدة . وابرزها ١ ـــ **تخفيض تكاليف النقل بنسبة كبيرة . ٢ ـــ فتح مجالات جديدة امام البضائع الاسرائيلية . ٣ ـــ استفادة اسرائيل من خط الملاحة الدولي المار في قناة السويس بين اوروبا وافريقيا . ٤ ـــ تخفيض تكاليف المنتجات الاسرائيلية وبالتالي تحسين قدرتها التنافسية . ٥ ـــ واخيرا تحسين وضع ميزان المدفوعات الاسرائيلي والغاء نسبة معينة من معونات التصدير التي كانت تقدمها الدولة للمصدرين الاسرائيليين . ٦ ـــ تخفيض تكاليف التأمين** . ولسوف نقف امام هذه النقاط بالتفصيل .

تخفيض تكاليف النقل

تشكل تكاليف النقل عنصرا ثابتا من التكاليف النهائية لاي من المنتجات وتتحدد هذه التكاليف في ضوء الوسيلة التي تعتمد لنقل السلع ، سواء كانت برية او بحرية او جوية وعدد مرات التحميل او التفريغ وغيرها من العناصر التي لا بد وان تراعى عند تقدير تكاليف النقل ، وقد اشارت الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية الى السفينة التي تحمل نحو ٥ الاف طن من الاسمنت والتي سترسو في ميناء اشدود على البحر المتوسط بعد ذلك تنقل حمولتها بشاحنات من اشدود الى ايلات ، وهنا حددت الاذاعة مقدار الخفض في تكاليف النقل الذي تؤمنه مرور الشحنات في قناة السويس اذ قالت يوم ١٩٧٥/٩/١٤ « **ان نقل الاسمنت الى ايلات مباشرة يوفر مبلغا يقدر بنحو ربع مليون ليرة** » . اي ان مقدار الوفر هو بمعدل خمسين ليرة للطن الواحد . اذ ان رسم المرور في قناة السويس هو بمعدل دولارين للطن الواحد ـــ كما ذكرت الاذاعة الاسرائيلية في ١٩٧٥/٩/١٠ وباعتبار ان الدولار يساوي ٦ ليرات اسرائيلية ، فان اسرائيل تتكلف حوالي ١٢ ليرة اسرائيلية للطن الواحد لقاء المرور في قناة السويس اي ان العبء يساوي اقل من ٢٥٪ من الوفر الذي تحقق .

وبشأن حجم البضائع التي ستحول من ميناء ايلات الاسرائيلي الى قناة السويس

في طريقها الى الموانىء الاسرائيلية على البحر الابيض المتوسط نقلت الاذاعة تصريحا لارييه مهولال سكرتير اتحاد المعتمدين على النقل الجوي يقول التصريح « **اذا تجاهلنا الناحية السياسية التي هي الاهم في الاتفاق مع مصر في المرحلة الاولى وانتقلنا الى الناحية الاقتصادية وربحية المصدرين والمستوردين الاسرائيليين ، يتضح من دراسة اجريناها ان البضائع التي تتراوح رسوم نقلها من اسرائيل واليها بين ٥٠٠ — ٦٠٠ ليرة للطن الواحد من الربح للمستوردين والمصدرين نقلها عن طريق قناة السويس .. ويمكن القول ان ثلث البضائع التي تستورد وتصدر عن طريق ميناء ايلات اليوم ، من الافضل نقلها عبر قناة السويس في المستقبل ..**» . ولادراك ابعاد كلام المسؤول الاسرائيلي لا بد ان نتذكر طبيعة فلسطين المحتلة حيث تمتد طوليا بعرض لا يتجاوز ١٨ كلم بين مستعمرتي المطلة على الحدود اللبنانية وبين مدينة حيفا ، في الوقت الذي تبلغ به المسافة بين مدينة ايلات حيث يوجد ميناء ايلات وبين مدينة القدس ٣٣٨ كلم و٣٤٢ كلم عن مدينة تل ابيب و ٤٣٥ كلم عن مدينة حيفا و٥٠٩ كلم عن مدينة طبريا و٢٣٣ كلم عن مدينة بئر السبع ، وفي الشريط الساحلي الضيق الذي يشكل عرض فلسطين المحتلة تتركز معظم المنشآت الصناعية الاسرائيلية ، هذا بالاضافة الى الكثافة السكانية العالية لهذه المنطقة ، الامر الذي يجعلها مركز حركة التصدير والاستيراد ، وبالتالي فان القسم الاكبر مما يصدر او يستورد عن طريق ميناء ايلات سيعود في النهاية الى هذه المنطقة الساحلية التي تبعد عن ميناء ايلات بحد اقصى حوالى ٥٠٩ كلم وبحد ادنى ٢٣٢ كلم .

ومن ناحية اخرى تحقق اسرائيل بمرور بضائعها في قناة السويس فتح مجالات جديدة امام صادراتها وارداتها ، وقد اشارت الاذاعة الاسرائيلية الى امكانية « ان يستخدم خط قناة السويس لنقل بضائع جديدة الى الشرق الاقصى لم نكن نفكر بتصديرها او استيرادها من تلك المنطقة » . ولادراك ابعاد ان تفتح اسواق الشرق الاقصى للبضائع الاسرائيلية علينا ان نتذكر ان السوق الممكنة للبضائع الاسرائيلية هي سوق افريقيا واسيا واي تفكير اسرائيلي بزيادة حجم الصادرات الاسرائيلية لا بد وان يتجه اولا الى هذه السوق ، لان السوق الاوروبية والاميركية باعتبارها سوقا لدول صناعية متقدمة لا يمكن ان تشكل المنفذ المربح لصادرات اسرائيل بل على العكس من ذلك فانها ستتعرض الى منافسة شديدة لا يمكن ان تجد مثيلها في السوق الاسيوية الافريقية ، خصوصا وان اسرائيل تستطيع ان تستفيد من ميزة قربها الجغرافي من هذه الاسواق قياسا بالنسبة للدول الاوروبية البعيدة ، حيث يساهم هذا الامر في تخفيض تكاليف النقل ، وان مزيدا من تخفيض تكاليف الحصول على المواد الخام ثم تكاليف نقل الصادرات سوف يزيد من القدرة التنافسية للسلع الاسرائيلية . ولا بد من مراعاة اهمية تخفيض تكاليف النقل بمبلغ يساوي ربع مليون ليرة اسرائيلية لشحنة مكونة من خمسة الاف طن ، حيث في هذه الحالة تكون اسرائيل امام خيارين احدهما افضل من الاخر فهي اما ان تحقق مزيدا من الارباح يساوي مبلغ تخفيض تكاليف النقل ، او تقوم بتخفيض الاسعار بمبلغ يساوي ما حققته من وفر في تكاليف النقل وهذا التخفيض في الاسعار ولو بنسبة قليلة يتحول تلقائيا الى زيادة في الطلب على السلع الاسرائيلية وزيادة في قدرتها التنافسية . وكلا الخيارين ممتاز بالنسبة لاسرائيل ، حيث تتحول بعض السلع من سلع قد تلحق خسائر بالمنتج الاسرائيلي الى سلع مربحة .

واما الانجاز الثالث فهو استفادة اسرائيل من خط الملاحة الدولي بين اوروبا وافريقيا عبر قناة السويس . وقلما كانت تجارة اسرائيل الخارجية تستطيع الاستفادة من هذا الخط . فقبل الاتفاق الاخير كان يحرم المرور في قناة السويس على اي سفينة تحمل بضائع اسرائيلية حتى ولو كانت جزءا من حمولتها ، ومن المعروف ان خط رحلة

معظم السفن يبدأ من الموانىء الاوروبية مرورا بموانىء البحر الابيض المتوسط انتهاء بالموانىء الافريقية . وغالبا ما تقف هذه السفن في معظم الموانىء التي في طريقها حيث تقوم بتفريغ او تحميل شحنات ، لان شحنات هذه السفن لا تقتصر على بلد واحد . اي ان هذه السفن لا تنقل شحنة خاصة لبلد واحد الا في حالات نادرة . ونتيجة لموقف الدول العربية من مقاطعة اسرائيل فلم تكن شركات الملاحة تفكر بارسال سفنها الى الموانىء الاسرائيلية او تحميلها شحنات تخص اسرائيل ، ولهذا السبب فقد كانت اسرائيل مضطرة للاعتماد على سفن خاصة بها سواء مؤجرة او تابعة لشركة « زيم » الاسرائيلية لنقل بضائعها . هذا بالاضافة الى عمل شركة الملاحة الاسرائيلية على خطين منفصلين هما خط ايلات ـ افريقيا ـ اسيا وخط موانىء البحر المتوسط ـ اوروبا ـ اميركا ، ولم يكن من السهل عليها نقل سفينة من خط لاخر في ضوء حجم الضغط الموسمي الذي قد يتعرض له احد هذين الخطين .

ان اضطرار اسرائيل في الغالب لنقل بضائعها على سفن شحن خاصة قد حرمها بشكل عام من ميزات وفوائد « النقل الكبير » . اذ بمقدار ما يكون حجم الناقلة كبيرا بمقدار ما تنخفض تكاليف النقل . وفي حالة سفينة شحن حمولتها ١٠٠ الف طن ومحملة بالكامل فان تكاليف نقل الطن الواحد هي بنسبة حمولة السفينة الفعلية الى حمولتها الاسمية . اي ان تكاليف نقل خمسة الاف طن هي خمسة الاف الى مئة الف طن. لان الجزء المتبقي من حمولة السفينة يكون في الغالب لدول اخرى . واما في حالة اسرائيل فانها مضطرة لتحمل نفقات السفينة كاملة حتى ولو كانت محملة بأقل من طاقتها . وفي هذه الحالة تتضاعف تكاليف النقل بنسبة قريبة من نسبة الحمولة الاسمية للسفينة الى حمولتها الفعلية . ويحضرنا في هذه الحالة مثل بسيط من واقعنا اليومي كذلك الذي ينتقل بالسرفيس ويتحمل اجرة راكب عادي بالقياس الى شخص اخر يضطر للانتقال بسيارة اجرة خاصة حيث يتحمل في هذه الحالة تكاليف مضاعفة خمس مرات على الاقل .

لقد حاولت اسرائيل ان توجد حلا لهذه المشكلة ، ولكن خياراتها كانت صعبة ومكلفة ، فاما الاعتماد على بواخر شحن خاصة لنقل منتجاتها فقط وفي هذه الحالة تدفع تكاليف نقل مضاعفة واما انها تضطر لتجميع الشحنات بحيث لا تقوم البواخر بالشحن الا بعد توفر حمولة كاملة للسفينة وفي هذه الحالة تضطر اسرائيل لتاخير وصول او ارسال شحناتها . ولهذا الامر انعكاسات سلبية جدا على علاقتها بزبائنها المحليين او الخارجيين ولن تستطيع مراعاة اعتبارات السوق كما يجب ، لان التجارة كثيرا ما تعتمد على وصول الشيء المناسب في الوقت المناسب ، هذا بالاضافة الى ان كثيرا من الشحنات لا تستطيع الانتظار طويلا ، سواء لاعتبارات تتعلق بالموسم او لاعتبارات السوق . اما الخيار الثالث فهو اعتماد اسرائيل على سفن شحن صغيرة حمولتها ضمن حدود ما تحتاجه السوق الاسرائيلية ، ومثل هذا الخيار صعب ايضا ومكلف ، لان مثل هذه السفن بطيئة بالقياس الى السفن الضخمة اضافة الى عدم توفر الاجهزة الحديثة بها من مخازن ذات تهوية . . الخ وهي اعتبارات تؤثر على سلامة وصول الشحنة بالشكل المناسب .

ان ما تقدم هو ما دفع الاذاعة الاسرائيلية للقول بلسان احد المسؤولين الاسرائيليين عن **« ان بعض الشركات الاجنبية لم تكن في الماضي تفكر بارسال سفنها الى موانىء البلاد بسبب المقاطعة العربية وبسبب ذلك البند الشهير في فواتير البضائع الذي يمنع البضائع من المرور في قناة السويس في حال ارسالها الى اسرائيل . . وهكذا فان السفن الاجنبية التي لم تكن تحضر في الماضي الى موانئنا ستبدأ باستخدام ميناء**

اثمدود وميناء حيفا في طريقها من الشرق الاوسط الى موانىء اوروبا عبر قناة السويس)).

ان ما تقدم يوضح بما لا يقبل الجدل ان السماح بمرور البضائع الاسرائيلية سوف يؤدي بشكل مباشر او غير مباشر الى تخفيض تكاليف نقل البضائع الاسرائيلية ، لان لموضوع السماح انعكاسات وابعاد تتجاوز حدود الخفض المباشر لتكاليف النقل والذي اتضح في العرض السابق . ان هذا الامر له انعكاسات مباشرة على تكاليف السلع الاسرائيلية ، وان مجرد خفض هذه التكاليف سيؤثر مباشرة على القدرة التنافسية للسلع الاسرائيلية بحيث يزيد تلقائيا من صادرات اسرائيل . وان لزيادة الصادرات انعكاساتها المباشرة على وضع ميزان المدفوعات المتدهور لاسرائيل ، خصوصا اذا ما اضيف لهذا الامر تطور اخر حصل على هامش الاتفاق بين نظام السادات واسرائيل . فقد ((**خفضت مؤسسة التامين في لندن بنسبة ٥٠٪ رسم التامين ضد اخطار الحرب على جميع البضائع الاتية والخارجة من والى الموانىء الاسرائيلية الثلاثة .. وان هذا التخفيض سيعود بوفر كبير على المستوردين والمصدرين . وقد جرى هذا التخفيض في اعقاب التوقيع على التسوية الجزئية مع مصر**)) . هذا هو ما ذكرته الاذاعة الاسرائيلية يوم ١٩٧٥/٩/١٢ وهو احد الثمار الاقتصادية للاتفاقية .

ان تخفيض تكاليف السلع الاسرائيلية كنتيجة للتطورات الاخيرة سوف يرفع عن عاتق الحكومة الاسرائيلة عبئا ثقيلا طالما تحملته بسبب الظروف غير الطبيعية التي كان يعمل في ظلها الاقتصاد الاسرائيلي فقد درجت الحكومة على تعويض المصدرين من خلال ما يسمى((**باعانة التصدير**)) والتي كانت تبلغ حوالي ثمن(١/٨) قيمة المنتجات، وقد اشار كتاب (بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي الصادر عن مركز الابحاث) الى ان الحكومة الاسرائيلية قد دفعت ٦٠٠ مليون ليرة كاعانة تصدير للمصدرين ، حتى يستطيعوا الصمود في السوق الدولية . ان السؤال الذي يطرح الان هل ستستمر الحكومة الاسرائيلية بدفع اعانات التصدير ؟.. بالتاكيد ان هذه الاعانة ستكون عرضة للنقص بدرجة كبيرة ، او الى الالغاء بشكل كامل بعد ان زال الظرف الاستثنائي الذي كان يعمل في ظله المنتجون الاسرائيليون .

ان هذه المكاسب التي اعطيت لاسرائيل هي بالتاكيد ذات (طابع عسكري) ، ولكن ليس كما يفهمها الفريق الجمسي وغيره من المسؤولين المصريين ، بل بمعنى ان تدعيم القدرة الاقتصادية للخصم هي تدعيم لقدرته السياسية والعسكرية .

ان الاتفاق المذكور يجب ان يفهم ضمن سياقه العام ، واسرائيل التي انتزعت هذا القدر من المكاسب ضمن قدر معين من الانسحاب ، تطمع بانتزاع مكاسب اكبر في المستقبل . واذا كانت الخطوة الاولى مرور البضائع ، فبمقابل الخطوة الثانية سوف تمر السفن الاسرائيلية نفسها . والخطوة الثالثة لا بد وان تكون دخول البضائع الاسرائيلية للاسواق العربية ، لان هذا هو السلام الاسرائيلي وهذه هي الشروط الاسرائيلية لتحقيق التسوية . وبدلا من ان تتحقق شعارات العرب وطموحاتهم ، بدىء بتحقيق شعار اسرائيل للسلام الذي عبر عنه خطاب ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق الذي القاه عند افتتاح مؤتمر جنيف حيث قال عن السلام المقترح ((**ان اسرائيل تعتبره واقعا انسانيا جديدا ، ليس سلاما على الورق فقط وليس حدودا محكمة الاغلاق .. ان على اتفاق السلام ان يضع حدا لاي حصار او مقاطعة او عداوة**)). وكان ييجال آلون قد اكد قبل ذلك على « الارتباط الوثيق بين المبادرة السياسية والمبادرة الاقتصادية .. وانه يأمل بالتعاون الاقتصادي بين اسرائيل وجاراتها قبل احلال السلام الدائم .. » .

خليل حاوي يكتب
ملحمة الانسان والحضارة

ريتا عوض

لعل احدى السمات الاساسية التي اختص بها الشعر العربي الحديث هي اعادة ربط الفن الشعري بالبناء الحضاري الذي ينبثق الشعر عنه ويكون صورة له . فعاد بذلك الشعر الحديث الى الدور الذي كان يقوم به في الاطوار الاولى من الحضارة الانسانية حين كان الشاعر نبي القوم وكاهنهم وساحرهم وقائدهم السياسي والاجتماعي . وهذه هي احدى الدلالات التي تحملها فلسفة الالتزام التي اعتنقها الشعراء المحدثون : ان الشاعر الحديث — بالضرورة — ملتزم بقضية الانسان والحضارة . وليس هذا القول تعميما تجوز فيه استثناءات — كثرت ام قلت — بل هو تعريف يحدد الشعر الحديث ، وكل ما يخرج عنه لا يعد شعرا حديثا ، لان الحداثة لا تعني المعاصرة من حيث الزمان بل تنطوي على خصائص معينة لا يمنع ان يتسم بها بعض الشعر العظيم وان كان سابقا على عصرنا .

من هنا كان الشاعر العربي الحديث هو الشاعر الذي وعى العلاقة الجدلية التي تربط بين الانسان والحضارة من حيث ان الانسان ابو الحضارة وابنها ، وهو الفاعل فيها والمنفعل بها . كما وعى قضية الحضارة العربية من جنينيتها الجاهلية الى ولادتها بانبثاق الدعوة الاسلامية وفتوتها وشبابها الى هرمها وشيخوختها وموتها . وعانى معاناة يومية عميقة وحادة مسألة التحديات التي تواجهها الحضارة العربية منذ اكثر من قرن ، وكان صاحب موقف راسخ وواضح من هذه المسألة . ولا انكر ان هذا التحديد يقوم على شروط صعبة لا يطالها عدد كبير ممن اصطلح على تسميتهم « شعراء » ، لكنه حيوي لمن حمل على عاتقه مهمة النبي والقائد .

ان القضية الحضارية الاساسية التي تطرح ذاتها على الشاعر العربي في هذا العصر هي موت الحضارة العربية وانبعاثها . وقد برزت اسئلة عديدة كان على الشاعر ان يكتشف بحدسه اجابات لها : هل نحن في عصر انبعاث ام هل الحضارة العربية ما زالت تعاني الموت والاضمحلال ؟ واذا كان موتا ، كيف يتم الانبعاث ؟ وان كان انبعاثا ، هل هو انبعاث اصيل ؟ وما هي القضية الاساسية التي يمكن ان تكون محكا يقرر اجابة على هذه الاسئلة ؟

تفاوتت اجابات الشعراء على هذه الاسئلة ، كل بقدر نفاذ حدسه وصدق وعيه لقضية الانسان والحضارة ، وعمق فعله وتفاعله مع المسألة الحضارية باشكالها جميعا . ولعل خليل حاوي ، احد رواد الشعر الحديث ، كان من اكثر هؤلاء الشعراء وعيا وانفذهم حدسا واشملهم ثقافة واعمقهم تجربة واشدهم اخلاصا ووضوحا في موقفه . من هنا كان نتاجه الشعري كشفا اضاء جوانب كانت مظلمة بالنسبة للانسان العادي الذي يفتقد ملكة الرؤيا التي ينفرد بها الانبياء والشعراء ، ووفر اجابات سبق بها الاحداث التي جاءت لتؤكدها .

فمن ديوانه الاول **نهر الرماد** (١٩٥٧) الذي طرح فيه قضية الحضارة في الشرق والغرب ، فوجد الشرق منجذبا في حلقات الدراويش يعاني من سبات طويل عميق والغرب متحجرا في آليته يعاني قتسعريرة الحياة المولية ، الى ديوانه الثاني **الناي والريح** (١٩٦١) الذي غنى فيه انبعاثا عربيا شاهد انبثاقه في بشائر الوحدة العربية بين مصر وسوريا التي رأى فيها منطلقا لوحدة عربية شاملة هي الدليل القاطع على انبعاث الحضارة العربية بعد موت طويل ، وحتى ديوانه الثالث **بيادر الجوع** (١٩٦٥) الذي عاني فيه مأساة الانفصال التي صفعته وايقظته من وهم ظن بعض الوقت انه اليقين ، فكانت قصيدته « لعازر ١٩٦٢ » التي صورت الانسان العربي متشبثا بالموت، رافضا الانبعاث ، ميتا في الحياة — فقرر ان انبعاثه كان مشوها وغير اصيل .

كانت مأساة سقوط البطل العربي مأساة خانقة لخليل حاوي على الصعيدين انتوأمين : الحضاري والشعري . فعلى الصعيد الحضاري تمثلت ازمة الحضارة العربية التي وصلت الى مأزق لم يسعها ان تخرج منه : فاذا كانت الوحدة هي النتيجة الحتمية للعوامل والعلل التي تؤدي الى الانبعاث فان ما ينطوي عليه الانفصال من نواقص وعاهات ليس سوى نذير بانتصار الموت واستمراره . وعلى الصعيد الشعري عانى الشاعر مأساة رؤيا خادعة بشرته بالانبعاث في **الناي والريح** ، او لعلها كانت وهما تنكر رؤيا . لكن هل يمكن ان يخدع الشاعر ؟ وهل بقي هناك في الكون كله من يقين؟ لعل الرعب الذي عاناه خليل حاوي حين تمثلت له قصيدة « لعازر ١٩٦٢ » بصدقها الموجع كان سببا اساسيا في صمته الطويل الذي تلا القصيدة . وكان استمرار الاوضاع والعاهات التي كشفتها القصيدة عاملا ثانيا في هذا الصمت : فقد عبر عما يعتمل في خضم الحضارة العربية من تيارات وصور وعوامل فلماذا يكرر القول ؟ ثم جاءت هزيمة الامة العربية عام ١٩٦٧ لتؤكد الرؤيا التي تكشفت لحاوي منذ عام ١٩٦٢ . ولم تكن الهزيمة بالنسبة اليه مفاجأة او صدمة كما كانت لكثيرين ، بل كانت نتيجة حتمية لصور الموت والدمار التي اعلنت عن ذاتها في « لعازر » . لذلك لم ينح خليل حاوي كما ناح كثيرون ولم يصرخ ولم يلعن ولم يلق اللوم على هذا او ذاك ، بل تألم في صمت من كان يحلم بنبأ يكذب ما رآه وعاناه فانقض عليه نبأ اكد المأساة بحيث لم يعد هناك مجال للشك .

لم يصدر لخليل حاوي اي ديوان بعد هذه الدواوين الثلاثة . غير ان حاوي لم يرحم ذاته او لم ترحمه ذاته من الانصهار في اتون الابداع الشعري ، فكانت السنوات الثماني الاخيرة منذ عام ١٩٦٧ الى اليوم فترة مخاض مؤلم تولدت عنها اربع قصائد ستنشر قريبا في ديوان . ولعل هذه الفترة كانت صورة لمرحلة جديدة من مراحل نتاج حاوي الشعري .

ظلت قضية الحضارة العربية محورا ترتكز اليه تجربة خليل حاوي الشعرية في هذه الفترة . بل ان القضية اصبحت اكثر جدية وخطرا مما كانت عليه في اي وقت مضى ، لقد كانت هناك مجالات لشك وامل في الماضي ، اما الحاضر فقد اعلن عن ذاته بوضوح لا يسمح بالتباس او تأويل . ان الامة العربية بعد قرن كامل من البحث عن استجابة اصيلة للتحدي الغربي الساعي الى تذويب شخصيتها الحضارية ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وجدت نفسها منهزمة امام هذا التحدي في هزيمتها امام الحركة الصهيونية التي اتخذها الاستعمار الغربي مطية لتحقيق اغراضه في العالم العربي . ولم تكن الهزيمة العربية بنت الساعة ولم تكن خطأ استراتيجيا او تكتيكيا ولم تكن مسؤولية هذا البلد العربي او ذاك ولم تكن خطيئة زعيم عربي او آخر. كانت الهزيمة

العربية مسؤولية كل انسان عربي في القرن الاخير في تفاعله مع الواقع الحضاري وكانت اعلانا عن تقصير الحضاره العربيه عن تقديم الاستجابة الصحيحة للتحدي الذي يواجهه . من هنا يمكن القول ان قضيه فلسطين هي المحك الذي سيقرر موت الحضاره العربيه او انبعاثها ، لان التحدي الصهيوني هو تحد حضاري في الدرجه الاولى، وان الاستجابه العربية ستقرر اذا كانت الحضارة العربية تحمل في احشائها طاقه على الاستمرار او ان شعلة الحياة انطفأت ولم تعد قابله للاشتعال .

وعي خليل حاوي هذه القضية وكانت اطارا ضم في داخله قصائده الاخيرة وكانت محورا انبثقت عنه وارتكزت اليه ، من قصيدة « الام الحزينة » (١٩٦٧) الى «ضباب وبروق» (١٩٧١) الى « الرعد الجريح » (١٩٧٣) الى « رسالة الغفران » (١٩٧٤) . وتعد هذه القصائد الاربع قصيده واحدة تنتظمها تجربة واحدة تطورت عبر السنوات الثماني وكانت ملحمة الانسان والحضارة . وساقصر هذه الدراسة على تحليل القصائد الثلاث الاولى منها . وستكون لنا عودة الى القصيدة الرابعه .

كانت التجربة التي عاشها حاوي في قصيدته « الام الحزينة » التي كتبها بعد هزيمة العرب في حزيران هي ذاتها التجربة التي عبرت عنها قصيدة « لعازر ١٩٦٢ ». من هنا كانت قصيدة قصيره جاءت لتؤكد صدق الرؤيا الموجعة ومطابقتها للواقع المؤلم. ويلاحظ دارس القصيدة ان المأساة فيها ليست مأساة البطل بل مأساة الام التي هي الارض والحضارة . وكان الشاعر استعار عنوان قصيدته من التراث المسيحي حيث كانت العذراء مريم ام المسيح هي الشخصية المأساوية التي عانت بموت ابنها موت جزء من ذاتها دون ان تعرف يقينا انه سيبعث . ولم يعان المسيح مأساة الموت لان موته لم يكن سوى سبيل لانبعاث يقيني هو الحياة الابدية . اما في القصيدة فان الام تعاني المأساة لان جذوة الحياة لم تنطفىء في اعماقها وهي تعيش موتا بطيئا مستمرا بموت كل عضو من اعضائها على حدة . وهي ام حقيقية عريقة واصيلة الامر الذي يزيد من مأساة انهيارها وموتها . اما البطل فهو غير موجود : انه ميت منذ مطلع القصيدة . وبانتفاء وجود البطل انتفت المأساة من حيث هي ملحمة بطولة وسيادت حالة ركود وموت مطلق . لذلك لم يكن هناك مسيح واحد فاد ، بل « الف مسيح ومسيح» ماتوا في اجواء قاحلة مظلمة تؤكد موتا ابديا لا يتلوه انبعاث . فكان كل واحد منهم مسيحا ليس في كونه ميتا منبعثا بل في عدم كونه بطلا مأساويا . وكانت هذه القصيدة في بنائها موازية لبناء قصيدة « لعازر » اذ لم يكن لعازر بطلا مأساويا بل ميتا يشتهي موته ويرفض ان يتخطاه . وكانت زوجه شخصية مأساوية لانها تعي الحياة وتكره ان تنجر الى حفرة زوجها ، لكن قوى داخلية وخارجية تعمل مجتمعة على جرها نحو الحفرة دون ان تقوى على مقاومة كبيرة لانها هي ايضا تعاني شيخوخة وعجزا ومرضا .

تبدأ القصيدة بصورة مرعبة خانقة يتحول فيها الله ، العلة الاولى ، صخراء مجدبة قاحلة تعجز عن الخلق والعطاء . وينقطع الكون انقطاعا تاما عن مبدعه فترفع العناية ويقف الانسان وحيدا في كون تخلى عنه خالقه لانه فقد قدرته على الابداع والخلق . وتكون المأساة الاساسية في القصيدة هي مأساة موت الله . واذا كانت هذه المأساة هي احدى المبادىء التي قامت عليها بعض المذاهب الفلسفية في العصر الحديث ، فانها اتخذت طابعا مغايرا واكثر حدة في هذه القصيدة . فاذا كان نيتشه الذي طرح هذا المبدأ يؤمن بان الانسان يستطيع ان يتخطى ذاته ويتفوق عليها وان يحل محل الاله الميت فان حاوي يعلن في هذه القصيدة موت الانسان ايضا وسيطرة عنصر الشر سيطرة تكاد تكون مطلقة . من هنا كانت مأساة حاوي اكثر حدة ومرارة من مأساة

الانسان الغربي الحديث الذي وعى موت الله لكنه سعى لاحتلال مكانه . وتتمثل الارض العربية صحراء كانت قبسا ميتا من ذات خالقها الميت ، وارتدت الى ما قبل المناداة بالدعوة الاسلامية التي مثلت ولادة الحضارة العربية : ان الله صامت لم يلق كلمته ، فليس من رسالة وليس من حضارة . يقول :

ما لوجه الله صحراء

وصمت يترامى عبر صحراء الرمال

وفي حالة موت الله ترفع العلل ويختل نظام الكون وينتفي الثبات ويزول اليقين ويغدو كل شيء ممكنا . وتنهزم في نفس الانسان العربي المناقب العربية الاصيلة وتنقلب القيم ويسيطر نقيض ما عرف عن حياة البداوة العربية من احوال : فبديل ان يشعل العربي ناره ليهتدي بها الضيف اغتصب الضيف دار مضيفه واوقد هو النار ليؤكد ان ما اغتصبه صار ملكا له . واصبحت الافاق الواسعة جدران مغارة هي صورة للقبر الذي يضم الانسان العربي ، ومشت الغابة وكأن جذورها لم تعد متغورة في احشاء الارض تأخذ منها وتعطيها وانحلت الروابط جميعا وهبت ريح عقيم ليست ريحا شفافة ممطرة بل موحلة تحمل في طياتها امواجا من الرمال ، ولم يتحرك الانسان العربي ليطلب الثأر كما كان يفعل في طفولة حضارته وفتوتها بل تقاعس عن بلوغ مثاله الحضاري لان جذوة الحياة انطفأت في داخله ، يقول :

ما لضيف غاصب
يوقد ناره
حوله الآفاق جدران مغاره
حوله ايدي الرجال
غابة تمشي
ويمشي معها تيه الصحارى والبطاح
ويمحي دربها
موج من الرمل المدوي في الرياح
ما ترى تحكي الرياح
عن جراح ماتها الثأر
وما يسكب من شوء ومسك
في الجراح

وتكون المأساة في موت المأساة واختفاء الملحمة وانتصار عنصر الشر انتصارا مبرما. استبيح البيت المقدس وليس من يدافع عنه بعد موت ربه ، وتخاذل عنصر الخير عن امتطاء الريح ومحاربة عنصر الشر والقضاء عليه . وبانتصار اليهود، وهم الذين سماهم المسيح ابناء الافاعي ، انتصرت الافعى — علة سقوط الانسان — وسيطر عالم السقوط وتكرست سدوم اليهودية سيدة مطلقة لم يعد هناك من ينذرها ويسقط لعنته عليها ، يقول :

ما لبيت القدس ، بيت الله
معراج النجوم
ما لم يحمه سيف ملاك
يمتطي الريح وابراج التخوم

يضرب الكنار ، ابناء الايامي
من سدوم

ويتحول الانسان العربي الى عكس ما كان عليه عند انبثاق الدعوة الاسلامية . فهو لم يعد مندفعا الى حماية بيت المقدس وافتدائه بروحه ، ولم تعد تشتعل فيه حمية من يثور على العار ويرفض وجوده ، ولم يعد يهمه الاخذ بثأر من استبيح من الضحايا . هو بايجاز نقيض البطل العربي في الفتوحات الاسلامية حين كان يؤمن ان بينه وبين الجنة لحظات يختصرها رمح يستقر في صدره فيستشهد في سبيل ما يؤمن به من مبادىء . لهذا كانت الدعوة الاسلامية ولادة حضارة وكانت حرب حزيران تكريسا للموت والاضمحلال ، وكان الانسان الذي خاض حرب حزيران ميتا ولم يمت في الحرب فانتفت بذلك المأساة ، ولم تكن حربه حرب بطولة بل كانت ذلا وسقوطا ، يقول :

ما حماة البيت ، والعار يغني
والضحايا تستباح
لم تر الجنة في ظل الرماح
ويظل العار حيا في جفون الميت
حيا
تجلد الميت رؤاه وتذله
لن تروي قبره
رائحة الغار وظله

لكن الشاعر هو نفسه يحس بالعار ، ويقف حائرا غير متأكد اذا كان احد غيره يعي هذا العار ويتألم منه . فيكون الشاعر بذلك رائدا يتخطى وعيه وعي الجماعة الراكنة الذليلة التي لا يؤثر فيها شعور بالذل . وتتكرر صور الموت في مخيلة الشاعر فتكون ايامه ولياليه المؤرقة سلسلة من الجنازات الصاخبة . ويسيطر ظلام كلي : فبديل أن يحمل الصبح شمسا منبعثة فتية يأتي بجنازات متتابعة يبدو كأن ليس لها نهاية ، وتخمد العزة العربية التي طالما التمعت في الجباه ، ويسقط السيف عاجزا محطما ، وتلف العالم العربي من محيطه الى خليجه غلالة حداد سوداء لا يتراءى خلالها غير ضفة نهر الاردن الذي كان يوما رمزا لانبعاث المسيح في المعمودية فغدا مع هزيمة حزيران صورة اخرى من صور موت متحجر يرفض الانبعاث . ويحس الفلسطيني المشرد وحده بالاضافة الى الشاعر الم الهزيمة ، لان الفلسطيني — كما يبدو في القصيدة — لم يمت وان لم يكن فاعلا . فما زال في داخله بصيص امل بالعودة يدفعه للاحتفاظ بمفتاح داره وان صدىء لطول الانتظار . لذلك يسمي الشاعر الفلسطينيين « بالعائدين » ، لانه يؤمن ايمانا يقينيا بانهم لا بد ان يعودوا . يقول :

ما لثقل العار !
هل حملته وحدي
وهل وحدي ترى كفنت وجهي بالرماد
الجنازات التي يحملها الصبح
تدوي في جنازات السهاد
الجباه انطفأت وانطفأ السيف
واشواه البروج

ليس في الافق سوى دخنة نحم
من محيط لخليـــج
ليس في الافق
سوى ضفة نهر ، وبيوت لا تبين
صدئت في خيم المنفى المفاتيح
بايدي العائدين ،
ليس في الافق
سوى صمت السؤال
من حماة القدس
والعار المغني خلف آثار النعال
وضمير الله صحراء
وصمت يترامى عبر صحراء الرمال

وتبرز مأساة الام الحزينـــة في المقطع الاخير من القصيدة . وقد كانت مأساتها اكثر ايلاما من مأساة العذراء مريم : فان كانت مريم شيعت مسيحـــا واحدا فان الام العربية الحزينة شيعت الـــف مسيـــح ومسيح تشك شكا حقيقيا في امكـــان انبعاثهم . ولم يعد المسيـــح في القصيدة رمزا للفداء والخلاص فكان على كل انسان ان يعمـــد ذاته بمـــوت يبـــدو انـــه لا ينطوي على بذرة الانبعاث ، اذ ليس هناك من يفتديه . وتفقـــد الام الحزينة وعيها وتبحر في سديمية اللاوعي فتنحل الروابط المنطقية وتعيش تجربـــة الجنـــون من حيث هو انقطـــاع وفوضـــى وعدم يقين ، وتدمن العـــذاب وتنتشي بالحزن وتقيم اعياد الجنـــون وكأنها اغاي ام بنثيوس : القى عليها ديونيسوس لعنة الجنون فقتلت ابنها على غير وعي منها وانتبهت فجـــأة وتكثف وعيها بعظـــم الفاجعة وبعجز الانسان امام القوى الخارقة . ولا تستطيع الام ان تطال رحمة الموت ونعمته ، لان حالة الموت في الحياة التي تعاني اقســـى مـــن الموت وكأنهـــا بحار كولريج العتيق الـــذي حلت عليه لعنة الموت في الحياة فعاش على ظهـــر سفينة تخلت عنها العناية الالهية في اعماق محيط تجمدت فيه الامـــواج والريـــاح ، ووقف وحيدا في مواجهة بحارة اموات ـــ اراحهم الموت من هـــول المأســـاة ـــ ترمقـــه عيونهم الميتة بلعنة ابدية . فكانت السفينة والبحار صورتين لحقيقة واحـــدة . وليست الام في قصيدة حاوي سوى تلك السفينة المتجمدة وهي البحـــار العتيق : يوازي ما تجمد في داخلها صور الجمود المحيطة بها ـــ انها صخر يرتمـــي علـــى الصخـــر ، يقـــول :

ما لام شيعت
الف مسيح ومسيح
واراقت دمها المجنون في اعياد حزن
وانتشت بالحزن واشتلت جنونه
ما لها الام الحزينة
ترتمي صخرا على الصخر
سوى شعر يلوح
خصل تنفضها الريح وتلقيها
على طفل ذبيح

وتتحد الام اتحادا مطلقا بالارض . لكن الارض صارت يبابا : سيطر عليها التنين واعتلى عرشها وقتل الملك الصالح وحمل الميزان ليرجح كفة الشر استجابة لطبيعته الشريرة . وتحول الكون كهفا ضلت الشمس طريقها اليه فتجمد فيه الزمن كما تجمد في كهف الفتية المؤمنين : « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه » (الاية) لكن هل يكون هذا القبر رحما يتفتح عن الحياة ام هل سيظل قبرا متجمدا لن يطاله دفء ونور ؟ ان التنين انشب انيابه في وجه الام وادماه واستقرت حربة الخضر في وجهها ايضا لانه خضر قتيل لا يعرف اين يصوب حرابه . فكانت الضحية ضحيتين :ضحية التنين الشرير وضحية البطل الميت . ويبرز اتحاد الام بالارض في ان وجهها المدمى الذي التمع فيه الناب والحربة هو نفسه الارض اليباب التي امتص التنين منها الدفء والحياة وتركها وحيدة تبحث عن اله يتخفى وراء جدران الصمت ويهرب الى سماء مجدبة تعاني موت الصحراء . ويتجمد في عروق الام دم الحياة وتنهار السى حفرة اللامبالاة ويكون ذلك اعلانا عن موتها هي ايضا ، يقول :

ما وحوش تدمي الميزان والعرش
وترهو وتغالي
تدفع الارض الى كهف
تضل الشمس عنه ، ومصابيح الليالي ،
ما التماع الناب والحربة
في وجهي المدمي
خصرتي ، لحمي ، دمي
ارضي التي يمتصها كابوس حمى
ما جدار الصمت في وجه الله
يتشاءى عبر صحراء الاعالي
في عروق الام صمت حجري لا يجالي

قدم خليل حاوي في قصيدة « الام الحزينة » صورة قاتمة للانسان العربي والحضارة العربية . وكانت القصيدة رؤيا سوداء فاجعة جسدت صورا متعددة لموت كلي لا ينذو انه يبشر بالانبعاث . لكن القصيدة تحمل بصيصا خافتا من النور يتمثل في الانسان الفلسطيني الذي ما زال يحافظ على مفتاح داره في فلسطين وان تآكله الصدأ ، لان الامل يزاوده بالعودة . هذا النبض الذي تكشفت عنه الرؤيا كان نبوءة بتحرك فلسطيني تحقق في السنوات التالية في انطلاقة حركة المقاومة الفلسطينية .

بعد هذه القصيدة صمت خليل حاوي مدة اربع سنوات : احس بالاختناق من الرؤيا الجحيمية التي انشبت اظفارها في جسده وروحه ، وغصت الكلمة بالرؤيا ولم تستطع أن تجسد ما فيها من رعب وهول . وفي عام ١٩٧١ كتب قصيدة « ضباب وبروق » التي تعبر عن مرارة من اعتاد الهزيمة فصارت جزءا طبيعيا من حياته اليومية ، فاختفى الحزن لتحل محله سخرية مريرة اشد ايلاما من الحزن . وكان الضباب الذي يحجب الرؤية هو العنصر المسيطر على القصيدة ، لان الشاعر ما زال يعيش في كهف الرؤيا القاتمة لا يستطيع ان يرى خلالها غير سواد متحجر . لكن هناك بروقا تلمع وتخبو وسط الضباب . هل هي بروق حقيقية تبشر بمطر قريب ام انها مجرد سراب مدع متلون ؟ ان الشاعر في

هذه القصيدة ليس على يقين . أنه ينظر التماعات يخاف ان يحدد طبيعتها خوفا من السقوط في الوهم لكنه يجسد ما يرى . ويعود الضباب ويلف كل شيء ولا تحل نعمة اليقين .

تبدأ القصيدة بالابحار في أعماق الذات ، والشاعر يجلس في المقهى وكأنه ركن هو ايضا الى ما يشبه الخمول بعد ان فقد امله بجدوى الفعل وسط عالم سيطر عليه الموت والعدم وعاد الى السديمية الاولى قبل فعل الخليقة . واصبح قلب الشاعر عشا ليوم يفرخ ويتكاثر فيزداد شعوره بسيطرة الخراب والدمار ويموت في نفسه نبض البطولة ويفقد نعمة الاحساس بالالم الذي يؤكد له انه ما زال حيا ويسود مكانه شعور باللامبالاة معادل للموت . وكأن الهزيمة لطول ما سادت وتحكمت اصبحت جزءا طبيعيا من ذات الشاعر التي كانت في مطلع القصيدة صورة لذات كل انسان آخر اختار ان يفني الساعات الميتة في المقهى ، يقول :

طالما اوغلت في بحر خفي
لا يداني
شطه المرصود ايقاع الثواني
حيث لا يشتد هول الموج
حتى يمحي نجم ومبح وموانى

الى ان يقول :

واري عبر الوجوه المم
في المقهى العباب
ضبت وجهي ووجومه
افرخ اليوم
ومات النسر
في قلبي الذي اعتاد الهزيمه

ويجسد الشاعر مأساة الحضارة الميتة التي غدت معلبة في المقاهي في صورة ساخرة مريرة : ان الفارس البطل الذي خاض الفتوحات العربية وابدع انتصارات خارقة مسخ خصيا حقيرا تجلده الشهوة ويلجمه العجز ، فتسخر الجواري من عجزه وخيبته ويهزأن به . لكنه يظل « فارسا » دونكيشوتيا يجد من يهابونه ويستكينون عبيدا له لانهم اشد منه عجزا واكثر تجمدا ومشاركين له في الموت . وتتحول الارض خرابا لان الملك الصياد يعاني شيخوخة وضعفا ويقف عاجزا عن اشباع شهوة ازواجه . فتحل اللعنة وتجف الينابيع ويذوي الزرع وتغدو الارض صحراء ميتة تعاني شيخوخة ملكها وعجزه . واذا كان ابو الطيب المتنبي قد احس ان بداية انهيار الحضارة العربية يستدل عليه — فيما يستدل — بتسلط خصي اسود على الحكم ورضوخ الفحول البيض امامه ، فان حاوي يرى أن هذا الخصي لا يزال في السلطة منذ اكثر من الف سنة مؤكدا بذلك ان الانهيار والتفسخ والركون آفات ظل يعاني منها الانسان العربي والحضارة العربية حتى اليوم : ان تفتت الدولة العربية العظمى الى دويلات تحارب احداها الاخرى كان مأساة عاشها المتنبي فحاول في شعره ان يعيد خلق الفارس العربي الاصيل ، وبقي استمرار ذاك التفتت وتلك الحروب الداخلية هو المأساة التي حاول

حـــاوي ان يتخطاها باحـــلام الوحدة والانبعاث التي تكشفت عن سراب ، يقول :

طالما ماينت رسما
في ضباب التبغ ينمو بين
عيني وينمو في وجوم
يتخطى نسخة المقهى
ويخفي ظله سيل الرسوم
كيف كانت تلتوي الشهوة
في وجه خصمي
سخـــرت منه الجواري
يمتطي الفرسان
مرهوبا وليا لا يداري
كيف ساقتني الى غيب الصحاري
لعنة العار القديم

ويظل الضباب مسيطرا ويقف الشاعر في رعب امام نفسه وامام الكون غارقا في جحيم الحيرة المظلمة ، معلقا بين السماء والارض ، تائها في بحـــور ابتلعت شواطئها وامتدت الى ما لا نهاية . والشاعر يبحث عن اليابسة ليصل الى اليقين ، ويتصيـــد بـــروقـــا وسط الضباب. لكن الرؤيا لا تسعفه ، وكأنه نبي يقف وحيدا في الصحراء ينتظـــر وحيا حبس عنه ويواجه ذاته ليصفيها عل البشارة ترضـــى ان تحل فيهـــا وتنقـــذهـــا من جحيم المعاناة . لكن الكون جميعا استحال وهما وصدى : تفتت نظـــامه حتى شك الشاعر بالوجـــود الخـــارجي ولـــم يستطع ان يرتـــاح الى شك بوجوده الداخلي لان هناك يقينا واحدا هو الاحساس بالرعب اكد له وجوده واجبره على مجابهـــة نفسه عاريـــة دون قنـــاع . فاكتشف كنه ذاته ومحور المأساة : انه خـــالق مخلوق يحمل في اعماقه رغبة الخالق في الابداع والتوق الى الكمال والخلود ويعـــانـــي في الوقت نفسه عجز الذات المخلوقـــة عن بلوغ ما يبتغيه ويتوق اليه . ويعيش الشاعـــر مأساة بروميثيوس الاله ــ الانسان : آمن ان النار سر خلود الالهـــة فسرقها منهم ووهبها للانسان فابدع حضارة فكان كالالهـــة خالقا واستمر وجوده بوجود ما ابدع . لكن بروميثيوس ليس الخالق المطلق لينعم في جنـــة لا يثمر اليها الصراع والرعب والالم بل كان خالقا مخلوقا : اصابته لعنة الالهة فسقط فـــي جحيم النـــار التي سرق فكانت نعمة ولعنة ــ كانت سلاحا تصرع الجـــن بسلاحهـــا وتقضـــي على عنصر الشر وكانت ريحا سموما تخنقه وتذيب بلهيبها وجهه ، يقول :

وبلوت الحيرة الحرى التي
ينحل فيها الكـــون
وهمـــا و صدى
غير حس بيقين الـــرعب
في تيـــه المدى
كنت فيه الخالق المخلوق
وجهـــــا
صهرته الشمس والريح السموم
فتجلت فيه نار صلبة
تعصى علـــى نـــار الجحيم

تصرع الجن وقطعان الضواري
تتعالى شهبا
من رحم الارض لابراج النجوم

ويلمع برق وسط الضباب : هل ستسعفه رؤيا جديدة ؟ وتجلت في البرق صورة موجعة سوداء اغمض الشاعر عينيه خوفا من مواجهتها وهربا منها ، لكنها استقرت خنجرا بين الجفن والعين . وكانت مواجهة مؤلمة بين ذاته وذاته . وتكثف ما اضمر في لاوعيه وانطلق الى الوعي يقينا لا يرد : ان رؤيا الانبعاث التي شاهد يوما لم تكن كشفا كونيا مطلقا يضرب جذوره في ارض الواقع وتتنفس غصونه الهامات علوية شفافة بل كان تصيدا لنموذج أصلي كامن في اعماق اللاوعي الانساني يحتمي بالانبعاث من هول الموت ، وكانت ثورة على لعنة يبدو كأنها ابدية . لذلك اصطدمت تلك الرؤيا بالواقع المغاير وارتدت الى مصدرها جحيما داخليا يلتهم احشاء الشاعر فتعجز الكلمة عن الاحاطة بأهواله . ويرسم الخنجر في عيني الشاعر رؤيا كانت اكثر هولا ومرارة من الرؤيا التي تجسدت في « لعازر » او « الام الحزينة » : ان الحضارة العربية ليست زوج لعازر التي تحاول ان تنتشله من حفرته فتسقط هي فيها ، وليست الام الحزينة الحقيقية التي تتألم لموت ابنها وتعيش مأساة فنائه — انها بغي هرمة تتاجر بجسدها لتعيش حياة الرذيلة ، يقول :

طالما اغمضت دون البرق
عيني ، وارخيت الستائر
وتركت الليل
ينهال على اشلاء مصباح يموت
وتلحفت السكوت
تتلوت خلف جفني
من البرق التساعات الخناجر
انت يا من غورت
في جوفه الرؤيا وغصت
فاستحالت جمرة ملتهبه
تلك رؤيا اختنقت
في الكلمه
حين ثارت ، وتحدت
لعنة ما برحت تشتد
من جيل لجيل
لعنة الارض البغي الهرمه

ويمر الشاعر في تجربة مريرة يهزأ فيها من اخلاصه وتفانيه ويتساءل عن جدوى التزامه بقضية الانسان والحضارة . فاذا كان الشاعر الرائي عاجزا عن تغيير الواقع المتحجر فما جدوى الالتزام وما جدوى الشعر ؟ لماذا لا يهرب الى عالم وهمي يخلع عليه صفات اثيرية تعارض جحيم الواقع ويتحول هو الى مهرج يطلي سواد وجهه بياضا ويطلي وجه البغي الشمطاء عله يستطيع ان يتعامى عما حفر فيه الزمان وعله ينسى آثار التشويه والرذيلة ، يقول :

كـــان اجـــدى
لـــو بنت كفـــاك برجـــا متعالى
فـــي حنايا صمتـــه
يرفـــل وهـــج الطيب
في وهج اللآلي
وغـــلالات من الوهم المغالـــي
وشحتهـــا حنـــوة الليل الطـــري
وصفاء مخملي قمـــري
يلتـــوي عنها جنون الشمس
ترقـــد ظنـــون الأمين المتهمـــه
كـــان اجـــدى
لـــو تبرجت
وبرجت البغي الهرمـــه

لكن طبع الشاعر الغريب في صدقه واصالته يأبـــى عليه الانطواء في بـــرج عاجي ولا يقر بان مـــا ارتكبه كان ذنبا لانه لا يطمع بالغفران ، ويفضل ان يكتـــوي بالرعب الصادق على ان يتذلل بالبكـــاء والصلاة والصوم :

أن يكن يطمـــع بالغفـــران
من يبكـــي يصلي ويصـــوم
فانا طبع غريب لا يـــدوم
يكتـــوي بالرعب من طبـــع
غـــريب لا يـــدوم

لذلك لا يتوب الشاعر عن مواجهة ذاته والغوص في اعماقها بحثا عما تختزنه من صور ونماذج ورؤى . ويكون اول ما يواجهه في رحلته في اعماق نفسه صورة بومـــة خرساء تجتر مـــا حولهـــا من سواد . لكن الشاعر يرى وسط السواد برقـــا يتجلى فـــي صورة فـــارس شـــاب عنيد عاد ليخلص الارض من براثن التنين ويعيد الخير الى الارض اليبـــاب ، فيكون الهـــا حقيقيـــا يعود بالفعل الى عريه الاول فتتحقـــق الخليقـــة ويستعـــاد الفردوس المفقود . لكن البومة — التنين لم تفقد بعد القدرة علـــى المقاومة وهي مستعدة لخوض حرب طاحنة مع الاله الشاب . وتكون ذات الشاعر ساحـــة لهـــذا الصراع الطاحن ، ولا تسقط عليـــه نعمـــة اليقين فتهـــوي البومة وتغيب ويهوي البطل ويغيب . فليست هـــذه الرؤيا سوى برق بين اكداس من الضباب ، يقـــول :

في جبال من كوابيس التخلي والسهاد
حيث حطت بـــومة خـــرســـاء
تجتـــر الســـواد
الصدى ، والظل ، والدمع جماد
يتجلى فارس غض منيـــع
فارس يمسح غصات الحزانى والجياع
ويعـــري الفعل
من أسم وظرف وتنـــاع
وتـــود البومة الخرســـاء

لسو مات الجميع
لو توارى الفارس الغض المتيع
موجة يلهو بها ، يهدمها
موج الطبـاع
وارى الفارس يهتوي ويغيب
وارى البومة تهوي وتغيب
بين شطين من الموج الضباب
وارى عبر الضباب
شبحا يبضر في البحران
يغويه السراب
تلتقيه في ضباب التبغ
اشباح ينشيها الضباب

عانى خليل حاوي في هذه القصيدة صراعا نفسيا حادا : ان الرؤى السوداء ما زالت تتكرر في صور اكثر سوادا وتحجرا . وكانت اللعنة التي حلت عليه هي ان يظل واقفا في مواجهة هذه الرؤى لا يستطيع ان يهرب منها ولا ان يطليها بوهم خادع . ولم تجده محاولة الهرب من ذاته ولم يستطع التوبة عن الابحار في اعماق الذات وتصيد الرؤى ومجابهة خيبات متكررة . وهذه هي لعنة الشاعر الرائي في مراحل الموت التي تعيشها الحضارات .

كانت قصيدة « ضباب وبروق » مقدمة حتمية لقصيدة « الرعد الجريح » التي تلتها عام ١٩٧٣ . فمن ينظر البرق ينتظر قدوم الرعد ليؤكد ان الالتماعات كانت بروقا حقيقية ولم تكن سرابا . فجاءت « الرعد الجريح » لتثبت ان البروق التي سبقتها لم تكن وهما وان حجبتها اكداس الضباب ، وان الرؤيا لا بد ان تعود وتفرض ذاتها وان بدت بعيدة لا تطال . وقد وجد خليل حاوي نفسه في هذه القصيدة يسير على درب اليقين ، وبدأت تحل عليه نعمة الارتياح من الشك القاتل حول مصير الحضارة العربية . بدأت القصيدة بصور الموات التي كانت مسيطرة على ما سبقها من قصائد ، وانطلقت فجأة صورة الرعد الجريح وهو البطل العربي المخلص الذي بدأ بازاحة صور السواد والتحجر ورسم معالم حياة جديدة . وفي ذلك يقول الشاعر في مقدمة القصيدة :

وكاد يسيطر ايقاع الهلاك على القصيدة من المستهل
الى الخاتمة . ثم تجلت الرؤيا هالة من هول الرعد
ومهابة الجبل في طلعة بطل مخلص ، صاغه دقيق
الحياة البكر في ارض راحت ترتل بحيوية الفطرة ،
لطول ما اختزنت من طاقة هائلة عبر هجوع
طويل . كانت في حضور البطل صفوة الاصالة
العربية ، تتخطى مما تتصف به ذاته من عفة
وكرامة وفداء . يتجسد في التاريخ فيكون الانبعاث
العربي الاصيل ، ويغيب فيطغى التهافت وينتهي
الى ما يشبه الموات ...
كنت كمن يسمع ويطبع فيرسم بايقاع التمجيد .
والتهليل لوحة تنافي الايقاع فيما رسمته من
لوحات سابقة .

ولم تكن الرؤيا المشرقة في هذه القصيدة مناقضة تماما للصور التي جاءت فيما سبقها من قصائد ، بل يستطيع القارىء ان يجد بذورها في تلك القصائد . ولم تكن ولادة البطل العربي فيها أمرا مفاجئا او مستحيلا فان الشاعر منذ قصيدة « الام الحزينة » وجد في الانسان الفلسطيني ظاهرة صمود وتجسيدا لامل في العودة . وكانت الحركة الفدائية تأكيدا لوجود نبض الحياة في العروق . لذلك فان كان العضو الفلسطيني في الجسم العربي ما زال حيا ، فان الاعضاء جميعا لا بد أن تكون حية وان اصابها حينا بعض الخمول . وقد كان ذلك ما اكدته حرب تشرين الاول في صور البطولات الرائعة التي شهدتها الارض العربية ، الامر الذي اعاد للانسان العربي كرامته المفقودة واكد للعالم اجمع ان الانسان العربي ما زال فاعلا في التاريخ والحضارة . وكان الشاعر قد انتهى من كتابة القصيدة عدة اشهر قبل حرب تشرين ولم يكن يعرف سر تفاؤله ، ثم كانت الحرب تأكيدا لصدق الرؤيا . وفي ذلك يقول الشاعر في المقدمة التي كتبها مؤخرا للقصيدة : « وليس في القصيدة تعبد لبطل فرد ، بل نموذج لامثاله من الابطال المناضلين الذين امتزجت دماؤهم واتحدت في الحرب الاخيرة فكانت شهادة دامغة : ان الظاهرة التي تدعى عادة بالعالم العربي تنطوي على كيان اصيل لامة واحدة ذات حدود واحدة في الصراع مع الدخيل والغاصب .

عاني خليل حاوي قضية الموت والانبعاث في « الرعد الجريح » بمستوياتها المختلفة : الذاتي والانساني والحضاري . وكان في السنوات العشر الاخيرة ما بين عام ١٩٦٢ وعام ١٩٧٢ يعيش تجربة موت الانسان والحضارة في وجوهها ومستوياتها المختلفة واحس بعجز الشاعر ، وهو الرائد والنبي والمبدع ، عن تحويل صور الجمود وازاحة الظلام المتحجر . فبدا شعور ببرود الشيخوخة وعجزها يتسلل الى نفسه ليواجه صورة مغايرة متجذرة في اعماقه هي صورة الطفل التي لا يمكن ان تفارق ذات اي شاعر اصيل . فالطفل في براءته ودهشته امام الاشياء ، وايمانه بحقيقةمايمثله لاوعيه من صور ، وتوهج شعوره ، وفعله من حيث هو وحدة في الوجود مثل الشاعر في خصائصه هذه جميعا . ان الشاعر والطفل هما عود الى الحياة البدائية حيث كان الكون وحدة متكاملة يخاطب الانسان الالهة وعناصر الطبيعة ويعيش في وحدة صوفية لا تعرف المتناقضات ولا يفصل فيها بين الخير والشر ، فيتحقق الفردوس ويعود الانسان الى ما قبل السقوط . لذلك فان احساس الشاعر بالشيخوخة والعجز يتخذ طبيعة مأساوية حادة تفوق الى حد كبير احساس الانسان العادي بهما . من هنا تجسد الزمن موجا داخليا يتكسر في صدر الشاعر على سور عتيق تداعت جدرانه ، وتجسد مبردا اعمى يشوه جوهرة خالصة هي ذات الشاعر ، يقول :

كانت الغصات موجا
يتلوى ويدوي
في مضيق
يزحم الموج الذي يرتد
عن سور عتيق
كان في الغصات
ينحل تناعي
عن شروخ ترتعي
جدران جسم متداعي

فرحـــة الام التـــي تحتضـــن
الطفل الطـــري
وتبـــاهي بالفتـــى المنحـــوت
من زهـــو الصفاء المرمري
مـــا تـــرى لو تتحـــدى
مبـــردا اعمـــى خفيـــا
يشتهـــي التشويـــه
يجتـــاح صحاح الجوهـــري

ويقف الشاعـــر ـــ الطفل في مواجهة النهاية الفاجعة : ان درب الحياة تســـير به حتما الى هوة الموت المظلم . وتتحول هذه المأساة الذاتية مأساة انسانية شاملة حين يدرك ان الموت هو محور مأساة الانسان : غرق في عتمته جيل الاباء وتطاول حتـــى على الشبان والاطفال . فصار الشاعر في وعيه الحاد لقضية الموت رمزا لكل انسان لانه يعايش مأساة مشتركة يرى هايدغر انها توحد الانسانية ، فيكتشف ان الانسان « كائن للموت » ، يقول :

ذلك الطفل الطـــري
لـــو تـــراه
في الكوابيس التـــي تعجنـــه
تعمـــي نهـــاره
اخطبوطـــا في محـــاره
وتـــرى الـــدرب تمشيـــه
الى هوة ليل يتقيه
ولماذا يتقـــي
مـــا ضم في عتمته
وجـــه ابيـــــه
وجباهـــا غضـــة مستعره
وصغـــارا في تبـــور نضره

وفجأة ظهرت صورة الرعد الجريح . فكان بطلا فتيا يحمل في عينيه غضبة الفارس على عدو متحكم ، واعتداد الموقن بالانتصار وكانت عودته عود الشمس المنبعثة من غور الليالي وانبعاث الميت من ظلمة القبر . هذا الفارس البطل جاء من وراء الزمان والمكان حيث لاتـــؤرخ الشمس ايامـــا واعواما وحيث لا تصل الريح ، فكان الانسان المتفوق الذي عاد ليحتل مكانة الاله القتيل ، فأحرق مظـــاهر السواد وافنى الظـــلام فكان شمس الصباح المنبعثة ورمز الخصب والحياة . لهذا فهو ليس انسانا عاديا من طين ومـــاء بل شعلة لهيب تفيض جمرا ولالىء . وتكون السمة الاساسية التـــي تميز هذا البطل هي التضحية ، لذلك فهو رعد جريح افتدى قومه بدمه وبعث مسيحا يحمل جرحه ويطلب من تلاميذه ان يتحسسوا آثار المسامير والحربة ، لانه مسيـــح حقيقي يحمل في جسده الدليل على صدقه وتضحيته وافتدائه لكل انسان . فلا يقوى ظلام الليل على مواجهته فيحترق من تلقاء نفسه ويفنى دون ان يفعل الرعد لاحراقه وكأن ظهور الرعد كاف لاذابة تحجر الظـــلام ، يقول :

ثـــم هلت
نعمة التهويـــم
في طلعـــة ضيفة
عـــــاد من غـــور الليالـــي
عـــــــاد
غضـــا وغضوبـــا متعالي
يحمل الجرح الذي ينزف
جمـــرا ولآلـــي
انـــرى هل كـــــان
في حنـــوة ليل يستريح
حيث لا تضربه شمس
ولا تحنيه ريـــح
كيف لا يحترق الليـــل ويفنى
حين يلتف علـــــى
رعـــــد جريح

ويتبـــدى الرعد الها اسطوريا يسوق خيولا نارية في الافاق الواسعة ويزيح صور الظلام ويلهب السماء وينطفىء ليعود الى الاشتعال مجددا ، فيكون نسرا في قوتـــه وعنفه وتجدده الدائم وعنقاء في شهوته للحياة ولولادته المتجددة ابدا في كل اشتعال . هـــذا البطل الذي يسمـــو على طينة الانسان العادي لا يعيش في الزمان بل هـــو يعيش ابدا لحظة بطولة مركزة مكثفة هـــي حلقات لامتناهية من الموت والانبعاث ، يقـــول :

ان تك الـــرعد الذي يحدو
صهيل النـــــار
من افق لافق ويروح
بعـــد ان يشتف ما ينزف
من وهج الجـــروح
لـــو تمادى عمـــرك
المحتـــوم الا يتمادى
كنت اشعلت الظلال السـود
في درب المساء
كيـــف تدري
ما يعـــاني كـــل حـــي
ضيع من طين وماء ؟
غير فخر ما يزال
يتملى المعـــدن
اعمارا طـــوال
لـــو تهاوى وانطـــوى هول جناحيه
مساء في الذرى الملتهبه
افرخت شهوته للغيـــر
وروت لهبـــه

ويتجلى الرعد الجريح نبيا ورسولا هو الصورة الرمزية للنبي العربي ، فيكون فرعا اصيلا من شجرة نبتت في الصحراء هي رمز للامة العربية . وكأن الشجرة صفت ذاتها في هذا الفرع فكان ذروة ما يمكن ان تصل اليه الشجرة من صفاء . ومن هنا تجلى فرعا اصيلا خالصا . وبذلك تولد الحضارة العربية مجددا في ولادة رسول عربي اصيل يتفجر في الصحراء ينبوعا ويحقق الخصب ويعطي الحياة . لكن هذا النبي المختار الذي جاء ليدلي برسالته فيطاع يواجه قوما ختم على اسماعهم بالطين فيصمون آذانهم عن تلقي الدعوة النابعة من أعماق النفس الانسانية والمستجيبة لطبيعتها ويرفضون ان ينظروا الحقيقة الانسانية المطلقة التي لخصتها حياة الاجيال السابقة فكانت جوهر الطبيعة الانسانية ، يقول :

ولماذا كنت
مختارا سميع
وتجليت مطاعا ومطيع
ولماذا ختمت بالطين
اسماع الجميع
عن مصير
صاغه التاريخ في صلب الرجال
لخصته
في مجال العمر
اجيال طوال
وتصفت دوحة الصحراء
في فرع أصيل
يتعالى عن جلال المجد
ينبوعا يسيل

ويبدو ان عدم التفاف الناس حول الرسول وصم آذانهم عن تقبل رسالته هما نتيجة لسيطرة الطغيان الذي حوله الملوك الضئيل لهوا ومهرجانا . وتبتدىء مسرحية متكاملة : يظهر الملك ـ الملوك مهرجا يلبس جبة ملتمعة اكبر من حجمه فيغوص وجهه المقنع فيها ويحكم طاغية مستبدا لكنه يمثل دور بهلول بريء ليخدع آلاف الالاف من المتفرجين فتنطلي اللعبة على غالبيتهم . ويحقق الطاغية مأربه بالهائهم بحركاته المسرحية الموهمة عن طرح السؤال الجوهري والغوص الى جوهر القضية ، فيطربون لما يرون وينتشون ويطلقون صيحات : آه . فلا يظلون مجرد متفرجين بل شركاء في المهزلة وكأنهم الجوقة في المسرح الاغريقي . وكي تتم المسرحية المهزلة يصعد شاعر الملوك الى الخشبة صورة كاريكاتورية ممسوخة : انه وجه دون جبين نبتت فيه اعداد كبيرة من الوجوه المقنعة هي صورة الوجوه المتفرجة دون غضب او كرامة ، ويقوم « الشاعر » بالدور الموكول اليه فيتغنى بامجاد واليه الوهمية ويحاول ان يحشو فراغه ، لكنه حشو فارغ ايضا لان ما يتفوه به ليس سوى رغوة وتبن وصدى ، يقول :

من مطاوي جبة ملتمعه
غاص فيها وجه مملوك ضئيل
حول الطغيان
لهوا ، مهرجانا
وعلت صيحة آه
وتهادى شاعر الملوك

وجهـا من وجوه كورت
دون جبـــاه
كـــل وجه نبتت فيـــه
وجوه طيعه
ما احست غضبة ثارت وغصت
في هزيج الاقنعه
شـــاعر العصر
يصوغ الشعـــر
ترفيهـا يغني عبر تمويه الشفاه
يحتفي بالرصف والترصيع
في بيت ، خوى من ساكنه
ويصلي باسم واليـــه
ويحشـــو ريـــه الاكبـــر
حشـــوا فارغا في باطنه
منسف التبن ، صدى الرغوة
ترجيع الصدى

وبذلك يتحول الشعر وهو النبوءة المتجددة في كل عصر من العصور تمويها وتدجيلا ويغدو الشاعر مشعوذا بديل ان يكون نبيا فيضلل الناس بدلا من ان يكشف لهـم الحقيقة المطلقة. ويتأكد بذلك مدى خطورة الداء الذي تعاني منه الامة : ان الشاعر — النبي المخلص استحال دجالا منافقا، فكيف يتم الخلاص ؟ غير ان العزاء والامل يكمنان في ان آفة الاستزلام لم تنسحب على الشعراء جميعا . فما زال هناك شعراء حقيقيون وانبياء ما برحوا يؤمنون ان الحياة رسالة تؤديها شفاه بكر طاهرة بريئة رفضت ان تمتهن البغاء لتجمع الاموال وتغرق في الثراء ورضيت ان تحيا حياة الكفاف التي عاشها الانبياء المخلصون على مدى التاريخ ، فتحقق بالفقر اعلى ما يمكن ان يصل اليـــه انسان من صفاء : «مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكـوت الله » . ويحقق الانسان بالعفة فردوس البراءة الاولى ويعود الى عالم مـــا قبـــل السقوط فيتحد اتحادا صوفيا مطلقا بالله ويغدو بدوره خالقا تلقي شفاهه الطاهـــرة كلمة « كن » فتجري الينابيع وتنمو الكروم وتشمخ الغابة عزيزة منيعة ويرتفع البيـــت حصنا يجد الانسان فيه راحة الانتماء ودفء الامان . فيتوحد الشاعر الحقيقي بالله ويغدو هو مبدع الحياة من جديد . وتولد الاشياء بكرا عفيفة عفة الصحراء ، عذراء عذرية الشجرة الاصيلة ، فيكون الشاعر المبدع هو الرعد الجريح الذي تجلى شجرة اصيلة في الصحراء العربية العذراء التي تطهرت من رجس اقدام المغول وعادت الى براءتها قبل ان تغتصبها خيولهم . وتجلت الصحراء ارضا منيعة لن تطالها حوافر خيل المغتصب . ويبارك الشاعر — الرعد حياة الكفاف الشحيحة من حيث المادة ، الغنية في طهرها وعفتها والتي تمارس حرقا متواصلا لذاتها فتعمد نفسها بالنار وتعيش انبعاثا متجددا في اللهب الابدي وتعلو باتجاه الافاق الواسعة جبالا منيعة مناعة صخر لا يتفتت ، يقول :

غير اسماء
تسميهـا الشفاه البكـر :
ينبـوعـا ، كروما ، غابـة ،
حبا ، عمـاره

تلـــد الاشياء في طهر البكاره
عفـــة الصحراء في فرع اصيل
بارك الشح الذي يرشـــح
من جمـــر الرمـــال
ومناخ الصخـــر في جرد الجبال
بين انياب الجلاميد التي تعصى
على خيل المغـــول
طالما هاجت وماجت
وارتعت وانتعلت
خمب الســـهـــول

ويتحول الوجود بمجيء الرعد الجريح : فتختفي صور السواد والتحجر التي كانت محور « الام الحزينة » و « ضباب وبروق » وتسيطر صور البياض واللهب والحياة ويحل صحو ابولوني شامخ شموخ الجبال متفجر تفجر البراكين وغضـــوب غضب الرعـــد يتحقق جنة هي الفردوس المفقود . ويعود الانسان الى الجنة بعد ان يولد ثانية فـــي معمودية لهب ابيض بكر ليس من هذا العالم ، بل هو نار ازلية ابدية تصهر الشمس والارض في احشائها وتعيد خلق الوجود طفلا بريئا وجنة تضل الحية السبيل اليها . وتحل نعمة اليقين وتنزاح كوابيس الشك الاسود حول مصير الانسان والحضـــــارة ويزول الرعب من سيطرة موت بدا انه تخطى الزمان ولم يعد خاضعا لسيطرته فكأنه اله الموت الثابت المطلق . وبعد عذاب سنوات طويلة امضاها الشاعر في المطهـــــر حيث صفى ذاته من ارجاسها وعانى جمود صمت استحال في حلقه الى صخور وعاش في ظلمة الاعمى الذي تنمو في جفنيه ابر ذابحة ـــ تتجلى له بياتريس رؤيا علوية مشرقة فاتحة ذراعيها تدعوه الى دخول الفردوس فتنزاح اسباب الظلام وتبدو الجنـــة درة خالصة ملتمعة تتوج قمة الجبـــل المقدس ، يقول :

وكأننا ان نسـرى
في الجبهـــة السمـــراء
ما صحو الجبال المطمئنه
ترتوي من غضب
البركـــان والرعـــد
وتروي في شعاب السفح جنه
في لهاث الشمس والارض
اغتسلنا ، وغسلنـــا
في بياض لاهب
ادمغة كانت تعـــانـــي
هـــول مـــا كان
وما ســـوف يكـــون
هـــول آن
ليس من عمر الثواني
يرتمي في الحلق جلمودا
وينمو ابرا بين الجفون
وكفـــى بالجبهة السمراء
ما ينهل من رؤيا

لها في دمنا طعم اليقين
تصهر الظل الذي يغفـو
على رمل الموانـي
في صهيل الصاعقـه
والريـاح السود تدميها
التماعـات الجباه الشاهقه

ويعود الانسان الى صفاء العيش الاول ، فيرجع الى حياة رعوية بريئة يتوثق فيها ارتباطه بالارض . ويعمل بالزراعة فيبدع صورة انسانية متكاملة من الطبيعة هي مـا يدعى بالحضارة الانسانية التي يرى هايدغر انها تتحقق بالزراعة وفن العمارة ويسميها عودة الى « المسكن » تنتشل الانسان من السقوط في العدمية . وتناط بالشعر كمـا يقول نورثروب فراي وظيفة التعبير عن رؤيا الانسان الحضارية : عن رغبـة دفينـة يحققها العمل . ويستمتع الانسان بحياة الكد والعمل لانها سبيله الى تخطي ذاتـه وابداع اثر يستثمر فيه فيخلده . ولا يطمع في حياة غنى بل يبتغي خبز الكفاف فيعيش اعياداً مستمرة وينتشي نشوة ديونيسية في سريان النبع وزغردة الموال ودوي الجرن والمهباج والحكايات الدافئة حول الموقدة فيعود الى ما قبل سيطرة المدينة الخانقة الى حياة القرية البريئة ، جنة الانسان على الارض ، يقول :

وقلوب ولدت
في صفوة العيش البري
راوحت ما بين
كد ، عرق ، زرع
وشح في الحصيد
ودوي الجـرن والمهباج
من عيـد لعيـد
حيث يجـري
النبع والموال في ظل طـري
الفت طيب الليالي
حول نار الموقـده

وتنتشي الارض في لذة الولادة الجديدة . لقـد عاد الفارس البطل اليهـا بعد طول غياب سيلا وشلالا من الرعد يمخر احشاءها ويزرع فيها نبضة الحياة فيطال الرحـم الاحمر الريان الذي مـا زال حيـا . وينطلق التراب الاحمر الحي الى وجـه الارض فتخفق جميعا في لحظة الولادة . ويصل الرعد الى الاعماق فيلتقي صخرا يجلوه مـن ادران علقت به على مدى السنين ويعود به الى صفاء الرخام الاول وينثره دررا لامعة عـلى رمل الشواطىء . ويهلل الانسان ويمجد الرعد الجريـح الذي اخصب الارض الخراب فبعثت طفلة بريئة بعد ولادة عسيرة مؤلمة ، يقول :

ولماذا هدرت عبر الاعالي
لم تعد تذكر عيشا وتبالي
وتعرت عن سيول ورعود مزبده
وتهـاوت صوب شلال

من الرعـد العبـاب
يمخـر الارض
ويرمي بالتراب الاحمر الريـان
من قلب التـراب
يلتقـي صخـرا رخاما
فيصفيه ويجلو مقلعه
وعلى رمل الشواطي
تترامى الدرر الملتمعه
وتهللنـا ، ومجدنـا
جبراح الرعـد ،
مجدنا لالي الرعـد
في الارض الخـرابْ
النجـوم انسحبت
خلف شهـاب احرق الليل
وغـيـاب

ثم يرسم خليل حاوي صورتين واقعيتين للبطل العربي كمـا تراه امرأة تحبه وكما تراه امه . ففي المقطع المسمى « الرفيقة » تظهر امرأة كانت تحب الرعد الجريح لكنها تزوجت رجلا غيره لطول غيابه . ولم تستطع ان تحب زوجها لانها في لاوعيها ما زالت تتوق الى الرعد الجريح . لذلك كانت تعيش صراعا داخليا ضائعة في ضبـاب فاحم متخذة شغل البيت قناعا وسبيلا الى الهروب من الذات . ويتكشف ما يعتمل في لاوعيها ويتبدى فجأة في نور الوعي فتمحي في اللهب الداخلي صورة الزوج والام والاب ولا تعود تعي سوى ذاتها كأنها وجدت نفسها فجأة بعد طول ضياع فتكتشف ان عيشها الماضي كان باطلا ، تقول :

باطل طول الصراع
وضيـاعـي في دوي
فاحم الدخنة
يشتف الضيـاع
عتمة ظل البيت
شغل البيت درعـا وقنـاع
وامحـى وجه رفيق طيب
في لهبـي
وجـه امـي
وظلال الوعر في وجه ابـي

لكن البطل المخلص يتحول شعارا وصورا تآكلتها الغبرة والامطار علـى جدران الشوارع فتهاوت نتفا صفراء مهترئة ، فتفرغ البطولة من معناها الحي المتنامي وتتجمد صورا وشعارات باردة لا تنبض بالحياة . وتلك هي مأساة الابطال في الامة ، حيث يظل البطل غريبا فلا تحتفل الامة الا بالمظاهر الخارجية لبطولته تحولها شعارات تسقط معانيها لطول ما تردد . لكن الرفيقة وهي تنظر الصور والشعارات وتسير هائمة على ارصفة ما زالت تلفها العتمة ، تحس الرعد الجريح نبضا حيا في أعماقها وتسعى ـ دون وعي منها ـ باحثة عنه فتقودها قدماها الى جرد المهاوي العاصفة ، تقول :

كنت فـــي دربـــي
الى جرد المهاوي العاصفه
وبقايا الليل
ما زالت ركاما
في زوايـــا الارصفه
جبهـــة الرعد استحالت
لشعـــــار
لحروف ، نقف صفر تهاوت
مـــن جدار وجدار

وتطول بها الدرب لانها لا تقصد مكانا معينا ولا تبحث عن شيء معين سوى هويتها الضائعة التي لن تتحقق الا بالتحامها بالرعد الجريح الذي وعت في تلك اللحظة انه هو جوهر ذاتها وصورتها وانها اخفقت في الغوص الى اعماق لا وعيها واكتشاف مـــا ينطوي عليه من رغبات وحقائق مطلقة حين اختارت ان تقترن بغيرة . واذا كان فعل الاختيار هو فعل تحقيق الذات واكسابها ماهيتها فان الخطأ في الاختيار خطيئة وجودية لا ترد ولا تعوض . لذلك كان على الرفيقة ان تدفع من جسدها وروحها جزية هـــذه الخطيئة فأحست ان الفناء يسري في جسدها وان روحها هائمة في ضياع ابدي لا سبيل فيه الى الخلاص . فحلت عليها لعنة الموت في الحياة . ويسيطر لاوعيها سيطرة تكاد تكون مطلقة فيولد صورا واحلاما تسعى الى ان تحقق في الحلم ما اخفق الواقع عـــن تحقيقه . فيتمثل الرعد الجريح نارا تحرق عينيها وتجتاح جسدها وتصهر ذاتها القديمة وتبدعها في لحظات انسانا جديدا تستطيع ان تلتحم به ولو في الخيال . غير ان الحلم في تلك اللحظة كان اكثر صدقا من الواقع فكان اتصالها بالرعد اتصالا متوهجا حقيقيا أحست انه يسري في خلايا جسدها نبضا حيا وحقيقة داخلية وواقعا تتلمسه حواسها. وتتحد الرفيقة للحظات اتحادا صوفيا بالارض : انها تعيش نشوة الارض اليباب التي اخترق رعد الربيع احشاءها فزرع بذرة حية واخصبها فترنحت لذة وانتشاء وطربا : لقد دبت الحياة في العرق الميت ، تقول :

طالت الدرب
وطالت سكرة الجـــوع
وامتد شهوتي للزاد
امتد جسدي
وخطـــى تمشي وتمشي
في ضياع ابدي
كيف لي ان اجتلي
ما كنت في حال السرى
هل تحولت الى طيف
يرى مـــا لا يـــرى ؟
ومضات الهبت عيني
واجتاحت كياني
صهرت لفظـــا ، حروفا ، ومعـــاني
وتجلـــت
جبهـــة بيضاء في وهج الذرى ،
جبهـــة الرعـــد

تجلت ملء عيني ويدي
وتمشت في خلايا جسدي
نشوة الارض التي
رنحها رعد الربيع

غير ان نعمة الحلم لا تستمر ، فتفيق الرفيقة الى الواقع المؤلم ، وتجد انها ما زالت هائمة تبحث عن ذاتها الضائعة وعن درب لامتناهية فقدت نفسها في سراديبها . وليس الواقع سوى ليل صقيع لا يصل دفء العاطفة المشتعلة اليه وهو ليل موحش يكسوه جليد الوحدة القاسية ويزيد من شقائه لهيب اعمى هو جحيم الذات الداخلي الذي لا مفر منه . وتحاول الرفيقة ان تهرب من جحيم الصقيع الخارجي الى اعماق ذاتها فتلتقي جحيم لهيب داخلي مساو له من حيث العذاب . وتكتشف أن احشاءها ما زالت ارضا يبابا جائعة لا تنال اشباعا ، ملجومة لا تقوى على الانين وتعجز عن الانطلاق . وتعي أن ما حلمت به من انطلاق في دروب ضائعة وما احسته من اتصال واشباع لم يكن سوى ابحار ساكن متجمد في غرفة نومها . انها لا تفعل سوى الانتظار ولا تعيش سوى الاوهام.. وتجلس مثل بنلوب تحوك صامتة ، ساكنة سكونا خارجيا يخفي ما يعتمل في اعماق البراكين من لهب ، منتظرة عودة يوليسيز ، يقول :

ولماذا خلقت جرحا ،
دويا فاحما
لهبا اعمى ، التماعات تشيع
من صخور التجمد
في ليل الصقيع
ضاع في جومتها
وجهي ودربي
قلت علني احتمي
في برج قلبي
فالتقيت الجوع ملجوما حزينا
ينسج الخصب
على ارض بوار
ابرة عاشت على الصبر
مشت طوع يدي
وشحت في غرفة النوم
متاهات الحرير
روت الواحات
بالامطار والصحو الندي

وتستمر حياة الرفيقة كما اختارت لها ان تكون : اختارت هذا الرجل زوجا ولن تستطيع الهروب من نتائج ذلك الاختيار . وقد وعت متأخرة انها اخطأت في اختيارها وان زوجها وان كان طيبا وقديرا فهو ليس النصف الاخر من ذاتها الذي هو انعكاس للذات واكمال لها . لذلك فهي تعيش صراعا بين الشهوة والنفور ، وتتلوى الشهوة في جسدها دون ان تشبع لانها ، بعد ان عاشت في الحلم لذة حقيقية بالتحامها بالرعد الجريح ، ترفض ان تسلم جسدها لانسان اخر وان كان زوجها . وتظل الرفيقة تشعر باتحاد صوفي مع الارض وتحس في لاوعيها الم مخاض الارض التي تتفتح عن زرع حي متنام وتعيش زهو الام المعطية حياة جديدة . لكن وعيها لواقعها قائم هو ايضا لانها تعي انها ما زالت متجمدة مكانها في غرفة النوم ، فتحيا تمزقا حادا بين ذاتين لا يمكن

التوفيق بينهما ، تقول :

كنت في ليـــل
التشهـــي والنفار
ارتمي جنب رفيق
طيب القلب ، قرير
جـدا يغفو ويصحو ، يتلوى
فـي السرير
ويعـــاني ما تعاني الارض
زهـــوا موجعـــا
ينمو مع الزرع النضير
في متاهات الحرير ..

وفي المقطع الثاني بعنوان « الام » يصور الشاعر ام الشهيد البطل اثناء جنازته ويقدم صورة متوهجة حية للمأتم ــ العرس : ان الاستشهاد ولادة ثانية وهو عود الذات الى مصدرها ، وتحقيق للفردوس الموعود . لذلك كان مأتم الشهيد عرسا تزغرد فيه الصبايا وتطلق الحناجر المتلهفة الباكية اناشيد الانبعاث والفرح . وتقف ام الشهيد في هـذا المشهد الدرامي المتوتر الممزق بين الحزن المحرق وبين الزهو والافتخار تعاني صراعا حادا بين الدور الذي رسمته لها الاعراف والتقاليد وبين احساس اية ام فقدت عضوا من احشائها . لقد عين لها دور الصابر المتجلد وينبغي عليها ان ترسم ابتسامة حزينة على شفتيها وتقر بان ابنها يزف في تلك اللحظة الى الارض ــ العروس والام وان ذاك الزفاف هو العرس الحقيقي . غير انها ترفض ان تخادع نفسها ، وتتغلب في لحظـة بطولة داخلية على الدور المرسوم لها ، وتخلع قناع الممثل ــ النمط ، وتتوهج ذاتـا فردية في بطولتها ورفضها وكلية في تعبيرها عن حقيقة شعور كل ثكلى . وتعترف الام في حوار داخلي بحقيقة ما تشعر فتجد ان فقدان ابنها ليس فجيعة لاحد غيرها . وتتمثل الفجيعة في كلمة « ضيعت » التي ترددها الام مرتين في السطر الاول . فالكلمة في صيغة المبالغة وهي كلمة عامية تحمل خصائص جارحة في صدقها لا تعبر عنها كلمة «اضعت» . ويتمثل الابن الشهيد لامه درة الكون اي صفوة ما وصل اليه الكون باسره من صفـاء وندرة وتفرد وصلابة ونفاسة . لذلك فان ما اضاعته لا يعوض ولا يجدي معه عزاء ، لانها فقدت نبضا في رحمها وامتدادا لذاتها . لكن هذه الحقيقة التي تكشفت لها عارية دون قناع كانت ساطعة ومحرقة لم تستطع التعبير عنها وكأنها لم تجد سبيلها الى العبارة فظلت جحيما داخليا زاد انحباسه في تأججه . وكأن صوتها خانها حين ارادت ان تصيح معلنة ما تكشف لها لانه يعجز عن احتواء تلك الحقيقة والخروج بهـا : ان تلك اللحظة ليست عرسا وابنها ليس عريسا وان غنيت الصبايا الاهازيج . وتشعر الام انها تريد ان تحطم مظاهر الفرح حولها وتسحق ازهار البهجة وتفني عطرهـا ، لكن تواها لا تسعفها ايضا ، وكأن التقاليد المرسومة ما زالت اقوى من الحقيقة الوليدة : ان العريس الغض قتيل يغفو اغفاءة ابدية في حفرة لا تطال . ولا تنتظر الام عودتـه بالجسد لانها تعرف يقينا ان ابنها انسان وليس مسيحا . وهي لا تفكر بخلود الروح او الانبعاث المعنوي لانها ام حقيقية تعاني آلاما عينية واقعية وتعيش تجربة حسية حادة لا يجدي معها انطلاق ماورائي ولا تسمح بانطلاق كهذا . وهي لا تجد عزاء في مظاهر الفرح الحزين ولا تطيق البقاء في جو يجمع المتناقضات في وجوه هائجة يعصف فيهـا الحزن والزهو والاحتراق . وتشتعل حواس الام بما تبصر وتسمع وتحس وترتد جحيما

الى رحمها فتعاني آلام ولادة ليست بولادة ، تقول :

ولدي ضيعته ، ضيعت وحدي
درة الكون
وما يجدي ويجدي
ليت لي صوتا يصيح
ليس عرسا وعريسا
ولدي ليس المسيح
ويدي ليت يدي تنبض
عنفا وتزيح
بهجة الورد وعطره
العريس الغض
يغتو اليوم في هوة حفره
والصبايا واهازيج الصبايا
لا تعزي ، لا تطاق
ووجوه زمهرت
حزنا وزهوا واحتراق
زبد يرغي وفوره
بصري ، سمعي ، جواسي
فورت في رحمي
نبغة جمره

ويتجسد الصراع الداخلي حوارا واقعيا ملموسا حين يتقدم احد العقائديين ليقدم تعازيه لام الشهيد فيردد امامها شعارات باردة لا يمكن ان تصدر الا عن متفرج من الخارج لم يكتو بلهيب التجربة . فيقول ان الابن الشهيد ولد ليكون ضحية لان الفداء كتب عليه منذ ولادته ، وان دمه نار حياة يبعث من يعتمد بلهيبها ، وان جنازته عرسا نغني فيه الصبايا وليست ماتما ينحن فيه ، وان دفنه في الارض عود الى الام الكبرى واتحاد مع العروس الحقيقية وتحقيق للانبعاث الاصيل . وتقف الام مصغية الى الدور الذي كان عليها ان تقوم به ومتفرجة على القناع الذي كان عليها ان تلبسه وقد انطلقا الى الوجود الخارجي فتتمسك بشعورها الحقيقي وترفض ان ترد بشعارات فارغة لان النار المتأججة في احشائها هي التي تتكلم . وتتجسد الحقيقة الداخلية الوليدة عبارة بكرا ما تفوهت بها شفاه من قبل : انها وحدها الام الحقيقية التي عاشت تجربة اتصال حسي متوهج في ارضاع طفل حملته هي وحدها في احشائها العذراء وكأنه ليس جزءا مضافا الى ذاتها بل صورة تلك الذات وجوهرها . ويصدم العقائدي للاجابة البكر الطاهرة فيردد شعارا آخر هو ان أم الشهيد لا تفقد ابنها بموته بل تكتسب الابطال جميعا ابناء لها فتغدو اما للرفاق الابطال . وترفض الام مجددا منطق الشعارات الفارغة ولا تهرب من جحيم التجربة الصادقة وتأبى العودة الى القناع وتعبر عما عجزت ان تعبر عنه في البداية : لقد ضيعت وحدها درة الكون فلن يجدي عزاء وليس من تعويض ، وليست عبارات التعزية على حرارتها الظاهرة سوى نفاق لا تتحمله ذات تعمدت في لهب الحقيقة الساطعة فولدت ولادة جديدة :

كان مرسوما على جبهته
وسم الضحايا
دمه النار التي تحيي

عروقـا يبست فيها الخطايا ،
وحراما ان يلبي
لسرير العرس غصات الصبايا
امه الارض دمته
لمصير يدعـي من يصطفيه
ـ كنت اما ارضعت
ما حملت احشاؤها العذراء
من صلب ابيه
ـ أنت ام انت ام للرفـاق
ـ وحده ضيعته ، ضيعت وحدي
درة الكون
وما يجدي ويجدي ،
انت ام ، انت ام للرفاق
كـان يا ما كان ،
والتعزية الحرى لها في كبـدي
طعم النفـاق

وتتم القصيدة وحدة متكاملة مؤلفة من اصوات متناغمة لكنها كيان حي هو اكثر من مجموع الاجزاء التي تكونه . واستطاع الكيان الحي ان يصهر في ذاته ما قد يبدو متناقضا في الظاهر فكانت القصيدة عينية مطلقة وواقعية رمزية وسلما من المستويات المتدرجة . وغدت القصيدة بما هي تعبير عن رؤيا وتجربة تطهيرا لذات الشاعر وذات القارىء المتعمق الذي يعيد ـ بالقراءة الجدية ـ خلق ذاته في القصيدة وخلق القصيدة في ذاته . ويصل الشاعر والقارىء الى شاطىء اليقين بعد ابحار ضائع في ظلام الشك : ان انبعاث الانسان والحضارة مبدأ حتمي قائم في جوهر الذات الانسانية وخاصة تكسب الانسان جوهر انسانيته . ان البروق الحقيقية تحمل رعدا بالضرورة ولا بد أن يأتي المطر وتبعث الارض اليباب .

كانت قصائد حاوي الثلاث هذه اناشيد تؤلف ملحمة الانسان والحضارة : انها ملحمة الانسان العربي في صراعه مع رواسب التخلف التي ما زالت تتراكم في اعماقه وفي صراعه مع صور الانحطاط الحضاري المهيمنة في مجالات عديدة . ويسترجع خليل حاوي رحلة دانتي الكونية : فمن جحيم الشك المطلق وانعدام اليقين ، الى تدرج النفس في جبل المطهر حيث صفى الشاعر نفسه مما علق بها من ادران ويعيش متأرجحا بين شك ما برح قابضا عليه ويقين يبدو انه يلمحه من البعيد ، الى ظهور بياتريس ، المعشوقة الالهية ، التي تنير به الى فردوس الصحو واليقين حيث ترتاح النفس الى صفاء كلي . ويرتاح خليل حاوي الى رؤيا الانبعاث العربي : ان البطل الذي كان راقدا في موت بدا انه ابدي انتفض حيا وعاد ليواصل صراعه مع التنين الغاشم فيصرعه فتجري الينابيع وتعود الارض بكرا فتية بعد موات . ويعود الشاعر الى ممارسة وظيفته الاصلية الاولى في الحضارة الانسانية حين يكتشف بحدسه حاضر الحضارة ومستقبلها ، ويعود مجددا نبي القوم وكاهنهم وساحرهم وقائدهم السياسي والاجتماعي .

تعيين الحدود الشمالية لفلسطين في الاعوام ١٩١٨ ــ ١٩٢٠

يـــان نيلسن

لقد قننت سياسة تأسيس الوحدتين لبنان وفلسطين في نهاية الحرب العالمية الاولى عبر مجموعتين من الاتفاقيات ، بشكل رئيسي ، هما : المراسلات بين السير هنـــري مكماهون ، المندوب السامي البريطاني في مصر ، والشريف حسين ، شريف مكـــة ، واتفاقية سايكس بيكو الانجلو فرنسية .

وفي الواقع ، فان مراسلات مكماهون ، باستعمالها الغامض لكلمة ولاية ، وباشارتها الى الاقليات والمصالح الفرنسية ، قد استثنت المنطقة الساحلية من اضنة والاسكندرون وجنوبهما من المملكة العربية المقترحة (١) . وفي الجنوب ، ربما ضمت هذه المنطقة ، تبعا لنص الرسائل ، مقاطعة لبنان المستقلة وربما سنجق بيروت ايضا . وكان من شأن ذلك خلق حدود في مكان ما بين صيدا وعكا . حتى بخيال واسع لا يمكن اعتبار المنطقة المستثناة تضم كل « ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل » ، على حد ادعاء تشرشل عام ١٩٢٢ عندما رد ، بوصفه سكرتيرا للمستعمرات ، على مطالب العرب فـــي فلسطـــين (٢) .

لقد اعطت اتفاقية سايكس بيكو السرية (ايار (مايو) ١٩١٦) اساسا لادعاءات فرنسة بوجود مصالح لها في المناطق الساحلية من لبنان وشمالا (٣) . وكان العنصر الجديد المهم هنا هو تأسيس فلسطين كوحدة منفصلة تحت ادارة دولية مع وجـــود بريطاني حول حيفا وعكا . وقد اظهرت الخارطة الملحقة بالاتفاقية (٤) حدودا شمالية لفلسطين رسمت بطريقة اعتباطية تبدأ في منطقة راس الناقورة وضواحي صـــور (برج البياضة) وتتأرجح باتجاه جنوبي شرقي نحو الشاطىء الشمالي لبحيرة طبريا . ان الاعتباطية التي رسمت بها هذه الحدود كانت بذاتها سببا لعديد من الصعوبات اللاحقـــة .

وكان العنصر الاخير ، والاكثر عرقلة في المفاوضات اللاحقة هو وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، والذي اعترف بالمصالح الصهيونية في فلسطين (٥) .

تمت وعود واتفاقيات زمن الحرب في وقت لم تكن تسيطر فيه بريطانيا على المناطق التي كانت توزعتها باستخفاف . وكان الهدف الرئيسي هو شراء تحالفات مع اكبـــر عدد ممكن من المجموعات وتعزيزها ، وهكذا لم يكن مهما ما اذا كانت الاتفاقيـــات متضاربة مع بعضها بعضا ، او اذا رسمت الحدود المقترحة بطريقة اعتباطية . ولكن في عام ١٩١٨ تغير الوضع جذريا عندما اعطى احتلال الجنرال اللنبي فلسطين وسورية لبريطانية سيطرة فعلية على المنطقة ــ والصداع في تنفيـــذ وعودهـــا .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، بعد المعركة الاجرامية في **بيرس** ، وجه رئيس وزراء بريطانية لويد جورج انتباهه نحو حلفاء المانية . فأراد من اللنبي التقدم الـــى حلب ، واذا لم يكن ذلك ممكنا ــ وقد اصر اللنبي على انه لم يكن ــ فيجب احتـــلال

فلسطين على الاقل باعتبارها « تضم المنطقة الواقعة بين دان وبئر السبع بكاملها » . وقد فهم اللنبي والحكومة البريطانية خلال المفاوضات اللاحقة « دان على انها بالقرب من بانياس ، اي في منتصف المسافة بين الناصرة ودمشق » (٦) . ومع حلول تشرين الاول فقدت تركيا سيطرتها على سورية ، برغم بقاء القوات التركية في منطقة حلب والشمال . ففي الثالث والعشرين منه بعث اللنبي بتقرير الى الوزارة الحربية حول نظامه الاداري في سورية جاء فيه ما يلي : مناطق العدو المحتلة في الجنوب كانت فلسطين ، المناطق المحتلة في الشمال (من كانون اول (ديسمبر) ١٩١٨ المناطق المحتلة الى الغرب) الممتدة على طول الشاطىء من شمال عكا الى الاسكندرون ، المناطق المحتلة في الشرق كانت المنطقة الداخلية من وادي البقاع ونهر الاردن (٧) . لقد طابق هذا التقسيم اتفاقية سايكس بيكو تقريبا ، فيما عدا ان المنطقتين أ ، ب قد دمجتا . ولكن كان هناك تغيير مهم اخر في حدود اتفاقية سايكس بيكو ، لقد حذفت المنطقة الزرقاء الفرنسية . ويسجل التاريخ الرسمي البريطاني استثناء وادي البقاع (٨) ، ولكن يتجاهل التحريف المهم في حدود فلسطين الشمالية . لقد تحولت الان الى الشمال الشرقي باتجاه بانياس بدل تحويلها الى الجنوب الشرقي باتجاه بحيرة طبريا ، وهكذا ضمت المناطق الجنوبية المحتلة معظم قضاء صفد وبحيرة الحولة .

لقد لوحظ ان هذا التقسيم نال موافقة فرنسا ، وكان من المتوقع ان تطلب فرنسا تطبيقا كاملا لاتفاقية سايكس بيكو . ومن ناحية اخرى ، كانت بريطانية في مركز الامر نظرا لسيطرتها الفعلية على تلك المناطق . وكانت فرنسا واعية ذلك ، ففي بداية كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ وافق كليمنصو على اعطاء منطقة الموصل لبريطانية وتحويل السيطرة الدولية على فلسطين الى سيطرة بريطانية . يسود الغموض لقاءات كليمنصو ولويد جورج التي ادت الى هذه التغييرات في اتفاقية سايكس بيكو . ادعى لويد جورج لاحقا انه لم تكن هناك ثمة شروط ، واصر كليمنصو على عكس ذلك . وفي الواقع ، تبدو موافقة كليمنصو وكأنها الثمن الذي كان عليه ان يدفعه مقابل قبول متواضل لمطالب فرنسا من ناحية ، ودعم بريطانية لمطالب فرنسا في المانية بخصوص منطقة الراين من ناحية اخرى (٩) . هكذا كان التخطيط النهائي للجبهتين المتقابلتين لحدود فلسطين الشمالية . فرنسا تضغط من الشمال وبريطانية مع تشجيع الصهيونية من الجنوب . وكان ثمة شكوك حول حصول بريطانية على انتداب في فلسطين ، لكن هذه الشكوك تظهر وكأنها كانت شكلية انسجاما مع تحريات بعثة **كنج ــ كراين** خلال صيف ١٩١٩ (١٠) .

خلال ١٩١٩ توصلت بريطانية تدريجيا الى فكرة الانسحاب من اجزاء من مناطق العدو المحتلة ، وذلك تحت ضغط داخلي لاجل اعادتها الى اقتصاد السلم . وقد تضمن ذلك التخلي عن ممتلكات كانت تشكل دعما لبريطانية في مفاوضاتها . والسبب الرئيسي لتأخير الانسحاب الفعلي هو الاختلاف حول اي من المناطق تسلم لفرنسا واي منها للعرب . لم يرق للويد جورج ان يرى الفرنسيين في دمشق وحمص وحماه وحلب (١١) . فحاول عبثا جعل الانسحاب يعتمد على تسوية قضية الحدود ، وحاول باستمرار فرض وجهة نظره بالاشارة الى المجهود البريطاني المطلق في المنطقة (١٢) . علاوة على ذلك كانت هناك مخاوف حقيقية لدى الادارات العسكرية البريطانية حول امكانية متاعب جدية من قبل العرب اذا سمح للاحتلال الفرنسي ان يحل هناك (١٣) .

عرض لويد جورج بسبب ضغط مستمر من عدة اطراف على كليمنصو في الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩١٩ في **ديوفيل** ان لا ينتظر الانسحاب البريطاني التسوية النهائية للانتداب التركي (١٤) . فوافقه كليمنصو على ان الانسحاب قضية تعود

لبريطانية وفرنسا لكنه اشار الى ان كون القضية محض عسكرية فيجب « ان لا تؤثر على التسوية النهائية للقضية السورية . . . . » (١٥) وبناء عليه قدم لويد جورج مذكرة الى كليمنصو في الثالث عشر ذاته يعلمه فيها ان الجيش البريطاني سيبدأ باخلاء كيليكيا وسورية في الفاتح من تشرين الثاني (نوفمبر) . وتسلم المناطق التي اخليت الى فرنسا او الى العرب بحسب الاتفاقيات المعقودة خلال الحرب .

« ٤ . عملا بهذه السياسة تحل القوات الفرنسية محل حاميات سورية غربي خط سايكس بيكو ومحل حاميات كيليكيا ، اما حاميات دمشق وحمص وحماه وحلب فتستبدل بقوة عربية .

. . .

٦ . حينئذ ستصبح المناطق المحتلة من قبل بريطانية فلسطين ، محددة بحسب حدودها القديمة من دان الى بئر السبع ، وما بين الرافدين بما فيها الموصل ويصبح عندها الاحتلال مناسبا للاجراءات التي اتفق عليها كليمنصو ولويد جورج في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ » .

كما اعرب لويد جورج عن رغبته في بحث هذه الحدود وعن استعداده لاحالة اي اختلاف لتحكيم ولسون ، رئيس الولايات المتحدة (١٦) .

وفي اجتماع للقوى الكبرى الخمس عقد في الخامس عشر من ايلول (سبتمبر) في باريس حاول لويد جورج ثانية الحصول على قبول لفكرة الانسحاب الى حدود مؤقتة (١٧) . ووافق كليمنصو على ارسال قوات تحل محل القوات البريطانية المنسحبة، لكن بشرط ان لا يعني ذلك الاتفاق مع اي جزء من مذكرة الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) « باستثناء احتلال القوات الفرنسية » . وكان على لويد جورج ان يوافق على ذلك (١٨) واعلم بذلك الامير فيصل في التاسع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ، وبالرغم من رفضه القوي للوجود الفرنسي ، لم يستطع ان يفعل شيئا (١٩) .

من احد الاهداف التي كان البريطانيون يحاولون تحقيقها هو تأمين منطقة فلسطينية يمكن ان تساعد على تطور الحركة الصهيونية بالانسجام مع وعد بلفور ، الذي وافق عليه كل من الولايات المتحدة وفرنسا وايطالية (٢٠) في اوقات مختلفة . وفي ايار (مايو) ١٩١٩ كرر الرئيس ولسون دعمه لذلك الوعد في تصريح للسيد فرانكفورتر ، احد ممثلي الصهيونيين الامريكيين (٢١) . وازداد ضغط الصهيونيين في انحاء عدة من العالم ، بالرغم ان الاقلية منهم فقط كانت تطلب كثيرا مثل السيد دافيد تريتش من براغ ، الذي اقترح في تموز (يوليو) ١٩١٩ استعمارا يهوديا لقبرص وفلسطين ، بحيث تضم صيدا (٢٢) .

وقد جاء في ادعاء بريطاني يقترح تخطيط الحدود ، في مذكرة من بلفور الى لويد جورج بتاريخ السادس والعشرين من حزيران (يونيو) ما يلي : « لا اطلب سوى ان يتم تحديد هذه ، فيما يهم الدول العظمى على الاقل ، مع اعتبار قليل لمسائل الاستراتيجية واعتبار بالغ المسائل الاقتصاد . فعلى سبيل المثال ، اعتقد ان الجنود يتحدثون عن الحدود الشمالية لفلسطين من وجهة نظر الدفاع عن مصر . آمل ان لا يعطى لمناقشات كهذه وزنا كبيرا . ففي تحديد الحدود الفلسطينية ، الشيء الرئيسي الذي يجب ان يؤخذ في عين الاعتبار هو جعل السياسة الصهيونية ممكنة من خلال اعطاء اوسع مجال للتطور الاقتصادي في فلسطين . وهكذا يجب ان تعطى الحدود الشمالية لفلسطين سيطرة كاملة على القوة المائية التي تنتمي جغرافيا الى فلسطين وليس الى سورية ، بينما يجب رسم الحدود الشرقية بحيث توفر اوسع مجال للتطور الزراعي على الضفة

اليسرى من نهر الاردن ، الامر الذي ينسجم مع ابقاء سكة حديد الحجاز تحت سيطرة العرب الكاملة » (٢٣) . كما جاء في المذكرة التي نجمت عن اهتمام بلفور عند تراجع الوفود بتوقيع معاهدة فرساي بعد مرور يومين فقط . مناقشة المشكلة التركية الكاملة وتسلم لورد كيرزون نسخة في باريس واعرب عن موافقته عليها ، الا انه دون فيها : « من الافضل عدم تداولها في الوقت الحاضر » .

لقد كان الاهتمام بشأن موارد المياه في شمالي فلسطين العنصر المهم في المفهوم البريطاني للمكان الذي يجب ان ترسم فيه الحدود الشمالية . ودونما انتظار لقرارات **مؤتمر السلام** ، كانت بريطانيا قد بدأت بالسماح لخبراء المياه والري الذين ارسلوا من قبل المنظمة الصهيونية بدخول فلسطين (٢٤) . وفي مسح بالغ الصراحة للتطورات المؤدية الى الاختلافات مع فرنسا ، كتب بلفور في ١١ آب (اغسطس) حول ما كان يعتقد انه افكار كليمنصو بشأن الموقف البريطاني : . . . « سألت رئيس الوزراء ما هي التعديلات التي كانت ترغبها انكلترا في اتفاقية سايكس بيكو » . فأجاب : « الموصل » . قلت : « ستكون لكم . هل من شيء اخر ؟ » فأجاب : « فلسطين » . ومرة اخرى قلت : « ستكون لكم » . لقد غادرت لندن ولدي بعض الشكوك حول الاستقبال الذي ستحظى به هذه الاتفاقية في فرنسا ، ولكنني كنت متأكدا تماما انها ستكون بالنسبة لبريطانيا العظمى على الاقل مرضية . وكم كانت دهشتي بعدئذ عندما وجدت ان ما اعطيته بسخاء بالغ فسح المجال امام طلبات جديدة . اذ يبدو ان الموصل كانت غير ذي نفع ما لم تعط تدمر ايضا . ولم تكن فلسطين تكفي وطنا لليهود ما لم تدفع حدودها شمالا داخل سورية » (٢٥) .

واستمر بلفور بعدئذ يبين كيف ان كل الاتفاقيات المتعلقة بالمنطقة ، ابتداء بمراسلات مكماهون وانتهاء بميثاق عصبة الامم ، كانت تتعارض مع بعضها بعضا . وقد اقترح نظرة واقعية في تقسيم المنطقة الى سورية وفلسطين وبلاد الرافدين : « ما يجب علينا فعله هو جعل الاتفاقيات الدولية ، الاقتصادية منها والاقليمية ، تمكن كل منطقة من تطوير ذاتها الى اقصى مدى ممكن دون فسح المجال امام الغيرة والنزاعات . ليست هذه المهمة مستحيلة ، ولكن تنفيذها يتطلب خبراء يمتلكون معرفة اكثر بكثير مما لدي او ما استطيع تحصيله . وفيما يلي ملاحظات عابرة حول هذه النقاط كما خطرت بذهني : **فلسطين** : اذا كانت الصهيونية ستؤثر في المسألة اليهودية في العالم فيجب تهيئة فلسطين لاستقبال اكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود . وهكذا فانه لمن المفضل بشكل واضح ان تحصل على سيطرة على القوة المائية التي تتبع لها بشكل طبيعي ، اما من خلال توسيع حدودها الى الشمال او من خلال معاهدة مع الانتداب في سورية ، الذي لا تستطيع مياه جبل الشيخ المنحدرة جنوبا ان تكون ذات نفع له بأي حال من الاحوال . ولنفس السبب يجب توسيع فلسطين بحيث تضم الاراضي الواقعة شرق نهر الاردن . ولكنها يجب ان لا تضم سكة حديد الحجاز ، التي ترتبط بشكل جلي تماما بالمصالح العربية دون غيرها (٢٦) .

لقد طالبت مذكرة لويد جورج المؤرخة ١٣ ايلول (سبتمبر) بان تصل حدود فلسطين حتى دان شمالا ، على اساس مبادىء كتلك التي اقترحها بلفور . وفي ملاحظة مؤرخة ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) اعترض كليمنصو بشدة على هذه الحدود المقترحة : « لقد عينت الحدود بين فلسطين وسورية في اتفاقية عام ١٩١٦ بعد دراسة مفصلة ، آخذة بعين الاعتبار مصالح المنطقتين . وان اعادة رسمها فوق خط عرض صور وحتى ضواحي دمشق تقريبا ستحرم سورية من بعض اكثر مناطقها خصبا واشجع سكانها » (٢٧) .

لقد كان الانسحاب البريطاني ، الذي بدأ في اول تشرين الثاني (نوفمبر) ، من اجل تسليم قوات الامير فيصل المناطق الواقعة شرق خط سايكس بيكو ، وتسليم القوات الفرنسية المناطق الواقعة غربه . وتبعا لخطة لويد جورج الملخصة في مذكرة ١٣ ايلول (سبتمبر) ، سيصل الانسحاب حتى « دان » جنوبا فقط . وهكذا فان « خط ديوفيل » الحاصل يتبع نهر الليطاني من مصبه وحتى الانحناء ومن هناك الى بانياس . ولكنه سرعان ما تبين أن البريطانيين كانوا يسلمون الى الامير فيصل مناطق تقع في وادي البقاع ، اي غرب خط سايكس بيكو . وقد سلمت مذكرة احتجاج فرنسية من قبل القائم بالاعمال في لندن يوم ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) تصر على خط سايكس بيكو (٢٨) . وفي ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) اوضح لورد كيرزون مرة اخرى لفرنسا موقف بريطانيا بشأن الحدود التي قامت على اساس الانسحاب . وقد اقترب الموقف البريطاني الى حد كبير من الموقف الذي عبر عنه كليمنصو سابقا : « وعلى اي حال سيكون حسنا بالنسبة لي ان اسجل انه (اي الانسحاب) ينفذ من قبل حكومة جلالته بدون تحيز للتحديد المستقبلي للحدود الشمالية والشرقية لفلسطين ، التي تحتاج للفحص والتعديل في التسوية النهائية » (٢٩) . لقد تم الخروج من الازمة مؤقتا في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) عندما قام اللنبي في التاسع والعشرين منه باعلام الجنرال الفرنسي جورو بقراره الانسحاب جنوب « خط ديوفيل » الى الحد الشمالي لمنطقة العدو المحتلة جنوبا ، « دون تحيز للاجراءات المستقبلية . انني اعرف انه سيوافق على ذلك ، ولكنني لست متأكدا من انه لن يطرح لاحقا خط سايكس بيكو الاصلي على اساس انه الخط الذي اعطته اياه حكومته . وعلى اساس خط سايكس بيكو سيطالب الفرنسيون بصفد » (٣٠) .

وفي تعليقه على هذا القرار ، اوضح اللورد كيرزون في رسالة بتاريخ ١٢ كانون الاول (ديسمبر) الى اللورد ديزلي ، السفير البريطاني في باريس ، انه نظرا للخوف من المشاكل مع العرب ، اتفقت بريطانيا وفرنسا على ان تحجما عن احتلال تلك الاجزاء من منطقة العدو المحتلة شرقا المواجهة للمناطق الساحلية المقابلة . وكـ « استجابة منطقية » لهذه « التنازلات للمشاعر المحلية » ، قررت بريطانيا الانسحاب من المنطقة المحتلة غربا و « حصر منطقة احتلالها في فلسطين منطقة العدو المحتلة جنوبا . وكل ذلك ، بالطبع ، دون تحيز « للتحديد المستقبلي للحدود الشمالية والشرقية لفلسطين » (٣١) . وعاود الفرنسيون مطالبتهم القديمة بخط سايكس بيكو يوم ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) .

لقد سلم البريطانيون البقاع الى الامير فيصل بدلا من الفرنسيين ، لانهم كانوا على قناعة بان السكان المحليين سيثيرون القلاقل فيما لو سمح للفرنسيين بالدخول . وعندما اصرت الحكومة الفرنسية على تطبيق اتفاقية سايكس بيكو كانت القوات البريطانية سحبت الى الجنوب اكثر من ذي قبل للتعويض ، مؤكدة بذلك مؤقتا سيطرة فيصل في البقاع .

وفي ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ، تلقى اللورد كيرزون مذكرة من الكولونيل ماينرتزهاجن ، كبير الضباط السياسيين البريطانيين في القاهرة . وقد اخذت هذه الوثيقة لاحقا من قبل المفاوضين البريطانيين لتمثل المطالب الصهيونية . وبعد وصفه خط سايكس بيكو و « خط ديوفيل » اشار الى ان ايا منهما لا يحقق المصالح الاقتصادية لفلسطين ، واضاف : « ان التنمية النهائية لفلسطين غرب نهر الاردن تعتمد اساسا على الزراعة بسبب تربتها ومناخها وقربها من شاطىء البحر . ولا يمكن تأمين

الصحة الاقتصادية في فلسطين الا بالري على نطاق كبير ، وعلى جلب المياه من غير المطر . ولا يمكن الحصول على هذه المياه الا في شمالي فلسطين من منابع نهر الاردن والليطاني . واذا ما حرمت فلسطين من وسائل الري والقوة المائية على اوسع نطاق ، فسيعاق مستقبلها الاقتصادي منذ البداية امام اثر فقدان القوة التي تحتل سورية لهذه المياه فهو ضئيل بالمقارنة . فاذا ما اريد تأمين هذه الاوضاع الاقتصادية فيجب ان « ترسم الحدود الشمالية من البحر ، شمال نهر الليطاني بالضبط وتتبعه الى فوق ، وعلى مسافة معينة من الضفة اليمنى ، تقطعه من الغرب الى الشرق بالقرب من مكان انحدار الليطاني . ومن هناك يجب ان تتجه الحدود بحيث تضم مياه جبل الشيخ التي تجري الى وادي الليطاني او الاردن . ان خط ديوفيل ، الذي يطابق نهر الليطاني ، يعدل المياه ولا يقود الا الى النزاعات » (٣٢) .

وقبل ثلاثة ايام كانت مذكرة فرنسية قد اظهرت بعض مظاهر الليونة بصدد مسألة حدود فلسطين الشمالية . وقد جاء فيها ان كليمنصو كان على استعداد لتقديم تنازلات فيما يتعلق بالموصل ، « ولكنه لا يستطيع ، دون التخلي عن كامل امكانية وكل قيمة لانتداب على سورية ، تمديد الحدود الشمالية لفلسطين حتى ضواحي دمشق لمصلحة الصهاينة ... والتخلي عن كل مياه دمشق للمستوطنات اليهودية ... (٣٣) وقد اقترح تعليق القسم السياسي في بعثة السلام البريطانية انه يمكن فهم ذلك على ان كليمنصو قد يكون مستعدا للتنازل . وقد كانت الاعتراضات الفرنسية متوقعة على الجبهة الشمالية التي اقترحها الكولونيل منير تزهاجن ، لذلك اقترح حل وسط يأخذ بعين الاعتبار انقاذ اكثر شيء ممكن لتأمين المطالب الصهيونية : « ... اننا نعتقد انه يمكن تحقيق الاهداف الصهيونية في هذا الاتجاه اذا جعلت الحدود ، بدلا من ان تضم وادي الليطاني بأكمله من البحر وحتى الانحناء شمالا ، تمتد من مكان بالقرب من نقطة البدء الحالية لخط سايكس بيكو ، شمال عكا ، باتجاه شمال شرقي بحيث تضم لفلسطين انحناء الليطاني ذاته وجزءا صغيرا من (المنطقة ؟) حتى شمال الانحناء . ومن هناك يمكنها أن تمتد شرقا حتى السفوح الجنوبية لجبل الشيخ جنوب راشيا قاطعة نهر الحاصباني .

ان هذا الاقتراح الاخير الذي يترك لسورية المنطقة الساحلية شمال عكا وحول صور ، وكذلك مقاطعات حاصبيا وراشيا سيكون حلا وسطا عادلا جدا » (٣٤) .

لقد قدم الاقتراح الوسط هذا في اجتماع للمندوبين البريطانيين والفرنسيين بلندن يوم ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) . ولكن اقصى ما كانت فرنسا تقدمه ، بالاضافة الى خط سايكس بيكو ، هو عمل اجراءات مع الصهاينة لاعطائهم ٣٣٪ من مياه جبل الشيخ المتدفقة جنوبا الى فلسطين كما تعرفها اتفاقية سايكس بيكو (٣٥) . وضلت المفاوضات الى توقف تام واستمر هذا الوضع حتى ١٩٢٠ . كررت فرنسا موقفها بشأن خط سايكس بيكو (٣٦) ، بينما اعربت الولايات المتحدة عن املها في انه لا يجري تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو « لاضعاف وعد بلفور فيما يتعلق بفلسطين المستقبل » (٣٧) .

بدا **مؤتمر لندن** الاول في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٢٠ ، حيث اعيد طرح المواقف . ولكن في ١٨ شباط (فبراير) اعرب الامين العام لوزارة الخارجية الفرنسية ، برثلوث ، عن رغبته في سؤال الحكومة الفرنسية « ما اذا كانت توافق على ضم المنطقة التي تحتلها القوات البريطانية الان في قضاء صفد الى فلسطين » (٣٨) . وكانت تلك المنطقة هي تقريبا المنطقة الواقعة شمال خط سايكس بيكو وحتى حدود منطقة العدو المحتلة الجنوبية . استمرت المفاوضات ، وفي مؤتمر سان ريمو في ٢٥ نيسان (ابريل) ، اعلن

برثلوت ، عندما طلب منه تسوية تفاصيل معاهدة السلاح مع تركيا ، الاتفاق على مسألة الحدود فيما يتعلق بالحدود الشمالية لفلسطين : « تتبع الحدود الجنوبية (لسورية) خط سايكس بيكو ، باستثناء تعديل طفيف لحدود فلسطين ، يتوافق مع التعريف الذي يدعو له السيد لويد جورج ، الذي كان يفضل الحدود القديمة لدان وبئر السبع ، وبكلمات اخرى ، ان فلسطين ستضم قضاء صفد حتى دان شمالا ، وان الحدود ستمتد الى الشرق بخط عمودي يرسم من جنوب جبل الشيخ الى حيث تقطع الحدود التي تصفها اتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦ . لقد ضمنت هذه الحدود في العهد التمهيدي الذي قدم الى البعثة البريطانية في لندن . ولم تبد اية اعتراضات على الاطلاق ، لانه تم التوصل الى اتفاق كامل بين المبعوثين البريطانيين والفرنسيين »(٣٩). ومع ان فرنسا كانت ترغب في تضمين الحدود في معاهدة السلام مع تركيا ، الا ان مؤتمر سان ريمو قرر ان يترك تعيينها النهائي الى قوى الحلفاء الرئيسية (٤٠) .

لقد مرت ستة شهور اخرى قبل ان يصبح ممكنا توقيع الاتفاقية الانجلو فرنسية المتعلقة بحدود فلسطين الشمالية . وكان السبب يعود الى المباحثات الفرنسية والبريطانية المستمرة بشأن السيطرة على مياه السفوح الجنوبية لجبل الشيخ والسفوح الغربية لمرتفعات الجولان ونهر اليرموك . ولكن برثلوت كان قد وقع في مشاكل مع الصحافة الفرنسية ومجلس النواب بسبب تنازلاته في لبنان الجنوبي . وفي ٢١ حزيران (يونيو) وصف فانزيتارت ، مسؤول فريق المفاوضين البريطانيين ، الوضع بشكل بليغ . اذا لم ينجح بشأن حدود فلسطين الشرقية (٤١) ، فسيكون على اليهود تحملها. **نحن** نستطيع اعطاءهم خط منيرتزهاجن جنوب خط سايكس بيكو ، واذا لم استطع تحريك الفرنسيين ، فيجب عليهم ان يقنعوا بذلك » (٤٢) . وبكلمات اخرى ، تستطيع بريطانية توسيع فلسطين بحيث تضم الضفة الشرقية للاردن ولكن اي توسيع باتجاه مرتفعات الجولان او السفوح الشرقية لجبل الشيخ كان يعتمد على الفرنسيين .

وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) ارسل اللورد كيرزون تعليمات الى فانزيتارت ليضغط من اجل الخط التالي : « خط يمتد شرقي رأس الناقورة على الساحل حتى التلال الواقعة على بعد خمسة اميال غربي بحيرة الحولة ، ومن هناك شمالا على طول خط المنتصف بين نهري الليطاني والحاصباني حتى **الدبر** ، ومن هناك على طول « خط منيرتزهاجن » حتى نهر اليرموك . . . » واذا لم يوافق الفرنسيون على ذلك ، فعلى فانزيتارت حينذاك الاصرار على اجراء ما يضمن استعمال الليطاني واليرموك لفلسطين (٤٣) . وقد اجبر الفرنسيون فانزيتارت على التراجع حتى المطلب الادنى الاخير (٤٤) .

وخلال تشرين الثاني (نوفمبر) حاولت **وزارة الخارجية البريطانية** مرة اخرى الضغط من اجل عبارة تضمن مياه الليطاني واليرموك لفلسطين . ولكن فانزيتارت الح من باريس على توقيع المعاهدة بالشكل المتفق عليه . فقد خاف ان يكون من شأن التأخير اغراء الفرنسيين في بالتخلي عن المعاهدة واعادة مطالبهم بخط سايكس بيكو (٤٥) . وفي **مؤتمر لندن** الثاني ، توضحت هذه المسألة الاخيرة في النهاية. وافقت فرنسا على فحص مسألة المياه في اليرموك ووادي الاردن الاعلى ، ولكن كان على بريطانيا ان تتخلى عن مطالبتها بمياه الليطاني (٤٦) .

لقد تم التوقيع على « المعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا بشأن تسوية نقاط معينة متعلقة بالانتداب على سورية ولبنان ، وفلسطين وبلاد الرافدين » في باريس يوم ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ (٤٧) . عينت المادة ١ كل الحدود ، والتفاصيل التي سيتم تسويتها على الطبيعة من قبل بعثة مشكلة من اربعة رجال تؤسسها المادة

٢ . وقد وصفت حدود فلسطين الشمالية بالشكل التالي : « ومن هناك (من بانياس) سترسم الحدود باتجاه الغرب حتى المطلة التي ستبقى ضمن الاراضي الفلسطينية . وسيقتفى اثر هذا الجزء من الحدود بشكل يضمن معه للمنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي مواصلات سهلة داخل المنطقة بأكملها مع مناطق صور وصيدا ، وكذلك استمرار الطريق الواصلة ما بين غرب وشرق بانياس . ومن المطلة ستصل الحدود حتى الخط الفاصل بين وادي الاردن وحوض الليطاني . ومن هناك ستتبع هذا الخط باتجاه الجنوب . وبعد ذلك ستتبع بشكل اساسي الخط الفاصل ما بين واديي فرح حورون وقرقرة ، التي ستبقى تحت الانتداب البريطاني ، ووديان الدبلة والعيون والزرقة التي ستبقى في المنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي . وستصل الحدود البحر المتوسط في ميناء رأس الناقورة ، الذي سيبقى في المنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي » (٤٨) . وقد نظمت مسألة المياه في المادة ٨ (الثامنة) . وقد استغرق المسح التفصيلي للحدود الذي قامت به **بعثة الحدود** حوالي عامين ، وتم التوقيع على تقريرها في النهاية يوم ٧ اذار (مارس) ١٩٢٣ (٤٩) .

بعد مرور اكثر من عامين على احتلال بريطانيا لفلسطين وسورية تمت التسوية النهائية للحدود . وكان السبب في التأخر جزئيا الاحداث التي حصلت في دمشق ، ولكن معظم اللوم يجب ان ينصب على تعقيدات حدود فلسطين . ويعود تاريخ هذه التعقيدات الى الاتفاقيات والتصريحات خلال فترة الحرب في وقت لم يجرأ فيه الا قلة على التنبؤ بان بريطانيا ستكون يوما ما مسؤولة عنها . وكانت النتيجة اكثر من عامين من الشجار بين الحلفاء ، الذين كانوا كلهم اوروبيون وكانوا كلهم يسعون للحصول على اكبر قدر مستطاع . ومما زاد في تعقيد المفاوضات اصرار بريطانيا على الاخذ بالاعتبار المصالح الاقتصادية لجماعة من الناس كانت ما تزال تخطط لاستيطان بلد يطالبون به على اساس غياب الفين عام . وكانت المحاولة الوحيدة لضمان مصالح شعب المنطقة هي المحاولة التي قامت بها بعثة **كنج كرين** التي وصلت الى استنتاج مفاده ان الشعب لا يريد حدودا على الاطلاق .

---

١ ــ في الطبعة الانكليزية انظر تحت *Cmd. 5957* الذي نشرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بعنوان

Correspondence between Sir Henry MacMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo and the Sherif Hussein of Mecca, July 1915 — March 1916

والرسائل المهمة هي رسائل مكماهون في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) و ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٥ ، ورسائل الشريف في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ و ١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ .

٢ ــ بريطانية العظمى *Palestine Royal Commission, Report, Cmd. 5479* (تقرير بيل) ، (لندن ١٩٣٧) ص ١٩ وما يليها .

٣ ــ بريطانية العظمى ، *Documents on British Foreign Policy 1919-39* السلسلة ، المجلد ٤ (لندن ١٩٥٢) ص ٢٤٤ ــ ٤٩ ، في الطبعة الفرنسية انظر :

Dictionnaire diplomatique (باريس ١٩٣٣) ، عدد ٢ ، ص ٨٩٢ وما يليها .

٤ ــ اعيد اصدارها مصورة في الغلاف الخلفي لكتاب زين ن . زين ، **النضال من اجل استقلال العرب** (بيروت ١٩٦٠) .

٥ ــ طبعت في *Cmd. 5479* ، ص ٢٢ . *Cf. Documents* سلسلة ١ ، مجلد ٤ ، ص ٢٤١ .

٦ ــ السير جورج مكمون سبريل فولز ، *History of the Great War: Military operations, Egypt and Palestine* (لندن ١٩٢٨ ــ ٣٠) ، جزء ٢ ، ص ٢٩٤ .

٧ ــ نفس المصدر ، ص ٦٠٧ وما يليها .

٨ ــ المصدر نفسه ، ص ٦٠٧ .

٩ — الولايات المتحدة *Papers relating to the foreign relations of the United States, the Paris Peace Conference 1919*
(واشنطن ١٩٤٦) ص ٣ وما يليها ، ٨٠٧ وما يليها ، ٨١٠ وما يليها *Documents* سلسلة ١ مجلد ٤ ص ٢٥١ ، زين ، **النضال ...** ، ص ص ٥٥ — ٦٠ ، نقلها هـ.ف. فريشواسر — رعنان ، *Frontiers of a Nation* (لندن ١٩٥٥) ، ص ٩٨ .

١٠ — انظر مثلا مذكرة من بلفور الى لويد جورج بتاريخ ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩١٩ . *Documents* سلسلة مجلد ٤ ، ص ٣٠١ .

١١ — *US foreign relations, Paris Peace Conference*
مجلد ٥ ، ص ٦ .

١٢ — نفس المصدر . الصفحات ٧٦٠ وما يليها ٧٦٤ ، ٨٠٩ .

١٣ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ٤ ، ص ص ٢٥٥ وما يليها .

١٤ — نفس المصدر . ص ٣٧٩ .

١٥ — المصدر نفسه . ص ص ٦٩٠ وما يليها .

١٦ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ١ (لندن ١٩٤٧) ، ص ص ٧٠٠ وما يليها .

١٧ — نفس المصدر . ص ص ٦٩٠ وما يليها .

١٨ — المصدر نفسه ، ص ٦٩٢ ، وايضا ملخص ما سبق حول الانسحاب العسكري حضرها م.ب.ا. هانكي ، سكرتير حكومة الحرب ، *Documents* السلسلة ١ المجلد ٤ ص ص ٣٨٤ وما يليها .

١٩ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ٤ ، ص ص ٣٩٧ وما يليها . *Documents*

٢٠ — *Cmd. 5479* ، ص ٢٢ .

٢١ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ٤ ، ص ص ٢٦٠ — ٦٢ .

٢٢ — نفس المصدر . ص ص ٣١٣ وما يليها ، للاطلاع على تفاصيل مطالب صهيونية اخرى انظر فريشواسر — رعنان ، *Frontiers* ص ص ٨٦ وما يليها و ١٠١ وما يليها .

٢٣ — نفس المصدر . ص ٣٠٢ .

٢٤ — نفس المصدر . ص ٣٢٥ .

٢٥ — نفس المصدر ص ٣٤٠ وما يليها .

٢٦ — نفس المصدر . ص ٣٤٧ .

٢٧ — نفس المصدر . ص ٤٥٤ .

٢٨ — نفس المصدر . ص ٥٠٥ وما فوق .

٢٩ — نفس المصدر . ص ٥٥٠ .

٣٠ — نفس المصدر . ص ٥٩١ .

٣١ — نفس المصدر . ص ٥٨٩

٣٢ — نفس المصدر . ص ٥٣٤ ، ريتشارد منير تزهاجن ,*Middle East Diary* ١٩١٧ — ١٩٥٦ ، (لندن ١٩٥٩) ، ص ٦٤ . اقترح هذه الحدود في البداية مهاينة المان سنة ١٩١٧ نقلها فريشواسر — رعنان ، *Frontiers* ص ٩١ .

٣٣ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ٤ ، ص ٥٧٩ (بترجمتي) .

٣٤ — نفس المصدر . ص ٥٨٢ وما يليها .

٣٥ — نفس المصدر . ص ص ٥٩٥ — ٥٩٨ .

٣٦ — نفس المصدر . ص ٦٣٠ وما يليها .

٣٧ — نفس المصدر . ص ٦٣٤ .

٣٨ — *Documents* ، السلسلة ، المجلد ٧ (لندن ١٩٥٨) ، ص ١١٣ .

٣٩ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ٨ (لندن ١٩٥٨) ، ص ١٧٢ والتي تليها

٤٠ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ١٣ (لندن ١٩٦٣) ، ص ٢٥١ . نقلا عن المادة ٩٥ من معاهدة سيفر الموقعة في ١٠ اب (اغسطس) ١٩٢٠ ، مع انه لم يصدق عليها ابدا ، بريطانية العظمى *British and foreign state papers* مجلد ١١٣ (لندن ١٩٢٠) ، ص ص ٦٧٣ وما يليها

٤١ — اي حدود فلسطين من بانياس جنوبا حتى النقطة التي يتحول عندها خط سايكس بيكو الى الشرق باتجاه الصحراء السورية .

٤٢ — *Documents* ، السلسلة ١ ، المجلد ١٣ ص ٢٩١ .

٤٣ — نفس المصدر ، ص ٣٥٠

٤٤ — نفس المصدر . ص ٣٥٩ وما يليها .

٤٥ — نفس المصدر . الصفحات ٣٨٢ ، ٣٨٤ — ٣٨٧ ، ٣٩٠ والتي تليها .

٤٦ — نفس المصدر . ص ٨٦٥ .

٤٧ — بريطانية العظمى ، *State Papers* المجلد ١١٣ ، ص ص ٣٥٥ — ٣٦٠ .

٤٨ — نفس المصدر . ص ٣٥٦ .

المجلد ٤٩ — بريطانية العظمى ، *State Papers* ١١٧ (لندن ١٩٢٣) ص ص ٢٩٣ — ٣٠٦ .

حوار مع المر بيرغر

* نحو حركة عالمية لمكافحة الصهيونية
* اتفاقية سيناء ومطامح كيسنجر
* حق المقاومة الفلسطينية في العنف

مصطفى كركوتي

اثناء زيارته الى لندن خلال النصف الاول من شهر ايلول (سبتمبر) الماضي ، التقى مندوب شؤون فلسطينية في بريطانيا المر بيرغر ، رئيس منظمة « البديل اليهودي الاميركي للصهيونية » والرئيس السابق « للمجلس اليهودي الاميركي » . والمعلوم ان بيرغر هو حاخام اصلاحي ، وهو من اوائل يهود اميركا الذين تصدوا لادعاءات الحركة الصهيونية وفضحوا اساليبها في التضليل والخداع في تجربة يبلغ عمرها ٣٠ سنة . وفي الحوار معه كان الحديث حول تجربة « المجلس اليهودي الاميركي » والاسباب التي دعته الى الاستقالة من لجنته التنفيذية بعد حرب حزيران ، وحول استكمال هذه التجربة في منظمة « البديل اليهودي الاميركي للصهيونية » التي تشكلت بعد استقالته . وكان الحديث حول رأيه بمواقف منظمة التحرير ، السياسية والعسكرية ، خلال العامين الماضيين .. وحول الاتفاق المصري ــ الاسرائيلي الاخير ... وكان الحوار التالي :

شؤون فلسطينية : من المعلوم انك واحد من العناصر اليهودية الاميركية البارزة التي اتخذت موقفا ازاء مشكلة الشعب الفلسطيني منذ نحو ٣٠ سنة . والمهتمون الفلسطينيون والعرب يدركون جيدا تجربتك الغنية وخبرتك الطويلة في مواجهة الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وتفنيد ادعاءاتها ، لا سيما بعد مساهمتك الرئيسية في تاسيس وفي اعمال « المجلس اليهودي الاميركي » . ويهمنا في هذا السياق ، وعلى ضوء خبرتك الطويلة ، ان نعرف الاسباب التي ادت الى فشل تجربة المجلس اليهودي الاميركي الذي لم يعد يسمع عنه ، او حوله ، نتيجة لانعدام نشاطه منذ استقالتك من لجنته التنفيذية ؟ وما هو ، في رأيك ، البديل ؟

المر بيرغر : ان هذا التساؤل هام للغاية ، والاجابة عليه ، من دون شك ، تسعدني كثيرا .. ولكن ارجو ان تسامحني ان اطلت في الاجابة .

كانت ٣٠ سنة ضعبة وقاسية . بدأنا عملنا في المجلس اليهودي الاميركي منذ عام ١٩٤٣ ، وكانت العاطفة لدى العاملين في المجلس تتغلب على عقولهم ، وقد ساعد جهلنا بعناصر منطقة الشرق الاوسط والعرب على ذلك . دوافعنا كانت مستمدة من اعتقادنا آنذاك بان الصهيونية كانت تعبر عن الحركة الوطنية اليهودية ، والذي يسمعني الان وانا اردد هذا لا بد وان يستغرب الامر ، الا ان هذه هي الحقيقة بذاتها . والصهيونية ، في الواقع ، لم تكن كذلك في يوم من الايام ، اذ انها كانت تطرح نفسها في الولايات المتحدة تحت غطاء مموه يغلب عليه الطابع الديني والعاطفي . والجدير بالذكر ان زعماء الحركة الصهيونية آنذاك كانوا يتجنبون الاجابة على

تساؤلاتنا حول اهدافهم باقامة الدولة اليهودية ، وكانوا يرددون دائما ان هذه المسألة ليست ملحة ، الامر الذي جعل الجميع يعتقدون ان الصهيونية كانت تحصر اهتماماتها بمسألة اليهود القادمين من اوروبا هربا من الارهاب النازي .

وهكذا فقد تمكنت الحركة الصهيونية من تعقيد المسألة امامنا كي يتعذر علينا فهمها ومناقشتها ، لا سيما واننا كنا نشهد فترة نقص في الخبراء والإختصاصيين ، وارغب في الاشارة الى اننا ، مثل غيرنا من التنظيمات ، كنا نواجه مأساة الحرب العالمية الثانية ونتائجها المعقدة حيث بدت الحركة الصهيونية آنذاك مجهزة بالاجابة السهلة على مجمل التساؤلات .

ولا بد ان اذكر ان غياب العرب آنذاك عن ساحة عملنا سهل المهمة امام الحركة الصهيونية ، الامر الذي دفعنا الى مواقع حتمت علينا قبول الحل الصهيوني وفقا لقواعد ايديولوجية وفلسفية ودينية . ولم يشعر احدنا بالظلم الذي سينتج عن الحل الصهيوني آنذاك ويلحق بالعرب والفلسطينيين . فمع الغياب العربي السياسي والاعلامي — علما بأنه لو توافر الحضور العربي آنذاك فقد كان متخلفا وغير ملائم — خرجنا باجوبة تلاءمت مع الظروف القائمة آنذاك . ورغم مطالبة المجلس اليهودي الاميركي في اول بيان رسمي صدر عنه في عام ١٩٤٣ باقامة نظام حكم ديمقراطي علماني في فلسطين ، فان مواقفنا المبكرة آنذاك ازاء الحركة الصهيونية والمشكلة برمتها اظهرت ديناميكية واصول اهتماماتنا التي كانت ، في الاساس ، اميركية ويهودية . وقد تزول الدهشة عندما اذكر لك ان اول اتصال مع طرف عربي تم في اواخر الاربعينات ، وكان فايز صايغ ، الذي كان عضوا في البعثة الدبلوماسية اللبنانية في واشنطن ، اول عربي اجري حديثا معه .

ارجو ان لا يفهم من كلامي باني اعتذر من العرب بسبب المواقف التي اتخذناها في السابق . فانا ، قبل اي شيء آخر ، مواطن اميركي اؤمن بالديمقراطية والليبرالية واحتفظ بحقي بانتقاد من شئت . فالعرب هم الذين كانوا غائبين ، حتى ان تواجدهم السياسي والاعلامي في الولايات المتحدة آنذاك كان غير فعال وغير ملائم . على اية حال ، لقد واجهنا صعوبات بالغة خلال عملنا وذلك بسبب دوافعنا الدينية ازاء يهود اوروبا ، لا سيما وان الحركة الصهيونية كانت تقوم بعمل متقن ومدروس ، ليس بين يهود اميركا فحسب ، بل بين صفوف الشعب الاميركي كله .

وفي اواخر الاربعينات بدأنا باستدراك بعض الاخطاء في مواقفنا السابقة ، لا سيما بعد الاتصالات الثابتة والمستمرة ، التي اجريناها ، ولا نزال نجريها ، مع عدد من عناصر الصف الثاني من العاملين في وزارة الخارجية الاميركية ، حيث كشف لنا هؤلاء الاصدقاء اهداف الحركة الصهيونية والنتائج المترتبة على تحقيقها لتلك الاهداف التي ستزيد من تعقيد الازمة في منطقة الشرق الاوسط .

وفي الواقع ، فان استذكار ٣٠ سنة من العمل والخبرة بين صفوف يهود اميركا ، قضية هامة بالنسبة للشعبين الفلسطيني والعربي الذين تحتل اسرائيل اراضيهم . ويمكنني ان اقول ان الشعب الاميركي ، واليهود من بينهم ، باتوا يصغون جيدا وباحترام بالغ للمواد التي نطرحها . ولا اعني انهم يوافقون على وجهة نظرنا بالضرورة ، بل انهم ، على الاقل ، يصغون باحترام بالغ . فالذي يجري في هذه الاونة هو ان اليهود بدأوا يدركون انهم تبعوا زعماء الحركة الصهيونية وعصبة على عيونهم ، لا سيما بعد حرب عام ١٩٦٧ مباشرة حيث ادركوا ان الطريق الذي اختارته

الحركة الصهيونية لحل المشكلة في المنطقة اثبت بطلانه وعدم صحته . وهكذا فان عددا متزايدا من يهود اميركا بدأوا يدركون ان الحركة الصهيونية ضللتهم بما فيه الكفاية ، ووصل الحد بهم الى التساؤل ، حتى قبل الاعلان عن حظر شحن النفط الى الغرب ، عن اسباب مطالبتهم بالتبرع لدولة اسرائيل التي اعلن المسؤولون فيها — واقصد ابا ايبان وزير الخارجية آنذاك — « ان توازنا جديدا للقوى قد فرض في المنطقة نتيجة لحرب حزيران (يونيو) » .

واستطيع ان اقول اننا ، لا سيما بعد تشكيل منظمتنا الصغيرة التي تعرف باسم « البديل اليهودي الاميركي للصهيونية » ، اصبحنا اكثر قدرة على التوجه الى جمهور اوسع بين صفوف الشعب الاميركي ، كما ان عملنا لم يعد مقتصرا على التوجه الى اليهود الاميركيين بل الى جمهور اوسع . فعلى سبيل المثال ، ان مجمل الندوات والمحاضرات التي قمت بها خلال العامين الماضيين كانت موجهة الى طلبة الجامعات والكليات الاميركية التي يتواجد فيها العديد من اليهود الشباب .

هل نفهم من هذا ان تشكيل منظمة « البديل اليهودي .. » وضع حدا للخلاف الذي كان دائرا بين اعضاء اللجنة التنفيذية « للمجلس اليهودي الاميركي » ؟ .. واذا كان الامر كذلك ، هل تعتبر ان المنظمة الجديدة بمثابة البديل عن « المجلس اليهودي الاميركي » الذي لم يتوضح بعد الاسباب المباشرة لنشوء الخلاف بين اعضاء لجنته التنفيذية ؟ ..

دعني اعود قليلا الى الوراء . قبل بداية حرب حزيران (يونيو) كانت غالبية الاميركيين ، اليهود منهم وغير يهود ، يخشون على مصير اسرائيل ، لا سيما بعد تركيز اجهزة الاعلام الغربية والصهيونية على توزيع الاخبار يوميا حول التسليح الكثيف الذي بدأته الدول العربية . الا ان ما حدث بعد الحرب اكد بطلان هذا الادعاء ، فنتائج حرب ١٩٦٧ لم تحل المسألة بالطبع بل زادتها تعقيدا ، سيما وان اسرائيل احتلت اراض عربية اخرى فضلا عن الاراضي الفلسطينية . ومنذ ذلك الحين بدأت وعدد من اعضاء المجلس باتخاذ مواقف معادية لاسرائيل لان الوضع آنذاك لم يعد يحتمل استمرار المواقف السابقة . وكنا نعمل على محور آخر ونواجه الحملات الاعلامية التي بدأتها الدوائر الصهيونية والاميركية بعد حرب ١٩٦٧ والتي اثرت على اليهود الذين باتوا يعتقدون ان اسرائيل ، بعد الانتصار في الحرب ، اصبح بامكانها ان تمنع المد الشيوعي في السيطرة على المنطقة . وكانت وجهة نظرنا آنذاك ، ولا تزال ان عددا من الانظمة العربية اكثر خوفا من اسرائيل على وقف المد الشيوعي ، وان ادعاء الحركة الصهيونية بان اسرائيل تحتل الاراضي العربية والفلسطينية لتنفيذ هذه المهمة ليس الا مبررا لتحقيق الاهداف التوسعية والاستيطانية .

الا ان الذي حدث بعد ذلك على صعيد « المجلس اليهودي الاميركي » ، ان طلب عدد من اعضاء المجلس البارزين عقد جلسة لمراجعة موقفنا بهدوء . وقد تم ذلك بالفعل ، فبعد امتداح هؤلاء للاعمال التي قمت بها خلال عملنا سوية في المجلس اخبروني ، ما معناه ، انه لم يعد بالامكان ان نعمل سوية ما دامت مواقفي « مؤيدة بشكل فاضح للشيوعيين العرب » . واتهامي بالعمل مع الشيوعيين العرب استمده الغاضبون من اعضاء المجلس من جراء مواقفي المعادية لاسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ واتخذت اللجنة التنفيذية للمجلس آنذاك قرارا بعدم اصدار بيانات وتصريحات واجراء اتصالات منفردة ، والعمل الجماعي ضد الحركة الصهيونية وحصره في الولايات المتحدة فقط وقطع اي اتصال مع الاحداث والتطورات السياسية الجارية في منطقة

الشرق الاوسط . وبعبارة اخرى ، فان اللجنة التنفيذية قررت اتخاذ موقف محايد ، ان لم يكن مؤيدا ، لاسرائيل على الصعيد الدولي ، وموقف معاد للصهيونية في الولايات المتحدة .

والحادث الاخر الذي اكد عدم امكانية الاستمرار في العمل داخل « المجلس اليهودي الاميركي » كان الضجة التي أثيرت بعد مقال كنت قد نشرته في صحيفة « نيويورك تايمز » حول حرب ١٩٦٧ . وفي محاولة من ريتشارد كولن ، رئيس المجلس ، وضع حد للخلاف العلني بين اعضاء المجلس ، لا سيما بعد صدور بيانات وتصريحات بعد مرور اشهر قليلة على حرب ١٩٦٧ طالبت الحكومة الاميركية بوقف الدعم الذي تقدمه لدولة اسرائيل والتوجه نحو تناول المسالة الاساسية في المنطقة . وكان كولن صديقا حميما لسولزبرغ صاحب صحيفة نيويورك تايمز ، ووافقت على طلب الاول بعقد لقاء مع سولزبرغ لمناقشة مسالة المقال في الصحيفة وتم اتفاق في هذا الشان ، الا ان الصحيفة نشرت المقال تحت عنوان يقول ما معناه : « بيرغر يتهم اسرائيل بانها بدأت العدوان في عام ١٩٦٧ .. الخ ... » وتلا ذلك ضجة كبيرة ومفتعلة . وبالحقيقة ، اني لم اكتب المقال في هذا الوضوح ، فانا لم اذكر اسرائيل ، بل قلت ان الحركة الصهيونية هي عدوانية وتوسعية بحد ذاتها . وجرت بعد ذلك مناقشة حامية بيننا في اجتماع لاعضاء اللجنة التنفيذية للمجلس قاومت خلالها محاولات عدد من الاعضاء لاتخاذ موقف محايد ازاء اسرائيل . والجدير بالذكر ان اولئك الذين كانوا يحاولون اقناعي على العدول عن رأيي بالاستقالة من المجلس ، بدأوا في توجيه اللوم والعتاب لاني اتخذت موقفا معاديا ازاء اسرائيل التي كانت تمثل بالنسبة اليهم — على حد ذكرهم — « الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة ، والدولة الوحيدة التي تحمي المصالح الاميركية فيها » . على اية حال ، كان موقفي ثابتا خلال النقاش . اذ من غير المعقول ان يتخذ موقف معاد للصهيونية في الولايات المتحدة فقط واتخاذ موقف محايد ، في الوقت ذاته، ازاء اسرائيل . فاسرائيل هي الصهيونية وهذه الاخيرة هي اسرائيل .

ولم يكن امامي ، في هذه الحالة ، الا تقديم استقالتي من دون ان يتوافر لدي البديل آنذاك . ولحسن الحظ لم اكن ، وكذلك زوجتي ، ولعدة سنوات اعتمد ماليا على عملنا في المجلس ، الامر الذي ساعدني على تجنب العديد من المشاكل . وتجدر الاشارة الى أن عددا من اعضاء اللجنة التنفيذية للمجلس الذين كنت على اتفاق معهم طلبوا عقد اجتماع عاجل بعد تقديم استقالتي لمناقشة الوضع برمته . وقال لي هؤلاء الاصدقاء ان خبرة ٢٥ سنة في المجلس يجب ان اعيد استثمارها في عمل مماثل ، واتفق فعلا على تشكيل المنظمة الجديدة « البديل اليهودي الاميركي للصهيونية » وفقا لشروط ثلاثة : (١) رفضي لتلقي راتب شهري ثابت من المنظمة نظرا لعدم معرفتي بمقدرتي الجسدية على العمل ، لا سيما واني تجاوزت الستين آنذاك ، (٢) رفضي لصرف ٥ دقائق في العام الواحد لجمع التبرعات المالية للمنظمة الجديدة . وطالبت الجميع بالمساهمة المالية الشخصية وفقا لامكاناتهم ، (٣) عدم تضييع الوقت على مسالة الانتساب الى التنظيم لان هذه المسالة اقل اهمية من تلك التي يجب ان تخصص لمسالة اعداد البرنامج الاعلامي والسياسي الذي سنعمل وفقا له : واتفقنا على هذه النقاط بالفعل ، وتم فتح مكتبنا في نيويورك خلال عشرة أشهر .

وهكذا فان تنظيم « البديل اليهودي الاميركي للصهيونية » في رأيي هو اكثر من بديل عن « المجلس اليهودي الاميركي » . فتنظيمنا الان ليس منظمة ترتكز على العضوية ، كما ان العضوية فيه ليست محصورة باليهود وحسب ، رغم اهمية هذا الامر ، بل هي مفتوحة امام جميع الاميركيين الذين يعادون الصهيونية .

من الملاحظ ان يهود اوروبا الغربية المغادين للصهيونية ، امثال ماكسيم رودنسون يعملون ، او عملوا في السابق في الاحزاب الشيوعية الاوروبية المختلفة ، بينما يلاحظ ، في الوقت ذاته ، ان يهود اميركا ، امثالك ، لا تتعدى مواقفهم السياسية حدود المواقف « الديمقراطية ـ الليبرالية » . ما هي الاسباب التي ادت الى ذلك في رأيك ؟ وهل تعتقد ان الفرص متاحة امام اقامة تعاون منسق ، او شبه منسق ، بين يهود اوروبا ويهود الولايات المتحدة ، وذلك نظرا لاهمية هذا الامر ؟

لا ادري ان كان بامكاني ان اقدم جوابا مباشرا لهذا التساؤل ، الا انني سأحاول . قبل اي شيء ، علاقتي مع ماكسيم رودنسون ممتازة واعرفه منذ زمن بعيد . ورغم انني معروف سياسيا بمواقفي « الديمقراطية ـ الليبرالية » الا انني اعتبر نفسي في معظم الاحيان « فوضويا » . وفي رأيي انه يمكن للمرء ان يكون عضوا في حزب ديمقراطي ـ ليبرالي ويمارس ، في الوقت ذاته ، انشطة يسارية ويتخذ مواقف يعتبرها البعض مواقف متطرفة وماركسية . واعتقد انه ليس بالضرورة ان يحمل المرء « عنوانا » كي يعرف بانه ماركسي ام غير ماركسي . هذا الامر لا يقلقني على الاطلاق ، فانا على وشك الاحتفال بعيد ميلادي الـ ٦٨ . وقد نشأت في هذه البيئة وترعرعت في ظل المفاهيم السائدة في بلدي . واود في هذا السياق ان الفت النظر الى امر في غاية الاهمية ، وهو ما يعرف بـ « اليسار الجديد » الذي بدأ في العمل السياسي بعد تشكيله خلال الاعوام القليلة الماضية . فانا والعاملون في هذا اليسار نتمتع بعلاقة حميمة وممتازة تصل في اغلب الاحيان الى درجة التنسيق ، لا سيما في المسائل المتعلقة بازمة الشرق الاوسط ، فهؤلاء معروفون بتأييدهم ودعمهم المتواصل لحركة المقاومة الفلسطينية ولحق الشعب الفلسطيني باسترداد حقوقه الوطنية والمشروعة . كما تجدر الاشارة الى انني اقوم في معظم الاحيان مع العاملين في اليسار الاميركي بتنظيم ندوات مشتركة حول القضية الفلسطينية ، كما ان معظم هؤلاء يقدرونني ويحترمونني ويحافظون على طبيعة الاتصال والعلاقة فيما بيننا . وهم لا يحاولون اقناعي كي ادعم برنامجهم السياسي ، وانا بدوري لا اتدخل في شؤونهم . فانا براغماتي ازاء هذا الامر .

والشيء اللافت للانتباه هو الانتماء النيباستي ليهود اسرائيل الذين يعادون الصهيونية . فعلى سبيل المثال اسرائيل شحاق رئيس لجنة حقوق الانسان في اسرائيل والمحامية فيليسيا لانغر وغيرهما من يهود اسرائيل ، معظم هؤلاء هم اعضاء ، او كانوا اعضاء في الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، او من العاملين في « اليسار الجديد » في اسرائيل ـ المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) مثلا . وارغب في ان اضيف هنا باني على اتصال دائم مع هؤلاء ، كما اننا نلتقي دائما خلال وجود احدهم في الولايات المتحدة .

وبما اننا نتحدث عن الماركسية واليسار ـ وارجو معذرتي فيما لو اطلت ـ اجد نفسي مضطرا كي اضيف نقطة اخرى الى ما ذكرته في السابق . الملاحظ ان قوى اليسار في منطقة الشرق الاوسط تشهد نموا متزايدا لا سيما بعد فشل « القوة الثلاثية » (الولايات المتحدة ـ المال ـ النفط) في حل المشكلة الفلسطينية . وانا كنت واحدا من اولئك الاوائل الذين قالوا في وقت مبكر منذ نحو ٢٠ سنة ـ انه ما لم تتحرك هذه « القوة الثلاثية » لحل مشكلة الشعب الفلسطيني فان المسألة الفلسطينية ستتغير من طبيعة المنطقة بانتقال القدرة على اتخاذ قرار بشأن المسألة من ايدي القيادة التقليدية الى ايدي اليسار وقوى الشعب المسلحة والمقاتلة . والملاحظ الان ان قوى اليسار في منطقة الشرق الاوسط اصبحت اكثر قبولا لدى شعوب المنطقة ،

كما اصبحت قادرة على لعب دور مؤثر في تغيير التركيب الاجتماعي والاقتصادي السائد في المنطقة .

على اية حال ، اعتقد ان الاجابة المباشرة باختصار على سؤالك حول الاسباب التي جعلت من يهود اوروبا ينتمون الى احزاب شيوعية ، ومن يهود اميركا يعملون في احزاب « ديمقراطية ـ ليبرالية » ، هي ان الاسباب تعود الى عديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية . فالماركسية نشأت في اوروبا التي هي بدورها شهدت انطلاق الثورة الصناعية ، كما ان الماركسية ، وفقا للعوامل التي ذكرتها آنفا شهدت قبولا وترحيبا في اوروبا اكبر مما شهدته في الولايات المتحدة .

ارجو ان تحدثنا عن الجزء الثاني من التساؤل ، وهو هل تعتقد بامكانية قيام تعاون مشترك بين يهود اميركا ويهود اوروبا الغربية لتنظيم العمل الاعلامي ضد الصهيونية على نطاق دولي ؟

- كم اتمنى ان يتحقق ذلك . لقد تحدثت انا ورودنسون مطولا حول هذا الامر ، كما اجريت خلال زيارتي الحالية الى لندن اتصالات بهذا الشأن مع المسؤولين في « مجلس تعزيز التفاهم البريطاني ـ العربي » (الذي يعرف باسم « كابو ـ C. A. A. B. U.) واستمزجت آراء العاملين في « كابو » من اليهود . ويبدو ان الجميع متفقون على ضرورة تحقيق هذا الامر . الا ان المشكلة الكبرى التي تواجهنا هي مشكلة التمويل اللازم لانشاء جهاز ادارة يشرف على المشروع وتنفيذه . وجدير بالذكر ان هناك اتصالات دائمة بيني وبين ماكسيم رودنسون ، كما ان علاقات شخصية قائمة بيننا . ولا استطيع منفردا ان اصف تماما التنظيم الذي نحتاجه . وقد يكون هذا شيئا مثل المؤسسة ـ مثل « كابو » ـ ولكن بشرط وجود اميركيين في جهاز الادارة . ويمكنني ان اقول انني على اتم الاستعداد للعمل في مثل هذه المؤسسة ، وليس بالضرورة ان يسند لي دور قيادي فيها ، اذ ان مجرد مشاركتي في نشاطاتها سيساعد ، من دون شك ، على تطوير وسير العمل . وارغب في ان اضيف نقطة اخرى . رغم اعتقادي الشديد بان تنظيما يهوديا دوليا يعادي الصهيونية لا بد وان يتحقق في المستقبل ، وعلى ضوء تجربتي في « المجلس اليهودي الاميركي » و « البديل اليهودي الاميركي للصهيونية » بعد ذلك ، فاني اقترح ان يبدأ العمل على انشاء تجمع دولي ، ليس من الضروري ان يكون محكم التنظيم في البداية ، يضم يهودا ومسيحيين ، وربما مسلمين ايضا للعمل ضد الصهيونية ، ولكن بشرط ان يكون فيه لليهود دور رئيسي وقيادي . والذي يدفعني الى قول ذلك هو ما اكدته التجربة من ان عددا متزايدا من سكان المجتمعات الغربية من غير اليهود يصغون جيدا وباهتمام بالغ الى اليهود الذين يتناولون مسألة الشرق الاوسط . ويجدر بي ان اذكر ان عددا متزايدا من الاميركيين من غير اليهود بدأوا يهتمون بالمسألة .

السؤال الاخر يتعلق بالفلسطينيين ، او اكثر تحديدا ، بحركة المقاومة الفلسطينية وبنضالها السياسي والعسكري . فالمعروف انك كنت خلال السنتين و السنوات الثلاث الاولى من هذه الحقبة تفضل ان تلجأ منظمة التحرير الى استعمال « الكلمة » ، الاساليب السياسية ، وتقلل من اعتمادها على « الرصاصة » ، العمليات العسكرية . فعلى ضوء التطورات الدولية والعربية والفلسطينية التي حدثت خلال العامين الماضيين ، بدءا من حرب تشرين الاول (اوكتوبر) .. وفرض حظر على شحن النفط .. ومرورا بقرار المجلس الوطني الفلسطيني باقامة الدولة الفلسطينية المستقلة فوق الاراضي التي يتم تحريرها .. وخطاب ياسر عرفات في الامم المتحدة ، وانتهاء بالاتفاق الثنائي الذي وقع مؤخرا بين مصر واسرائيل ، فهل تعتقد ان المنظمة قد ذهبت بعيدا في اعتمادها على « الكلمة » ، ام انها يجب ان تقلل

من اعتمادها على « الرصاصة » بقدر اكبر .. ام انها تحقق التوازن بين استعمال السلاحين السياسي والعسكري ؟

اجابتي المباشرة هي ان هناك حالة من التوازن ، بين العمل السياسي والعمل العسكري ، قائمة خلال العامين الماضيين . والذي كنت اردده في السابق عبارة اطلقها روزفلت في احدى المناسبات وهي : « قل كلمتك برقة .. واحمل عصا غليظة » . واضح ان العنف ليس اسلوبا للحياة ، كما ان اولئك الذين يعتمدون العنف كاستراتيجية لا مستقبل لهم لان ذلك لا يبرهن عن اي شيء . والعنف المسلح الذي يمارسه الشعب الفلسطيني ، على اية حال ، ليس عملا استراتيجيا ، بل له مبرراته العديدة .

ولكن عليك ان لا تنسى انني واقعي . فالذي دفع وزير الخارجية الاميركي ، الدكتور هنري كيسنجر ، الى السفر الى القاهرة في شتاء عام ١٩٧٣ هو المشاهد التي كانت تعرض على شاشة مختلف المحطات التلفزيونية ، لعشرات الالاف من الاميركيين الذين اصطفوا في طوابير طويلة لشراء غالون من المحروقات . فانا اعتقد ان هذه المشاهد هي التي حركت كيسنجر ونكسون ، الرئيس السابق ، « للسعي من اجل التوصل الى حل للمسألة في منطقة الشرق الاوسط » . الا ان المسألة مختلفة تماما بالنسبة للفلسطينيين . فهؤلاء لا يسيطرون على النفط .. مما يجعل المرء يتساءل : ما هو « عرض القوة » الذين يمكن ان يقدمه الفلسطينيون ؟ فليس لديهم الا ذلك اللجوء الحزين ، الامر الذي دفعهم الى استعمال العنف المسلح كي يجبرون العالم على الاهتمام بمشكلتهم والاصغاء اليهم . وبالطبع ، عندما اذكر العنف لا اعني مطلقا العرض الذي قدمه البعض في ميونيخ ، فموقفي من هذه العملية معروف لدى اصدقائي العرب والفلسطينيين الذين فهموا جيدا وجهة نظري آنذاك . فاذن ، ان اللجوء الى الاساليب العسكرية امر لا بد منه ما دامت الوسائل الاخرى غير متوافرة .

واود ان اذكر في هذا السياق انني اجد نفسي متفقا تماما مع سلوك منظمة التحرير الفلسطينية الذي يقوده ياسر عرفات ، كما اجد ان خطابه في الامم المتحدة والذي قال فيه ان الشعب الفلسطيني يحمل غصن الزيتون بيد ويحمل سلاح الحرية باليد الاخرى ، اجده منسجما تماما مع وجهة نظري . الا ان الذي لا يمكنني قوله ، وهذا ينطبق على الاخرين ، هو الى اي مدى ، واي زمن ، يتحتم على منظمة التحرير ان تتخذ هذا الموقف . فهذه مسألة يحددها الشعب الفلسطيني الذي عانى وقاسى مدة طويلة ، الا انني اتمنى ان يتم التوصل الى حل للمسألة باقل عدد ممكن من الضحايا . ولا بد ان اذكر انه فيما لو تبين ان الاتفاقية الموقعة مؤخرا بين مصر واسرائيل هي اتفاقية خيانية ، ولا يمكنني ان اقول انها كذلك في هذه اللحظة — وخالد الحسن * قال لي : باننا مستعدون ان نتريث ٣ او ٤ اشهر قبل ادانة الاتفاقية ريثما تتبين اهدافها ، واعتقد ان هذا قول معقول وحكيم — فاذا تبين انها خيانية فلا احد يستطيع ان يلوم الفلسطينيين فيما لو تخلوا تماما عن غصن الزيتون . واعتقد انه من الحكمة التريث ليس ازاء الاتفاق الثنائي وحسب ، بل بشأن المواقف الدولية والعربية المختلفة من المشكلة برمتها ، ريثما تتمكن المنظمة ، وبهدوء كامل ، من تحديد موقعها كطرف اساسي من الاطراف المعنية التي علمت مؤخرا انها على وشك الدخول في مفاوضات قادمة ، الامر الذي يجعلني اتفاءل بان اللجوء الى الاعمال العسكرية احتمال ضعيف .

فيما لو افترض ان وزير الخارجية الاميركي جاد في مساعيه للتوصل الى حل لمشكلة الشرق الاوسط ، فلماذا لا يتناول هذه العقدة الاساسية في المشكلة ويبدأ في رحلة الميل الواحد بدلا من رحلة الالف ، او آلاف الاميال ؟

ذكرت آنفا ان لدينا اصدقاء يعملون في الخارجية الاميركية ، فهؤلاء ، وكذلك عدد كبير من اعضاء الكونغرس الذين نلتقي بهم ، يدركون ان الطريقة الوحيدة للتوصل الى استقرار ، وليس الى حل مؤقت ، هو الاعتراف بالمسألة والاعلان عن ذلك بصراحة ودقة . الا انني اعتقد ان كيسينجر يعتقد بانه ، فيما لو اقدم على ذلك فانه سيواجه معارضة صهيونية كبيرة قد تقود الى ضرب دبلوماسية الخطوة ـ خطوة التي يتبعها .

لا بد من وجود اسباب اخرى تمنع الخارجية الاميركية من الاعتراف باساس المشكلة ، أليس كذلك ؟..

على المرء ان يكون بالغ الحذر عند تناوله المسألة . ورغم ما يقال عن او حول كيسينجر فانه ليس غبيا ، وقد يكون شيطانيا وغامضا .. الى درجة ان اصدقاءنا من العاملين في الخارجية يقولون دائما انهم يجهلون رغبات كيسينجر ، حتى ان بعضهم يردد بانهم لا يدرون ماذا يريد غدا ! . اقصد من كلامي هذا توضيح نقطة هامة قد لا تتعلق بصلب المشكلة في الشرق الاوسط الا انها ، من دون شك تتعلق بالاطار الذي يحيط بها على الاقل . اعتقد ان ما يحرص كيسينجر على تحقيقه هو ان يحفر اسمه في التاريخ كاعظم وزير للخارجية الاميركية . وفي رأيي انه لم ينجز شيئا حتى الان يؤهله لان يفعل ذلك . فكل ذلك الذي قيل عن فيتنام والتسوية التي تم التوصل اليها انتهى بكوارث لا يمكن نسيانها . كما ان مفاهيمه ، وكذلك مفاهيم رينشارد نكسون حول الوفاق الدولي والعلاقات مع روسيا والصين والعلاقات بين الشرق والغرب الخ .. اصبحت مفاهيم باطلة فقدت مفعولها خلال السنتين ، او الثلاث سنوات الماضية . وما اود ان اسجله هو ان امام كيسينجر فرصة واحدة قبل انتخابات الرئاسة كي يحقق اهدافه ، علما بانني اشك في انه سيبقى في منصبه بعد الانتخابات ، وهذه الفرصة موجودة في الشرق الاوسط . واعتقد ان تجاهله للشعب الفلسطيني كطرف اساسي من الاطراف المعنية بالمشكلة لن يساعده على ذلك ، كما لن يسهل من مهمة التوصل الى حل لمشكلة الشرق الاوسط ، لا سيما وان هنري كيسينجر لا يقدم حلولا للمشكلة يمكن ان تعتبرها منظمة التحرير بمثابة الحد الادنى الذي تقبل به . والحد الادنى الذي اقصده بالطبع ، هو اقامة دولة مستقلة للفلسطينيين فوق الاراضي التي يجب ان تنسحب منها اسرائيل ، اي الضفة الغربية وغزة .

من خلال هذا الفهم الفلسفي والنظري لا ازال اشارك الاخرين في تعاستهم وخيبة املهم ازاء التطورات التي حصلت مؤخرا في المنطقة . فرأيي بالاتفاق المصري ـ الاسرائيلي الاخير لا يختلف كثيرا عن اراء هؤلاء ، لا سيما النتائج المترتبة على المدى القريب من جراء وقف الحملات الاعلامية ضد اسرائيل . ولدي شعور بان الاستراتيجية المتبعة منذ فشل كيسينجر في جولته السابقة خلال شهر آذار (مارس) الماضي ، وبعد الرسالة التي بعث بها ٧٦ من اعضاء الكونغرس الى الرئيس الاميركي وحذروه

---

* التقى المر بيرغر بخالد الحسن خلال ترأس هذا الاخير لوفد المجلس الوطني الفلسطيني الى المؤتمر البرلماني الدولي الذي عقد في لندن خلال شهر ايلول (سبتمبر) .

فيها من التخلي عن اسرائيل ، اعتقد ان الاستراتيجية المتبعة منذ ذلك الحين هي القاء عبء اتخاذ القرار ، اي قرار بشأن المنطقة ، على عاتق الكونغرس وليس على عاتق وزير الخارجية او رئيس الدولة ، فخلال ٣٠ سنة ، التي هي عمر تجربتي ، لا اذكر بان الولايات المتحدة ساعدت اسرائيل مثلما تفعل الان وتقدم لها معونات بمبلغ ٣ بلايين دولار . الا انني اشك بان الامر سينتهي بهذه السهولة . فقبل مغادرتي مدينة « سيروسودا » في ولاية فلوريدا في طريقي الى لندن ، اذكر ان صحيفة المدينة المحلية وتدعى « سيروسودا هيرالد تريبيون » خرجت ، بعد الاعلان عن الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي ، بعنوان رئيسي كبير احتل صدر صفحتها الاولى كان يقول : « السلام الاسرائيلي يكلف ٣ بلايين دولار .. » . وتجدر الاشارة الى ان هذه الصحيفة ، مثل غيرها من الصحف المحلية ، لا تهتم في العادة بالاخبار الدولية بل تحصر اهتمامها بشؤون المدينة اولا ، ومن ثم ، الولاية .

امر آخر لا بد من ذكره وهو ذلك الذي يتعلق بوضع ٢٠٠ مراقب اميركي في سيناء . فهذا الامر في غاية الخطورة بحد ذاته ، لانه لن ينتهي عند هذا الحد . فالعشرون سنة القادمة ستكشف كل شيء . وقد يكون هذا من اكثر البنود التي تدعو المرء الى الاستغراب اكثر من البنود الاخرى . فانا اعتقد ان وضع ٢٠٠ مراقب اميركي يمثل رغبة كيسينجر وحده . فالمصريون لم يضغطوا من اجل تحقيق ذلك كما ان الاسرائيليين لم يطالبوا بذلك . انها الخطوة الاولى لمرحلة جديدة من تورط اميركي شامل يأخذ شكل ضمانات ، اما عن طريق عقد اتفاق مع اسرائيل ، او عن طريق اشراف كامل على تسوية شاملة بعيدة المدى في المنطقة . والسبب الذي يدعوني الى قول ذلك هو تاريخي ويتعلق بالتورط الاميركي في فيتنام ، واعتقد ان الكونغرس سيشهد في المستقبل القريب واحدة من اهم حلقات المناقشة في تاريخه حول التورط الاميركي في المنطقة فيما لو عقدت الولايات المتحدة اتفاقا مع اسرائيل من جهة ، والمصالح الاميركية في العالم العربي وكيفية حمايتها من جهة اخرى . فالامران متناقضان مما يزيد من تعقيد المسألة . الا ان الخارجية تخطط منذ زمن من اجل وضع المسألة برمتها في « حضن » الكونغرس كي يتخذ قرارا بشأنها ترضى عنه الخارجية من دون ان تتحمل نتائجه السياسية والاقتصادية والعسكرية .

قبل ان تنهي الحديث واشكرك .. هل من كلمة اخيرة ترغب في توجيهها الينا ؟ ..

ـ امر واحد فقط ارغب في الاشارة اليه ، وهو الاعلام العربي في الولايات المتحدة . هذا الاعلام يكاد يكون معدوما ، وذلك لعدم توافر الكفاءات القادرة على فهم عقلية اليهودي ، وغير اليهودي في اميركا ، فضلا عن الغموض الذي يحيط بموقف منظمة التحرير لا سيما بعد اعلانها عن ضرورة قيام الدولة العلمانية الديمقراطية كحل للمشكلة في الشرق الاوسط . هناك عدد كبير من اليهود الذين يتساءلون عن مصير الدولة اليهودية ويقولون بان الفلسطينيين لا يوضحون تماما اهدافهم عندما يتحدثون عن المستقبل . من الطبيعي ، لا سيما في ظل غياب الاعلام العربي الملائم ، ان يقول يهود اميركا ان السيد ياسر عرفات يقصد اذن تدمير الدولة اليهودية . فهؤلاء يهمهم ان يعلن عرفات بداية ما يعنيه بالدولة الديمقراطية العلمانية . وهنا لا بد ان اشير الى « الورقة » التي قدمها سعيد حمامي ، مندوب منظمة التحرير في لندن ، الى الندوة السياسية التي عقدها « كابو » و « يرابيا » (مقرها باريس) في لندن خلال شهر اذار (مارس) الماضي . فقد ساهمت في تسهيل مهمتنا لانها اوضحت ، قليلا ، ما هو المقصود بخطة المستقبل .

النخبة السياسية ليهود فلسطين ايام الانتداب البريطاني

الدكتور تيسير الناشف

نشرت شؤون فلسطينية في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٥ مقالا عن النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين ، وهي جزء من رسالة جامعية قدمها الدكتور تيسير الناشف في جامعة ولاية نيويورك لنيل شهادة الدكتوراه ، وفيما يلي ترجمة للفصل الثالث من الرسالة .

سنقدم فيما يلي وصفا للنخبات السياسية للحركة الصهيونية العالمية للمجتمعات اليهودية في الغرب وفي فلسطين ، باللجوء الى النهج المؤسسي . تتمثل النخبات اليهودية السياسية بالاعضاء الصهيونيين وغير الصهيونيين في اللجان التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين ، وباعضاء اللجان التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية (١) . ومن الجلي ان هذا التحديد الكيفي يستبعد الشخصيات ذات النفوذ السياسي التي لم تنخرط في عضوية اي من هذه اللجان التنفيذية لسبب او لاخر . ان الغاية من اللجوء الى النهج المؤسسي ، تجنب المعايير الذاتية في تحديد تركيبة النخبات السياسية التي نتناولها في هذه الدراسة . ولقد كانت اللجان التنفيذية للوكالة اليهودية وللمنظمة الصهيونية العالمية من اهم وابرز الهيئات التي امتلكت الحق في القدرة على اتخاذ القرارات في المجتمعات اليهودية في فلسطين والغرب ، خلال الفترة محل الدراسة ، كما لعبت دورا اساسيا للغاية في خلق اسرائيل عام ١٩٤٨ .

ان الفترة الزمنية التي تغطيها هذه الدراسة هي بحدود ٥٠ الي ٢٥ عاما ، بدءا من العام ١٩٢١ ، وهو العام الذي انتخبت فيه اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية من قبل المؤتمر الصهيوني الثاني عشر ، وهو ايضا العام التالي للعام الذي قرر فيه مؤتمر سان ريمو في ١٩٢٠ تكليف بريطانيا بمسؤولية الانتداب على فلسطين تحت اشراف عصبة الامم . وتنتهي الفترة الزمنية في العام ١٩٤٦ ، وهو العام الذي شهد انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين . ولقد بلغ اجمالي عدد اعضاء اللجان التنفيذية من صهيونيين وغير صهيونيين في هذه الفترة سبعة وخمسين عضوا . وحيث ان هؤلاء جميعا كانوا من اليهود ، فسنستعمل في الغالب تعبير « اللجان التنفيذية اليهودية » ، للدلالة على اللجان التنفيذية للوكالة اليهودية وللمنظمة الصهيونية العالمية .

مقدمة تاريخية

في العام ١٩٢٠ ، ثبت عصبة الامم انتداب بريطانيا على فلسطين . واعترف البند الرابع من صك الانتداب بوكالة يهودية ملائمة تتعاون مع الادارة البريطانية في فلسطين في الشؤون المتعلقة بمناسبة الوطن القومي اليهودي والسكان اليهود في فلسطين . واعتبرت الحكومة البريطانية المنظمة الصهيونية بمثابة الوكالة اليهودية المقصودة . (٢)

وفي العام ١٩٢٩ ، جرى توسيع الوكالة اليهودية التي كانت عضويتها قاصرة على الصهيونيين وحدهم حتى ذلك التاريخ ، بحيث ضم اليها غير الصهيونيين من اليهود . وقامت هذه المشاركة على اساس المساواة بين الصهيونيين وغير الصهيونيين ، وبناء لهذا ، تكونت اللجنة التنفيذية وهي الهيئة الحاكمة في الوكالة اليهودية، من خمسين بالمائة من الاعضاء الصهيونيين جرى انتخابهم من قبل المنظمة الصهيونية العالمية ، وخمسين بالمائة من غير الصهيونيين ، انتخبوا من جانب مجلس الوكالة اليهودية . (٣)

اعتبرت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ، حتى العام ١٩٢٩ ، على انها اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، وذلك لان الحكومة البريطانية اعترفت بالمنظمة الصهيونية العالمية باعتبارها الوكالة اليهودية لفلسطين . ومع تأسيس الوكالة اليهودية الموسعة ، اصبحت

المنظمة الصهيونية العالمية ، والوكالة اليهودية الموسعة ، تنظيمين منفصلين . ولم تعد المنظمة الصهيونية العالمية تعامل (بفتح الميم) باعتبارها الوكالة اليهودية لفلسطين ، حيث ان هذه المهمة القيت على عاتق الوكالة اليهودية الموسعة . كما كان هناك تمايز بين المؤسستين : المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، حيث ان عضوية الاولى اقتصرت على الصهيونيين اليهود ، في حين ضمت الثانية في عضويتها يهودا من الصهيونيين وغير الصهيونيين . ومع ذلك ، فان مبدأ التكافؤ او المساواة بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من اليهود في عضوية اللجان التنفيذية للوكالة اليهودية لم يعمل به طويلا ، فاصبح العنصر الصهيوني هو الراجح . ويعود ذلك الى اسباب شتى منها الخلافات بين الصهيونيين وغير الصهيونيين ، والانهيار شبه الكامل ليهود اوروبا . (٤) ولقد استقال اخر عضو غير صهيوني من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في العام ١٩٤٧ . وبهذا عادت اللجنتان التنفيذيتان للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، وكذلك جسما المنظمتين ، الى تماثلهما السابق .

فئات العضوية

يمكن تصنيف اعضاء اللجان التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية وللوكالة اليهودية في عدة فئات . لقد كانت اغلبيتهم الساحقة من الاعضاء المنتظمين . وان رئيسي المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية لفلسطين ، يعتبران عضوين في اللجنتين التنفيذيتين للمؤسستين المعنيتين .

وكان هناك تصنيف اخر متشابه بين اعضاء كل من اللجنتين التنفيذيتين للمنظمة الصهيونية العالمية وللوكالة اليهودية . فالاعضاء الاحدث عهداً او نواب الاعضاء يشكلون فئة واحدة . والاعضاء اصحاب المراكز في اللجنتين التنفيذيتين للمنظمة الصهيونية العالمية وللوكالة اليهودية الذين يملكون حق التصويت الاستشاري في الشؤون السياسية او الاقتصادية يشكلون فئة ثانية من فئات العضوية . ولقد ضمت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية اعضاء لهم حق التصويت في النواحي السياسية فقط . أما بالنسبة للجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ، فلم يعط غير القليل من الاعضاء مراكز فيها بسبب عضويتهم في اللجان المالية والاقتصادية (او في المجلس) . (٥)

وكان بعض هؤلاء الاشخاص الذين لا يملكون حقوق العضوية النظامية الكاملة ينالون ترقية بحيث يكتسبون جميع هذه الحقوق للعضوية النظامية .

بالنسبة لدراستنا هذه ، فان جميع اعضاء اللجان التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية وللوكالة اليهودية الذين انتموا الى اي من فئات العضوية السالفة الذكر ، يشكلون العدد الاجمالي للنخبات اليهودية السياسية التي تتناولها هذه الدراسة .

العمر ومدة الخدمة

انخرط جميع اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية (٦) في العمل السياسي في وقت مبكر من حياتهم ، وقبل ان يتسلم كل منهم منصبه السياسي الأول . وفي كثير من الحالات ، بدأ هذا الانخراط في العمل السياسي في مرحلة الفتوة او الحياة الدراسية المبكرة .

ويتبين من الجدول الرقم واحد ، ان معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية عند بداية توليهم المنصب السياسي الأول هو ٢١ و ٣١ سنة ، الذي يمثل سواء بالمقاييس المطلقة او النسبية ، عمرا شابا حقا . وكان يمكن ان يكون معدل العمر ادنى من ذلك ايضا لولا اشتراك اثني عشر شخصا بعضوية اللجان التنفيذية اليهودية الذين كانوا في الاربعينات او في الخمسينات من اعمارهم حين تقلدوا مناصبهم السياسية الاولى .

اضف الى ذلك ، ان صغر سن اعضاء اللجان التنفيذية عند توليهم مناصبهم السياسية للمرة الاولى ابقى معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية شابا نسبيا ، وهو ٤٦٫٣٦ سنة .

الجدول الرقم ١
احتساب اجمالي لمعدل العمر

	العمر بالسنوات
معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية لدى تقلدهم مناصبهم السياسية لاول مرة	٣١٫٢١
معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية عند توليهم عضويتها لأول مرة (٧)	٤٦٫٣٦
معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية عند انتهاء عضويتهم فيها (٨)	٥٣٫٩٦

مر بنا من قبل ان هذه الدراسة تتناول اللجان التنفيذية اليهودية — باعتبارها النخبات اليهودية

السياسية — بدءا من سبتمبر ١٩٢١ ، عندما انعقد المؤتمر الصهيوني الثاني عشر في كارلوفي ماري (كارلسباد) . وكما هو واضح في الرقم التسلسلي للمؤتمر ، فان احد عشر مؤتمرا انعقدت قبله ، كان اولها في بال في اغسطس ١٨٩٧ (٩). والواقع ان عضوين من اللجنة التنفيذية الصهيونية انتخبا من جانب المؤتمرات الصهيونية التي سبقت المؤتمر الصهيوني الثاني عشر عام ١٩٢١ . ان احدهما ، ميناحيم م. اوسستشكين ، انتخب لعضوية اللجنة التنفيذية في العام ١٩٠٥ في المؤتمر الصهيوني السابع ، في حين انتخب الثاني وهو ناحوم سوكولوف في العام ١٩١١ في المؤتمر الصهيوني العاشر . فاذا اخذنا في اعتبارنا هذين التاريخين السابقين باعتبارهما الموعدين اللذين حدث فيهما تولي عضوية اللجان التنفيذية لاول مرة (في هذه الدراسة) ، فان معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية عند توليهم عضويتها لأول مرة يهبط الى ٤٤ر٠٧ سنوات .

واذا كان معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية عند العام ١٩٢١ (وهو نقطة البدء بالنسبة للدراسة) ، كما قلنا من قبل ٤٦ر٣٦ ، فان معدل عمرهم عند انتهائهم من عضوية هذه اللجان في ديسمبر من العام ١٩٤٦ ، كان ٥٣ر٩٦ سنوات .

وبما ان هذه الدراسة تغطي الفترة بين سبتمبر ١٩٢١ وديسمبر ١٩٤٦ — وهو موعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين في جنيف — فان احتساب معدل العمر لا يشتمل على مدة ولاية اعضاء اللجان التنفيذية الذين انتخبوا بعد هذا التاريخ .

ويمكن التبصر بعملية تجدد وتغير القيادة اليهودية السياسية بالقاء نظرة تحليلية على بيانات معدل العمر لأعضاء اللجان التنفيذية اليهودية . وكما يتبين من الجدول الرقم ٢ فان ما يميز معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية هو التقلب البارز بين وقت واخر * . لقد كان معدل عمر الاعضاء في العام ١٩٢١ ستة واربعين عاما . وان هذا العمر مؤشر على السن الصغيرة نسبيا التي كان اعضاء اللجان التنفيذية يتأهلون بها على الصعيد السياسي . لكن معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية التالية كان يرتفع بلا انقطاع ، واصلا الى الذروة في اعضاء ١٩٢٩ عندما بلغ معدل العمر ٥٠ر٨ سنوات . وتلا ذلك الارتفاع هبوط الى ٥٤ر٢ سنوات في العام ١٩٣١ . ولقد كان هذا المعدل للعمر اصغر حتى من معدل العمر للجنة التنفيذية الاولى في العام ١٩٢١ . ويعود هذا الهبوط في معدل العمر في العام ١٩٣١ الى انتساب الاعضاء غير الصهيونيين الشبان نسبيا .

* من حيث الاتجاه العام ، كان هناك ارتفاع عام وملموس — وان كان بطيئا — في معدل اعمار اعضاء اللجان التنفيذية .

الجدول الرقم ٢

معدل العمر في كل من اللجان التنفيذية اليهودية

اللجنة التنفيذية اليهودية	الرقم	معدل العمر بالسنوات
سبتمبر ١٩٢١	١٥	٤٦ر٠
اغسطس ١٩٢٣	١٣	٤٦ر٤
اغسطس ١٩٢٥	١٥	٤٩ر٩
اغسطس — سبتمبر ١٩٢٧	٩	٥١ر٠
يوليو — اغسطس ١٩٢٩	١٣	٥٠ر٨
اكتوبر ١٩٣٠	١٠	٤٩ر٧
يوليو ١٩٣١	١٢	٤٥ر٢
سبتمبر ١٩٣٣	١٣	٤٩ر٦
اغسطس — سبتمبر ١٩٣٥	١٥	٥٤ر٠
اغسطس ١٩٣٧	٢٠	٥١ر٠
اغسطس ١٩٣٩	٢٦	٥١ر٤

وبعد ان بلغ معدل العمر حده الاقصى عموما في العام ١٩٣٥ ، وذلك بتسجيل ٥٤ عاما ، فان معدل عمر اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية الاخيرة في العام ١٩٣٩ توقف عند ٥١ر٤ سنوات . وهكذا كان هناك فارق بحوالي خمس سنوات بين اللجنة التنفيذية اليهودية الأولى في العام ١٩٢١ وبين معدل العمر في الاخيرة في العام ١٩٣٩ . ولا جدال في ان هذا الارتفاع بمعدل العمر بحوالي الخمس سنوات ، يعود الى تقدم الاعضاء القدامى في السن ، وكان هذا الارتفاع سيحدث بخطوات اسرع لولا « تطعيم » اللجان التنفيذية باستمرار بعناصر جديدة شابة . واذا اخذنا في الاعتبار مضي ثمانية عشر عاما من ولاية اعضاء اللجان التنفيذية — بين ١٩٢١ و ١٩٣٩ — فان ارتفاع معدل العمر بحوالي خمس سنوات ونيف ، يبدو امرا غير ذي شأن في الحقيقة .

هذا الفارق الضئيل بين معدل عمر اعضاء

اللجان التنفيذية اليهودية في العام ١٩٢١ والعام ١٩٣٩ ، يدعم صحة الرأي القائل ان النخبات اليهودية السياسية شهدت عمليات تغذيه بدماء جديدة شابة على الدوام ، وان فجوة الاجيال كانت ضيقة بين القيادة اليهودية وبين الجماهير . ان اكتساب العناصر الجديدة الشابة لعضوية اللجان التنفيذية اليهودية بصورة متواصلة ، هو الذي ابقى نسبة معدل ارتفاع العمر متدنية نسبيا على امتداد الاعوام الثمانية عشر بين ١٩٢١ و ١٩٣٩ .

وان الاسلوب الكاشف الذي يتيح لنا امكان التحقق مما اذا كان هناك تجدد في بنية النخبات اليهودية السياسية ، هو البحث عما اذا كانت هناك اي تغيرات في معدل العمر بين الاعضاء الجدد والقدامى في كل من اللجان التنفيذية ، وفي حال وجود هذا الفارق في العمر ، اكتشاف ما اذا كان الاختلاف في اتجاه هابط م صاعد .

ويبين الجدول الرقم ٣ تباينا ملحوظا بين معدل عمر الاعضاء القدامى والاعضاء الجدد في الاكثرية الساحقة من اللجان التنفيذية ، الا في العام ١٩٣٥ عندما كان معدل عمر القادمين الجدد اعلى باكثر من سنة واحدة قليلا من فئة الاعضاء السابقين .

الجدول الرقم ٣

معدل اعمار والنسبة المئوية للاعضاء السابقين والجدد في اللجان التنفيذية اليهودية: في كل لجنة منها على حدة

اللجنة التنفيذية	الرقم	الاعضاء السابقون		معدل العمر	الاعضاء الجدد		معدل العمر
		عددهم	نسبتهم المئوية		عددهم	نسبتهم المئوية	
٩ /١٩٢١	١٥				١٥	١٠٠ر٠	٤٦ر٠
٨ /١٩٢٣	١٣	١٠	٧٦ر٩٠	٤٨ر٥	٣	٢٣ر١	٣٩ر٧
٨ /١٩٢٥	١٥	١٣	٨٦ر٧	٤٩ر٨	٢	١٣ر٣	٥١ر٠
٨—١٩٢٧/٩	٩	٦	٦٦ر٧	٥٢ر٠	٣	٣٣ر٣	٥٠ر٧
٧—١٩٢٩/٨	١٣	١٠	٧٦ر٩	٥١ر٦	٣	٢٣ر١	٤٧ر٠
١٠ /١٩٣٠	١٠	٦	٦٠ر٠	٥٢ر٥	٤	٤٠ر٠	٤٥ر٥
٧ /١٩٣١	١٢	٥	٤١ر٧	٤٩ر٠	٧	٥٨ر٣	٤٢ر٤
٩ /١٩٣٣	١٣	٨	٦١ر٥	٤٩ر٩	٥	٣٨ر٥	٤٩ر٢
٨—١٩٣٥/٩	١٥	١١	٧٣ر٣	٥٤ر٨	٤	٢٦ر٧	٥١ر٠
٨ /١٩٣٧	٢٠	١٥	٧٥ر٠	٥٣ر٧	٥	٢٥ر٠	٤٣ر٦
٨ /١٩٣٩	٢٦	٢٠	٧٦ر٩	٥٢ر٧	٦	٢٣ر١	٤٧ر٣

هذا الفارق الواضح جيدا بين معدل عمر الاعضاء القدامى في اللجان التنفيذية اليهودية وبين الوافدين الجدد الى عضويتها ، دليل قاطع على ما شهدته النخبات اليهودية السياسية من عملية حقن مستمر بالدماء الجديدة الشابة .

ان عدد الوافدين الجدد الى الهيئة المخولة باتخاذ القرارات مؤشر حقيقي وسليم على كثافة ما شهدته النخبات اليهودية السياسية من تبدل وتجدد ، على امتداد الفترة كلها ، كان هناك « تطعيم » متواصل للجان التنفيذية اليهودية باعضاء جدد . وبالنظر الى عدد الاعضاء الجدد ، يمكن تصنيف اللجان محل البحث في فريقين : الفريق الاول يضم اللجان التنفيذية التي تولت مسؤولياتها بين العام ١٩٢٣ والعام ١٩٢٩ ، وكان عدد الوافدين الى كل من هذه اللجان التنفيذية ثلاثة في العادة . اما الفريق الثاني فيشتمل على اللجان التنفيذية التي امتدت ولايتها بين العام ١٩٣٠ والعام ١٩٣٩ ولقد شهدت هذه اللجان دخول اعضاء جدد يتراوح عددهم في كل لجنة بين اربعة اعضاء وسبعة اعضاء . ويمكن تفسير هذا التزايد الكبير في عدد الوافدين الجدد الى عضوية اللجان التنفيذية ، بانه مؤشر على انفتاح النخبات اليهودية المتزايد على عناصر اجتماعية جديدة .

واذا استثنينا اللجنة التنفيذية للعام ١٩٣٥ عندما سجل الاعضاء الجدد فيها — بصورة غير متوقعة — نسبة ٣ر١٣ بالمائة ، فان نسبة الوافدين الجدد الى عضوية اللجان التنفيذية الباقية تراوحت بين ١ر٢٣ بالمائة كحد ادنى ، وبين ٣ر٥٨ بالمائة كحد

اقصى . فاذا اخذنا في الحسبان المدى الزمني القصير — سنة واحدة او سنتين — بين عمليات انتخاب اللجان التنفيذية ، تصبح هذه النسب للدماء الطازجة الجديدة التي كانت تحقق بها النخبات اليهودية ، ذات وزن مهم وذات مغزى . انها تعكس بالتأكيد نمطا من التجدد الكثيف في بنية النخبات .

وان الاعضاء الجدد في تصنيفنا هم الاعضاء الذين جرى انتخابهم لعضوية اللجنة التنفيذية للمرة الأولى . وبعد ان يخدموا في لجنة تنفيذية اولى ، يصبحون في اعتبارنا اعضاء قدامى ، ولو كان انتخابهم للجان تنفيذية لاحقة قد حدث في فترات متقطعة . في ضوء هذا النهج ، وفي ضوء السرعة التي خلف بها اعضاء اللجان التنفيذية بعضهم بعضا ، فان مدة خدمة العضو التي يعتبر فيها وافدا جديدا لم تكن طويلة . وحالما يدخل الوافد اللجنة التنفيذية كعضو جديد ، فانه يخدم في اللجان التنفيذية التالية كعضو قديم . ولو اننا تبنينا معيارا اخر في تصنيف «الاعضاء الجدد» و « الاعضاء القدامى » ، ولو كانت المسافة الزمنية بين لجنة تنفيذية واخرى اطول ، لكانت النسبة المئوية للوافدين الجدد الى تركيبات اللجان التنفيذية اليهودية اكبر ، ولأصبح التباين بين معدل اعمار الاعضاء القدامى والجدد اكبر ايضا .

يقدر ما يمثل عدد فريق الوافدين الجدد الى النخبة السياسية وسنهم ، دليلا على استمرارية الاجيال ، فان النسبة المئوية الاصغر سنا وذات الحجم المعتبر من الاعضاء الجدد في النخبات اليهودية السياسية ، مؤشر على الفجوة الضيقة بين النخبات والجماهير . ولقد خدم هذا الفريق باستمرار كجهاز موصل من القاعدة الى القمة .

ويتبين لنا من الجدول الرقم ٤ ان معدل اعمار اعضاء اللجان التنفيذية الصهيونيين كان اعلى من معدل اعمار الاعضاء غير الصهيونيين . ويمكن تفسير هذا الفارق بين معدلي العمر — حوالي ثلاث سنوات ونصف السنة — بان الاعضاء الصهيونيين كان يتوجب عليهم ان يقطعوا طريقا طويلا من العمل السياسي قبل ارتقائهم منابر القيادة السياسية .

كان المعدل الشامل لاجمالي مدة ولاية اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية طويلا نسبيا ، بحدود سبع سنوات وشهر واحد ، وهو مؤشر على ما تمتعت به تركيبة اللجان التنفيذية من استقرارية واضحة .

الجدول الرقم ٤

المعدل العمري لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية من صهيونيين وغير صهيونيين لدى توليهم العضوية لاول مرة

الانتماء الايديولوجي	العدد	المئوية النسبة	بالسنوات معدل العمر
غير صهيونيين	٧	١٢ر٣	٤٣ر٢
صهيونيون	٥٠	٨٧ر٧	٤٦ر٨
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠	

التخصص الدراسي

يتبين من البيانات المتوفرة ، ان اثنين واربعين من اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية السبعة والخمسين ، حصلوا على تعليم عال . وبين هؤلاء القادة الاثنين والاربعين ، واحد وثلاثون حصلوا على درجات جامعية او من كليات معادلة . ويكشف الجدول الرقم ٥ عدد اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية الذين نالوا تعليما في الجامعات او الكليات ، بصرف النظر عن مستوى الدرجات العلمية التي حصلوا عليها ، وبغض النظر كذلك عن عدد الدرجات العلمية التي حصل عليها كل منهم في حقل من حقول الدراسة او اكثر . والمقصود بعبارة « درجات علمية » هنا شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه والمستويات التي تعادلها (١٠) .

ولقد حصل بعض اعضاء اللجان التنفيذية على اكثر من درجة علمية واحدة في حقل دراسي واحد . ان وضع حقلين من حقول التخصص الى جانب بعضهما بعضا في الجدول ، كالقانون والاقتصاد على سبيل المثال ، دلالة على ان العضو تلقى درجة علمية او اكثر في كل من هذين الحقلين من حقول الدراسة .

وبما ان الجدول الرقم ٥ يقدم التخصصات الدراسية للنخبات اليهودية السياسية بعدد الدرجات العلمية في حقول الدراسة ، فلم يرد فيه سجل لعدد الدرجات العلمية في الحقول الدراسية

التي لم يمكن تحديدها . لقد كان هناك ثمانية اعضاء يحملون مثل هذه الدرجات العلمية . وبهذا قد تكون هناك حقول دراسية غير الواردة في الجدول الرقم ٥ .

الجدول الرقم ٥

التخصص الدراسي لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية والدرجات العلمية من الجامعات او الكليات حسب حقول التخصص : سجل اجمالي

حقول الدراسة	العدد	النسبة المئوية
القانون	١٠	١٧ر٥
القانون وعلم السياسة	١	١ر٨
القانون والكيمياء	١	١ر٨
القانون والاقتصاد	١	١ر٨
الاقتصاد	٤	٧ر٠
الدراسات الدينية اليهودية	٤	٧ر٠
الدراسات الدينية اليهودية والادب	١	١ر٨
الهندسة	٤	٧ر٠
التربية	١	١ر٨
اللغات السامية	١	١ر٨
الفلسفة	١	١ر٨
الطب	١	١ر٨
الرياضيات	١	١ر٨
غير معروف	٢٦	٤٥ر٦
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

وكما هو الوضع في نخبات سياسية اخرى ، فان المادة الدراسية المفضلى لدى النخبات اليهودية السياسية ، كانت دراسة القانون . فمن بين حملة الدرجات العلمية الواحد والثلاثين ، كان القانون حقل الدراسة الوحيد لعشرة اعضاء منهم . وبهذا كانت فئة دارسي القانون هي الاكبر . (١١)

ومن الجدير بالملاحظة وجود اربعة من حملة الشهادات العلمية ، تخصص كل منهم في حقلين دراسيين معا . وكان بينهم ثلاثة تخصصوا في القانون والعلوم السياسية ، القانون والكيمياء ، القانون والاقتصاد .

فاذا اضفنا هؤلاء الثلاثة الى الاعضاء العشرة في فئة دارسي القانون ، يصبح عدد المتخصصين بالقانون ١٣ ، اي ما يوازي ربع مجموع اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية بصورة تقريبية . ان هذه النسبة المرتفعة نسبيا بين اعضاء اللجان التنفيذية المتخصصين بدراسة القانون ، تعكس اعتماد النظام اليهودي السياسي الى حد كبير على اصحاب الدراسات « العامة » اي غير المتخصصين بالمعنى الضيق للكلمة . وربما كانت هذه النسبة العالية تأكيدا للمكانة الرفيعة التي يتمتع بها القانون والقانونيون في المجتمعات اليهودية . وربما كانت انعكاسا لوجود ، او لاعتقاد المحامين وعائلاتهم بوجود ، فرص مغلية من النجاح تنتظر الاشخاص الحقوقيين في مجتمعاتهم .

وينبغي الاقرار بان القيادة الصهيونية كانت في حاجة الى القانونيين ، ذلك انها كانت منخرطة في عمل مستمر لا هوادة فيه لتأسيس دولة يهودية في فلسطين . ومما لا ريب فيه ان تحقيق مثل هذه الغاية ، يستلزم اعتمادا مؤكدا على الحقوقيين والحجج القانونية .

وكان المتخصصون بالدراسات الدينية اليهودية خمسة اعضاء ، يمثلون ٨ر٨ بالمائة من مجموع النخبات اليهودية . وان وجود هذا الفريق بين اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية شهادة على اهمية التوجه الديني لنسبة ذات شأن من القيادة اليهودية . ويمكن القول ان القيم الدينية اليهودية كانت — تاريخيا — عنصرا في الحياة اليهودية السياسية والاجتماعية على امتداد عدة قرون . (١٢)

وكان الاقتصاد حقل التخصص لخمسة من الاعضاء ، كما كان هناك اربعة من القادة من المتخصصين بالهندسة . ان هذا الفريق ذا الحجم المعتبر الذي يمكن ان نضم فيه متخصصي الاقتصاد ومتخصصي الهندسة ، والذي يمثل ١٥ر٨ بالمائة من اجمالي عدد افراد النخبات اليهودية ، دلالة على المستوى الرفيع الذي احتلته النواحي الاقتصادية والتقنية في سلم اولويات النظام الصهيوني السياسي . فحيث ان الصهيونية حركة سياسية استهدفت انشاء دولة يهودية في فلسطين من خلال المستوطنات الزراعية والمدينية ، وتجميع مئات الالوف من اليهود في فلسطين ، كان طبيعيا ان تقر القيادة اليهودية بالاهمية الحيوية للخبراء في مجالي الاقتصاد والهندسة ، لجمع الاموال لتحقيق الاهداف اليهودية ، وادارة المشروعات اليهودية الاقتصادية ، وتأسيس المستوطنات والمستعمرات

الزراعية والمدينية .

ومن المفيد القاء بعض الضوء على التغيرات التي شهدها التخصص الدراسي في مدى الاحدى عشرة لجنة تنفيذية ، وتحليل معانيها . ومن الزاوية الاحصائية قد يكون اكثر اهمية تحليل التغيرات التي حدثت بمرور الزمن في مجال التخصص الدراسي ، وذلك بتصنيف التخصصات الدراسية في ثلاث فئات : القانون ، والمهارات (التي تشمل الكيمياء والاقتصاد والهندسة والطب والرياضيات) ، والادبيات (التي تشمل العلم السياسي ، والدراسات اليهودية الدينية ، والآداب ، والتربية ، واللغات السامية ، والفلسفة) . على انه لا ينبغي ان يفهم من هذا التصنيف الاجمالي للحقول الدراسية ان « القانون » ينتقر عنصر « المهارة » ، او ان « القانون » و « المهارات » ينتقران الى العنصر « الادبي » او « الثقافي » .

ولماذا الجدول الرقم ٦ الذي يكشف عن تقلب واضح في نسب هذه الفئات الثلاث . ويمكن القول قياسا على الاتجاه العام ، انه كان هناك ارتفاع — بالمفهومين المطلق والنسبي — في متخصصي القانون ، واصلا الذروة في العام ١٩٣٩ عندما بلغ عدد الحقوقيين ستة اعضاء ، بما يمثل ٢٣ بالمائة من مجموع اعضاء اللجنة التنفيذية في ذلك الحين . لقد كانت فئة الحقوقيين علامة ثابتة وصاعدة على امتداد الفترة التي تغطيها هذه الدراسة .

فيما عدا اللجنة التنفيذية للعام ١٩٣١ عندما فاقت النسبة المئوية لفريق الحقوقيين نسبة عدد اصحاب المهارات ، فان نسبة عدد اصحاب المهارات كانت اعلى من نسبة الحقوقيين في الاغلبية الساحقة من اللجان التنفيذية . ونضرب لهذا مثال العام ١٩٣٩ عندما ضمت فئة الحقوقيين ستة اعضاء مثلوا نسبة ٢٣ بالمائة من اجمالي اعضاء اللجنة التنفيذية ، فيما كان اصحاب المهارات ثمانية اعضاء يمثلون ٣٠٫٧ بالمائة من ذلك الاجمالي .

بقدر ما تمثل التغيرات والتقلبات في اوجه التخصص الدراسي معيارا للتبدلات في خيارات وتوجهات النخبات اليهودية السياسية على الاصعدة الاجتماعية — الاقتصادية — السياسية ، فان هذه التغيرات في اوجه تخصص اعضاء اللجان التنفيذية التي بيناها منذ قليل ، مصداق على استمرار التزام النخبات اليهودية بصورة دؤوبة بالقضايا السياسية الصهيونية ، وكذلك وبالقدر نفسه بالبرامج الصهيونية في نطاق التنمية

الجدول الرقم ٦

التخصصات الدراسية لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية بشهادات الجامعات او الكليات : في كل واحدة من هذه اللجان

اللجنة التنفيذية	المجموع	القانون العدد	القانون النسبة المئوية	المهارات العدد	المهارات النسبة المئوية	الادبيات العدد	الادبيات النسبة المئوية	مجهولون دراسيا العدد	مجهولون دراسيا النسبة المئوية
١٩٢١	١٥	٢	١٣٫٣	٤	٢٦٫٧	٢	١٣٫٣	٧	٤٦٫٧
١٩٢٣	١٣	١	٧٫٧	٢	١٥٫٤	٢	١٥٫٤	٨	٦١٫٥
١٩٢٥	١٥	٢	١٣٫٣	٢	١٣٫٤	١	٦٫٧	١٠	٦٦٫٧
١٩٢٧	٩	١	١١٫١	٢	٢٢٫٢	٠	٠٫٠	٦	٦٦٫٧
١٩٢٩	١٣	٣	٢٣٫٠	٣	٢٣٫١	١	٧٫٧	٦	٤٦٫١
١٩٣٠	١٠	٢	٢٠٫٠	٢	٢٠٫٠	١	١٠٫٠	٥	٥٠٫٠
١٩٣١	١٢	٣	٢٥٫٠	٢	١٦٫٦	١	٨٫٣	٦	٥٠٫٠
١٩٣٣	١٣	٢	١٥٫٤	٣	٢٣٫١	١	٧٫٧	٧	٥٣٫٨
١٩٣٥	١٥	٣	٢٠٫٠	٥	٣٣٫٣	١	٦٫٧	٦	٤٠٫٠
١٩٣٧	٢٠	٤	٢٠٫٠	٧	٣٥٫٠	١	٥٫٠	٨	٤٠٫٠
١٩٣٩	٢٦	٦	٢٣٫٠	٨	٣٠٫٧	٤	١٥٫٤	٨	٣٠٫٨

الاقتصادية . ان النسب المئوية للفئات الثلاث (الحقوقيين واصحاب المهارات ورجال الادبيات) تكشف عن حاجة النظام السياسي اليهودي لاصحاب الدراسات « العامة » بقدر حاجته لاصحاب الاختصاصات المحددة . (١٣)

لكن اللافت للنظر هو وجود هذه النسبة المرتفعة من الأعضاء في خانة المجهولين دراسيا كما مر بنا في الجدول الرقم ٦ . وانه لمن العسير ان نقرر ما اذا كان هذا النقص في المعلومات عن تعليم وتخصص هؤلاء الأعضاء ناجما من كونهم لم يتلقوا دراسة ، او بالاحرى غير متخصصين ، او ناجما من افتقار البيانات المتوفرة والمجموعة لمعلومات دقيقة وتامة . وفي ضوء هذه المصاعب ، فان عبارة « مجهولين دراسيا » تستخدم بمعنى اكثر شمولا . انها اشارة الى ان الجهل بهذه الناحية اما ان يكون مرده مجرد النقص في المعلومات المتاحة عن هؤلاء الاعضاء ، او نتيجة لافتقار هؤلاء الى اي تخصص دراسي . وبما ان ابحاثي المتصلة بهذا الشأن غطت عددا كبيرا للغاية من المصادر الرسمية وغير الرسمية ، فانني اميل الى الاعتقاد بقوة بان عددا كبيرا من هؤلاء « المجهولين دراسيا » لم ينالوا اي تخصص دراسي .

المستوى التعليمي

والحقيقة المثيرة للانتباه بشأن النخبات اليهودية السياسية تتمثل في ارتفاع مستواها التعليمي نسبيا ويدل الجدول الرقم ٧ ان تسعة وثلاثين عضوا على اقل تقدير — اي بنسبة ٦٨٫٥ بالمائة — من بين الاعضاء البالغ عددهم سبعة وخمسين عضوا ، حملوا درجات علمية من جامعات ومراكز للدراسة العليا .

الجدول الرقم ٧

المستوى التعليمي للنخبات اليهودية السياسية : عدد اجمالي

المستوى التعليمي	العدد	النسبة المئوية
الاعضاء حاملو شهادات R.D. فقط	٣	٥٫٣
الاعضاء حاملو شهادات B.A. فقط	٦	١٠٫٥
الاعضاء حاملو شهادات M.A.	٣	٥٫٣
الاعضاء حاملو درجة Ph.D., M.D. (١٤)	٢٧	٤٧٫٤
اعضاء اللجان التنفيذية الذين لم يستكملوا دراساتهم العليا	١٤	٢٤٫٦
اعضاء لا نملك معلومات عنهم	٤	٧٫٠
المجموع	٥٧	١٠٠٫٠

وهنا يجب ان نسترعي الانتباه الى هذه الحقيقة البارزة المتمثلة في هذا العدد غير المألوف بين القادة السياسيين من حملة درجات الدكتوراه . ان عددهم ٢٧ عضوا ويمثلون ٤٧٫٤ بالمائة من جسم النخبات اليهودية السياسية جميعا . وان هذه النسبة المرتفعة لحملة الدكتوراه بين اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية دلالة على ما في هذه الدرجة العلمية من نفع واضح في عملية التعبئة الاجتماعية — السياسية . (١٥)

كان من المجدي ، لو اننا تمكنا من عقد مقارنة بين المستويات التعليمية للنخبات اليهودية السياسية وبين المستويات التعليمية للمجتمعات اليهودية في الغرب ، وذلك لادراك التماثل او عدم التماثل بين مستوى تعلم النخبات وبين مستوى تعليم الجماهير لكن من المتعذر اجراء مثل هذه المقارنة ، وذلك لعدم توفر بيانات احصائية عن مستويات التعليم للسكان اليهود في البلدان التي ولد فيها اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية مدار البحث .

ويتضمن الجدول الرقم ٨ توضيحا بالارقام لتقلبات المستوى الدراسي للقيادة اليهودية السياسية من العام ١٩٢١ حتى العام ١٩٤٦ . ويتضح ان هذه المستويات تقلبت في الاعداد وفي النسب المئوية على السواء .

الجـدول الرقم ٨

المستوى التعليمي لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية في كل لجنـة منهـا

اللجنة التنفيذية	العدد الاجمالي	(١٦) R.D. العدد	النسبة المئوية	B.A. العدد	النسبة المئوية	M.A. العدد	النسبة المئوية	Ph.D. العدد	النسبة المئوية	مجهولون دراسيا العدد	النسبة المئوية
١٩٢١	١٥			١	٦٫٧	١	٦٫٧	٩	٦٠٫٠	٤	٢٦٫٧
١٩٢٣	١٣							٧	٥٣٫٨	٦	٤٦٫٢
١٩٢٥	١٥							٨	٥٣٫٣	٧	٤٦٫٧
١٩٢٧	٩							٥	٥٥٫٥	٤	٤٤٫٥
١٩٢٩	١٣	١	٧٫٧	١	٧٫٧			٥	٣٨٫٥	٦	٤٦٫٠
١٩٣٠	١٠	١	١٠٫٠					٧	٧٠٫٠	٢	٢٠٫٠
١٩٣١	١٢			٢	١٦٫٧			٨	٦٦٫٧	٢	١٦٫٧
١٩٣٣	١٣			٢	١٥٫٤	١	٧٫٧	٧	٥٣٫٨	٣	٢٣٫٠
١٩٣٥	١٥	١	٦٫٧	٢	١٣٫٣	١	٦٫٧	٩	٦٠٫٠	٢	١٣٫٣
١٩٣٧	٢٠	١	٥٫٠	٣	١٥٫٠	٢	١٠٫٠	٩	٤٥٫٠	٥	٢٥٫٠
١٩٣٩	٢٦	٢	٧٫٧	٣	١١٫٥	٢	٧٫٧	١٣	٥٠٫٠	٦	٢٣٫٠

ان احدى ابرز الحقائق المستخلصة من الجدول الرقم ٨ بشأن المستوى التعليمي للنخبات اليهودية السياسية ، تتمثل في رجوع كفة حملة الدكتوراه في جميع اللجان التنفيذية ، سواء في الارقـام او في النسب المئوية . وبالرغم من التقلبات ، فان حملة درجات الدكتوراه حافظوا باستمرار علـى تفوقهم العددي .

هناك نقص في المعلومات بشأن مستوى المجتمعات اليهودية التي طلع منها اعضاء اللجان التنفيذية . لكن الانطباع هو ان نسبة حملة شهادة الدكتوراه بين السكان اليهود البالغين تقل عن نسبة حملة الدكتوراه بين اعضاء اللجان التنفيذية . وعلى قدر ما يصلح هذا الانطباع لبناء احكام ، يمكـن الافتراض ان هناك فجوة ذات شأن بين المستوى التعليمي لاعضاء اللجان التنفيذية ، وبين المستوى التعليمي العام للسكان اليهود في البلدان التي ولد فيها اولئك الاعضاء .

واذا جاز القول ان نسبة حملة شهادات البكالوريوس والماجستير (١٧) بين اعضاء اللجان التنفيذية ، مردّه ارتفاع نسبة حملة الدكتوراه ، يصبح من الممكن القول ان حملة الدكتوراه قـد حالوا دون وصول عدد اكبر من غير حملة الدكتوراه الى عضوية اللجان التنفيذية . واذا كان هناك من يستنتج في ضوء عدد الاعضاء حملـة الدكتوراه بالمقارنة مع الاخرين من غير حملة الدكتوراه ان لهم اولوية او افضلية في عملية الصعود السياسي ، يصبح من اليسير تفسير قلة عدد حملة غير الدكتوراه بين اعضاء اللجان التنفيذية بانه امر عائد الى توفر الشخصيات السياسية المؤهلة بشهادات الدكتوراه والمهيأة لعضوية اللجان التنفيذية .

مكـان التعليـم

الاماكن الجغرافية التي تلقى فيها اعضاء اللجان التنفيذية تعليمهم متنوعة وكثيرة للغاية . ومـن الطبيعي ان هذا التوزع الجغرافي الواسع يعكس الى درجة ملحوظة ، الانتشار الجغرافي للسكـان اليهـود .

الجدول الرقم ٩ يحلل الدرجات العلميـة (البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ومـا يقابلها) من حيث مصدرها ، اي المعاهد العلمية والبلدان التي اعطتها وعددها ، عندمـا يكون ذلك متاحا . وكلما كان تقديم هذه المعلومات متعذرا ، فان الدرجات العلمية لا تكون محتسبة .

وبما ان الجدول الرقم ٩ يمثل « تحليلا » للدرجات العلمية من حيث البلد الذي جاءت منه والمعهـد الدراسي الذي اعطيت منه ، فان المعاهد الدراسية التي درس فيها الاعضاء دون ان يأخذوا منهـا

درجات علمية ، لم تذكر كما هو مفهوم .

من بين درجات دبلوم الحاخامية الاربع التي حملها اعضاء اللجان التنفيذية ، ثلاث من كليات دينية في روسيا ، مما يدل على قوة التوجه الديني لبعض اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية . اما الدبلوم الرابع فلقد كان من معهد امريكي .

الجدول الرقم ٩

المعاهد العلمية والبلدان التي اعطت الدرجات العلمية

الولايات المتحدة الامريكية

العدد	النسبة
٣٠	٣٨ر٥٪
جامعة شيكاغو	— ١
جامعة سنسناتي	— ٢
كلية نيويورك	— ١
جامعة كولومبيا	— ٩
جامعة هارفارد	— ٢
كلية الاتحاد العبري	— ٢
جامعة نيويورك	— ١
جامعة بنسلفانيا	— ١
جامعة الاحتياط الغربي	— ١

المانيا (١٨)

العدد	النسبة
١٣	٢٥٪
جامعة برلين	— ٢
جامعة فريبورج	— ١
جامعة هايدلبرج	— ٢
جامعة لايبزج	— ١
جامعة ميونيخ	— ١
المانيا (٢٠)	— ٦

بريطانيا

العدد	النسبة
٦	١١ر٥٪
جامعة كامبردج	— ١
مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والسياسية	— ١
جامعة لندن	— ٢
جامعة مانشستر	— ٢

الاتحاد السوفياتي (١٩)

العدد	النسبة
٥	٩ر٦٪
جامعة خاركوف	— ١
ليتوانيا (٢٠)	— ١
كلية مير الدينية	— ١
جامعة موسكو	— ٢

النمسا

العدد	النسبة
٣	٥ر٨٪
معهد تيينا للتكنولوجيا	— ١
جامعة تيينا	— ٢

كندا

العدد	النسبة
٢	٣ر٨٪
جامعة ماجكيل	— ٢

تشيلي

العدد	النسبة
١	١ر٩٪
جامعة فالبرايزو	— ١

بولندا

العدد	النسبة
١	١ر٩٪
بولندا (٢٠)	— ١

تركيا

العدد	النسبة
١	١ر٩٪
جامعة اسطنبول	— ١

ومن الجدير بالملاحظة ان القسم الاعظم من المعاهد الامريكية التي حصل منها اعضاء اللجان التنفيذية على شهاداتهم ، تقع في الولايات الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة . ويمكن تفسير هذا جزئيا بتركز السكان اليهود اجمالا في هذه الانحاء ، وعلى الاخص في مدينة نيويورك .

وان قسما من اعضاء اللجان التنفيذية حصلوا على درجاتهم العلمية من معاهد في غير بلدانهم الاصلية . ويبين الجدول الرقم ١٠ ان عدد هؤلاء يبلغ ١٦ عضوا .

الجدول الرقم ١٠

مكان الولادة والدراسة لاعضاء اللجان التنفيذيـة الذين يختلف مكان ولادتهم عن مكان دراستهم

مكان الولادة	مكان الدراسة	العدد
روسيا واوروبا الشرقية	اوروبا الوسطى	٨
روسيا واوروبا الشرقية	الولايات المتحدة الامريكية	٥
روسيا واوروبا الشرقية	انجلترا	٢
روسيا	تركيا	١
المجمـوع		١٦

ان جميع الذين تابعوا دراساتهم العليا في بلدان اجنبية هم من روسيا واوروبا الشرقية . امـا اعضاء اللجان التنفيذية الذين هم من اوروبـا الوسطى واوروبا الغربية والولايات المتحدة ، فلم يدرس احد منهم في روسيا واوروبا الشرقية . ويمكن الاستنتاج من هذا بوجود توجه نحو الغرب. ويمكن تعليل حركة « الاستغراب » هذه بعاملين : لقد شهد العقدان الاخيران من القرن التاسع عشر والعقدان الاولان من القرن العشرين حركة هجـرة يهودية ناشطة من اوروبا الشرقية الى « العالـم الجديد » . وغذى هذه الهجرة بصورة قويـة الاضطهاد الذي عاناه اليهود في روسيا ودول شرق اوروبا (٢١) . ولهذا فان بعض الاشخاص الذيـن ولدوا في هذه الاتحاء ، هاجروا في مرحلة الصبا مع عائلاتهم الى الولايات المتحـدة حيث نشأوا وحصلوا دراستهم العليا .

ذلك عن العامل الاول . اما العامل الثانـي — والمتصل بالاول — فتمثل في سياسات القبـول في الجامعات والكليات في اوروبا الشرقية وروسيا. فحين لاحظت السلطات المشرفة على الجامعـات في هذه البلدان ، ان نسبة عدد الطلبة اليهود تفوق كثيرا نسبة عدد اليهود بالمقارنة مع غيرهم مـن السكان ، فرضت قيودا على قبول اليهود في مختلف الكليات ، وعلى الاخص كلية الطب . (٢٢) ومع ان قبول اليهود في جامعات وكليات وسط اوروبـا كان ايضا مقيدا ، الا ان هذه القيود جاءت فـي مرحلة لاحقة ، كما انها لم تكن ، في بدايتها ، بمثل ما كانت عليه في روسيا وشرق اوروبا من شـدة وصرامة . (٢٣) ان موقف السلطات الجامعيـة من الطلبة اليهود في روسيا واوروبا الشرقيـة ، يفسر سبب التحاق هؤلاء الطلبة بجامعات وسـط اوروبا ، والولايات المتحدة ، وانجلترا .

ولقد تبين لنا ان الجامعات والكليات التـي تلقى فيها اعضاء اللجان التنفيذية اليهـود دراستهم . والتي تخرجوا منها ، مبعثرة وموزعـة بين تسعة بلدان ، وتمثل ثقافات اجتماعية متنوعة وانظمة حكم سياسي متباينة . وان لكل من هـذه الجامعات المختلفة توجهها المناقبي . ونستكشف من هذه الحقيقة ان اعضاء النخبات اليهودية السياسية كانوا على اطلاع واسع وكثيف وعلى مدى فسيح للغاية من الخبرات والاراء . وعلى اساس هـذه الحقيقة هناك ما يبرر الافتراض ايضا ان المـام اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية باحوال العالم كان بسببها اوسع واكثـر انفتاحـا على التيارات المعاصرة الثقافية والسياسية والاجتماعية .

اللغـات

تعرف النخبات اليهودية عددا كبيرا من اللغات. ويوضح الجدول الرقم ١١ ان تسعة اعضـاء ، يشكلون ١٥٫٨ بالمائة من اجمالي عدد الاعضاء ، كان كل منهم يعرف خمس لغات . ان هذه المعرفة بهذا العدد الكبير من اللغات امر غير اعتيادي . على ان الاشد اثارة هو معرفة ثلاثة اعضـاء لست لغات ، ومعرفة عضو واحد لثماني لغات ، ومعرفة عضو واحد لتسع لغات . ويتبين ان كـل عضو من اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية كـان يعرف — كمعدل عام — ٣٫٦ لغات .

الجدول الرقم ١١

اعضاء اللجان التنفيذية وعدد اللغات التي يعرفونها

عدد اللغات	عدد الاعضاء الذين يعرفونها	النسبة المئوية
لغة واحدة	٤	٧٫٠
لغتان	١٣	٢٢٫٨
ثلاث لغات	١١	١٩٫٣
اربع لغات	١٤	٢٤٫٦
خمس لغات	٩	١٥٫٨

ست لغات	٣	٣ر٥
ثماني لغات	١	١ر٨
تسع لغات	١	١ر٨
لا معلومات	١	١ر٨
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

كان اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية يعرفون ثماني عشرة لغة على الاقل . وبالطبع فان درجات اجادة كل لغة تتفاوت بين عضو واخر . على ان من الثابت أن اللغات التي كان الاعضاء يستخدمونها كانت مختلفة . ومن المؤكد ان اختلاف البلدان التي طلع منها الاعضاء يفسر جزئيا كثرة عدد اللغات التي كانوا يعرفونها . كما يعود هذا التنوع في عدد اللغات الى كثرة تغيير الاعضاء لمواطنهم ومقار اقامتهم . فان الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في بعض البلدان الجات بعض الاعضاء الى الانتقال وتغيير البلد . وان بعض الاعضاء سعوا لتحصيل دراساتهم العليا في غير البلدان التي ولدوا فيها ، فتعلموا لغة او لغتين اضافيتين . ولقد هاجر بعض الاعضاء الى فلسطين حيث تعلموا اللغة العبرية لاسباب عقائدية ، وكتعبير عن « الوعي القومي اليهودي » . على ان هذا لا يعني بالطبع انه لم يكن احد من الاعضاء يعرف العبرية قبل هجرته الى فلسطين ، فالواقع ان بعض اليهود كانوا يدرسون اللغة العبرية خلال اقامتهم في مواطنهم الاصلية . لكن البيانات المتوفرة لا توضح لنا عدد اعضاء اللجان التنفيذية من المقيمين في فلسطين الذين تعلموا اللغة العبرية فعلا قبل هجرتهم . على انه يمكن القول ايضا ان نزوع اليهود الى تعلم اللغات وولعهم بها ، هو — بالاضافة الى جميع الاسباب والظروف السابقة — عامل اخر وراء هذا العدد الكبير من اللغات التي عرفها افراد النخبات اليهودية .

الجدول الرقم ١٢

اللغات التي عرفها افراد النخبات اليهودية السياسية

اللغة	عدد اعضاء اللجان التنفيذية الذين كانوا يعرفونها	النسبة المئوية
الانجليزية	٤٧	٨٢ر٥
العبرية	٤٧	٨٢ر٥
الالمانية	٣٠	٥٢ر٦
الروسية	١٩	٣٣ر٣
البولندية	١٧	٢٩ر٨
اليديش	١٤	٢٤ر٦
الفرنسية	٧	١٢ر٣
التركية	٤	٧ر٠
العربية	٣	٥ر٣
الرومانية	٣	٥ر٣
الليتوانية	٢	٣ر٥
البلجارية	١	١ر٨
التشيكية	١	١ر٨
الهولندية	١	١ر٨
اليونانية	١	١ر٨
الايطالية	١	١ر٨
الاسبانية	١	١ر٨
السويدية	١	١ر٨

هذه المعرفة الواسعة بهذا العدد الكبير من اللغات من جانب اعضاء اللجان التنفيذية ، تدل بالطبع على مدى قدرتهم على بناء واقامة علاقات مباشرة مع الشعوب التي تعرب هذه اللغات . ومن المفهوم ان هذه اللغات كانت نوافذ للاطلاع على تشكيلة واسعة ومنوعة من القيم والثقافات ، كما كانت وسائل تتيح للاعضاء ايصال وجهات نظرهم السياسية والاجتماعية الى الشعوب التي يعيشون بينها . وبمعرفة القيادة اليهودية السياسية لهذا العدد الهائل من اللغات ، امكن لها بواسطة الصحافة وسواها من اجهزة الاعلام والاتصال ، ان تجعل ايديولوجيتها السياسية معروفة في اوساط عدد كبير من الشعوب . اضف الى ذلك كله ان الملم الاعضاء بهذا العدد الكبير من اللغات مكنهم من ان يظلوا على اطلاع مستمر على تطورات الاحداث التي تعنيهم كقادة سياسيين .

وانه لامر ذو مغزى مقارنة اعداد الاعضاء الذين يعرفون الانجليزية والالمانية والروسية والبولندية ، باعداد اعضاء النخبات المولودين في البلدان التي يتكلم سكانها الانجليزية والالمانية والروسية والبولندية . لقد كانت هذه اللغات الاربع من اوسع اللغات المعروفة من جانب اعضاء اللجان التنفيذية . وكما يبين الجدول الرقم ١٣ ، فان معرفة الاعضاء باللغة الانجليزية ، اذا ما قورنت بنسبة الاعضاء المولودين في البلدان الناطقة بالانجليزية ، كانت راجحة . فبينما كان عدد الاعضاء المولودين في البلدان الناطقة بالانجليزية — الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وكندا والهند (٢٤) —

عشرة اعضاء يشكلون ١٧ر٦ بالمائة من المجموع الكلي لاعضاء النخبات ، فان عدد الاعضاء الذين كانوا يعرفون الانجليزية كان سبعة واربعين ، يشكلون ٨٢ر٥ بالمائة من المجموع .

وان نسبة عدد الاعضاء الناطقين بالالمانية والبولونية ازاء المجموع الكلي للنخبات اليهودية موضع البحث ، اعلى بكثير من نسبة عدد الاعضاء المولودين المانا او بولنديين ، مما يعني ان المسألة بالنسبة للالمانية والبولندية لم تكن مختلفة عنها بالنسبة للانجليزية .

اما فيما يخص الاتحاد السوفياتي ، فلقد كان تعادل متوازن بين اعضاء النخبات المولوديين سوفيات ، وبين عدد الاعضاء الناطقين باللغة الروسية .

وتعكس هيمنة اللغتين الانجليزية والالمانية اذا ما قورنتا باللغات الاخرى ، باستثناء العبرية ، المكانة الثقافية العالية التي تمتعت بها بريطانيا والولايات المتحدة والمانيا . اضف الى ذلك ، ان اللغة الانجليزية ذات اهمية عالمية لدى كثير من الشعوب . ولقد كانت النخبات اليهودية مثل غيرها من النخبات في هذا المضمار من حيث احتياجها للانجليزية .

ويتبين من الجدول كذلك ان الثماني عشرة لغة التي عرفها اعضاء اللجان التنفيذية ، لم يكن بينها سوى ثلاث ، هي العربية والعبرية والتركية ، من غير اللغات الاوروبية . ولقد كان ثلاثة اعضاء فقط يعرفون اللغة العربية . والواقع ان ضآلة هذا العدد امر يدعو الى الارتياب . ذلك انه حتى العام ١٩٤٨ ، كانت العربية اللغة الام للاغلبية الساحقة من سكان فلسطين . ولقد نشأت علاقات وثيقة عبر عقود من السنين وعلى مستويات متنوعة بين الشعب الناطق بالعربية — وعلى الاخص سكان المدن — وبين عدد لا بأس به من اعضاء اللجان التنفيذية الذين استوطنوا فلسطين . وعلى سبيل المثال ، فان مئير ديزنجوف كان عضوا في بلدية يافا التي كانت اكثرية سكانها الساحقة حتى العام ١٩٤٨ عربية ، ثم اصبح نائبا لرئيس البلدية . وعلى ضوء هذه الحقائق، يجدر الافتراض ان عدد اعضاء اللجان التنفيذية الذين كانوا يعرفون العربية ، كان اكثر من ثلاثة .

ومن بين الاعضاء الاربعة الذين عرفوا اللغة التركية ، ثلاثة تلقوا دراستهم في جامعة اسطنبول وان الاربعة جميعا شكلوا نشاطا صهيونيا في تركيا العثمانية منذ بدء العقد الاول من القرن الحالي . ولقد ابدى قادة الحركة الصهيونية اهتماما فائقا باقامة علاقات طيبة مع الامبراطورية العثمانية ، وذلك لانها كانت تضم في نطاقها فلسطين حتى العام ١٩١٧ ، وذلك لادراكهم ان العلاقات الصهيونية — العثمانية قد تلعب دورا مؤثرا على اوضاع اليهود في فلسطين . ولقد الح القادة الصهاينة على الحكومة الالمانية في العديد من المناسبات كي تستخدم نفوذها لدى حلفائها الاتراك ، وذلك بغية الا يتخذ العثمانيون اجراءات ضد اليهود الصهيونيين الروس الذين استوطنوا فلسطين دون ان يكونوا يحملون المواطنية العثمانية . ووصلت القيادة الصهيونية اهتمامها بتركيا بعد الحرب العالمية الاولى . ومن ذلك ان موشي شاريت رافق حاييم وايزمان في بعثة الى تركيا استهدفت عن طريق الاغراءات الاقتصادية ، تبديد التوجه التركي الموالي للالمان وللعرب .

الجدول الرقم ١٣

توزيع اماكن ولادة الاعضاء ومعرفتهم اللغوية في اربع مناطق

المنطقة	عدد الاعضاء المولودين فيها (٢٥)		عدد الاعضاء الذين يتكلمون اللغة (٢٥)	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
البلدان الناطقة بالانجليزية (الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا والهند)	١٠	١٧ر٦	٤٧	٨٢ر٥
البلدان الناطقة بالالمانية (المانيا والنمسا)	٦	١٠ر٥	٣٠	٥٢ر٦
روسيا	١١	١٩ر٣	١٧	٢٩ر٨
بولندا	١٩	٣٣ر٣	١٩	٣٣ر٣

الرحلات الى الخارج

كانت للنخبات اليهودية السياسية صلات مباشرة ووثيقة وكثيفة مع العديد من البلدان والثقافات الغربية . والواقع انه لم يكن هناك عضو واحد من اعضاء اللجان التنفيذية قصر اقامته على بلد واحد فقط . ويبين الجدول الرقم ١٤ عدد البلدان التي اقام فيها اعضاء اللجان التنفيذية . وتعود اقامة اي عضو من الاعضاء في اي بلد من البلدان الى جملة من العوامل : مكان الولادة ، وعامل الهجرة ، وطلب العلم ، والنشاط السياسي ، او الى اكثر من عامل واحد من هذه العوامل . وعلى هذا فان اقامة العضو في البلد المعين قد تكون مؤقتة او دائمة .

الجدول الرقم ١٤

عدد البلدان التي اقام فيها اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية

عدد البلدان	عدد الاعضاء	النسبة المئوية
بلدان الى خمسة	١٨	٣١ر٦
ستة الى سبعة	٢٣	٤٠ر٣
عشرة الى ثلاثة عشر	١٤	٢٤ر٦
خمسة وثلاثون	١	١ر٨
لا معلومات	١	١ر٨
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

تنوعت اسباب ارتحال اعضاء النخبات اليهودية الى الخارج . فلقد ارتحل بعضهم طلبا للعلم ، او بهدف الزيارة . وهاجر قسم منهم الى بلدان اخرى بينها فلسطين والولايات المتحدة . وسافر بعضهم للمشاركة في مؤتمرات دولية غير سياسية ، كالمؤتمر الدولي للبلديات الذي انعقد في باريس . وتوجه عدد من الاعضاء الى بلدان اخرى لادارة مشروعات اقتصادية . كما ان قسما من الاعضاء ، سافر الى الخارج في مناسبات قليلة نسبيا لممارسة نشاطات سياسية او اقتصادية او دبلوماسية ، بصفتهم موظفين رسميين في بلدانهم الخاصة . وفي كثير من الاحيان سافر العديد من الاعضاء في مهمات حزبية بصفتهم مندوبين لحضور مؤتمرات حزبية دولية او ما شاكل ذلك . وباستثناء عضو واحد ، فان جميع الاعضاء قاموا برحلات بصفتهم من نشطاء المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية لفلسطين . فبسبب المراكز السياسية او الاقتصادية او الدبلوماسية التي تبوأها الاعضاء في هاتين المؤسستين ، قاموا بالعديد من الرحلات والبعثات بصفتهم التمثيلية لهاتين المنظمتين او للمنظمات المنتسبة اليهما والمتفرعة عنهما .

يوضح الجدول الرقم ١٥ البلدان الاثني عشر التي كانت الاكثر تعرضا لاقامة او لزيارة اعضاء اللجان التنفيذية ، وعدد الاعضاء الذين اقاموا في كل من هذه البلدان . وان بلدان الولادة واردة في هذا التعداد .

الجدول الرقم ١٥

البلدان التي اقام فيها افراد النخبات اليهودية السياسية

	عدد الاعضاء	النسبة المئوية من المجموع الكلي للاعضاء
فلسطين	٥٢	٩١ر٢
سويسرا	٤١	٧١ر٩
الاتحاد السوفياتي	٤٠	٧٠ر٢
بريطانيا	٣٨	٦٦ر٧
النمسا	٣٥	٦١ر٤
تشيكوسلوفاكيا	٣٥	٦١ر٤
المانيا	٣٣	٥٧ر٩
الولايات المتحدة	٣٠	٥٢ر٦
هولندا	٢٣	٤٠ر٤
بولندا	١٧	٢٩ر٨
فرنسا	١٦	٢٨ر٠
تركيا	٧	١٢ر٣

لقد اقام اعضاء اللجان التنفيذية في اثنين واربعين بلدا على الاقل . ويعكس هذا الاختلاف الكبير في عدد البلدان ، الى مدى معين ، الانتشار الجغرافي للمنظمات الصهيونية واليهودية التي انتشرت نشاطاتها في مختلف ارجاء العالم ، وبالاخص العالم الغربي . كما يعكس هذا العدد الواسع للبلدان التي ارتحل اليها الاعضاء ، الكثافة والشمول في النشاطات الصهيونية السياسية . وفي سياق هذه السفرات والرحلات الكثيرة للغاية ، اتيح للنخبات اليهودية عبر زيارتها واقامتها في البلدان الاخرى ، ان تتعلم الكثير من العادات الاوروبية والامريكية ، وان تكتسب خبرة سياسية غنية . ولقد كيفت نفسها مع الاتجاهات السياسية

التي كانت سائدة وقتئذ على مسرح السياسات الاوروبية والامريكية . ونتج عن ذلك انها كانت قادرة على رسم استراتيجية ملائمة للعمل السياسي وللتطبيق السياسي ، لوفرة العلاقات المباشرة التي انشأتها مع الشخصيات السياسية في الغرب ، ولغنى معرفتها بالمواقف النفسية — السياسية للشعوب الغربية . وهكذا فان النخبات اليهودية السياسية كانت في موقف ملائم تماما لترجمة الاختبارات التي مرت بها في الدول الغربية على الصعيدين السياسي والاجتماعي ، الى قواعد ترسي عليها دعائم السياسات الصهيونية القومية .

وكانت فلسطين واوروبا والولايات المتحدة المناطق الثلاث التي استقبلت العدد الاكبر من الاعضاء كزوار او كمقيمين .

وان اقامة عدد كبير من اعضاء اللجان التنفيذية في فلسطين ، وسويسرا ، والاتحاد السوفياتي ، وبريطانيا ، والنمسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمانيا ، والولايات المتحدة ، وهولندا ، وبولندا ، وفرنسا ، هذه الحقيقة يمكن تفسيرها بالعديد من العوامل . لقد شهدت هذه البلدان ، خلال الفترة التي تتناولها هذه الدراسة ، نشاطا صهيونيا سياسيا ويهوديا كثيفا . كما كانت هذه البلدان محل تركز الكتلة الاساسية من اليهودية العالمية . وحيث ان المنظمة الصهيونية دولية ، فلقد حتمت مؤتمرات المنظمة سفر الاعضاء الى الاماكن التي عقدت فيها . انعقدت مؤتمرات المنظمة الصهيونية بين ١٨٩٧ و ١٩٤٦ في البلدان الاوروبية التالية : سويسرا ، بريطانيا ، هولندا ، المانيا ، النمسا ، وتشيكوسلوفاكيا . اما المؤتمرات التي حدثت بعد العام ١٩٤٦ فلقد انعقدت في القدس . وان الاغلبية الساحقة من اعضاء اللجان التنفيذية كانوا مندوبين الى هذه المؤتمرات . ولعل هذا يفسر سبب ارتحال العدد الاعظم من الاعضاء الى اماكن انعقاد المؤتمرات .

وبالرغم من ان اكثر من نصف اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية كانوا مقيمين في فلسطين ، ورغم ان معظم سكان فلسطين كانوا من العرب ، فان النخبات اليهودية السياسية اقامت صلات شخصية محدودة للغاية مع العرب المجاورين المحيطين بفلسطين . وان كلا من مصر ولبنان وسوريا زارها عضو واحد من الاعضاء ، وان العراق وتونس البلدين العربيين غير المحاذيين لفلسطين ، زار كلا منهما عضو واحد . وتعود ندرة زيارات النخبات اليهودية السياسية للاقطار العربية الى حساسية هذه المسألة بمجمل قضية النزاع العربي — الصهيوني على فلسطين . ولعل ضيالة الصلات الشخصية التي انشأها اعضاء اللجان التنفيذية مع العرب ، عائدة الى سياسة صهيونية استهدفت ابقاء الاتصال العربي — اليهودي المباشر في ادنى حد له .

كما كانت الصلات الشخصية للنخبات اليهودية بشعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية واستراليا ونيوزيلندا محدودة للغاية . وانه لمن المؤكد ان القيادة الصهيونية السياسية كانت على وعي بان الغرب هو مركز النفوذ العالمي على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، وبان الدعم الغربي سياسيا وادبيا واقتصاديا ، هو وحده الكفيل بتحقيق الاهداف الصهيونية بانشاء دولة يهودية في فلسطين . ومن اجل هذا كان جل تركيز النخبات اليهودية ينصب على الغرب بالذات . على ان هذا التحليل لا يعني بالطبع التقليل من اهمية العاملين اللذين ساهما الى حد بعيد في تركيز النشاط الصهيوني السياسي على الغرب ، وهما واقع التركز السكاني اليهودي في الغرب ، ومولد ابناء النخبات اليهودية في الغرب . هذان العاملان ، بالاضافة الى الوزن السياسي العالمي الراجح للغرب في اثناء الفترة محل الدراسة ، اديا الى خلق الارضية الطبيعية لاقامة امتن العلاقات واوثقها مع الغرب .

النتاج الادبي

يتضح من المعلومات المتوافرة ، ان القيادة اليهودية كانت على صلة وطيدة بالصحافة والكتابة ان ثمانية واربعين عضوا من بين اعضاء اللجان التنفيذية السبعة والخمسين ، قدموا نوعا او آخر من النتاج ، ككتابة المقالات ، او تأليف الكتب بما في ذلك السير والمذكرات ، وتحرير الصحف والمجلات وادارة دور النشر . وحيث ان هؤلاء الاعضاء ولدوا في اصقاع متباينة ، فان نتاجاتهم كانت بلغات مختلفة . على ان معظم هذه النتاجات كان بالعبرية والانجليزية واليديش والالمانية والروسية واليولندية . وان هناك عدة اعضاء كتبوا بأكثر من لغة واحدة . وفيما اقتصرت مساهمات البعض على الترجمة ، مارس اخرون عمليتي الترجمة والكتابة معا .

وكانت الميادين التي دبج بها الاعضاء نتاجاتهم شديدة التنوع . ويتبين من الجدول الرقم ١٦ ان معظم هذه الميادين كان في نطاق المجال اليهودي والصهيوني . ويعود هذا بالطبع الى شدة اهتمام اعضاء اللجان التنفيذية بقضايا اليهود والصهيونية .

الجدول الرقم ١٦

الميادين التي كتب فيها أعضاء النخبات اليهودية السياسية وعدد الاعضاء الكتاب في كل ميدان منها

ميدان الكتابة	العدد	النسبة المئوية
القومية اليهودية والشؤون السياسية	٥٧	١٠٠ر٠
التاريخ اليهودي	١٧	٢٩ر٨
الاقتصاد	١١	١٩ر٣
الديانة والفلسفة اليهوديتان	١٠	١٧ر٥
علم الاجتماع	١٠	١٧ر٥
حركات العمل الصهيوني	٨	١٤ر٠
السكان اليهود وسكان فلسطين	٥	٨ر٧
مسائل تقنية وعلمية	٥	٨ر٧
التربية والتعليم	٤	٧ر٠
جغرافية فلسطين	٤	٧ر٠
العسكرية اليهودية	٤	٧ر٠
الفنون الادبية	٣	٥ر٣
العالمان العربي والاسلامي	١	١ر٨

دارت كتابات الاعضاء على محور الشؤون السياسية والقومية اليهودية او الصهيونية . وجرى تسجيل لتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة عموما ، وفي بلدان مثل بولندا والولايات المتحدة والمانيا وروسيا خصوصا . وتناول بعضهم بالدرس مرحلة ما قبل هرتزل ، اي حركة « احباء صهيون » التي بذلت جهدا لاستيطان فلسطين واستعمارها في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر . وبما ان هرتزل كان مهندس الصهيونية السياسية الحديثة فلقد كانت حياته وايديولوجيته السياسية موضع دراسة العديدين من اعضاء اللجان التنفيذية . وكانت هناك مجموعات تناولت بالدرس الجذور الغربية للفكرة الصهيونية والقومية اليهودية . وكان بينهم كتاب طالبوا بضمان حقوق الاقليات اليهودية حيثما كانت والمساواة المدنية لليهود . وكانت هناك كمية ذات شأن من الكتابات جل غايتها ترغيب اليهود وغير اليهود بالصهيونية وبفكرة تاسيس وطن قومي يهودي في فلسطين . واستهدفت بعض الكتابات اقناع اليهود المتدينين الذين نبذوا الصهيونية لطبيعتها اللادينية ، بقبول الصهيونية . وبين الامور التي سجلتها الكتابات السياسية ، مساعي قادة الصهيونية للظفر ببيانات رسمية مؤيدة للصهيونية من جانب الحكومات الغربية ، مثل بريطانيا وفرنسا ، كما سجلت المجهودات التي بذلها الرسميون الاسرائيليون لنيل اعتراف المجتمع الدولي باسرائيل . وتضمن عدد لا يستهان به من المؤلفات مسحا للعلاقات اليهودية — العربية — البريطانية خلال فترة الانتداب وسياسات هذه الاطراف ازاء فلسطين . وعنيت بعض الكتابات بتوضيح الموقف اليهودي الرسمي من بعض القضايا مثار النزاع ، كمسألة البراق حائط المبكى » وكانت هناك كتابات كرست للاحزاب الصهيونية ، فارخت لسيرة هذه الاحزاب وخلفياتها ومفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ومن البدهي ان الكتابات الحزبية كانت مشحونة بالكثير من الجدل الحزبي .

سبعة عشر من الاعضاء ، اي ٢٩ر٨ بالمائة من افراد النخبات ، قاموا بالتاريخ لليهود . ولقد ارخ هؤلاء الكتاب للتاريخ اليهودي القديم ، والمتوسط ، والحديث ، في الغرب وفي الشرق الاوسط . ومن اليسير ان نلاحظ في هذه الكتابات جهدا مبذولا يستهدف تضخيم العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين . كما اهتم هؤلاء الكتاب بصورة خاصة باضطهاد اليهود وافناء مجموعات منهم على ايدي النظام النازي . كما تزخر كتب التاريخ اليهودي الحديث بوصف للاوضاع اليهودية السياسية في فلسطين في السنوات القلائل التي سبقت انشاء اسرائيل في العام ١٩٤٨ .

وكان بين الاعضاء الكتاب ، احد عشر عضوا تناولوا موضوعات اقتصادية . وعالجوا في هذه الكتابات بصورة اساسية الاحوال الاقتصادية في فلسطين ، والنواحي الاقتصادية المتعلقة بالهجرة اليهودية ، واستيطان فلسطين . كما تطرقت الى شراء الاراضي والتعاونيات الزراعية والمدينية في فلسطين . وبما ان الهدف كان تحسين الوضع الاقتصادي اليهودي ، وتوسيع قدرة فلسطين الديموغرافية لاستيعاب المهاجرين اليهود الجدد ، فلقد حث الكتاب على تصنيع فلسطين ، ووضع برنامج شامل للدعم المالي من جانب اليهود للمجتمع

اليهودي في فلسطين . كما دعوا الى قصر العمل في الاراضي التي يملكها اليهود وفي المؤسسات الاقتصادية اليهودية على اليهود وحدهم ، وذلك بغية تسريع وترسيخ الاستعمار الصهيوني على تراب فلسطين .

ولم يكن من الغريب ان يكتب عشرة من الاعضاء ، اي ما يعادل ٥ر١٧ من مجموع افراد النخبات ، في القضايا المتعلقة بالدين اليهودي والفلسفة اليهودية ، وذلك لوفرة عدد الحاخامين بين اعضاء اللجان التنفيذية . وعالج الكتاب في هذا الميدان عقائد اليهودية ، والمسائل المتصلة بالاحبار اليهود والتلمود ، وتاريخ النقد التوراتي ، وتفسير وشرح التوراة ، والدراسات التوراتية . كما كانت هناك دراسة حول اعمال المفكرين اليهود المشهورين مثل ميمونيديس ، وسعاديا جاؤون ، ويهودا هليفي ، وسولون بن جابيرول ، ورابي يتسحاق يعقوب رابين ، وباعل شيم توف ، ورابي ابرهام يتسحاق كوك .

وبذل بعض هؤلاء الكتاب مجهودات لرسم مكانة اليهودية في العالم المعاصر ، وذلك في ضوء ملاحظتهم للخطى السريعة التي يتغير بها العالم الحديث .

وكان علم الاجتماع الميدان الذي كتب فيه عشرة من الاعضاء . وانكب بعضهم على قضايا الانعاش الاجتماعي عموما ، والاحوال الاجتماعية ليهود العالم خصوصا . وكانت هناك معالجة لاضطهاد اليهود ومعاداة السامية . وتبنى بعضهم الرأي القائل ان هذه الظواهر نتيجة لكون اليهود يشكلون اقليات في البلدان التي يعيشون فيها ، وان اللاسامية ستختفي اذا ما تجمع اليهود وركزوا انفسهم في دولة يهودية في فلسطين .

وبين الاعضاء الكتاب ، ثمانية تناولوا شؤون حركات العمال الصهيونية في الغرب ، وبالاخص في اوروبا الشرقية وروسيا . وكانت هناك محاولة لتبيان الصلة بين الطبقة اليهودية العاملة وبين الشعب اليهودي ، كما كان هناك نظر في التوجه السياسي للعمال الصهيونيين .

وكانت هناك عناية خاصة من جانب الاعضاء الكتاب بشؤون التوزيع الديموغرافي لسكان فلسطين وحيث انه كان من العسير انشاء دولة يهودية في فلسطين طالما كانت اكثرية سكانها من العرب ، فلقد كانت غاية الصهيونية تحويل فلسطين (او قلبها) الى بلد ذي اكثرية سكانية يهودية . وسجلت القيادة اليهودية بقوة اهمية هجرة اي يهودي الى فلسطين ، « شرعية » كانت او غير شرعية . وهيمنت على هذه القيادة خلال الفترة الزمنية التي نتناولها بالدرس ، حساسية فائقة ازاء الميزان الديموغرافي اليهودي — العربي في فلسطين .

واهتمت الكتابات الديموغرافية بالتوزيع الجغرافي ليهود العالم واعدادهم ، وقامت بتحليل موجات الهجرة اليهودية المتنوعة الى فلسطين ، والمضاعفات التي يتركها هؤلاء المهاجرون اقتصاديا وسياسيا وثقافيا .

اما في حقل التكنولوجيا والعلوم ، فلقد كانت هناك كتب وضعت في قضايا الرياضيات والميكانيك والكيمياء .

وفي الميدان الجغرافي الذي انتج فيه اربعة من الاعضاء ، كان هناك مسح لجغرافية فلسطين . وكان هناك تركيز خاص على الناحيتين الجغرافية — السياسية والجغرافية — الديموغرافية في فلسطين . والمقصود ب « الجغرافية — السياسية » لفلسطين اجزاء فلسطين ذات الاهمية السياسية البارزة ، كسهل فلسطين الساحلي على البحر الابيض المتوسط والنقب — الجزء الجنوبي من فلسطين . اما المقصود ب « الجغرافية — الديموغرافية » لفلسطين ، فهو اجزاء فلسطين التي كانت قادرة على تحمل اقامة واستيعاب المهاجرين اليهود الجدد . كما بذل مجهود خاص لاكتشاف مواضع المستوطنات القديمة والاثار في فلسطين . وفي بعض الحالات جرى احياء اسماء عبرية لاماكن معروفة باسمائها العربية .

وكانت الهاجناه — تشكيلها ، ونموها ، وغاياتها — التي اصبحت جيش اسرائيل الرسمي بعد العام ١٩٤٨ ، موضوع عدة كتب وكتابات .

وتحت عنوان « الفنون الادبية » الوارد في الجدول — الرقم ١٦ — تأتي مقتطفات شعرية لاحد الاعضاء وقصص كتبها عضوان اخران . وتتضمن هذه النتاجات الادبية موضوعات عن البعث اليهودي والقومية اليهودية .

وكتب احد الاعضاء من العالمين العربي والاسلامي ، من واقعهما ، وليس من واقع الصراع العربي ـ الصهيوني اذا جاز التعبير . اي انه تناول انبثاق الحركة القومية العربية الحديثة في الشرق الاوسط ، والصلة بين العروبة والاسلام .

العلاقة بين التخصص الدراسي والمناصب الادارية والوزارية

طبقا للمادة الرابعة من صك الانتداب على فلسطين ، اعترف الانتداب البريطاني بالوكالة اليهودية كمؤسسة استشارية تتعاون مع الادارة البريطانية لفلسطين في مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والنواحي الاخرى المتصلة بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، وبمصالح السكان اليهود في فلسطين . وهذه النواحي المتنوعة المتعلقة بالوطن القومي اليهودي ويهود فلسطين ، واسعة ، وتتضمن نواح وحقولا شتى ، كاوضاع التربية والتعليم ، والتنمية ، والاستيطان ، والدين ، والهجرة ، واستيعاب المهاجرين ، وجوانب اخرى .

ولقد تولت اقسام معينة او مكاتب في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، المهمات التي قررتها صك الانتداب للوكالة اليهودية . وتمركزت هذه المكاتب في كل من القدس ولندن . وكان على رأس كل مصلحة او قسم او مكتب منها ، رئيس او مدير . وتولى اعضاء اللجان التنفيذية ـ في معظم الحالات ـ رئاسة او ادارة هذه المصالح . (٢٦)

ونظرا لقوة الوكالة اليهودية السياسية والاقتصادية ، اصبحت هذه الوكالة عاملا مهيمنا على المسرح الفلسطيني السياسي والاقتصادي ، واجملت لجنة بيل في العام ١٩٣٧ دور الوكالة اليهودية بايجاز بارع بقولها : « ومع مرور الوقت خلقت جهازا اداريا كاملا . وبلغت قوة ... هذه المنظمة حدا جعلها حكومة قائمة جنبا الى جنب مع حكومة الانتداب » . (٢٧)

ان الوسيلة الناجعة للتحقق من اهمية التخصص الدراسي في اكتساب واداء الادوار القيادية ، هي قياس مدى التوافق بين ميدان الدراسة وبين نوعية المنصب الاداري «المشغول» . وبكلمات اخرى ، ان السؤال هو ما اذا كان « العضو » يقوم باعباء منصب دارت دراسته التعليمية حوله ، او تلقى تدريبا سابقا على شؤونه ، وما اذا كان تخصص العضو الدراسي ذا اثر وفائدة في اكتساب وتولي دوره القيادي :

تبين المعلومات المتوافرة ان ٣١ عضوا من اعضاء اللجان التنفيذية السبعة والخمسين ، اي ٥٤ر٤ بالمائة من افراد النخبات ، ترأسوا مصالح ودوائر اللجنة التنفيذية اليهودية . ومن بين هؤلاء الواحد والثلاثين ، خمسة اعضاء لم نتمكن من معرفة ميادينهم الدراسية .

ويكشف الجدول الرقم ١٧ ان ثلاثة من اعضاء اللجان التنفيذية ترأسوا اقساما تتوافق وحقول تخصصاتهم الدراسية . وان ثمانية اعضاء ترأسوا اقساما لا تتفق مهماتها وتخصصاتهم الدراسية . في حين ان خمسة عشر عضوا ترأسوا اقساما كانت وظائفها تتفق ولا تتفق وتخصصاتهم الدراسية . وان كبر هذه الفئة التي تضم خمسة عشر عضوا ، يعود الى توليهم اقساما مختلفة . فاذا جمعنا النسبة المئوية للفئة الاولى والنسبة المئوية للفئة الثالثة نحصل على

الجدول الرقم ١٧

التوافق وعدم التوافق بين التخصصات الدراسية للاعضاء وبين المراكز التي تولوها

	العدد	النسبة المئوية
اعضاء ترأسوا اقساما تتوافق وتخصصاتهم الدراسية	٣	١١ر٥
اعضاء ترأسوا اقساما تتوافق وتخصصاتهم الدراسية	٨	٣٠ر٨
اعضاء ترأسوا اقساما بعضها يتوافق وبعضها لا يتوافق وتخصصاتهم الدراسية	١٥	٥٧ر٧
المجموع	٢٦	١٠٠ر٠

نسبة ٢ر٦٩ بالمائة ، وهي نسبة تكشف عن اهمية التعليم في نيل المراكز القيادية السياسية .

سبل الوصول الى السلطة السياسية

ان سبل التصنيف المتعلقة بالانماط المهنية للنخبة العربية السياسية في فلسطين والتي كنا قد ذكرناها في باب « سبل الوصول الى السلطة السياسية » ، قد لا يكون هذا هو العنوان نفسه حرفيا) ، وهو الباب المنشور في الجزء العربي من هذه الدراسة المنشور من قبل ، تنطبق على المعايير المهنية للنخبات اليهودية السياسية .

ان المهنة الاصلية للفئة الكبرى من القيادة اليهودية هي القانون . وتضم هذه الفئة اربعة عشر عضوا يشكلون ربع العدد الاجمالي للنخبات اليهودية (انظر الجدول الرقم ١٨) .

اننا لا نملك معلومات عن عدد دارسي القانون بين خريجي الجامعات من الشعب اليهودي ومع ذلك فاننا نميل الى القول ان كبر وجود فريق الحقوقيين الذي يشكل ٢٥ بالمائة من افراد النخبات دليل على المكانة التمثيلية « الزائدة » المعطاة لمهنة القانون ، وعلى حساب المهن الاخرى ، وكذلك دليل على النفوذ الكبير الذي تمتع به اصحاب الدراسات « العمومية » او غير التخصصية بالمعيار الضيق للكلمة في اوساط القيادة اليهودية

الجدول الرقم ١٨

تعداد اجمالي للمهن الاصلية للاعضاء

المهنة	العدد	النسبة المئوية
القانون	١٤	٢٤ر٦
الوظائف الادارية	١١	١٩ر٣
وظائف حاخامية	٦	١٠ر٥
الهندسة	٥	٨ر٨
الشؤون المالية	٥	٨ر٨
السلك الجامعي	٤	٧ر٠
الصحافة	٤	٧ر٠
التدريس الغير مستوى الكلية او الجامعة)	٣	٥ر٣
الطب	٢	٣ر٥
امانة مكتبة	١	١ر٨
العسكرية	١	١ر٨
لا معلومات	١	١ر٨
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

والفئة التالية من حيث الحجم للمهن الاصلية لافراد النخبات اليهودية هي السلك الوظيفي والادارة ، وتضم هذه الفئة احد عشر عضوا يشكلون نسبة ١٩ر٣ بالمائة . وتكشف هذه النسبة عن الاهمية البارزة لهذا السلك كقطاع انطلاق للظهور السياسي ، ويعكس الوزن الكبير « للبيروقراطيين » ومدى اعتماد النخبات اليهودية عليهم . ولقد اكتسب اليهود في سياق خدمتهم الطويلة في الحقل « البروقراطي » خبرة في النواحي الشائكة والمعقدة للمنظمات والتنظيم .

وكان الموظفون الحاخاميون الفئة الثالثة من حيث الحجم ، اذ بلغ عددهم ستة اعضاء يشكلون ١٠ر٥ بالمائة من النخبات . ومن الواضح ان العلوم التي درسوها هي الدراسات الدينية اليهودية . وان انتخاب ستة حاخاميين لعضوية اللجان التنفيذية يعكس مساهمة رجال الدين اليهود في تحديد التوجه السياسي للحركة الصهيونية العالمية .

وكانت الهندسة المهنة الاصلية لخمسة اعضاء اي نسبة ٨ر٨ بالمائة من النخبات . وجاء خمسة اعضاء اخرين من عالم المال . ويشكل هذان الفريقان نسبة ٦ر١٧ بالمائة من الاعضاء ، الامر الذي يكشف عن اعتماد النخبات اليهودية على الاختصاصيين واحالة النشاط التقني والمالي اليهم .

وكان التدريس سواء على مستوى الكليات الجامعية او ما دون ذلك ، المهنة الاصلية لسبعة من القادة .

ومما لا ريب فيه ان السلك الاكاديمي تمتع بمكانة مرموقة . ولا شك في ان استاذية حاييم وايزمان الجامعية ومحاضراته في علوم الاحياء في هذا الاطار ، واختراعه لمنتجات حربية لعبا دورا مهما في بروزه على المسرح السياسي .

الجدول الرقم ١٩
الاصول المهنية لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية

اللجنة التنفيذية	المحامون		السلك الوظيفي		رجال الدين		الهندسة		المال		التدريس		الصحافة		الطب		المكتبة		العسكرية		لا معلومات		المجموع
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية			
١٩٢١	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٢٣	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٢٥	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٢٧	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٢٩	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٣٠	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٣١	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٣٣	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٣٥	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٣٧	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤
١٩٣٩	٣	١٢٫٥	٣	١٢٫٥	٢	٨٫٣	١	٤٫٢	١	٤٫٢	٢	٨٫٣	٢	٨٫٣	١	٤٫٢					٩	٣٧٫٥	٢٤

وكانت البحاثة المهنة الاصلية لاربعة قيادة ، والطب لعضوين ، وكان هناك شخص واحد مهنته الاصلية امينا لمكتبة . وشخص واحد عسكريا .

ويقدم الجدول الرقم ١٩ « تحليلا » للمناصب المهنية لاعضاء اللجان التنفيذية . وادمجنا فيه فريق السلك الجامعي مع فريق المدرسين لما دون الجامعة ، في فئة واحدة هي فئة التدريس ، وذلك كي يكون المعنى الاحصائي اكثر جدوى .

وكما نرى في الجدول الرقم ١٩ ، فان القانون سجل ارتفاعا عاليا من عضوين — النسبة المئوية ١٣٫٣ — في اللجنة التنفيذية لسبتمبر من العام ١٩٢١ ، الى ثمانية اعضاء — يشكلون ٣٠٫٨٪ — في اللجنة التنفيذية لاغسطس من العام ١٩٣٩ . ويدل هذا الارتفاع على تزايد اعتماد « النخبات اليهودية على اصحاب الدراسات « العمومية » ، وعلى النفوذ المستمر للحقوقيين .

وشهد مرور الوقت ارتفاعا في نسبة رجال الدين . ومع ان اللجان التنفيذية الاربع الاولى كانت خالية من اي رجل دين يهودي ، فان اربعة حاخامين ، انتخبوا للجنة التنفيذية الاخيرة التي شكلوا فيها نسبة ١٥٫٤ بالمائة . وهذا دليل قاطع على التأثيرات الدينية المتزايدة على النخبات اليهودية .

وكان هناك تقدم في نسبة المهندسين . فحيث لم يكن هناك سوى مهندس واحد — يشكل نسبة ٦٫٧٪ — في اللجنة التنفيذية الاولى ، اصبح المهندسون ثلاثة — بنسبة ١١٫٥٪ — في اللجنة التنفيذية للعام ١٩٣٩ .

كما كان هناك تزايد ملموس في عدد الاساتذة والمدرسين . ففي اللجنة التنفيذية للعام ١٩٢١ لم يكن هناك غير شخص واحد يتعاطى هذه المهنة — وشكل نسبة ٦٫٧٪ — ارتفعت جماعة التدريس الى خمسة اعضاء شكلوا نسبة ٢٥ بالمائة من مجموع اعضاء اللجنة التنفيذية للعام ١٩٣٧ . لكن العدد هبط الى اربعة شكلوا نسبة ١٥٫٣ بالمائة . ولعل معنى هذه الزيادة في عدد الاساتذة والمدرسين ،

ان القيادة اليهودية اصبحت اكثر وعيا باهمية التربية اليهودية ، وخصوصا في فلسطين .

مصير النخبات اليهودية السياسية

كما نلاحظ في الجدول الرقم ٢٠ ، فلقد اعتبرنا يناير ١٩٤٧ نقطة النهاية لتحديد وضع ومصير اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية . وكما فعلنا في الجزء العربي من هذه الدراسة المنشور سابقا ، سنقبل في هذا الجزء اليهودي ايضا ، في حال تعاطي العضو لعدة مهن مختلفة بعد التاريخ المذكور . اي ان المهنة التي سوف نعتبرها بين المهن « الجديدة » التي انتقل اليها العضو ، هي المهنة التي تطلبت منه القسم الاكبر من وقته ، والتي كرس لها نفسه اكثر من غيرها باذلا فيها القدر الاعظم من نشاطه . « هذه » المهنة هي التي سنسجلها على انها مهنة العضو « الجديدة » بعد التاريخ المذكور . والواقع ان القسم الاعظم من الزعماء والقادة اليهود كان يتعاطى اكثر من مهنة واحدة . كان جميع الاعضاء الصهيونيين منهمكين بالشؤون السياسية على درجات متفاوتة طبعا ، وبين اوقات متراوحة . وان بعض الاعضاء غير الصهيونيين ابدى اهتماما ونشاطا بالشؤون « اليهودية الخالصة » اذا جاز القول ، تمييزا لها عن الشؤون الصهيونية . نرى في الجدول الرقم ٢٠ ، وهذا العدد يمثل اكثر

الجدول رقم ٢٠

الوضع الجديد لاعضاء اللجان التنفيذية بعد انتهاء عضويتهم في موعد افتراضي هو يناير ١٩٤٧

	العدد	النسبة المئوية
السلك الوظيفي والاداري	٢٠	٣٥ر١
لا يزالون اعضاء في اللجنة التنفيذية	١٣	٢٢ر٨
السلك الاكاديمي	١	١ر٨
تحرير منشورات يهودية دينية	١	١ر٨
حالات وفاة	١٤	٢٤ر٦
لا يعلومات	٨	١٤ر٠
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

لقد استقبل السلك الوظيفي والاداري عشرين عضوا من اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية كما

من ثلث مجموع اعضاء النخبات . ولعل هذا يؤكد من جديد التاثير البالغ الذي مارسه «البيروقراطيون» في الحركة الصهيونية ، واعتمادها الكبير عليهم .

الانتماء الجغرافي (المنطقي)

من المعالم البارزة في تكوين النخبات اليهودية السياسية ، ان ٥٥ عضوا ، اي ٩٦ر٥ بالمائة من اعضاء اللجان التنفيذية ، ولدوا في اوروبا وامريكا الشمالية . وفيما يتعلق بالعضوين الاخرين فان مكان ولادة احدهما مجهول ، وكان الاخر من مواليد الهند . وكان هذا ابنا لاسرة يهودية بريطانية كان ربها موظفا في البلاط البريطاني الخارجي العامل في الهند . ولذا فان من السلم اعتباره بريطانيا في الاصل . لقد شكل الغرب ، وبالاخص الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبولندا ، مناطق تركز اضخم التجمعات السكانية اليهودية . ويتضح من الجدول الرقم ٢١ ان حصة السكان اليهود في اوروبا واميركا الشمالية لم تتجاوز التسعين بالمائة من يهود العالم .

اذا قارنا نسبة اليهود الغربيين بين اعضاء اللجان التنفيذية ، بنسبة السكان اليهود الغربيين قياسا على السكان اليهود في العالم اجمع ، يتضح لنا ان نسبة اليهود الغربيين بين اعضاء اللجان التنفيذية كانت زائدة عن المعدل التمثيلي .

الجدول الرقم ٢١

النسبة المئوية ليهود العالم في كل منطقة (في العام ١٩٣٩) (٢٨)

المنطقة	النسبة المئوية من يهود العالم
البلدان الاوروبية والامريكية الشمالية	٨٦ر٦
البلدان الواقعة في غرب اوروبا واميركا الشمالية	٩ر٢
البلدان من كلا المنطقتين	٤ر٢
المجموع	١٠٠ر٠

ان رجحان كفة اليهود الغربيين بين اعضاء اللجان التنفيذية ، بل اقتصارها عليهم ، يعود الى جملة من العوامل والاسباب . ان الصهيونية كحركة سياسية انبثقت من الغرب . لقد كان

اليهود الغربيون السباقين والرواد ، والمنظمين ، ودعاة الصهيونية السياسية . ولقد وصل يهود الغرب الى مرحلة الوعي القومي اليهودي قبل يهود اسيا وافريقيا بكثير . (٢٩) وكان يهود الغرب ، وبالاخص يهود روسيا وبلدان شرق اوروبا عرضة لاساءة المعاملة . وكانت المشاق التي عاناها اليهود في غير روسيا وشرق اوروبا اخف بكثير . ان الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعرضت لها الحياة اليهودية في اوروبا ، قدمت الحوافز الكفيلة بتحقيق التزام يهودي ذي شأن بالفكرة الصهيونية والمقاصد الصهيونية .

وحيث ان قطاعا مهما من يهود العالم ، كان موزعا بين عدة بلدان في اوروبا ، كان من المفهوم ان يخرج اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية من بلدان شتى من القارة الاوروبية . وكما يتضح من الجدول الرقم ٢٢ ، فان الفئة الاكبر التي تضم تسعة عشر عضوا بنسبة ٣٣ر٣ بالمائة من المجموع الاجمالي للنخبات اليهودية ، كانت من مواليد الاتحاد السوفياتي .

وبعد الاتحاد السوفياتي تأتي بولندا التي ولد فيها احد عشر عضوا يشكلون ١٩ر٣ بالمائة من المجموع . ثم المانيا ثم الولايات المتحدة ، اللتان خرج من كل منهما خمسة اعضاء — ٨ر٧٪ — اما الخمسة الامريكيون فلقد كان احدهم من ماريلاند ، واخر من اوهايو ، والثلاثة الباقون من نيويورك ، مغني عن البيان ان نيويورك مقر لتجمع سكاني يهودي كبير .

الجدول الرقم ٢٢

البلدان التي ولد فيها اعضاء اللجان التنفيذية

البلد	العدد	النسبة المئوية
الاتحاد السوفياتي	١٩	٣٣ر٣
بيلوروسيا (٣٠)	٩ — ٨ر١٥٪	
أكرانيا	٨ — ٠ر١٤٪	
روسيا	٢ — ٥ر٣ ٪	
بولندا	١١	١٩ر٣
المانيا	٥	٨ر٧
الولايات المتحدة	٥	٨ر٧
ولاية نيويورك	٣ — ٥ر٣ ٪	
ماريلاند	١ — ٨ر١ ٪	
اوهايو	١ — ٨ر١ ٪	
بريطانيا	٣	٥ر٣
رومانيا	٣	٥ر٣
ليتوانيا	٢	٥ر٣
النمسا	١	٨ر١
كندا	١	٨ر١
تشيكوسلوفاكيا	١	٨ر١
هنغاريا	١	٨ر١
الهند	١	٨ر١
لاتفيا	١	٨ر١
السويد	١	٨ر١
هولندا	١	٨ر١
لا معلومات	١	٨ر١
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

ولمزيد من التبسيط والتوضيح لاماكن ولادة اعضاء اللجان التنفيذية ، سنعمد الى تصنيف بلدان ولادتهم الى اربع مجموعات : الاتحاد السوفياتي وشرق اوروبا ، اوروبا الوسطى ، غرب اوروبا ، امريكا الشمالية . وعلى هذا الاساس يتبين ان ثلثي اعضاء اللجان التنفيذية من الاتحاد السوفياتي وشرق اوروبا . ثم تأتي منطقة وسط اوروبا ومنطقة امريكا الشمالية اللتان ولد في كل منهما ستة اعضاء ، اي ١٠ر٥ بالمائة . وهناك خمسة اعضاء من غرب اوروبا ، بنسبة ٨ر٦ بالمائة ، وعضو واحد من مواليد الهند ، البلد الوحيد غير الغربي .

الجدول الرقم ٢٣

المناطق التي ولد فيها اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية (٣١)

المنطقة	العدد	النسبة المئوية
الاتحاد السوفياتي وشرق اوروبا	٣٨	٦٦ر٧
اوروبا الوسطى	٦	١٠ر٥
امريكا الشمالية	٦	١٠ر٥
اوروبا الغربية	٥	٨ر٦
الهند	١	١ر٨
لا معلومات	١	١ر٨
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

اذا قارنا بين نسبة اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية في كل من هذه المناطق وبين نسبة عدد يهود العالم الموجودين فيها ، يتضح لنا ان نسبة عدد الاعضاء من الاتحاد السوفياتي وشرق

اوروبا واوروبا الوسطى وغرب اوروبا ، حتى مع استبعاد السكان اليهود في السويد الذين لا نملك معلومات عن نسبتهم المئوية الى يهود العالم) ، كانت « زائدة » ، وإن نسبة عدد الاعضياء من امريكا الشمالية كانت « ناقصة » . ونكتفي بتقديم مثالين ، انظر الجدول الرقم ٢٤) فبينما يشكل يهود الاتحاد السوفياتي وشرق اوروبا ٤٩ بالمائة من يهود العالم ، فان ٦٦ر٧ بالمائة من عدد الاعضاء ولدوا فيها . وبالمقابل كان السكان اليهود في امريكا الشمالية (العام ١٩٣٩) ٣٠ر٤ بالمائة من يهود العالم ، ومع ذلك فلم يكن من مواليد هذه المنطقة سوى ٥ر١٠ بالمائة من اعضاء اللجان التنفيذية .

كانت اوروبا ، في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر ، وفي العقدين الاولين من القرن العشرين ، المركز الرئيسي للنشاط الصهيوني ، ولهذا من المفهوم أن أغلبية القادة السياسيين اليهود الصهيونيين كانوا من أوروبا . فالتأهيل السياسي الصهيوني في اوروبا سبق مثيله في أمريكا الشمالية . (٣٣) هذه الحقيقة تفسر جزئيا سبب تفوق التمثيل الاوروبي في اللجان التنفيذية اليهودية ، وتدني التمثيل الامريكي فيها ، كما لا ينبغي أن يغرب عن البال في سياق هذه النقطة ، أن بعض أعضاء اللجان التنفيذية الذين ولدوا في أوروبا الوسطى والاتحاد السوفياتي ، هاجروا الى الولايات المتحدة وهم بعد في مرحلة الطفولة ، ونشأوا وترعرعوا في أمريكا قبل أن يضطلعوا بمهمات القيادة السياسية .

كانت البلدان التي رأى فيها النور أعضاء اللجان التنفيذية ، منبعا لايديولوجيات اجتماعية وسياسية متباينة . كما كانت موئل ثقافات متنوعة . ولقد غذى سكان هذه البلدان التجمعات اليهودية التي تعيش بينهم بانماط وطرائق اجتماعية معاشية متفاوتة . هذه هي الخلفية التي يجب اخذها في الحسبان لدى تأمل النظرات والمفاهيم المتباينة لافراد النخبات اليهودية السياسية على الاصعدة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ويمكن القول بعبارة أخرى ان هذا الاختلاف الكبير بين العدد الكبير من البلدان التي ولد فيها أعضاء اللجان التنفيذية ، كان مدعاة لاختلافات مؤثرة بينهم .

والبيانات المتاحة تبين أن أربعة وخمسين عضوا على الاقل من الاعضاء السبعة والخمسين — أي بنسبة ٩٤ر٧ بالمائة — ولدوا في مدن صغيرة أو كبيرة . فمنذ قرون والاغلبية الساحقة من التجمعات اليهودية في العالم من سكان المدن . وهذه الحقيقة تكفي لتفسير سبب ولادة القسم الاعظم ممن النخبات اليهودية في مناطق مدينية .

الايديولوجية

شهدت الحياة اليهودية السياسية المعاصرة تشكيل عدة حركات سياسية وتكوين عدة أفكار سياسية ، كانت الصهيونية أبرزها وأشدها تأثيرا .

الصهيونية حركة قومية جديدة تسعى لان يكتسب « الشعب اليهودي » خصائص الامة الحديثة : الارض القومية ، واللغة القومية ، والسيادة . (٣٤) . واختارت الصهيونية فلسطين على أنها الارض القومية اليهودية ، والعبرية كلغة قومية يهودية . وان حشد اليهود

الجدول الرقم ٢٤

النسبة المئوية ليهود العالم ولاعضاء القيادة اليهودية السياسية في مختلف المناطق

المنطقة	النسبة المئوية للاعضاء المولودين فيها	النسبة المئوية للسكان اليهود من يهود العالم (العام ١٩٣٩)
الاتحاد السوفياتي وشرق اوروبا	٦٦ر٧	٤٩ر٠
اوروبا الوسطى	١٠ر٥	١ر٧
امريكا الشمالية	١٠ر٥	٣٠ر٤
اوروبا الغربية	٨ر٦	٣ر٢ (٣٢)
الهند	١ر٨	
لا معلومات	١ر٨	
المجموع	١٠٠ر٠	

وتركزهم في فلسطين يحل — بالنسبة للصهيونية — مشكلات اليهود السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

أن المنظمة الصهيونية ، التي أعيدت تسميتها في العام ١٩٦٠ باسم « المنظمة الصهيونية العالمية » ، فلقد كانت على الدوام الجهاز الرسمي للحركة الصهيونية . كان المبادر الى اقامتها تيودور هرتزل في بال في سويسرا في اغسطس ١٨٩٧ . ولقد صاغت المنظمة في هذا المؤتمر وتبنت برنامجا أصبح يعرف ببرنامج بال . (٣٥) وتضمن البرنامج التزاما بخلق وطن يهودي في فلسطين . ولتأمين تحقيق هذا الهدف ، دعا البرنامج الى دفع عجلة الاستيطان اليهودي في فلسطين ، والى توحيد يهود العالم ، والى تغذية الوعي القومي اليهودي ، والى اتخاذ خطوات من شأنها توفير مساندة الحكومات المختلفة للمخطط الصهيوني . (٣٦)

من بين أعضاء اللجان التنفيذية اليهودية السبعة والخمسين ، خمسون عضوا — يمثلون ٨٧ر٧ بالمائة — كانوا صهيونيين ، بينما كان سبعة أعضاء فقط — أي ١٢ر٣٪ من النخبات اليهودية السياسية — غير صهيونيين . (أنظر الجدول الرقم ٢٥) .

الجدول الرقم ٢٥

الاتجاهات الايديولوجية لاعضاء النخبات اليهودية

الانتماء الايديولوجي	العدد	النسبة المئوية
صهيونيون	٥٠	٨٧ر٧
غير صهيونيين	٧	١٢ر٣
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

تحتوي الصهيونية على عدة أفكار : الاشتراكية ، الليبرالية ، الديمقراطية ، والراسمالية . وتجسدت هذه الافكار ، ضمن اطار الحركة الصهيونية السياسية ، في برامج عمل العديد من الاحزاب والتكتلات السياسية : حزب عمال أرض اسرائيل (مباي) وأحدوت همفودا (وحدة العمل) ، والحارس الفتي ، والعامل المزراحي ، واتحاد الصهيونيين العموميين ، والهجرة الجديدة ، والمزراحي ، والاصلاحيون (أو المنتحون بمعنى أدق) ، والعصبة الديمقراطية ، وايحود (الاتحاد) ، ورابطة التقارب اليهودي — العربي . كما كانت هناك تكتلات سياسية أخرى ، لكنها غير معنيين هنا الا بتلك الاحزاب التي طلع منها اعضاء اللجان التنفيذية . والواقع ان الاحزاب والاتجاهات السالفة الذكر تمثل الفكر السياسي اليهودي في العصر الحديث . وان معظم هذه الاحزاب موجودة قبل الفترة الزمنية التي بدأت بها هذه الدراسة ، أي انها تأسست قبل العام ١٩٢١ ، وتابعت نشاطها خلال الفترة الزمنية التي تغطيها هذه الدراسة . وشهدت هذه الاحزاب في سياق الفترة جملة حركات اندماجية وانشقاقية متنوعة . وكانت لها جميعا فروع في فلسطين وغيرها من الاقطار . ورغم ان اعضاء هذه الاحزاب كانوا في أمصار وأقطار شتى ، الا ان برامجها كانت الى حد بعيد ، متشابهة . على ان كلا من هذه الاحزاب احتوى في اطاره المديد من الميول الايديولوجية . وسنتعرض في الصفحات التالية بصورة موجزة لتاريخ ، ولافكار هذه الاحزاب بالقدر الذي يسمح به المجال .

يؤكد مؤرخو الصهيونية أن الفترة بين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، شهدت تنافسا اقتصاديا بين العمال اليهود والمسيحيين في أقطار مثل روسيا والنمسا وشرقي أوروبا . (٣٧) . ويسجل هؤلاء الكتاب ، انه بسبب هذا التنافس ، وبسبب التمييز ضد اليهود ، لم يكن ممكنا رفع المستوى الانتاجي للعمال اليهود ، الامر الذي أدى الى جعل عملية تحويل الجماهير اليهودية الى بروليتاريا مهمة تقف أمام طريق مسدود . (٣٨) ولقد ارتبطت الصهيونية العاملة او البروليتارية بپير بوروخوف . وكان المخرج الوحيد مما تعانيه البروليتاريا اليهودية من ضعف في الحجم ونقص في الاهمية — في نظر بوروخوف — هو تجميعها في بلد واحد ، فبحث عن بلد يكون شبه زراعي ، وضئيل السكان ، ولا يواجه اليهود فيه منافسة من جانب شعوب أخرى لدى سعيهم لاقامة حركة تصنيع . والارض التي كانت تتوافر فيها هذه الشروط — بالنسبة اليه — كانت فلسطين . (٣٩) . ولم تجد البوروخوفية غير قلة من الانصار والمؤيدين في أوساط الحركة العمالية الصهيونية ، انهم بوعالي تسيون (عمال صهيون) . وبينما كان البوروخوفيون وأخصامهم يصطرعون ، كانت حركة قومية صهيونية جديدة تكتسح فلسطين . وكان صاحب

ايديولوجية هذه الحركة آرون ديفيد جوردون ، الذي كرس دعوته للقومية اليهودية . وكان معنى القومية في مفهومه بعثا يهوديا يقوم على غزو لفلسطين ، بواسطة العمل ، ومن خلال المسئولية الاجتماعية . (٤٠) ولقد تبنى حزب (العامل الفتى) أفكار جوردون بشأن العمل الصهيوني . وفي ظل هؤلاء كان نمو العمال اليهود في فلسطين شرطا لازما لتجسيد الصهيونية وجعلها حقيقة واقعة . وعارضوا مبدأ الصراع الطبقي ، واعتبروا الملكية اليهودية العامة للارض ووسائل الانتاج سبيلا لخلق الشعب اليهودي .

وكان (الصهيونيون الفتيان) حركة صهيونية انبثقت من شرق أوروبا في مطلع القرن العشرين . وكانت شديدة التأثر بأفكار (العامل الفتى) . وانضمت الى الصهيونيين الفتيان مجموعات من الشباب الصهيوني في روسيا قبل الحرب العالمية الاولى . وفي مؤتمر انعقد في براغ في العام ١٩٢٠ ، ظهر الى الوجود (الاتحاد العالمي للعامل الفتى والصهيونيين الفتيان) . وركز (الاتحاد) على أهمية تعزيز الهجرة ، وشراء الاراضي ، واقامة اليهود في فلسطين . (٤١) وكان عمال صهيون (بوعالي تسيون) حركة صهيونية اشتراكية . ودعت الى تجميع اقليمي للعمال اليهود في فلسطين حلا لمشكلاتهم في الاقطار التي يقيمون فيها . ثم تبنوا في مرحلة لاحقة أفكار جوردون في فلسطين . وبعد اندماجهم ببعض التجمعات العمالية ، اتخذوا اسما جديدا هو الاسم الذي لا يزال مستعملا حتى الآن : احدوت هعفودا ، أي (وحدة العمل) . وفي العام ١٩٢٩ اندمج حزب (العامل الفتى) باحدوت هعفودا فيما عرف باسم حزب مباي . وكانت المهمات الرئيسية لمباي شراء الاراضي ، وتعزيز الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتمكين الوجود اليهودي فوق التراب الفلسطيني . واعتبر مباي مهمته : « ازالة العبودية الطبقية والتفاوت الاجتماعي ... وتحويل المصادر الطبيعية والوسائل الانتاجية الى عموم المجتمع العامل ، وتأسيس مجتمع يقوم على العمل والمساواة والحرية » . (٤٢) . وارتأى مباي تطابقا بين مصالح الحركة العمالية وبين مصالح الشعب اليهودي . كما ارتأى تحقيق الوحدة القومية اليهودية في فلسطين ، بتحويل الجماهير اليهودية والاخذ بيدها الى الحركة العمالية الصهيونية . (٤٣) .

وتدل البيانات المتوافرة على أن اثنين من اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية ، هما حاييم وايزمان وبي . نيويل ، كانا ينتميان الى (العصبة الديمقراطية) . وكانت هذه عصبة علمانية في اطار المنظمة الصهيونية العالمية . ولقد اعترضت العصبة الديمقراطية على اهتمام هرتزل الطاغي بالعمل السياسي ، وطالبت بتوسيع قاعدة القيادة الصهيونية . كما طالبت القيادة الصهيونية بتكريس اهتمامها للنشاطات الاجتماعية والثقافية سواء في فلسطين أو في البلدان الاخرى التي يقيم فيها اليهود . وطالبت المنظمة الصهيونية بأن تكون أكثر ثورية ، كي تصبح قادرة على مناسة الحركات الثورية المعاصرة التي تنازع الشباب اليهودي .

وفي عام ١٩٤٥ انشق حزب مباي وخرجت منه مجموعة عرفت باسم مجموعة (وحدة العمل) . هذه المجموعة اليسارية الاشتراكية الصهيونية ، أي حزب وحدة العمل ، اتحدت في يناير ١٩٤٨ مع المجموعتين اليساريتين الاشتراكيتين الصهيونيتين ، يسار (عمال صهيون) ، ومجموعة (الحارس الفتى) ، وكونت هذه المجموعات معا حزب مبام . ولقد مثل توحيد هذه المجموعات الثلاث ، توحيدا لليسار الصهيوني العمالي . ودعا مبام الى الصهيونية ، والاشتراكية ، والى التفاهم اليهودي — العربي ، وشكلت هذه المفاهيم قاعدته الإيديولوجية . (٤٤)

وكانت هناك اختلافات ايديولوجية داخل مبام . فقبل تأسيس اسرائيل ، دعت مجموعة الحارس الفتى التي كانت قلب حزب مبام ، كحل للمجابهة اليهودية — العربية ، الى دولة مزدوجة القومية يتساوى فيها الشعبان بالحقوق المدنية والقومية ، والى هجرة يهودية غير محددة الى فلسطين . (٤٥) وفي مقابل هذه الدعوة من مجموعة الحارس الفتى ، دعت مجموعتا احدوت هعفودا — بوعالي تسيون ، عمال صهيون) الى تأسيس دولة يهودية على تراب كل فلسطين .

ولقد انتظم جماعة هبوعال همزراحي (العامل المزراحي) في القدس في العام ١٩٢٢ . وحيث ان هذا كان حزبا صهيونيا دينيا عماليا ، فلقد استقى مفاهيمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من التوراة . وتقوم ايديولوجية الحزب على تأسيس مجتمع يهودي يقوم على العمل والعدالة الاجتماعية وفق المعتقدات التوراتية . (٤٦) وفي مفهوم

الحزب أن التشريع التوراتي في حقل العمل يغطي جميع العلاقات العمالية . وحارب هذا الحزب (العامل المزراحي) الاشتراكية المادية ، ذلك ان التاريخ الانساني — في نظر الحزب — يتشكل وفق القيم الروحية كما تعبر عنها التوراة .

أما اتحاد الصهيونيين العموميين فيختلف عن العديد من الاحزاب والجماعات الاخرى ، في أنه ليس اشتراكيا وليس دينيا . ويمكن تعريف هذا الحزب بأنه حركة ديمقراطية ليبرالية تقف في منتصف الطريق . (٤٧) دعت (الصهيونية العمومية) الى المشروعات الخاصة الحرة الساعية الى المنفعة والربح . وابدت استعدادا لمساندة القوانين الاشتراكية — كالملكية العامة للارض — اذا كان وجود مثل هذه القوانين يخدم مصالح الشعب اليهودي . (٤٨)

أما حزب (الهجرة الجديدة) الذي تشكل في العام ١٩٤٢ ، فلقد تألف من مهاجري أوروبا الوسطى . ودعا الى حل عملي للنزاع في فلسطين وعليها . وأبدى ميلا لبريطانيا . وحث على استيطان يهودي سريع في فلسطين . وأعلنت مجموعة من هذا الحزب صراحة موافقتها على تقسيم فلسطين . (٤٩)

أما حزب (المزراحي) ، فيرى ان الفكرة الصهيونية فرع من اليهودية . وان رغبة اليهود بالعودة الى فلسطين بقيت حية على مدى القرون ، بفضل التعاليم الدينية . ويمضي الحزب الى القول ان احدى الوصايا الاساسية في التوراة تقول بعودة اليهود وبناء الارض المقدسة . ويرى الحزب ان الفصل بين القومية اليهودية والديانة اليهودية عملية تشويه وتحريف لليهودية . ويدعو الحزب الى اعتبار التوراة دستورا للدولة اليهودية . (٥٠) . وفي رأيه ان اقامة الدولة اليهودية على أسس التوراة ، ضمانة لعدم ذوبان اليهود . ويؤكد الحزب أن التوراة صالحة لتكون دستورا للدولة اليهودية في الزمن المعاصر ، ويعود ذلك الى جملة اسباب ، بينها ان افكارا مثل المساواة والديمقراطية وردت في التوراة .

وكان الإصلاحيون (او التحريفيون) حزبا متطرفا وصهيونيا صريحا ، وان المشكلة اليهودية تجد حلها — في نظرهم — في تجميع اليهود في دولة يهودية على جانبي نهر الاردن . ولم يذعنوا لما قامت به بريطانيا من فصل لشرق الاردن عن فلسطين ، وظلوا يعتبرون شرق الاردن جزءا من « الوطن القومي اليهودي » . ووجه الاصلاحيون حملات ناقدة لسياسة غالبية الصهيونيين في المنظمة الصهيونية العالمية بقيادة حاييم وايزمان ، نحو بريطانيا والعرب . وتبنى الاصلاحيون ، ومارسوا ، خطا أكثر تشددا تجاه هذين الفريقين ، اي بريطانيا والعرب . (٥١) وكي تصبح فلسطين قادرة على استيعاب المهاجرين اليهود ، حث الاصلاحيون على استيطان أبناء الطبقة الوسطى ، وشجعوا المبادرات الخاصة ، وتدفق رأس المال الخاص . (٥٢)

أما (ايحود) فلقد كان تجمعا سياسيا يهوديا فلسطينيا دعا الى التقارب العربي — اليهودي ، ووافق على تحويل فلسطين الى دولة مزدوجة القومية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق سياسية متساوية . وتبنى بعض أعضاء هذا الحزب الدعوة الى تحييد فلسطين على غرار سويسرا . ودعا آخرون الى ضم الدولة الفلسطينية المزدوجة القومية الى اتحاد شرق أوسطي . (٥٣) . وأكدت هذه المجموعة ان من الضروري اقامة المساواة في الحقوق السياسية بين كل من العرب واليهود ، وجود تكافؤ ديموغرافي وتكافؤ في الارض بين الشعبين ، أي أن تكون هناك مساواة حسابية بين عدد السكان اليهود والعرب في فلسطين ، وتوزيع متساو للاراضي القابلة للزراعة . (٥٤) وحين قامت دولة اسرائيل ، تقبلها الايحوديون كأمر واقع ، لكنهم بذلوا مجهودات غير مثمرة لانشاء اتحاد سامي يشتمل على اسرائيل .

وكانت هناك أيضا ، رابطة التقارب اليهودي — العربي) التي ضمت بين صفوفها حزب ايحود ، وشرذمة من حزب الحارس الفتي ، وشرذمة أخرى من حزب بوعالي تسيون (عمال صهيون) . واستهدفت الرابطة في الجزء الاعظم من تفكيرها ، الغايات نفسها التي سعى اليها ايحود . (٥٥)

وكثيرا ما تبذلت الانتماءات الحزبية لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية منذ المؤتمر الصهيوني الاول في ١٨٩٧ . كما شهدت أسماء الاحزاب الكثير من التغير نتيجة لعمليات الانضمام والانشقاق . ويبين الجدول الرقم ٢٦ الهوية السياسية لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية في

العام ١٩٤٦ ، وهو العام الذي تنتهي اليه هذه الدراسة ، أو في عام الوفاة في حال موت العضو قبل ١٩٤٦ . ويتضح من الجدول أن هناك تسعة أعضاء ينتمون الى كل من (الصهيونية العمومية) (٥٦) و (مباي) ، أي ١٥ر٨٪ لكل من الحزبين . وينتمي الى الحزب المزراحي سبعة من الاعضاء يشكلون ١٢ر٣ بالمائة من مجموع النخبات اليهودية . وكان هناك عضوان من كل من (ايحود ورابطة التقارب اليهودي — العربي) ، و (مبام) ، و (الاصلاحيين) . وكان هناك عضو واحد من كل من حزب (الهجرة الجديدة) ، و (العامل المزراحي) . وكان هناك ثمانية عشر عضوا صهيونيا — يشكلون ٣١ر٦ بالمائة من المجموع — بدون هوية سياسية محددة . والاحتمال الارجح ، أن هؤلاء الاعضاء الثمانية عشر ، الذين يشكلون الفئة الاكبر ، كانوا ينتمون اما الى (مباي) أو الى (الصهيونيين العموميين) .

الجدول الرقم ٢٦
الانتماءات الحزبية لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية

الحزب أو المجموعة السياسية	العدد	النسبة المئوية
الصهيونيون العموميون	٩	١٥ر٨
مباي	٩	١٥ر٨
المزراحي	٧	١٢ر٣
ايحود ورابطة التقارب العربي — اليهودي	٢	٣ر٥
مبام	٢	٣ر٥
الاصلاحيون	٢	٣ر٥
الهجرة الجديدة	١	١ر٨
العامل المزراحي	١	١ر٨
صهيونيون غير محددي الانتماء الحزبي	١٨	٣١ر٦
غير صهيونيين	٦	١٠ر٥
المجموع	٥٧	١٠٠ر٠

يتبين من مراجعة نتائج انتخابات المؤسسات القومية اليهودية المنتخبة في فلسطين ، ومن التكوين الحزبي للمندوبين الى المؤتمرات الصهيونية ، أن هناك تباينا هائلا بين نسب مباي المئوية في اللجان التنفيذية وبين نسبه في المؤسسات اليهودية الصهيونية المنتخبة التي كانت أعلى بكثير من ١٥ر٨ بالمائة . وان ميل كاتب هذه الدراسة لاعتبار عدد مهم من فئة الثمانية عشر عضوا على انهم من الصهيونيين العموميين ، يمكن تبريره بتطابق الصهيونية والصهيونية العمومية في فترة الاعوام العشرة التالية مباشرة لانعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في العام ١٨٩٧ . ففي هذه الفترة كانت الصهيونية والصهيونية العمومية مترادفتين . وعلى هذا فان الذين اعتبرناهم في هذه الدراسة صهيونيين ، يمكن أن يكونوا صهيونيين عموميين . (٥٧) .

وكما بينا في الجدول الرقم ٢٥ ، فان اللجان التنفيذية اليهودية ضمت سبعة من غير الصهيونيين . وكان احد هؤلاء السبعة عضوا في ايحود ورابطة التقارب العربي — اليهودي ، مع ان هذا الفريق كان صهيونيا . فالواقع أن قسما من هؤلاء السبعة أظهر ميولا صهيونية رغم انه لم يكن صهيونيا من الوجهة الرسمية . وكان العضو الاخر المنتمي الى ايحود والرابطة شخصا صهيونيا . (٥٨)

وكما قررنا في الصفحات السابقة ، فلقد اختلفت مواقف الاحزاب تجاه العمل والعمال ، وتجاه نمط الملكية ، وتجاه أنواع المشروعات . ويمكن القول بايجاز ان مفاهيم الاحزاب السياسية في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية كانت متباينة . ومن هذه الزاوية يمكن تصنيف الاحزاب التي انتمى اليها أعضاء اللجان التنفيذية الى ثلاث مجموعات : اليسار ، والوسط ، واليمين . وبالطبع كانت هناك درجات متفاوتة من التوجهات اليسارية والوسطية واليمينية . وعلى أساس هذا المعيار يمكن تصنيف مواقع الاحزاب على الشكل التالي :

اليسار
مباي (٩ اعضاء)
مبام (عضوان)
العامل المزراحي (عضو واحد)

الوسط
الصهيونيون العموميون (٩ اعضاء)
المزراحي (٧ اعضاء)
الهجرة الجديدة (عضو واحد)

اليمين
الاصلاحيون (أو
المنقحون) — (عنوان)

ويتضح من هذا أن ١٢ عضوا يشكلون ار٢٠ بالمائة من المجموع ، كانوا يتبنون مفاهيم اجتماعية واقتصادية يسارية . ولقد تشكل اليسار من مباي وميام والعامل المزراحي ، وكانت جميعا أحزابا عمالية . وحيث ان بعض الاعضاء الصهيونيين الثمانية عشر الذين لم يكن انتماؤهم الحزبي واضحا بصورة أكيدة ، لا بد أن يكونوا منتمين الى الاحزاب العمالية ، فان التمثيل العمالي في اللجان التنفيذية يصبح أعلى بالتأكيد من ار٢٠ بالمائة . وكان هناك ١٧ عضوا ينتمون الى الوسط ، وعضوان ينتميان الى اليمين .

الحزبان الدينيان ، المزراحي والعامل المزراحي، كان لهما ثمانية أعضاء يشكلون ار١٤ بالمائة من مجموع النخبات السياسية . وتدل هذه النسبة على تمثيل قوي وان لم يكن مهيمنا ، للاتجاه الديني .

وهناك نقص في البيانات بشأن المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية للاعضاء المنتمين الى ايحود ورابطة التقارب والاعضاء غير الصهيونيين ، وكذلك مفاهيم الاعضاء الصهيونيين الذين لم نتمكن من التيقن من هويتهم الحزبية .

ولعل احدى الطرق الملائمة لفهم اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية ، ان نحيط علما بمواقفهم من المسائل المتصلة بالعرب ، كقضية حجم الدولة اليهودية المبتغاة ، والموقف من فكرة الدولة الثنائية القومية في دولة فلسطين ، ومدى يهودية الدولة ، وحجم الهجرة اليهودية المطلوبة الى فلسطين ، والموقف من تقسيم فلسطين .

اما فيما يتعلق بمسألة الدولة الثنائية القومية فلقد كانت رابطة التقارب العربي — اليهودي ، والحارس الفتى ، الجماعتين الوحيدتين اللتين دافعتا عن الفكرة . اما باقي الاعضاء الصهيونيين فلقد اصروا على اقامة دولة يهودية . وباستثناء ايحود ، فان جميع الاعضاء الصهيونيين كانوا يدعون الى تعزيز وزيادة الهجرة اليهودية بصورة غير محدودة . لتسريع خلق الاكثرية السكانية اليهودية في فلسطين . اما ايحود فلقد دعت الى هجرة يهودية يتحقق فيها تكافؤ عددي بين العرب واليهود . واذا ما زاد عدد العرب على عدد اليهود نتيجة لزيادتهم الطبيعية الاعلى ، فان استمرار الهجرة اليهودية لاعادة التكافؤ العددي يصبح امرا متوقفا على اتفاق عربي — يهودي .

وفي مايو ١٩٤٢ انعقد في فندق بلتيمور في نيويورك المؤتمر الاستثنائي للصهيونيين الامريكيين . وتبنى المؤتمر عددا من القرارات بصدد الاغراض الصهيونية في فلسطين . وكانت للقرارات التالية اهمية خاصة :

اولا : انشاء فوري لكومنولث يهودي في فلسطين.

ثانيا : هجرة يهودية غير محدودة واستيطان غير محدود .

ثالثا : تشكيل قوة يهودية مسلحة تقاتل تحت علمها الخاص . (٥٩)

وكانت هذه اول مرة يظهر فيها تعبير « كومنولث يهودي » ، وكان ذلك من جانب الصهيونيين الامريكيين ، ومن الواضح ان المقصود به الحث السريع على تأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين . (٦٠)

ومن الممكن تصنيف الاحزاب التي انتسب اليها اعضاء اللجان التنفيذية ، وفقا لمواقفها من برنامج بلتيمور . وكما يتضح من الجدول الرقم ٢٧ ، فان مباي ، والعامل المزراحي ، والصهيونيين العموميين ، والمزراحي ، والاصلاحيين ، اعلنوا تبنيهم للبرنامج ، اما الحارس الفتى ، والهجرة الجديدة ، وايحود ورابطة التقارب فلقد عارضوا البرنامج . ولقد ضم الفريق لاول (مؤيدو البرنامج) ٢٨ عضوا شكلوا ٢ر٤٩ بالمائة من اجمالي عدد النخبات السياسية . اما الفريق الثاني (معارضو البرنامج) — باستثناء الحارس الفتى (٦١) — فلقد ضم ثلاثة اعضاء شكلوا ٣ر٥ بالمائة .

الخلفية الاجتماعية — الاقتصادية

لم يتسن لنا الالمام بالخلفية الاجتماعية — الاقتصادية لاعضاء اللجان التنفيذية اليهودية ، نظرا لقلة المعلومات . لكن البيانات المتوفرة تشير الى ان بعض الاعضاء جاءوا من اسر فقيرة . ومثال هؤلاء آرثر روبين الذي تقطعت حياته الدراسية بسبب فقر عائلته .

ولقد كانت شريحة ذات شأن من المجتمعات اليهودية في اوروبا وامريكا الشمالية من الطبقات الوسطى . وان هذه المعلومة تغري الدارس لاعتبار قسم مهم من اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية من ابناء الطبقة الوسطى .

وليس من الممكن بالطبع ، الاستدلال بنتائج حول الخلفيات الاجتماعية ــ الاقتصادية للاعضاء ، من واقع انتماءاتهم الحزبية واتجاهاتهم الايديولوجية ومكان الولادة . انما لدينا امر واحد مؤكد ، وهو ان الاغلبية الساحقة من الاعضاء ولدوا في مراكز مدينية . ان هذه الحقيقة ، مضافة الى المعلومات الأخرى المتاحة ، تساعد في فهم الخلفيات الاجتماعية ــ الاقتصادية للاعضاء .

ويمكن رد غياب وضعية الاعضاء الاجتماعية ــ الاقتصادية من مراجع السير التي عاد اليها كاتب هذه الدراسة ، الى ان الكتاب ربما لم يعطوا غير وزن قليل الاهمية لهذه المسألة في المحيط الاجتماعي اليهودي .

الجنس

كانت مكانة المرأة الاجتماعية والسياسية على امتداد عدة قرون ، وفي جميع بلدان المعمورة ، ادنى من مكانة الرجل . هذا التفاوت المبني على اساس الجنس ، لا يزال قائما ، وان يكن بنسب اقل ، في عدة انحاء من العالم وحتى في الوقت الحاضر . صحيح ان النساء اعطين حقوقهن السياسية في بعض البلدان ، وخاصة الاوروبية . لكن هذا لم ينتج اي تبديل كبير في هيمنة الرجل على دنيا السياسة . والواقع ان الرجل لا يزال حتى الان يتولى القيادة السياسية في المجتمع الانساني . (٦٢)

ولم تكن النساء اليهوديات استثناء في هذه المسألة . فحتى اواخر القرن الماضي ، لم تكن النساء اليهوديات قد تحررن اجتماعيا وسياسيا . ان الشروع بعملية تحرير المرأة ، ادى الى تحسين وضعية المرأة اليهودية ، لكنه لم يستأصل كليا نواحي عدم المساواة الاجتماعية والسياسية التي تعانيها النساء لاختلاف الجنس . (٦٣)

ان النسبة المئوية لعدد النساء في المجموع الكلي للنخبات اليهودية السياسية التي نتناولها في هذه الدراسة ، يمكن اعتبارها دليلا على الوضعية السياسية « الدونية » للنساء اليهوديات . فمن بين اعضاء اللجان التنفيذية السبعة والخمسين كانت هناك امرأتان فقط تشكلان ٣ر٥ بالمائة . ان هذه النسبة المئوية الضئيلة للنساء في القيادة ، شهادة على التمثيل الهابط للغاية «للجنس الضعيف» في الشرائح العليا للقيادة التي تصدر القرارات . وليس من المتصور ان تكون النساء ــ بهذه النسبة الضئيلة ــ قد تمكن من لعب اي دور قيادي في الشؤون السياسية للجان التنفيذية اليهودية .

وكانت المرأتان المذكورتان من مواليد الولايات المتحدة : احداهما في نيويورك والاخرى في بلتيمور، ماريلاند . وكلتاهما تلقتا تعليما في المستوى الجامعي وكانت احداهما متخصصة في الدراسات الدينية اليهودية ، والاخرى في نظام التعليم . اما الاولى فلقد تلقت تعليمها في المعهد اللاهوتي الامريكي . والثانية في مدرسة نيويورك لتدريب المعلمين ، ثم في كلية المعلمين في جامعة كولومبيا ، ثم في جامعة تشاتانوجا في تنيسي .

الجدول الرقم ٢٧

الاحزاب والتجمعات السياسية التي انتمى اليها اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية من حيث مواقفها

من برنامج بلتيمور قوى تبنت البرنامج	العدد	النسبة المئوية	قوى عارضت البرنامج	العدد	النسبة المئوية
مباي	٩	١٥ر٨	الحارس الفتى		
العامل المزراحي	١	١ر٨	الهجرة الجديدة	١	١ر٨
الصهيونيون العموميون	٩	١٥ر٨	ايحود ورابطة التقارب العربي ــ		
المزراحي	٧	١٢ر٣	اليهودي	٢	٣ر٥
الاصلاحيون	٢	٣ر٥			
المجموع	٢٨	٤٩ر٢		٣	٥ر٣

وكانت مهنة كل من المرأتين التدريس لما دون المستوى الجامعي . وكلتاهما لعبتا دورا قياديا في المنظمة النسائية الصهيونية في امريكا «هداساه»(٦٤) كما تولتا مناصب قيادية في المنظمات اليهودية والصهيونية سواء في الولايات المتحدة او في فلسطين . وبادرتا الى اقامة مشروعات خيرية يهودية وانخرطتا في نشاطات تتصل بالانعاش الاجتماعي للشعب اليهودي . كما اشتركتا لسنوات قلائل بتحرير مطبوعات يهودية . وكانتا صهيونيتين. احداهما ، وهي هزيبتا سزولد ، كانت منتمية الى الجناح المعتدل في المجموعة اليهودية ـ الصهيونية ايحود (الاتحاد) ، وهي المجموعة التي كانت تدعو الى التقارب العربي ـ اليهودي والى اقامة دولة ثنائية القومية في فلسطين .

هذه المعطيات والنتائج التي توصلنا اليها الان ، تؤيد ما كنا قد توصلنا اليه من قبل بشأن النخبات النسائية السياسية في انظمة سياسية اخرى ، وهي ان النساء المرتبطات بالنخبات السياسية، يكن اقرب الى الانخراط في نواحي النشاط الملازمة بصورة وثيقة للوظائف النسائية التقليدية مثل الانعاش الاجتماعي والصحة والتعليم . (٦٥)

الفرصة السياسية

يشكل التحليل السابق اساسا لتحديد عدد من الشروط اللازمة لصعود الاشخاص الى مراتب القيادة السياسية . ومن الجلي ان عدد الاشخاص الجدد الذين يتاح لهم دخول اللجان التنفيذية يتوقف على مدى حصول مراكز شاغرة فيها . وكان التغير في تركيب اللجنة التنفيذية يحدث اما بسبب وفاة العضو موتا او اغتيالا ، او بسبب استقالته على ضوء خلافات سياسية ونزاعات ايديولوجية . وكان هذا بالطبع يفتح الباب امام الطموحين لاغتنام فرصة سياسية مناسبة .

والعنصر الاخر الذي كان يؤثر على فرص الاشخاص لدخول اللجان التنفيذية ، هو حجم كل من اللجان . اذ كلما كان حجمها اكبر ، كلما كان عدد الاعضاء والداخلين اكبر بالطبع . وكان حجم اللجان خلال الفترة موضع الدراسة شديد التقلب والتأرجح باستمرار . فاللجنة التنفيذية الصهيونية في العام ١٩٢١ ضمت ١٥ عضوا . واصبح اعضاؤها ١٣ في ١٩٢٣ . ثم هبط العدد الى ادنى مستوى له ، ٩ اعضاء ، في العام ١٩٢٧ . ثم عاد وارتفع الى ١٣ عضوا في ١٩٢٩ . وبعد عدة تقلبات اصبح عدد اعضائها ٢٠ في العام ١٩٣٧ ، ثم ارتفع العدد الى اعلى مستوى في العام ١٩٣٩ اذ اصبح ٢٦ عضوا .

وكانت هناك عوامل اخرى تؤثر في مدى الفرصة السياسية المتاحة امام الطموحين . فلقد كانت الظروف والاوضاع السياسية تحدد في الغالب مدى القبول في عضوية اللجان التنفيذية اليهودية . ففي النظام السياسي اليهودي كما في غيره من الانظمة السياسية ، شكلت الجدارة بالثقة السياسية معيارا مهما لمدى الصعود الى المراتب النخبوية السياسية . وكانت ترجمة الجدارة بالثقة السياسية تعني تكريس النفس بحماسة للنشاطات والغايات اليهودية والصهيونية في فلسطين .

وتأثر ارتقاء الاعضاء الى المسرح السياسي بالعوامل الاقتصادية . واتضح في الاقسام السابقة من هذه الدراسة ان توسيع اطار الوكالة اليهودية في العام ١٩٢٩ لتضم شخصيات يهودية غير صهيونية كان نتيجة لاعتبارات اقتصادية . فلقد كان حساب القيادة الصهيونية ومقصدها من خطوة التوسيع هذه ، ان اليهود الاثرياء غير الصهيونيين سوف يتبرعون بسخاء لخدمة وتنمية مشروعات الاستعمار الصهيوني في فلسطين .

وكان للعوامل الخارجية تاثيرها كذلك في مدى الفرصة السياسية المتاحة . فغداة توسيع اطار الوكالة اليهودية في العام ١٩٢٩ مباشرة ، اصبح الصهيونيون وغير الصهيونيين ممثلين بالتساوي في مختلف مؤسسات اللجنة التنفيذية ، والمجلس ، واللجنة الادارية للوكالة اليهودية . ولكن العناصر غير الصهيونية في اللجنة التنفيذية هبط عددها بصورة مثيرة ثم اختفت كليا في العام ١٩٤٧ ، وكان ذلك نتيجة اساسية من نتائج ما لاقاه اليهود في وسط وشرق اوروبا خلال الحرب العالمية الثانية . وكان اليهود غير الصهيونيين ممثلين لمجتمعات يهودية في عدة بلدان غربية ، وعلى الاخص في اوروبا . ومع تدمير المجتمعات اليهودية في اوروبا ، تلاشى التمثيل اليهودي غير الصهيوني في اللجان التنفيذية .

وكانت عضوية المنظمة الصهيونية العالمية تكتسب بدفع بدل اشتراك . وكانت مقاعد المؤتمر الصهيوني مخصصة للاشخاص الصهيونيين في مختلف البلدان ، تبعا لعدد حاملي بطاقات العضوية في

ذلك البلد ونسبتهم الى اجمالي حاملي البطاقات في العالم كله . وكانت اللجنة التنفيذية ، حتى العام ١٩٢٩ ، تنتخب من جانب المؤتمر الصهيوني . وبعد العام ١٩٢٩ اصبح خمسون بالمائة من اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية يأتون من طريق الانتخاب في المؤتمر . وبالنتيجة فان عدد حاملي بطاقات عضوية المنظمة الصهيونية العالمية واتجاهاتهم السياسية ، في شتى الدول ، كانا يؤثران كذلك في مدى الفرصة السياسية المتاحة امام الطامحين للمراكز السياسية .

أما اللجنة التنفيذية اليهودية فلقد كانت تنتخب كل عامين . وان عدم الثبات هذا ، بالاضافة الى حجم اللجنة وانتظامية انتخاب اعضائها ، ذلك كله انتج هذه الكمية غير اليسيرة من الاعضاء — ٥٧ عضوا — الذين تولوا عضويتها بين العامين ١٩٢١ و ١٩٤٦ .

وكان تكوين اللجان التنفيذية يتغير على الدوام . وعلى سبيل المثال فان خمسة اعضاء في اللجنة التنفيذية لعام ١٩٢١ التي ضمت ١٥ عضوا ، اختفوا من اللجنة التنفيذية لعام ١٩٢٣ التي ضمت ١٣ عضوا . وان ثلاثة اعضاء جدد انتخبوا للجنة ١٩٢٣ . وان تسعة من اعضاء لجنة ١٩٢٥ لم يكونوا اعضاء في اللجنة التالية في العام ١٩٢٧ . وهناك اربعة اعضاء في لجنة ١٩٣٣ لم ينتخبوا للجنة ١٩٣٥ . ولقد انتخب لعضوية لجنة ١٩٣٧ ستة اشخاص لم يكونوا اعضاء في لجنة ١٩٣٥ . وهناك عضو واحد في لجنة ١٩٣٧ لم يظهر مجددا في لجنة ١٩٣٩ ، بينما انتخب للجنة ١٩٣٩ سبعة اشخاص لم يكونوا اعضاء في لجنة ١٩٣٧ . ان هذا التغير المتواصل في تركيب اللجان التنفيذية دليل على حدوث شواغر باستمرار في عضويتها .

ويتضح كذلك ان انتخاب الاشخاص لعضوية اللجان التنفيذية كان متقطعا . فلا يوجد عضو واحد خدم في جميع اللجان التنفيذية . وكي نحيط علما بصورة جيدة لعمليات تجدد وتغير النخبات السياسية اليهودية ، سنحصي الاعضاء الجدد في كل لجنة من اللجان . وبما ان هذه الدراسة انطلقت من لجنة ١٢١ كبداية ، فاننا سنعتبر اعضاء هذه اللجنة الخمسة عشر بمثابة اعضاء جدد . وستدل من الجدول الرقم ٢٨ ان هناك واقدين جددا الى كل لجنة من اللجان . وان هذا القبول المتواصل لاعضاء جدد في كل من اللجان . وان هذا القبول المتواصل لاعضاء جدد في كل من اللجان التنفيذية ، دليل على حركة صعود مستمر للاشخاص من الشعب اليهودي الى مراتب النخبة القائدة .

الجدول الرقم ٢٨

عدد الاعضاء الجدد في كل من اللجان التنفيذية اليهودية

اللجنة التنفيذية	عدد الاعضاء	الاعضاء الجدد العدد	النسبة المئوية
١٩٢١	١٥		
١٩٢٣	١٣	٣	٢٣ر٠
١٩٢٥	١٥	٢	١٣ر٣
١٩٢٧	٩	٣	٣٣ر٣
١٩٢٩	١٣	٣	٢٣ر٠
١٩٣٠	١٠	٤	٤٠ر٠
١٩٣١	١٢	٧	٥٨ر٣
١٩٣٣	١٣	٥	٣٨ر٥
١٩٣٥	١٥	٤	٢٦ر٧
١٩٣٧	٢٠	٥	٢٥ر٠
١٩٣٩	٢٦	٦	٢٣ر٠

لم يكن هناك قبول مستمر لاعضاء جدد في اللجان التنفيذية فقط ، بل كان هناك ايضا عدد مرتفع منهم في كل لجنة ، وهذا امر مهم وذو مغزى . فلقد كانت نسبة الاعضاء الجدد في لجنة ١٩٢٥ ، ١٣ر٣٪ . فاذا استثنينا لجنة ١٩٢٥ ، فان نسبة الاعضاء الجدد لم تهبط في جميع اللجان التنفيذية الاخرى الى ما دون ٢٣٪ . وكانت النسبة المئوية للاعضاء الجدد في لجنتي ١٩٣٠ و ١٩٣١ مرتفعة بصورة خاصة . وتفسير هذا جزئيا هو ان فتح ابواب الوكالة اليهودية امام اليهود غير الصهيونيين في العام ١٩٢٩ رفع نسبة الاعضاء الجدد بصورة عالية للغاية .

خلافات النخبات السياسية

كانت هناك خطوط متعددة اختلف عليها وبسببها القادة السياسيون اليهود . وسبق ان تناولنا في هذه الدراسة نقاط الاختلاف . الا اننا سنقدم فيما يلي خلاصة مكثفة لنواحي الشقاق .

كان هناك نزاع بين اعضاء اللجان التنفيذية على امتداد الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٩ حول مسألة

توسيع الوكالة اليهودية وادخال شخصيات يهودية غير صهيونية الى هيئتها القيادية . وكانت اكثرية الاعضاء محبذة للتوسع بدعوى ان هذا سوف يؤدي الى حشد تأييد الشعب اليهودي كله لتأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكانت الاقلية ممارضة لهذا الاتجاه لخشيتها من ان يؤدي ادخال اليهود غير الصهيونيين الى الوكالة اليهودية الى اعاقة قيام الدولة اليهودية في فلسطين .

وكان ضم غير الصهيونيين مصدرا اخر من مصادر الشقاق . ففي حين كان خمسون عضوا صهيونيين ، كانت سبعة غير صهيونيين . وهذا الانقسام الايديولوجي تجسد في المجال السياسي . فبينما كان الصهيونيون ملتزمين بالاماني السياسية للصهيونية ، وبالذات بتأسيس دولة يهودية في فلسطين ، فان غير الصهيونيين ساندوا اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين دون ان يلزموا انفسهم بفكرة تأسيس دولة يهودية في فلسطين .

وكان اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية منتمين الى عدد كبير من الاحزاب والجماعات السياسية التي تحمل مفاهيم اجتماعية واقتصادية وسياسية متباينة . وهذه هي الاحزاب والحركات التي انتسبوا اليها في وقت من الاوقات : البوروخوفية ، عمال صهيون ، العامل الفتى ، الصهيونيون الفتيان ، العمال الصهيونيون العاملون ، مباي ، وحدة العمل ، الحارس الفتى ، العامل المزراحي ، المزراحي ، اتحاد الصهيونيين العموميين ، الهجرة الجديدة ، الاصلاحيون ، العصبة الديموقراطية ، الاتحاد ، رابطة التقارب العربي — اليهودي ، ومبام . هذه الاحزاب والتجمعات السياسية كانت ذات مواقف مختلفة من الصهيونية ، والدين ، والعمل ، والاشتراكية ، والرأسمالية ، وسلطات الانتداب البريطاني ، واتجاه السياسة الخارجية ، وعرب فلسطين ، وحجم الدولة اليهودية المبتغاة في فلسطين ، والتحديد الجغرافي لكلمة « فلسطين » . وكان كل من هذه الاحزاب والتجمعات يتخذ موقفا مختلفا في كل قضية من القضايا السالفة الذكر على اساس معيار اليسار والوسط واليمين . اضف الى ذلك ان عدة عمليات اندماجية وانشقاقية حدثت في هذه القوى السياسية . وكانت هناك عدة توجهات ايديولوجية داخل كل قوة منها بشأن النواحي والمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . (٦٦) .

وبين موضوعات الخلاف المتصلة بالجماعات السياسية المذكورة ، لا بد من كلمة ايضاح للخلاف حول تحديد كلمة « فلسطين » . فغالبا ما يشار الى « فلسطين » في الادبيات الصهيونية السياسية والدينية ، باعتبارها مرادفا لعبارة « ارض اسرائيل » وبناء لهذا المفهوم تمتد « ارض اسرائيل » على جانبي نهر الاردن . ولم يكن هناك خلاف بين افراد النخبات الصهيونية السياسية على الحدود الغربية « لارض اسرائيل » حيث انها محددة ببساطة بشاطىء البحر الابيض المتوسط ، لكن الحدود الشمالية ، والشرقية ، والجنوبية « لأرض اسرائيل » هي التي كانت على الدوام مثار نزاع بين النخبات اليهودية السياسية . وانه لما يخرج عن نطاق هذه الدراسة ان نتوسع في بحث موضوع حدود الدولة اليهودية مع الدول العربية القائمة . انما يكفي القول انه كانت هناك بين اعضاء اللجان التنفيذية اليهودية عناصر تطالب بالحد الاقصى ، وعناصر اخرى تطالب بالحد الادنى ، وفق تعريف كل منها لكلمة « فلسطين » ، ومصطلح « ارض اسرائيل » . وتدرجت مواقف الاعضاء وتحديداتهم الجغرافية بين هذين الموقفين المتطرف والمعتدل .

---

(١) كان بعض اعضاء اللجان التنفيذية للوكالة اليهودية صهيونيا ، وكان بعضهم غير صهيوني ، لكن اعضاء اللجان التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية كانوا جميعا صهيونيين بالطبع .

(٢) بشأن المنظمة الصهيونية العالمية ، انظر « **دائرة معارف الصهيونية واسرائيل** » ، من تحرير ر. باتاي (نيويورك « ماكجرو — هيل » ، ١٩٧١) الصفحتان ١٢٣٤ — ١٢٣٥ .

(٣) د . كنعاني ، محرر ، **موسوعة العلوم الاجتماعية** (مرحافيا : سفريات بوعاليم ، ١٩٦٢) ، الصفحتان ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٤) كنعاني ، **المصدر نفسه** ، الصفحة ٢٠٣ ، كتب المادة غيتسل كريسل .

(٥) تجد بيان تكوين اللجنتين التنفيذيتين للمنظمة الصهيونية العالمية وللوكالة اليهودية بمختلف نشاتهما واصنافهما في « **تقارير عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية إلى المؤتمرات الصهيونية** » ، و « **تقارير اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين** » المقدمة الى اجتماعات وجلسات مجلس الوكالة اليهودية .

(٦) كما بينت من قبل فاني افضل استخدام هذا المصطلح « اللجان التنفيذية اليهودية » لانه لم يكن جميع اعضائها صهيونيين ، لكنهم جميعا كانوا يهودا .

(٧) تسهيلا لاغراض هذه الدراسة ، اعتبرنا اللجنة التنفيذية الاولى بعد العام ١٩٢٠ .

(٨) اعتبرنا في هذه الدراسة الثامن من ديسمبر ١٩٤٦ ، موعد انتهاء اللجان التنفيذية اليهودية .

(٩) باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحات ٢٠٥ — ٢١٢ .

(١٠) تضم فئة شهادات .R.D دبلوم التلمود وسيامة الاحبار Rabbinical Diploma وتضم فئة .B.A حملة شهادات الاداب ، والعلوم ، والقانون المدني ، (او : التخصص بالشريعة اليهودية وتسمى الشهادة .B.C.L والفلسفة ، والهندسة المدنية . وتضم فئة .M.A حملة الدرجات العلمية العالية في الاداب ، والقانون . وبين اصحاب درجة .Ph.D الدكتور في الفلسفة ، والدكتور في القانون (او الدكتور في الشريعة والقضاء) ، والدكتور في اللاهوت ، والدكتور في الادب ، والدكتور في الطب ، والدكتور في العلوم .

(١١) للاطلاع على احوال التعليم اليهودي العالي في العالم في القرن العشرين ، يمكنك الرجوع الى « اسرائيل كوهين » ، « **اليهودية المعاصرة : مسح للاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية** » ، (لندن : ميثوين ، ١٩٥٠) ، الصفحات ٥٧ — ٦٥ .

(١٢) كوهين ، **المصدر السابق** ، الصفحات ٥١ — ٥٣ .

(١٣) يمكنك الاطلاع على الموضوعات والمهام المدرجة على جداول اعمال المؤتمرات الصهيونية بالرجوع الى كتاب باتاي **المصدر السابق** ، الصفحات ٢٠٨ — ٢١٠ .

(١٤) لم ندرج في جدولنا حملة درجات الدكتوراه الفخرية .

(١٥) ان عددا لا يستهان به من حملة الدكتوراه كانوا يحملون فعلا اكثر من درجة علمية واحدة في المستوى التعليمي نفسه . لكن اهتمامنا هنا لا ينسب على عدد الدرجات العلمية التي كان العضو يحملها في كل من المستويات ، وانما ينصب على مستوى الانجاز الدراسي .

(١٦) تشمل فئة حملة شهادات .R.D اعضاء اللجان التنفيذية الذين يحمل كل منهم دبلوما في الدراسات التلمودية او سيم حبرا من الاحبار فقط .

(١٧) تضم فئة حملة شهادات .B.A الاعضاء الذين يحمل كل منهم درجة .B.A واحدة او ما يعادلها . او فئة .M.A فتشتمل على الاعضاء الذين يحمل كل منهم درجة .M.A واحدة او ما يعادلها ، انما لا يحملون درجات دكتوراه . وعلى هذا فان بعض الاعضاء المدرجين في فئة .M.A يحملون .B.A واحدة او اكثر . وان بعض الاعضاء الواردين في هذه الفئة يحملون درجة .B.A واحدة ، واخرون يحملون درجتي .B.A ، على ان اخرين يحملون درجتي .B.A و .M.A ، بالاضافة الى درجة دكتوراه واحدة او اكثر .

(١٨) « المانيا » تشمل شرقيها وغربيها .

(١٩) ان اوكرانيا التي تقع فيها جامعة خاركوف وكلية مير الدينية ، وكذلك ليتوانيا ، واردتان في « الاتحاد السوفياتي » في هذا القسم .

(٢٠) حيث لم يكن بالمستطاع تحديد الجامعة التي نال (او نالت) منها عضو النخبات اليهودية محل البحث ، درجته (او درجتها) العلمية ، اكتفينا بذكر البلد الذي تقع فيه الجامعة .

(٢١) كوهين ، **المصدر السابق** ، الصفحة ١٦ .

(٢٢) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٥٧

(٢٣) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٥٨

(٢٤) كانت الانجليزية اللغة الام للعضو الوحيد المولود في الهند .

(٢٥) تعود النسب المئوية الى المجموع الكلي للنخبات السياسية .

(٢٦) كانت هناك الدوائر والمصالح التالية : السياسية ، الاستيطان المديني ، التجارة والصناعة ، الهجرة ، الشباب والرواد ، التنظيم ، التنمية ، التعليم والثقافة الدينيان في بلدان الشتات ، العمل ، الاستيعاب ، الاستيطان الزراعي ، المالية والادارية ، الصندوق ، الاقتصاد ، الاعلام والنشر ، توطين اليهود الالمان ، معهد الابحاث الاقتصادية ، التعبئة ، الثقافة ، التربية والصحة ، وهجرة الشبيبة من اوروبا ، الحرفيون وصغار المهنيين .

(٢٧) اقتبسنا هذا من « **دائرة معارف الصهيونية واسرائيل** » ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٦١٣ . وكان لكل دائرة في اللجنة التنفيذية رئيس ومدير ، وسنشير الى الرؤساء والمدراء في دراستنا هذه باسم « رؤساء » .

(٢٨) تحرير صوفي اي . يودين ، « **كتاب فلسطين السنوي والحولية الاسرائيلية** » **١٩٤٧ — ١٩٤٨** (نيويورك ، المنظمة الصهيونية لاميركا) المجلد الثالث ، الصفحة ٧٧ .

(٢٩) خلال مناقشات اجراها الكاتب مع اليهود الاشكناز في اسرائيل ، سمع في عدة احيان تصريحات تقر بان يهود الغرب يستحقون الاولوية في الدولة والوظائف العامة على اليهود غير الغربيين ، وذلك نظرا للدور الهائل الذي لعبه يهود الغرب في خلق اسرائيل .

(٣٠) معروفة كذلك باسم « روسيا البيضاء » .

(٣١) تشمل منطقة الاتحاد السوفياتي وشرق اوروبا كلا من الاتحاد السوفياتي وبولندا ورومانيا وليتوانيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ولاتفيا . وتشمل منطقة اوروبا الوسطى المانيا والنمسا . وتشمل منطقة غرب اوروبا بريطانيا والسويد وهولندا . وتشمل امريكا الشمالية الولايات المتحدة وكندا . وقد لا يكون هذا المعيار للتقسيم الجغرافي دقيقا ، إلا ان فائدته ملموسة من حيث الجدوى العملية .

(٣٢) لم نورد هنا نسبة السكان اليهود من يهود العالم لنقص المعلومات ولقد استقينا المادة الاحصائية من « **كتاب فلسطين السنوي** » من تحرير صوفي اي . يودين **السالف الذكر** ، الصفحة ٧٧ .

(٣٣) باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ١١٦٣ — ١١٦٤ .

(٣٤) الراغب في الاطلاع على شروحات لمفاهيم الصهيونية بشأن السيادة ، يمكنه الرجوع الى كتاب بن هالبرن **السالف الذكر** ، الصفحات ٢٠ — ٥١ .

(٣٥) للاطلاع على تركيب المنظمة الصهيونية العالمية ، انظر باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ١٢٣٤ — ١٢٣٥ .

(٣٦) **المصدر السابق** ، الصفحة ١١٤ .

(٣٧) من تحرير بازيل جي . فلافيانوس وفيلكس جروس ، **كفاح من اجل الغد : الايديولوجيات السياسية الحديثة للشعب اليهودي** ، (نيويورك : آرتس ، ١٩٥٤) الصفحتان ٥٤ — ٥٥ .

(٣٨) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٥٥

(٣٩) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٥٦

(٤٠) انظر : جوردون ، **مقالات مختارة** ، ترجمها عن العبرية فرانسيس بورنس (نيويورك : رابطة فلسطين العاملة ، ١٩٣٨) الصفحتان ٥٥ — ٥٦ .

(٤١) باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحات ٤٥٨ — ٤٦٠ .

(٤٢) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٧٦١

(٤٣) يمكنك الرجوع الى الفصل الخامس « المهمة القومية للعامل اليهودي » في « **من الطبقة الى الامة** » بقلم ديفيد بن غوريون (تل

ابيب : دافار ، ١٩٣٣) باللغة العبرية ، وكذلك : **حزب العمل في فلسطين : برنامجنا الصهيوني الاشتراكي** ، (تل ابيب ، اللجنة المركزية لحزب العمل في فلسطين ، ١٩٤٤) باللغة العبرية .

(٤٤) **مسح فلسطين** ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٩٥ .

(٤٥) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٩٥ .

(٤٦) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٩٥٧ .

(٤٧) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٩٥٨ .

(٤٨) فلافيانوس وجروس ، **المصدر السابق** ، الصفحات ٢٤ — ٤٣ .

(٤٩) **مسح فلسطين** ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٩٥٨ .

(٥٠) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٩٥٩ .

(٥١) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٩٦٠ .

(٥٢) **المصدر نفسه** ، الصفحة ٩٦٠ .

(٥٣) وفقا لما ذكره البروفسور اي . سايمون (شخصية قيادية في حزب ايحود) لكاتب هذه الدراسة شخصيا . حدث هذا اللقاء في القدس في العام ١٩٦٨ .

(٥٤) فلافيانوس وجروس ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ١٠١ — ١٠٢ .

(٥٥) **مسح فلسطين** ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٩٦١ .

(٥٦) للاطلاع على جذور النزاع والانشقاق في (الحزب الصهيوني العمومي) ، يمكن الرجوع الى باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحات ٣٧٤ — ٣٧٨ ، وكذلك الى شوارتزبارت ، « الصهيونية العمومية » ، في **« كفاح من اجل الغد »** ، **المصدر السابق**، الصفحات ٢٤ — ٥٠ .

(٥٧) باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٣٧٤ .

(٥٨) لمعرفة التمثيل النسبي للاحزاب في المجلس المنتخب للمجتمع اليهودي في فلسطين ، انظر **« مسح فلسطين »** ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٦٩٢ ، ولمعرفة التركيب الحزبي للمندوبين الى المؤتمرات الصهيونية العالمية، انظر **« دائرة معارف الصهيونية واسرائيل»**، المصدر السابق ، الصفحات ٢٠٥ — ٢١٢ .

(٥٩) **مسح فلسطين** ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٩٥٦ .

(٦٠) باتاي ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ١٣٨ — ١٣٩ .

(٦١) اعلن برنامج بلتيمور في ١٩٤٢ ، اي قبل ست سنوات من اندماج حزب وحدة العمل والعمال الصهيونيين اليساريين والحارس الفتى معا في حزب مبام . واذا كنا نعرف ان حزب الحارس الفتى عارض برنامج بلتيمور ، فاننا لا نعرف موقف الحزبين الاخرين اللذين شكلا معه مبام ، من البرنامج .

(٦٢) بخصوص الحقوق السياسية للنساء يمكن الرجوع الى موريس دونرجيه، **« دور النساء السياسي »** (باريس ، يونيسكو ، ١٩٥٥).

(٦٣) انظر **« دائرة المعارف اليهودية الكونية »** ، من تحرير اسحاق لاندمان (نيويورك : ١٩٦٨) المجلد العاشر ، الصفحة ٥٦٩ ، ولمعرفة وضعية المرأة اليهودية كما تضعها الادبيات اليهودية الكلاسيكية ، يمكن الرجوع الى « روت » **المصدر السابق** ، الصفحتان ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، اما بخصوص حقوق المرأة في الشريعة اليهودية والعادات اليهودية ، فيمكن الاطلاع على ايزيدور سنجر مدير تحرير **« دائرة المعارف اليهودية »** (نيويورك : فنك وواجنالس ، ١٩٠٥) ، الصفحات ٥٥٦ — ٥٥٨ .

(٦٤) عن هداساه انظر روث ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ٨١٠ — ٨١١ .

(٦٥) دونرجيه ، **المصدر السابق** ، الصفحات ١٢٢ — ١٢٤ ، وهناك بحث حول الخصائص الاجتماعية للنائبات التركيات في كتاب فري ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ١٥٤ — ١٥٥ والصفحتان ١٩٢ — ١٩٣ .

(٦٦) يمكن الرجوع الى القسم الخاص بالايديولوجية في هذه الدراسة .

تعقيب على دراسة الدكتور تيسير الناشف عن النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين

جاد ، جديد ، وطريف ، ذلك البحث الذي نشرته « شؤون فلسطينية » في عدد آب (اغسطس) ١٩٧٥ ، للاخ الدكتور تيسير الناشف ، تحت عنوان « النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين » . واذا كان من الطبيعي ان هذا البحث جادا شأن كل ما تنشره « شؤون فلسطينية » ، فان جدته وطرافته هما اللتان شدتا الانظار . على ان ثمة ملاحظات، ربما كان مفيدا الاشارة اليها :

١ — لم يشر الباحث الى المراجع التي استقى منها مفردات جداوله .

٢ — انسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا لم يكن احتجاجا من الحزب على اغتيال فخري النشاشيبي ، لانه لم يكن قد اغتيل بعد . بل ان الدفاع انسحب من اللجنة بمجرد علمه — بواسطة امير شرق الاردن عبد الله — بأمر تقرير لجنة بيل البريطانية الملكية ، وجاء انسحابه من اللجنة العربية العليا قبل ثلاثة ايام فقط من نشر التقرير المذكور ، والذي نشر في ١٩٣٧/٧/٧ .

٣ — « الجبهة العربية العليا » لم تضم قادة الاحزاب الخمسة ، بل ضمت قادة كل من « عصبة التحرر الوطني » و « الاصلاح » و « الدفاع » و « الكتلة الوطنية » .ولم تدم هذه « الجبهة » سوى أيام معدودات ، اوفدت بعدها الجامعة العربية رئيس وزراء سوريا انذاك ، جميل مردم بك ، لفض تحالف عصبة التحرر ببقية الأحزاب في الجبهة ، ونجح مردم في مهمته .

٤ — كان ينقص الجداول إسماء الاعلام ، حتى تكتمل المعلومات الهامة التي وردت في هذه الجداول ، وحتى تجري دماء الحياة في عروق الجداول ، اذا صح التعبير .

٥ — لم يكن الشقيري عضوا في الحزب العربي في اي يوم من الايام ، على عكس ما يذكر الباحث .

٦ — لم يكن حزب الاصلاح « فرعا من الحزب العربي الفلسطيني » كما يقول الدكتور الناشف ، بل كان رئيسه — الدكتور حسين فخري الخالدي — اقرب الى النشاشيبية منه الى الحسينية ، ثم انقلب ضد النشاشيبية عقب نزوله ضد زاعب النشاشيبي في انتخابات رئاسة بلدية القدس في العام ١٩٣٥ ، وفوزه عليه ، بهد مساندة الحسينية للخالدي . والاخ الباحث نفسه يقر (ص ١٥٤) بان حزب الاصلاح يقف في اليمين مع الدفاع (حزب النشاشيبية) ، بينما يقف الحزب العربي في اليسار (نسبيا بالطبع) . ويعود الباحث (ص ١٥٥) ليقرر بأن الخالدي كان ، في فترة ما قبل ١٩٣٤ ، مناصرا للحسينيين ، وبعد العام ١٩٣٤ أصبح معاديا لهم ، ومرة اخرى عاد — في مرحلة لاحقة — وأصبح حسينيا !

٧ — يرجع الباحث التمايز في المواقف السياسية داخل العائلة الواحدة الى صراع الاجيال، متجاهلا تأثير الفكر والثقافة التي يتلقاها الابناء فتسلخهم عن طبقتهم ، كما يتجاهل الباحث تأثير صراع الطبقات ، فالعائلة الواحدة لم تكن متجانسة طبقيا في اي حال من الاحوال .

٨ — في اخر الدراسة يورد الباحث « خلفية اجتماعية — اقتصادية » ، اعتقد ان موقعها الصحيح كان مستهل الدراسة .

٩ — يقول الباحث في الجدول رقم ٢٤ (ص ١٥٧) انه يوضح الانتماء الطبقي لاعضاء الهيئة العربية العليا ، ثم لا يقسمهم الا الى « الطبقة العليا » و « الطبقة الوسطى » . وقبلها قسم المجتمع العربي الفلسطيني الى ثلاث طبقات اجتماعية : العليا ، الوسطى والدنيا . اما الرأسمالية (بشرائحها) ، والعمال ، والفلاحين ، فلا وجود لهم في تكوين الباحث الطبقي .

١٠ — تبنى الحاج امين الحسيني منظمة فدائية في العام ١٩٦٩ ، وليس في العام ١٩٧١ كما يقول الباحث (ص ١٦١) . وكان اسمها « فتح الاسلام » وليس « الفتح الاسلامي » . ومعروف انها حملت هذا الاسم بهدف استغلال شعبية « فتح » من جهة ، والارضية السلفية لشعبنا الفلسطيني من جهة اخرى . الا انها لم تعمر اكثر من اسابيع لا تتعدى اصابع اليد الواحدة ..

وبعد ،

فان هذه الملاحظات لا تنقص من قيمة هذه الدراسة ، ولا من درجة امتاعها للقراء ، كل القراء .

عبد القادر ياسين

الحقيقة حول الصهيونية

رومان برودسكي

تنتشر معسكرات الخيام للاجئين الفلسطينيين بعيدا فوق الرمال القاحلة . فمئات الالوف من العرب ، وقد طردهم من ارض بلادهم الغزاة الصهاينة الذين جعلوا منها « مجالا حيويا » خاصا بهم ، لا يجدون الا بصعوبة ما يبقيهم احياء بمعونة المؤسسات الخيرية . واولادهم ، المنهمكون في الحصول على لقمة عيش ، لا يعرفون من مباهج الطفولة شيئا . وقد ولد جيل كامل من العرب الذين لم يروا وطنهم ابدا ونشأوا في المنفى .

اربع مرات اندلعت الحرب في الشرق الاوسط في اقل من عقدين . وكانت القوات الاسرائيلية تجتاح مخيمات اللاجئين العرب وتترك الدمار والرماد خلفها ، وتبعثها الالام والعذاب اينما ذهبت ، لكون الصهيونية لا تعرف الرحمة .

صارت الصهيونية حركة سياسية بين البورجوازية اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر ، عندما ازدادت العداوات الطبقية حدة بمجيء الامبريالية. كان الاب الروحي للحركة هو تيودور هيرتزي ، احد اعضاء هيئة تحرير « **نيو فراي بريس** » انذاك ، وهي صحيفة تصدر في فيينا . ولد في عائلة تاجر ثري ، واندمج اندماجا تاما في المجتمع ، مغيرا اسمه اليهودي الى اسم نمسوي ـ تيودور هيرتزل ومع ان هيرتزل لم يكن يعرف اللغة العبرية ولا التاريخ اليهودي ، فقد صار ايديولوجي القومية اليهودية .

نشر هيرتزل كتابه « الدولة اليهودية » (١٨٩٥)، مستغلا حالة مؤاتية كانت قد نشأت بعد القضية المشهورة لالفرد دريفوس ، وهو ضابط برتبة كابتن في الاركان العامة الفرنسية اتهمه اللاساميون ظلما بالتجسس لالمانيا وحكم عليه عام١٨٩٤ بالسجن مدى الحياة . وفي كتابه دعا هيرتزل اليهود الى عدم الجلوس وانتظار مجيء المسيح ، بل الى المسارعة لاعادة استيطان « الارض التي وعدهم بها الله » وتأسيس دولة قومية يهودية هناك .

كحجة رئيسية لتأييد هجرة اليهود الجماعية الى فلسطين ، قدم هيرتزل ما دعاه اللاسامية العالمية الشاملة لا يمكن السيطرة عليها وكبحها ، اعتقادا منه بان الشعوب التي كان اليهود يعيشون بينها كانت جميعا لاسامية اما علنا او سرا . وسرعان ما تبنى اتباع هيرتزل هذه النظرة الخاطئة في الاساس . وهكذا فان حاييم وايزمان ، الذي كان انذاك استاذا للكيمياء في احدى الجامعات البريطانية ، ادعى ان اللاسامية هي جرائم يحملها كل امرىء معه اينما كان، رغم اقتناعه بعكس ذلك.

هذه النظرة القومية وجدت تحديا قويا من لينين. فقد فضح الطبيعة الرجعية للاسامية واشار الى « الصلة التي توجد بلا شك بين اللاسامية ومصالح البورجوازية ، دون مصالح اقسام الطبقة العاملة من السكان ... » وسخر لينين من « الخرافة الصهيونية حول كون اللاسامية ابدية » . (١)

وفي ١٨٩٧ عقد أتباع هيرتزل وانصاره اول مؤتمر دولي لهم في بال بسويسرا ، وفي هذا المؤتمر ولدت المنظمة الصهيونية العالمية. واستعارت المنظمة اسمها من جبل صهيون ، وهي تلة عند طرف القدس تقول التوراة ان منزل الملك داود ، حاكم اليهودية شبه الخرافي ، كان يقوم عليها . وقد بني هناك هيكل القدس ، الذي صار مركزا لليهودية ، في عهد الملك سليمان ، ابن داود .

ولا تقبل المنظمة الصهيونية العالمية باي افراد كاعضاء . فلدى تأسيسها وحدت ، وتستمر في توحيد ، جماعات واحزاب سياسية مختلفة ـ من حيروت الفاشي النزعة الى احزاب تسمي نفسها عمالية او حتى اشتراكية مثل ماباي ومابام . أما الهيئة العليا لمنظمة الصهيونية العالمية فهي « المؤتمر الصهيوني » الذي ينعقد دوريا ، ويعين الوندين اليه زعماء المنظمات الصهيونية في بلدان مختلفة . وفي الاصل كانت المؤتمرات تعقد سنويا، الا ان الفترات الفاصلة بينها ازدادت تباعدا فيما بعد ، الى ان صارت تعقد اليوم مرة كل اربعة اعوام . وينتخب المؤتمر « المجلس الصهيوني العالمي » الذي يؤلف اللجنة التنفيذية وله ممثلون

في كل من نيويورك والقدس . وللمنظمة الصهيونية العالمية فروع في اكثر من ٦٠ بلدا .

ومنذ البداية تبنت المنظمة الصهيونية العالمية ، اليهودية ايديولوجية لها . فان الاساطير التي اخترعها الحاخامين اليهود حول كون اليهود شعب الله المختار ، وحول ارض الميعاد وارتفاع هيكل دمره الرومان سنة ٧٣ بعد المسيح من الاطلال في جبل سيناء ، وجهود الحاخامين للمحافظة على عزلة الجاليات اليهودية — كل ذلك اتفق تمام الاتفاق مع الاهداف السياسية للزعماء الصهاينة . ويسعى الصهاينة ، بتطبيقهم المذهب الديني على السياسة ، الى ذر الخلاف الوطني بين الشعب العامل . هم يوسعون الادعاء اليهودي حول كون اليهود شعب الله المختار ليزعموا ان اليهود « عرق نبيل » و « انقى الاعراق بين امم العالم المتمدنة » . وبعدما اعادوا تاليف بحث يرقى عهده الى القرن الرابع كتبه حكماء تلموديون ، فانهم يستعملونه الان ككتاب للتعليم الديني في المدارس الاسرائيلية . والكتاب يخبر التلاميذ ان اليهود هم « نخبة البشرية » وان « اقوام الجنسيات الاخرى يجب ان يكونوا عبيدا لليهود » .

وتدعي الدعاوة الصهيونية ان اليهود ، الى جانب الخصرية التاريخية للجنس اليهودي ، يملكون قدرات ونشاطا اعظم من الاوروبي المتوسط . ناهيك بالشعوب الاسيوية والافريقية . ويؤدي هذا الى الاستنتاج البعيد الاثر بان شعوب الاجناس او الاعراق الاخرى لا بد وان تحسد اليهود وان تخشاهم نظرا لعجزها ، في حالات متساوية ، عن التنافس معهم . ويزعم الصهاينة ان هذا هو سبب الكراهية المريرة التي يثيرها اليهود . ومثل هذه النظريات هي غير علمية وتتناقض مع التاريخ ، اذ لا يمكن لاي عرق البقاء « نقيا » خلال قرون كثيرة من الاتصال مع الشعوب الاخرى . ولذا فالمحاولات لاثبات « النقاوة العنصرية » سخيفة .

وفيما يتعلق باليهود ، فان اسلافهم الذين جاءوا الى فلسطين من الصحراء العربية حوالي ١٣٠٠ قبل الميلاد اختلطوا بحرية مع سكان فلسطين الاصليين ، الكنعانيين . وعندما منع الكهنة اليهود الزواج المختلط بعد ذلك بالف سنة ، كان الاوان قد فات : فان عملية اختلاط « شعب الله المختار » بالسكان المحليين كانت قد تقدمت الى حد لم يعد من الممكن عكسها بعد ذلك . وهي لم تتوقف رغم المنع ، في اية حال . والى ذلك ففي القرن السادس قبل الميلاد ، بعدما احتل البابليون اواسط فلسطين ، اخذ اليهود يغادرون بيوتهم ويستقرون في اماكن اخرى من العالم . وازداد الخروج بنوع خاص بعدما استولى الرومانيون على فلسطين . وفي النهاية طرد الرومانيون اليهود من فلسطين في اعقاب تمرد يهودي رئيسي في ١٣٢ — ١٣٥ بعد الميلاد . واستقروا في بلدان كثيرة في اوروبا واسيا وافريقيا . ومع ان الحاخامين ، في محاولة للمحافظة على نفوذهم ودخلهم ، ظلوا يعارضون الزواج المختلط بعناد ، ويلعنون المرتدين ، مهددين بعقاب رهيب في العالم الاخر ، واسموا الغيتوات ، فانهم اخفقوا ، بالطبع ، في حفظ رعيتهم حفظا تاما من « الوقوع » .

كان الصهاينة بحاجة الى اسطورة النقاوة العنصرية لتسويغ زعمهم بان الفوارق الطبقية غريبة عن الامة اليهودية . فهم يدعون ان الفوارق في الملكية ليس لها اي تأثير بين اليهود ، فجميعهم عائلة واحدة ضمن حدود امة واحدة . وهم جميعا اخوة واصدقاء توحدهم مصالح مشتركة . ومعا يعارضون الشعوب المعادية المحيطة بهم ، ومعا يصونون مصالحهم المشتركة .

وهكذا ، في روسيا القيصرية على سبيل المثال ، ووفقا للمنطق الصهيوني ، لم يكن العمال الروس والاكرانيون والبولونيون والتابعون للجنسيات الاخرى هم اصدقاء العمال اليهود واخوانهم ، بل كان اصدقاؤهم واخوانهم صاحب مصانع السكر برودسكي ، ورجال المصارف غينزبرغ وكامينكا والاخوة بولياكوف ، وملك الشاي فيسوتسكي ، وعائلة روتشيلد المليونيرة الفرنسية — البريطانية ، والرأسمالي أوسار فاسرمان ، وكبار المتمولين الاميركيين جاكوب هـ . شيف وهنري مورغنتاو وبرنارد دويتشر واوتو واربورغ وغيرهم ممن وظف رؤوس اموال في الصناعة الروسية وجنى ارباحا طائلة .

وكان من الطبيعي ان تلقى فكرة سلام طبقي مؤات جدا للبورجوازية اليهودية ، موافقة تامة من البورجوازية غير اليهودية التي كانت مثلها مهتمة باستبدال العدوات الطبقية بعدوات قومية .

وفي محاولة لاثبات عدم وجود فوارق مميزة بين اليهود ، ووجود امة يهودية عالمية ، تبنى الصهاينة تحديدا سخيفا « للامة » . فالامة ، حسب مفهومهم ، هي جماعة من الناس يوحدهم الصراع ضد عدو مشترك . ومن شان هذا التحديد ان يجعل جميع الشعوب التي اشتركت في الحرب ضد فرنسا النابليونية او ضد المانيا النازية امة واحدة .

ولم تكن تقل عنها سخفا محاولة الصهاينة اعلان اليهود في جميع انحاء العالم امة واحدة على اساس الديانة اليهودية ، التي زعموا انها الديانة المشتركة بينهم جميعا . ولكن ، اولا ، لا يؤمن جميع اليهود بيهوه او يعلنون ايمانهم بالديانة اليهودية . وثانيا ، فالمعتقدات والاقتناعات لا تقرر الجنسية ، والا لاعتبر جميع الكاثوليك او اللوثريين او الارثوذكس او البوذيين امة واحدة .

ولم تكن ثمة امة يهودية ، « عالمية » يدعى الصهاينة تمثيلها ، كما لم تكن ثمة امة كهذه في اي يوم من الايام . ففي تلك الايام القديمة عندما كانت اكثرية اليهود تعيش كجالية متماسكة نوعا ما ، لم يكن بامكانهم كما لم يكن بامكان الجماعات المرقية الاخرى ، ان تصير « امة عالمية » ، او حتى امة عادية ، لانه لم تكن هناك روابط اقتصادية مستقرة بينهم ، وهو شرط مهم لبروز امة من الامم . وبعدما تشتتوا في جميع انحاء العالم وفقدوا صفات وطنية مميزة كالارض المشتركة واللغة المشتركة والخصائص السيكولوجية المشتركة ، حرم اليهود الاسس الضرورية التي تؤلف منهم الامة . وقد ندد الشيوعيون الاسرائيليون في مؤتمرهم السادس عشر بالنظرية الصهيونية الرجعية وغير الواقعية القائلة بأن يهود العالم ، القاطنين في بلدان مختلف وفي ظل حكومات مختلفة ، يشكلون امة واحدة رغم انعدام وجود اقتصاد مشترك وارض مشتركة وثقافة ولغة وعادات مشتركة .

وقد عارض الماركسيون — اللينينيون معارضة شديدة محاولات الصهاينة شق حركة الطبقة العاملة بتقسيمات وطنية وبتمييز اليهود عن الشعوب الاخرى . ورفضوا النظرية القائلة بوجود مجتمع يهودي عالمي واحد وامة يهودية واحدة . وقد كتب لينين يقول في مقالته « مركز البوند (٢) في الحزب » : « ان الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون امة منفصلة هي فكرة رجعية من الناحية السياسية » . (٣)

لقد اعتبر لينين محاولات الصهاينة عزل اليهود عن الشعوب الاخرى خاطئة . واشار الى ان افضل وسيلة واسهلها لليهود انفسهم هي ان يتصهروا تدريجيا وطوعا مع الشعوب التي يعيشون بينهم ، فيتبنون لغتها وقواعد سلوكها وعاداتها . وكتب يقول : « هذه على وجه الدقة هي المشكلة اليهودية : الانصهار او العزلة ؟ — وان فكرة الجنسية اليهودية هي حتما رجعية لا عندما يشرحها دعاتها الدائمون (الصهاينة) فحسب ، بل هي رجعية ايضا على شفاه الذين يحاولون ان يضموا اليها افكار الديموقراطية الاشتراكية (البونديين) ففكرة الجنسية اليهودية تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية اذ انهما تغذي بنهم ، مباشرة او مداورة ، روحا معادية للانصهار ، هي روح الغيتو » . (٤)

كذلك هاجم لينين بقوة النظرة الصهيونية الى الحكم الذاتي الوطني والثقافي لليهود ، التي وصف دعاتها بانهم « ادوات القومية البورجوازية بين العمال . » (٥)

وكتب لينين ، في معرض انتقاده البونديين ، الذين ادعوا لانفسهم دور حماة مصالح الشعب العامل اليهودي ، يقول : « كل من يطرح ، مباشرة او مداورة ، شعار (الثقافة القومية) اليهودية (مهما كانت نواياه حسنة) هو عدو للبروليتاريا ، ونصير لكل ما تخطاه الزمن ، ومرتبط بالطبقة المنغلقة بين الشعب اليهودي ، هو شريك الحاخامين والبورجوازية . ومن الناحية الاخرى ، فان الماركسيين اليهود الذين يختلطون بالعمال الروس والليتوانيين والاوكرانيين وغيرهم في المنظمات الماركسية الدولية ، ويباهون (بالروسية والبيدشية على السواء) في خلق الثقافة الدولية لحركة الطبقة العاملة — هؤلاء اليهود ، رغم انفصالية البوند ، يحفظون افضل تقاليد اليهودية بمقاومة شعار « الثقافة القومية » . (٦)

لقد كان التاريخ اليهودي يتطور وفقا للقوانين العامة للتطور التاريخي ، في عملية الصراع الطبقي بين المستغلين (بكسر الغين) والمستغلين (بفتح الغين) . ولا يمكن لاية حجج دينية او عنصرية او

قومية الصبغة ان تثبت التوكيدات الصهيونية التي لا أساس لها بأن اليهود يشذون عن القاعدة وبأن لا الملكية ولا الفوارق الطبقية ولا الصراع الطبقي لها اية اهمية او دلالة بالنسبة اليهم .

كتب لينين : « هناك بين اليهود اناس يعملون ، وهم يشكلون الاكثرية ، انهم اخوة لنا يظلمهم الرأسمال كما يظلمنا ، وهم رفاقنا في النضال من اجل الاشتراكية . وهناك بين اليهود استغلاليون ورأسماليون ، تماما كما يوجد امثال هؤلاء بين الروس وبين شعوب جميع الامم . ويجتهد الرأسماليون لزرع وتشجيع الكراهية بين عمال الديانات المختلفة والامم المختلفة والاجناس المختلفة . والذين لا يعملون تبقيهم في السلطة سلطة الرأسمال وقوته . والاثرياء اليهود ، كالاثرياء الروس ، والاثرياء في جميع البلدان ، متحالفون لقمع العمال وسحقهم وسرقتهم وايقاع الشقاق بينهم . » (٧)

الوسائل التي استخدمها الصهاينة لاستمالة قسم كبير من الفقراء اليهود تذكرنا بالوسائل التي استخدمها النازيون الذين افلحوا ، بطريقة الديماغوجية والخداع والعواطف القومية المضخمة ، في حشد تأييد جماهير البورجوازية الصغيرة واقسام عاملة من الشعب الالماني ، فيما هم يصونون مصالح الاوليغارشية المالية . وقد استغلت اللاسامية في كلا الحالين . والفرق الوحيد هو ان النازيين حرضوا عليها ، والصهاينة استغلوا النتائج . فهم بقطعهم وعودا كاذبة وبفردوس ارضي في الارض المقدسة استخدموا غول اللاسامية لترويع الابرياء . واعتبروا ذلك ، بحق ، احدى اوراقهم الدعاوية الرئيسية ، وبقدر استغلوا اقل ظواهرها . وكان يحق لهم ان يعتبروا ان اللاساميين يفيدون الحركة الصهيونية .

كان ثيودور هيرتزل احد اول من نظر الى اللاسامية في ضوء ايجابي . وكتب في يومياته يقول : « صرت انظر الى اللاسامية نظرة اوسع . فمن الناحية التاريخية ، ابتدأت افهمها وحتى اسامحها . والى ذلك ادرك لا جدوى وعدم نفع محاربة اللاسامية . فهي قوة قوية ولا شعوبية نوعا ما ، ولا تؤذي اليهود . واعتبرها عاملا مفيدا في تطور الفردية اليهودية » .

وفي عام ١٩٠٥ كتب ايديولوجي صهيوني آخر ، هو فلاديمير جابوتنسكي ، الروسي المولد ، الذي اسس حزب حيروت اليميني المتطرف والذي « الهه » الصهاينة بعد موته ، قال : « ان اللاسامية كحجة في الدعاوة الصهيونية ، وخصوصا كمبدأ ، هي بالطبع ملائمة ومفيدة جدا » .

وانسجاما مع هذه النظريات كان اتباع هيرتزل وجابوتنسكي يعتمدون دوما على اللاسامية في نشر الدعاوة بين اليهود . حتى انهم كانوا مستعدين لاستثارة احداث لاسامية لكي تكون اقوالهم اكثر اقناعا . مثال ذلك ان دافيد بن غوريون ، وهو زعيم صهيوني وفيما بعد اول رئيس وزراء لاسرائيل ، نظم ، عن طريق عملاء صهاينة ، عملية نسف كنيس في بغداد بنية توفير الدليل على اضطهاد اليهود في العراق وتسويغ اضطهاد العرب في اسرائيل . وقال متهكما انه يجب ان يرسل شبانا يتم اختيارهم بشكل خاص الى بلدان الاستيطان اليهودي الجماهيري لتغذية الحملات اللاسامية التي ستكون اكثر فعالية في حمل اليهود على الهجرة الى اسرائيل من الدعوة الى « الوطن القديم » .

ينظر الصهاينة الى كل يهودي على انه نصير ، يتوق للعودة الى « ارض الاباء والاجداد » . ووفقا لمنطق الصهاينة ومنطق مدبري المذابح اليهودية ــ المسعورة ، فان جميع اليهود هم اما موالون للصهيونية او موالون للشيوعية .

لفترة طويلة من الزمن ظل نطاق الهجرة اليهودية الى فلسطين ضيقا جدا رغم جميع الاغراءات والاقناع ودعم البلدان الرأسمالية . وبين عام ١٨٩٧ وعام ١٩١٨ ، على سبيل المثال ، نمت نسبة السكان اليهود في فلسطين من ٥٪ الى ١٠٪ فقط . ولم يحقق دعاة الصهيونية نجاحا كبيرا لا بالاوصاف الزاهية البراقة « لفردوس ارضي » في « الوطن القديم » ولا بمخاطبة العواطف والمشاعر القومية و « نداء الدم » .

فالاشخاص المستعدون لنشدان السعادة في بلد غريب ذي مناخ غير مألوف واوضاع مادية قاسية لم يكونوا كثيرين . وحتى بعد ١٥ سنة ، في اوائل الثلاثينات ، لم تكن الجالية اليهودية تؤلف اكثر من ١٩٪ من سكان فلسطين .

بيد ان الارهاب النازي عاد فحقق ما اخفق عملاء التجنيد الصهاينة في فعله . فاللاسامية النازية المسعورة وموجة المذابح اليهودية المنظمة

التي اجتاحت المانيا في مساء التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٣٨ (وما يدعو الى السخرية ان تلك الليلة سميت « ليلة البلور » ، لان الشوارع كانت مغطاة بالزجاج من نوافذ المتاجر والشقق اليهودية) كانت بركة ونعمة خفية بالنسبة للصهاينة . ففي الاعوام الثلاثة الاولى فقط من وجود هتلر في الحكم ، من ١٩٣٣ الى ١٩٣٦ ، ازدادت الجالية اليهودية في فلسطين بنسبة ٥٠٪ . وصار تدفق اللاجئين اليهود على فلسطين كبيرا بنوع خاص حين ابتدات الحرب العالمية الثانية . وتزايد عدد اللاجئين اليهود فيما استولى النازيون على المزيد من البلدان .

وقامت منظمات صهيونية مختلفة ، تعمل باتصال مع النازيين ، بارسال اللاجئين الى فلسطين فقط ، رافضة التعاون مع الذين يرغبون في الهجرة الى بلد آخر ، بل حتى عرقلة ذهابهم . وقام ليفي اشكول ، الذي صار فيما بعد رئيسا للحكومة الاسرائيلية (وكان اسمه ليف شكولنيك عند مغادرته روسيا مع والديه الى فلسطين في ١٩١٣) بدور نشيط في تاسيس المكتب الفلسطيني في برلين . وصنف هذا المكتب اللاجئين اليهود الذين سيرسلون الى « وطنهم القديم » ، مختارا في المقام الاول الصهاينة العاملين ، والرجال الميسورين والشبان . وكان ترحيل الشيوخ والعجائز والفقراء الى فلسطين يرجأ بذرائع مختلفة . ويمكن الحكم على مدى كلبية القائمين بعملية الاختيار من رد رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، حاييم وايزمان ، على بعض النواب البريطانيين الذين سألوه ما اذا كان من الممكن نقل جميع اليهود الاوروبيين الغربيين الى فلسطين .

قال : « كلا ، لا مكان للمسنين ... انهم غبار ، الغبار الاقتصادي والمعنوي للعالم الاكبر ... »

وعلى هذا النحو يعالج الزعماء الصهاينة بالفعل ، لا بالكلام ، مفاهيم مثل الوحدة والاخوة ووحدة مصالح اليهود التي يسهبون في الحديث عنها في دعاواهم . فالزعماء الصهاينة هم الذين اصروا على وجوب رفض وزارة داخلية الولايات المتحدة السماح للاجئين اليهود من اوروبا بالاستقرار في الاسكا . وفي الوقت ذاته افلحوا في اقناع السلطات البريطانية بمنع الهجرة اليهودية الى استراليا الغربية .

ففي وجه الخطر المهدد بالابادة المادية لكامل السكان اليهود في المانيا ، لم يكن « الاوصياء » الصهاينة على اليهود يعبأون بانقاذ ارواح اليهود الالمان — بل كانوا مهتمين وحسب في توسيع المستعمرة اليهودية في فلسطين . ووجهوا احتجاجا شديدا عندما اعرب الرئيس الاميركي فرانكلين د. روزفلت عن استعداد بلاده لمنح اللجوء الى نصف مليون لاجيء يهودي من اوروبا . واصروا على وجوب فتح باب واحد فقط للاجئين — هو باب فلسطين . وبذلوا قصارى جهودهم للتأكد من انه لن تتاح لضحايا الارهاب النازي اية فرصة للخلاص سوى في « ارض الميعاد » .

وبعد الحرب العالمية الثانية استمر عملاء الصهاينة بالحماسة نفسها في منع اليهود من الذهاب الى اي مكان غير فلسطين . وتوصلوا الى اتفاق مع السلطات الاميركية والبريطانية على الا يكون امام اليهود في مخيمات « المشردين » غير طريق واحد — الى « ارض الميعاد » .

ونتيجة للاجراءات القسرية المذكورة آنفا ، صار عدد الجالية اليهودية في فلسطين في ١٩٤٨ يزيد على ٦٠٠ الف نسمة ، او ثلث السكان . وكانت هذه ايضا هي نتيجة للفظائع التي ارتكبها النازيون ، الذين عملوا بالشراكة مع الصهاينة ، فضلا عن استعمال الخداع والقوة الغاشمة .

وتفضح الحقائق الصفة الطبقية للصهيونية وتظهر من هي تخدم فعلا . فالصهيونية ، طوال تاريخها الممتد ثلاثة ارباع القرن ، لم تطرح او تؤيد ابدا ، ولا في اي ظرف ، شعارات تدعو العمال اليهود الى النضال ضد استغلال الرأسماليين اليهود . فالصهاينة لم يرفعوا صوتهم قط ، في اي مكان ، دفاعا عن العمال اليهود ضد المصرفيين والتجار والصناعيين اليهود ، وباستبدالهم الصراع الطبقي بالقضايا القومية الحقوا ضررا كبيرا بقضية تحرير العمال اليهود من الظلم الرأسمالي .

ففي الحركة الثورية في روسيا ، على سبيل المثال ، وقف الزعماء الصهاينة جانبا بشكل واضح ، قائلين على نحو ساخر في احد بياناتهم السياسية ان الثورة الروسية لن تحل المشكلة اليهودية حتى بالنسبة ليهود روسيا . وكان من الطبيعي ان ترضى الشرطة القيصرية عن مثل هذا الموقف . وقد حث احد رؤسائها ، واسمه

زوباتوف ، دائرة الشرطة على دعم الصهاينة بكل طريقة ممكنة .

وبعد تقييم تام لنظريات الصهاينة ، استقبل وزير الداخلية القيصري ومنظم المذابح اليهودية في كيشينيف ، واسمه بليف ، هيرتزل في ١٩٠٣ واجرى معه حديثا وديا طويلا . ووافق موافقة تامة على رغبة الصهاينة في اقامة منظمة قانونية في روسيا ووعد بتأمين « الموافقة الملكية » .

ومن الامور التي لها دلالتها المهمة ان الصهاينة تعاونوا بنشاط مع المناهضين للثورة . فاحد الصهاينة العاملين ، وهو محام اسمه هيسين ، حافظ على علاقات وثيقة مع الملكيين . (٨) وبعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ الاشتراكية صار على صلة بالحراس البيض ، وبذل قصارى جهده لتبرير المذابح اليهودية التي نظموها . كما ان زعيما صهيونيا آخر ، هو باسمانيك ، حث اليهود ابان الحرب الاهلية في روسيا على التعاون مع القوى المناهضة للثورة . وعندما تعززت السلطة السوفياتية ، فر الى باريس حيث اشترك في التخطيط لمؤامرات عسكرية جديدة ضد السوفيات .

وحافظ الصهاينة على روابط وثيقة مع الانظمة الفاشية التي تزعمها بيلسودسكي في بولونيا وموسوليني في ايطاليا وانطونيسكو في رومانيا . حتى انهم توصلوا الى اتفاق مع النازيين . فالبلشفي الالماني جوليوس مادر يقول ان قائمة الصهاينة الذين تعاونوا مع النازيين تتألف من ١٦ صفحة متلاصقة الطباعة . وتبين بعد اعوام كثيرة ان زعماء صهاينة امثال حاييم وايزمان ، اول رئيس لدولة اسرائيل ، وموشي شاريت ، احد كبار ساسة الاسرائيليين ، وديفيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل الاسبق ، ورودولف كاستنر ، الزعيم الصهيوني المجري عقدوا صفقات مع النازيين .

وتعاون الصهاينة تعاونا وثيقا مع قائدي اسرق الصاعقة النازية ادولف ايخمان وكورت بيشر ، التابعين لهتلر اللذين نظما مذابح اليهود الجماعية . وفي اوائل ١٩٣٩ ، قبل ان يخطط هتلر « لحله النهائي » للمسألة اليهودية بوقت طويل . عقد الزعماء الصهاينة مع ايخمان صفقة يسمح النازيون بموجبها لقطار من اليهود بمغادرة المانيا الى فلسطين . وقد اختير ركاب ذلك القطار بعناية فائقة وكان بينهم صهاينة عاملون ورأسماليون يهود . ولقاء تلك الخدمة ، ساعد الزعماء الصهاينة ايخمان على اختيار ٤٠ الف شخص من الفقراء والعمال اليهود وارسالهم الى معسكرات الابادة . ويسهل علينا ان نرى لماذا كان ايخمان ينظر بعين الرضى الى النشاطات الصهيونية .

وتقول المجلة الالمانية الغربية دير شبيغل ان رئيس دائرة الشؤون اليهودية التابعة لجهاز المخابرات النازية ، فون مندلشتاين ، تعاون مع الصهاينة في اقامة معسكرات خاصة كان الشبان اليهود يتدربون فيها على الاعمال الزراعية قبل ارسالهم الى فلسطين . وكان فون مندلشتاين يتابع الدعاوة الصهيونية بصورة وثيقة . حتى انه كان يحتفظ بخارطة في دائرته تظهر انتشار الصهيونية بين الالمان اليهود .

ومن اوضح الامثلة على التعاون بين الصهاينة والنازيين الصفقات التي عقدها رودولف كاستنر ، رئيس الفرع المجري للوكالة اليهودية والموفد الدائم الى المؤتمر الصهيوني الدولي ، ومعاونوه غروس ـ باندي جيورجي ، وموشيه شفايفر ، وموشيه كراوس ، وجويل برانت وزوجته . فهؤلاء رتبوا الامر مع ايخمان وبيشر لافتداء صهاينة عاملين ويهود اغنياء مأسورين لدى النازيين بألف دولار لكل منهم . وتم الاتفاق على ابقاء الصفقة سرية . ونسي الصهاينة ، دفعة واحدة ، كلامهم على « عدم وجود فوارق طبقية » بين اليهود ، و « الوحدة العرقية » و « الاخوة التي لا تنفصم » ، واعترف كاستنر فيما بعد بأن ركوب القطار غرض قبل كل شيء على الذين يستطيعون ان يدفعوا اكثر من غيرهم اموالا او نفائس .

وربح النازيون من الصفقة ٢٠٠ الف دولار ، و ٢٠ كيلو غرام من الذهب ، و ٧٥٠ غراما من البلاتين ، ناهيك بالنفائس والعملات الاخرى . غير ان كاستنر وجماعته دفعوا اكثر من مجرد « مال خسيس » لانقاذ ارواح رفاقهم . ففي تلك الايام كان مئات الالوف من المجريين اليهود في معسكرات اعتقال ارسلوا منها الى اوشويتز لابادتهم . ولم تكن المعسكرات تبعد اكثر من بضعة اميال عن الحدود الرومانية ، وكان قد سبق لرومانيا ان استسلمت تحت ضغط القوات المسلحة السوفياتية المتقدمة . ولو علم نزلاء تلك

المعسكرات بانهم سيواجهون الموت المحتم لحاولوا الفرار ، وما كان باستطاعة القوة الصغيرة الموجودة هناك لحراستهم ان تنجح في منعهم . ويكتب المؤرخ المجري اينو ليفاني قائلا : « مما لا ريب فيه انه لو كان مئات الالوف من اليهود المجريين يعلمون اي مصير ينتظرهم ، ولو اعلموا بذلك ، لما استطاع النازيون سوقهم كالخراف الى الغيتوات ، ومن هناك ، بالسهولة ذاتها ، الى قطارات الموت . الا ان احدا لم يعلمهم بذلك . وبالعكس ، فالمنظمات اليهودية ، وبينها الوكالة اليهودية ، طمأنتهم وحثتهم على الاذعان لجميع الطلبات بغية اجتناب شر اعظم » .

وعندما خرجت دولة اسرائيل الى حيز الوجود ، اعطي كاستنر منصبا مسؤولا في وزارة الصناعة والتجارة . كذلك انيطت به مهمة الاشراف على دائرة « صوت اسرائيل » التي توجه الاذاعات الى المجر ورومانيا .

في ١٩٥٣ رفع كاستنر دعوى قدح وذم ضد الصحافي م. غرينوالد : وكان هذا الاخير في مقالته قد اماط اللثام السرية عن نشاط كاستنر الخائن في المجر . وقد ارتدت الدعوى اخيرا الى نحر كاستنر عندما نظرت فيها احدى محاكم القدس . فقد اثبتت شهادات الشهود والوثائق الحقيقية انه كان يتواطأ مع النازيين . وفي محاكمة اخرى جرت في بودابست في ايار (مايو) ١٩٥٥ ، تم فضح كاستنر بشكل قاطع كمتعاون مع النازيين . فقد اعترف ، بعدما وضع في موقف حرج ، بانه تعاون مع ايخمان وبيشير وغيرهما من قتلة اليهود . الا ان صراحته كلفته حياته . ففي الثالث من ايار ، ١٩٥٧ ، اطلق عليه الرصاص في الشارع ، ومات في مستشفى اسرائيلي في ظروف غامضة نوعا ما . وخلال التحقيق في اطلاق الرصاص ، تبين ان اثنين من المهاجمين الثلاثة كانوا عملاء للشرطة السرية الاسرائيلية . وقال احدهما للمحكمة انه تصرف بناء على اوامر الشرطة السرية الاسرائيلية . وهكذا نجح الزعماء الصهاينة في اسكات زميلهم الثرثار .

ولم تكن قضية كاستنر بالحالة الاستثنائية بين الصهاينة . فان س. مايير ، رئيس الفرع الصهيوني في سويسرا ، افتدى هو الاخر زملاءه من النازين . وقد فعل ذلك بواسطة قائد فرقة الصاعقة النازية هانز اغن . وقد استخدمت الصاعقة المبالغ الكبيرة من المال المعطاة لاغن لشراء مواد استراتيجية ووسائل نقل ومعدات عسكرية .

وكانت احدى الظواهر القبيحة هي تعاون المنظمة الصهيونية ، المسماة « يودنرات » — Judenrats ، مع النازيين . وقد ساعدت القتلة النازيين على فرض نظامهم بالقوة في الغيتوات . واعدت المنظمة قوائم بالنزلاء المحكوم عليهم بالموت ، واعدت « صندوق مقايضة » للاشخاص الذين سيستبدلون بالصهاينة العاملين كلما وردت اسماء الاخيرين في قوائم فرقة الصاعقة للاشخاص الذين سيبادون . وكانت منظمة يودنرات في لفوف باوكرانيا تشتمل على رأسماليين يهود امثال هاينريش لاندزبرغ ويوسف بارناس واينوغلر وادولف راتفيلد . وكان لها جهاز اداري يضم نحو ٣٠٠٠ ، وقوة شرطة من ٧٥٠ رجلا مسلحين بالهراوات المطاطية . وساعد هؤلاء الاخيرون رجال الصاعقة في المحافظة على الانضباط في الغيتو وفي سوق الاشخاص المحكوم عليهم بالاعدام الى داخل عربات تحملهم الى الخارج حيث يصار الى قتلهم رميا بالرصاص .

على ان النازيين افترضوا ان الذين خانوا اصدقاءهم وجيرانهم وانسباءهم يمكنهم ان يخونوهم كذلك ، فالغوا في النهاية اليودنرات والشرطة اليهودية . ولكن ذلك التعاون الشائن مع القتلة النازيين يبقى احد اشنع الفصول في تاريخ الصهيونية .

وقصة الدكتور الفرد نوشيغ ، احد قدامى اعضاء الحركة الصهيونية ، تختلف بعض الشيء عن قصة قادة اليودنرات . فقد كان لاعوام كثيرة مخبرا للغستابو ووضع بالتعاون مع النازيين خططا لابادة اليهود الفقراء والمسنين . وكان قد بلغ الثمانين من عمره عندما القى مناضلو غيتو وارسو القبض عليه ، ووجهوا اليه تهمة الخيانة واعدموه .

وقبيل نهاية الحرب ، عندما اتضح ان النازيين سيدفعون غاليا ثمن الجرائم التي ارتكبوها ، سارع صهاينة بالغو الاهمية الى الدخول في محادثات معهم فيما يتعلق بمستقبل علاقاتهم . واخذ قادة الغستابو وقوة الامن النازية يجتمعون بزعماء صهاينة امثال ن. مازور ، ج. شتورتش ،

الاخوة شتيرنبوش وغيرهم . واستقبل هملر مازور في مكتبه . وحاول ان يفوز بالخطوة عند هـ. شتورتش ، ممثل المؤتمر اليهودي العالمي في ستوكهولم ، على أمل تأمين حمايته في المستقبل . ووعد هملر الدكتور موزي ، رئيس جمهورية سويسرا السابق الذي توسط بين هملر والصهاينة ، بالسماح لجماعات صغيرة من اليهود بالذهاب الى سويسرا وفقا لقوائم وضعها الصهاينة . وقد دفع ثمن الصفقة بالعملة الاجنبية . وفي محاولة للتخفيف قدر الامكان من العقوبة التي سيتلقاها هملر ، عمد ضابط فرقة الصاعقة فالتر شيللنبرغ ، واحد اعوان هملر الكبار ، الى كتابة مقالات نشرتها صحف اميركية ، بمعونة منظمة الحاخامين الاميركيين ، يثنى فيها على تواضع هاينريش هملر ويظهر جدارته بالاحترام .

ولم يخيب الصهاينة ظن النازيين . فبفضل الحماة الصهاينة تخلص بعض النازيين من حبل المشنقة . مثال ذلك ان شهادة شهود الدفاع التي ارسلتها المنظمات الصهيونية انقذت ارواح مجرمين نازيين لدى مثولهم امام محكمة نورمبرغ الاميركية بعد الحرب ، وبينهم قادة فرقة الصاعقة هانز يوتنر وكورت بيشر وهيرمان كرومي وكثيرون غيرهم . ومن الواضح ان احد العوامل الرئيسية هنا كان ان بيشر ، قبيل اعتقاله ، سلم صندوقين مليئين بالذهب والحجارة الكريمة الى موشيه شمايتزر الذي ارسلهما ، بواسطة ممثل الوكالة اليهودية في فلسطين ، أرمان ، الى أمين صندوق الوكالة كابلان . ولم يخجل هذان العميلان لكون الذهب والحجارة الكريمة جاءت من حساب فرقة الصاعقة النازية في مصرف الرايخ وقد جنيت من معسكرات الموت . فمعسكر اوشوفيتز وحده زود فرقة الصاعقة بتسعة اطنان من الاسنان الذهبية كل سنة .

وربما كانت مفارقة مريرة انه بهذه الاموال تم بناء نصب ياد فاشيم التذكاري ، الذي رصفت ارضه ببلاط يحمل اسماء اوشو فيتز ومايدانيك وتربلينكا وداشاو وبيرغمت — بلسن وبابي يار وغيرها من الاماكن التي شهدت ابادة جماعية لليهود ، على تلة تقرب الطرف الغربي للقدس ، او زرعت « غابة الشهداء » ، التي تتكون من ستة ملايين شجرة — عدد ضحايا النازية . لقد استهل اسياد الصهيونية وعجلوا اكثر من اللازم في تنظيف سجل تعاونهم مع النازيين . فالصهاينة الذين يوجههم المبدأ الساخر بأن الغاية تبرر الوسيلة كانوا مبتدئين ، في سبيل تحقيق هدفهم ، للتعاون مع اي كان على الاطلاق ، وللمساومة على ملايين الارواح اليهودية لخيانة شعبهم دون وازع من ضمير .

لقد وصف المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي في اسرائيل ، الصهيونية بأنها « الاداة الايديولوجية للبورجوازية اليهودية في مرحلة الامبريالية » وبانها الاساس لتعاون البورجوازية اليهودية مع الرجعية الامبريالية . وقد كانت البورجوازية تستخدم تلك الاداة على نطاق واسع ، في تحالفها وتعاونها مع القوى الامبريالية الشريرة .

اسرائيل قاعدة العمليات الصهيونية

كانت الارض ضرورية لاعادة تأسيس دولة يهودية . ولكن اين يمكن العثور عليها ؟ كانت تلك هي المشكلة التي اقلقت الصهاينة منذ البداية . ولا بد من القول انهم لم يفكروا بفلسطين وحدها . بل كانوا مستعدين للقبول بأي اقتراح .

فالايديولوجي الصهيوني بنسكر كتب يقول : « لسنا مضطرين الى الاستيطان في نفس المكان الذي سحقت فيه دولتنا وبحيث من الوجود .... فنحن لا نريد سوى قطعة من الأرض تكون ملكنا .. وسنجعل الى هناك قدس الاقداس الذي تم انقاذه أبان سقوط الوطن القديم — مفهوم الله والتوراة، فهما اللذان جعلا وطننا الأم ارضا مقدسة ، وليس الاردن او القدس . »

وفي ١٩٠٣ ، اعلن تيودور هيرتزل في المؤتمر الصهيوني السادس عرض الحكومة البريطانية اقامة دولة يهودية في اوغندا وتسميتها فلسطين الجديدة . فقد كان بامكان الامبريالية البريطانية ان تستفيد من المستوطنين اليهود خلال التطوير الاستعماري لاوغندا . ويلاحظ حاييم وايزمان في مذكراته ان الفكرة لاقت موافقة دوائر الاعمال اليهودية التي لم تعبأ بها اذا كان « للوطن القومي لليهود » ، الجديد ، اية صلة « بالوطن القديم » . وكان الصهاينة مستعدين ايضا للقبول بوطن قومي يهودي في الارجنتين او كينيا او سيناء — حيثما يعطيهم الامبرياليون ارضا . واما

الحاخامون ، فكانوا يميلون بقوة الى فلسطين . وفي المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد في ١٩٠٥ ، اختيرت الارض المقدسة اخيرا كموقع لتأسيس دولة يهودية .

كانت فلسطين قد ضمت الى الامبراطورية العثمانية منذ ١٥١٧ . ولمدة طويلة توسل زعماء الجالية اليهودية هنا الى السلطان ليعطيهم ارض فلسطين ، عارضين عليه دفع جزء من ديون تركيا ، والمساعدة في تمويل بناء اسطول بحري حديث الطراز ، ودعم السلطان في الشؤون الدولية . الا ان جهودهم لم تجدهم نفعا . وبعدما يئسوا من التفاهم مع السلطان ، اخذوا يعقدون الامال على مساعدة احدى الدول الامبريالية التي تنتهج سياسة استعمارية نشطة في الشرق الاوسط . ومنذ ذلك الحين لم تبق دولة امبريالية الا وعرض الصهاينة خدماتهم عليها بهدف الاستيلاء على فلسطين . وكذلك ، فما من دولة امبريالية الا واستخدمت الصهاينة في تحقيق مصالحها الامبريالية .

قبل الحرب العالمية الاولى كان الزعماء الصهيونيون يعتمدون بصورة رئيسية على برلين حيث كانت تدعمهم وتمولهم مؤسسة اوسكار ناسرمان المصرفية . وقد شجعتهم ايضا الروح العدوانية التي حاول بها الامبرياليون الالمان كسب موطىء قدم في الشرق الاوسط . وابان الحرب ، فيما تقلصت الفرص لانتصار المانيا مع كل سنة ، غير الصهاينة سياستهم ، معلقين امالهم على بريطانيا . ومع ان برلين امنت في ١٩١٦ موافقة تركيا على تأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت حماية المانية ، فقد اخفقت في اقناع الصهاينة : كان من الواضح ان عواطفهم هي مع الحلفاء .

وفي الثاني من تشرين الثاني « نوفمبر » ، ١٩١٧ ، اعلن اللورد بلفور ، وزير الخارجية البريطانية ، في رسالة الى المصرفي روتشيلد ، ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الرضا الى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وانها مستعدة للقيام باي اجراء لتسهيل تحقيق ذلك الهدف . وتوقع الامبرياليون البريطانيون نصرا مبكرا ، وبالتالي فرصة للاستيلاء على فلسطين ، وكانوا مستعدين لاستخدام الصهاينة من اجل اهدافهم الاستعمارية .

وعندما انتهت الحرب وحصلت بريطانيا من عصبة الامم على انتداب على فلسطين ، اخذت تساعد هجرة اليهود الى فلسطين ماليا وسياسيا . وكان عمل الخير او الرغبة في الوفاء بالتزامات معينة لليهود هما اقل العوامل التي دفعت الامبرياليين البريطانيين في عملهم ذلك . فالهجرة اليهودية الى « ارض الميعاد » فتحت امامهم فرص تطبيق مبدأ « فرق تسد » الذي ارتكزت اليه الوسائل البريطانية للادارة الاستعمارية . وقد اعتمدت بريطانيا على ذلك المبدأ مستخدمة اثارة النزاعات الدينية والقبلية والعنصرية للمحافظة على سيطرتها الاستعمارية .

وكي يتمكن البريطانيون من تطبيق طريقتهم المجربة في فلسطين ، اضطروا الى استقدام اكبر عدد ممكن من اليهود اليها واثاروهم ضد السكان العرب الوطنيين ، مسببين العداء بين الجانبين . وفيما قدم الانتداب البريطاني كل تشجيع ممكن للمستوطنين اليهود لشراء الاراضي من الملاكين العرب المفلسين ، مما ادى الى طرد الفلاحين المستأجرين من اراضيهم ووفر للمستوطنين فرصا في التجارة والربا والصناعات الصغيرة ، شرع يستعيض بالعداوات القومية عن التناقضات الطبقية التي نشأت بين الطبقة المستغلة (بكسر الغين) من المهاجرين اليهود والفقراء العرب . وهكذا استثير العداء الحاد بين العرب واليهود في فلسطين . وتحول مع الوقت الى نزاع مسلح مستمر .

وبعد وقت قصير من قيام « الوطن القومي اليهودي » في « ارض الميعاد » بمساعدة الامبرياليين البريطانيين واموال روتشيلد ، اخذ الصهاينة يعملون لتحويله الى دولة يهودية مستقلة . ولتحقيق ذلك الهدف كانوا مستعدين للبقاء في خدمة الامبرياليين البريطانيين ليصيروا قاعدتهم الامامية في الشرق الاوسط . وفي العشرينات قال الزعيم الصهيوني ماكس نورداو للبريطانيين : « نعلم ما تتوقعونه منا . تريدوننا ان نحرس قناة السويس ، طريقكم الى الهند عبر الشرق الاوسط . حسنا ، اننا مستعدون لتحقيق تلك المهمة الصعبة . ولكن عليكم ان تساعدونا لنصير قوة قادرة على القيام بواجبنا نحوكم » .

وقد اكد ناحوم غولدمان ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ، تكرارا على ان « الصهاينة مستعدون لمنح بريطانيا العظمى الحق المقصور عليها لاقامة قواعد عسكرية في فلسطين ، بما فيها قواعد بحرية وجوية ، شرط ان توافق بريطانيا على تأسيس دولة يهودية على ٦٥٪ من

الاراضي الفلسطينية » . وقدم اقتراحا مماثلا ايضا الى الولايات المتحدة بشرط ان تدعم الدولة اليهودية وتحميها .

على ان لندن لم تكن تنوي الذهاب في «صداقاتها» للصهيونية الى حد اعطائها فلسطين . فقد كان الامبرياليون البريطانيون قانعين تماما بترك العداء العربي ـ اليهودي يساعدهم على قمع كل من اليهود والعرب . وازداد اهتمامهم بالمحافظة على وضع كهذا ، اذ ان التوسع المتزايد للرأسمال الاميركي في الشرق الاوسط والنفوذ النامي للجماعة الموالية لاميركا بين الصهاينة اثارا قلقا خطيرا لدى البريطانيين الذين خشوا ان تصير الدولة اليهودية المستقلة في حال قيامها ذات اتجاه اميركي .

كان القلق الذي شعر به البريطانيون في محله . ففي ١٩١٩ كان الرئيس الاميركي ولسون قد ارسل بعثة غير رسمية الى فلسطين . ولدى عودة البعثة الى واشنطن اوصت بان تعمل حكومة الولايات المتحدة من اجل تأسيس دولة في الشرق الاوسط تضم فلسطين ولبنان وتدعى « سوريا المتحدة » . وكان متوقعا الا تكون الدولة الجديدة تحت سيطرة بريطانية ، بل تحت سيطرة اميركية .

وتقدم عضو البعثة وليم بيل ، الذي كان يمثل مصالح شركة ستاندرد اويل ، بخطة مختلفة . وتصورت هذه الخطة فصل فلسطين عن سوريا واقامة « وطن قومي » هناك لليهود . وقال ان دولة يهودية ستقع حتما تحت سيطرة يهود الولايات المتحدة الذين سيطعمون حياتها بالمثل الاميركية والمدنية الاميركية ، وان دولة ديموقراطية يهودية في فلسطين من شأنها ان تصير قاعدة امامية ـ اميركية في الشرق الاوسط .

وفيما ازدادت حدة الصراع الامبريالي الانكلو ـ اميركي من اجل الهيمنة على العالم ، تزايد اهتمام الاحتكارات الاميركية في الشرق الاوسط الغني الذي كانت له ايضا اهمية استراتيجية فائقة . وطوال ذلك الوقت استمر الزعماء الصهاينة مبنا في اقناع بريطانيا بان تدعهم يؤسسون دولة صهيونية على ارض فلسطين المنتدبة هي عليها . وكانت اقوى حججهم المؤيدة لخطة كهذه هي استعدادهم لتحويل هذه الدولة الى حصن لسياسة الامبرياليين المناهضة للسوفييت ، حتى ان بن غوريون اقترح اتفاقا توافق بريطانيا بموجبه على اقامة دولة يهودية على جزء من الارض الفلسطينية ، ويضمن زعماء الدولة الجديدة جعلها قاعدة عمليات ضد روسيا .

بيد ان البريطانيين لم يكونوا على عجلة للقيام بتنازلات . واعتبروا ان نموا سريعا في السكان اليهود في فلسطين من شأنه ان يعقد سياستهم الرامية الى التوازن على حافة نزاع عربي ـ يهودي ، ويعوق مقاومتهم لاقامة دولة يهودية ، ويقدم للاميركيين ذريعة للتدخل في الشؤون الفلسطينية . ولذا اخذت الحكومة البريطانية تحد تدريجيا من الهجرة اليهودية الى فلسطين . واخيرا قررت ، في ١٩٣٩ ، وخلافا لالتزاماتها السابقة ، وبصورة معارضة لجهود الصهاينة ، ان توقف استيطان اليهود في « ارض الموعد » .

الحرب العالمية الثانية اضعفت مركز بريطانيا في الشرق الاوسط الى حد كبير ، ومكن ذلك الولايات المتحدة ، منذ نيسان (ابريل) ١٩٤١ ، من ايجاد « لجنة فلسطين الاميركية » التي ضمت ٦٨ عضوا في مجلس الشيوخ وما ينوف على ٢٠٠ عضو في مجلس النواب . ودعت اللجنة بصورة مكشوفة الى اقامة « وطن قومي» يهودي في فلسطين وفي اذار (مارس) ١٩٤٤ اعلن الرئيس روزفيلت ان الحكومة الاميركية كانت دوما تخالف السياسة البريطانية الرامية الى عرقلة تأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين . وبعد ذلك بشهرين وضع مجلسا الشيوخ والنواب الاميركيان مسودة قرار مشترك يعرب عن استعداد اميركا للتعاون في تبني الاجراءات اللازمة لتأمين هجرة يهودية غير مقيدة الى فلسطين ولاقامة « دولة يهودية حرة وديموقراطية » هناك .

وخلال حملة انتخابات الرئاسة عام ١٩٤٤ وجدت مطالب الصهاينة التي دعمها كبار الرأسماليين اليهود طريقها الى البرامج السياسية الانتخابية لكل من الحزبين الجمهوري والديموقراطي ، وكانت هذه المطالب ، ومعظمها معني بتأسيس دولة يهودية ذات سيادة ، تتفق كل الاتفاق مع مصالح رأسمال الاحتكار الاميركي ، وبالتالي تمتعت بتأييد البيت الابيض .

وفي آب (اغسطس) ١٩٤٥ ، طلب الرئيس ترومن من الحكومة البريطانية ان تسمح لمئة الف

مهاجر يهودي بدخول فلسطين دون تأخير ، ولانه كان قد اخذ يصبح من المستحيل على بريطانيا السيطرة على فلسطين بالطرق القديمة ، ولانها اضطرت الى الرضوخ للضغط الاميركي ، فقد احالت الحكومة البريطانية ، في نيسان (ابريل) ١٩٤٧ ، القضية الفلسطينية الى الأمم المتحدة . وكانت تؤمل لندن ، بفعلها ذلك ، الا تجد الامم المتحدة حلا يقبل به العرب واليهود وان يكون بوسع بريطانيا ، نتيجة لذلك ، تعزيز مراكزها فيما يتعلق بفلسطين .

وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ، باكثرية الثلثين ، وجوب انهاء انتداب بريطانيا في فلسطين ووجوب اقامة دولتين مستقلتين — عربية ويهودية — على ارض فلسطين . وخصصت منطقة مساحتها ١١ر١٠٠ كلم مربع ، او ٤٢٪ من اراضي فلسطين ، للدولة العربية التي سيبلغ عدد سكانها ٧٣٥ الف نسمة ، بينهم ١٠ الاف يهودي . اما الدولة اليهودية ، التي سيبلغ عدد سكانها ٩٠٥ الاف نسمة ، بينهم ٤٠٧ الاف عربي ، فكانت ستحصل على ارض مساحتها ١٤ر١٠٠ كلم مربع ، او ٥٦٪ من الاراضي الفلسطينية . وكان سيتم على الاثنين بالمئة الباقيين من الارض جيبان لهما ادارة دولية ، هما القدس وبيت لحم .

وكان الناس في جميع انحاء العالم يأملون ان تتخذ اسرائيل طريق السلام والتعاون مع جيرانها . واعترف الاتحاد السوفياتي بدولة اسرائيل اعتقادا منه بانها ستفعل ذلك . غير ان الزعماء الصهاينة اخذوا طريقا مختلفا . فقد استغلوا الرغبة الشديدة في الاستقلال التي شعر بها الكثيرون من اليهود بعد الحرب ، وخصوصا المهاجرون من البلدان الرأسمالية ، لأجل تحقيق مآربهم السياسية : ورأوا في تأسيس دولة يهودية فرصة متاحة لتنفيذ خططهم التوسعية الواسعة النطاق . وهكذا طفقوا يحولون البلد الى دولة عسكرية تنهج سياسة الضم بهدف خلق « اسرائيل الكبرى » . وافاد الصهاينة على اوسع نطاق من كون الحكام العرب الرجعيين انذاك والخاضعين للامبرياليين ، منعوا شعب فلسطين العربي من ممارسة حقه في تقرير مصيره واقامة دولة خاصة به على ارض فلسطين وفقا لقرار الامم المتحدة .

ولكن لضمن بريطانيا والولايات المتحدة سيطرتهما التامة على الدولتين العربية واليهودية ، شجعتا في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ النزاع العربي — اليهودي المسلح الذي تطور ، في اوائل ١٩٤٨ ، الى نزاع عسكري خطير . وهذا النزاع اعطى الامبرياليين الانكلو — اميركيين المناسبة المرغوب بها لاظهار « قلقهم » والتدخل .

وفي الثالث عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، استقبل الرئيس ترومان الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان وامن الثاني موافقة الاول على الاعلان الفوري لدولة يهودية وبالفعل اعلن الصهاينة دولة اسرائيل في اليوم التالي عينه . وقام حاييم وايزمان ، الذي صار رئيس الدولة المولودة حديثا ، بزيارة ترومان مجددا قبل مغادرته الولايات المتحدة ، وحصل على المزيد من الوعود المحددة بالمعونة الاقتصادية السياسية التي ستتطلبها اسرائيل في الاشهر الاولى الخطيرة . وضمن رئيس الولايات المتحدة لاسرائيل تسليمها كميات كبيرة من الاسلحة والقروض للغايات العسكرية .

وكانت نتيجة الحرب الاسرائيلية — العربية الاولى ، التي دامت حتى صيف ١٩٤٩ ، ان اسرائيل استولت على ٦٦٠٠ كلم مربع من المنطقة المخصصة لدولة عربية في فلسطين ، اضافة الى جزء من القدس (المدينة الجديدة) . واحتلت الجزء الآخر حتى القدس (المدينة القديمة) القوات الاردنية . وهكذا لم يتم قط تنفيذ قرار الجمعية العامة للامم المتحدة . وتبين ان اراضي اسرائيل هي اكبر بنحو ٥٠٪ من المساحة التي خصصتها الامم المتحدة ، وبلغت مجموع ٢٠ر٧٠٠ كلم مربع . ولم تؤسس دولة عربية في فلسطين ، ولم يؤلف قط النجيبان الدوليان ، القدس وبيت لحم .

وابان الحرب والارهاب الصهيوني ، اجبر حوالي مليون شخص — اي حوالي ثلاثة ارباع سكان فلسطين العرب — على الفرار من وطنهم والتحول الى لاجئين . وفي السنين اللاحقة رفضت اسرائيل بعناد واصرار الامتثال لقرار الامم المتحدة المتعلق بعودة اللاجئين الى ديارهم . وادى ذلك الى المشكلة المعقدة للاجئين الفلسطينيين وزاد من حدة الوضع المتوتر في الشرق الاوسط .

منذ البداية كانت واشنطن توجه سياسة اسرائيل الخارجية . وقد استخدمت الولايات المتحدة اسرائيل

كسيف مسلط فوق العالم العربي ، كسلاح لمقاومة قيام انظمة تقدمية في بعض البلدان العربية . وبما ان الولايات المتحدة كانت تحول اسرائيل الى مركز انطلاقها الاستراتيجي في الشرق الاوسط ، فقد كانت سخية في مساعدتها ودعمها لربيبتها الصهيونية . وردت حكومة تل ابيب هذه البادرة بان فتحت الباب على مصراعيه للاحتكارات والمؤسسة العسكرية الاميركية .

وفي الثالث عشر من حزيران (يونيو) ، ١٩٥٠ ، وقعت الولايات المتحدة واسرائيل اتفاقا يسمح لسلاح الجو الاميركي بموجبه باستخدام الاراضي الاسرائيلية . واستخدمت اول قروض تلقتها اسرائيل من الولايات المتحدة لبناء ميناء حيفا ، وتوسيع قاعدة اللد الجوية ، وتشييد سكك حديدية استراتيجية ، وفي كانون الاول ١٩٥١ وايار ١٩٥٢ وتشرين الثاني ١٩٥٣ وقع البلدان اتفاقات حول المعونة الاقتصادية الاميركية لاسرائيل التي التزمت ، بدورها ، بان تحمي هي والولايات المتحدة مما تلك المنطقة من العالم التي تؤلف اسرائيل جزءا منها ، وبان تشارك في اجراءات تهدف الى المحافظة على الأمن الدولي . هذه الاتفاقات وغيرها حددت التعاون الدبلوماسي والسياسي والاقتصادي والعسكري بين الولايات المتحدة واسرائيل ، ذلك التعاون الذي حاول الجانبان ان يربحا منه اكبر قدر ممكن .

وبسخرية يعترف الزعماء الصهاينة بان اسرائيل هي قاعدة امامية اميركية . وكان زعيم الحزب الليبرالي الصهيوني في اسرائيل ، س. ابراموف ، صريحا للغاية من هذه الناحية . قال : « لا تقاتل اسرائيل من اجل حماية نفسها فحسب ، بل ايضا لتحمي المصالح الحيوية للغرب ... فالجنود الاسرائيليون في قناة السويس يوفرون على الولايات المتحدة الحاجة لارسال قوات الى تلك المنطقة» . (١٠)

من الخطأ الظن ان الصهيونية اضحت مخلب قط الامبريالية الاميركية وان الصهاينة وضعوا سياستهم كلها ودولة اسرائيل في خدمتها . فهم لا يؤيدون المصالح الأميركية الا طالما يدعمهم الامبرياليون الاميركيون .

هناك نحو ستة ملايين يهودي يعيشون في الولايات المتحدة ، وهذا يعني اكثر من ضعف السكان اليهود في اسرائيل . ويقيم نحو نصف اليهود الاميركيين في نيويورك ، حيث يؤلفون نسبة كبيرة من سكان المدينة . ولا يستطيع الحزب الديموقراطي ولا الحزب الجمهوري تجاهل المقترعين اليهود ، الذين يقيم نحو ٧٥٪ منهم في المدن الكبيرة لست ولايات تقدم بموجب النظام الانتخابي ذي المرحلتين في الولايات المتحدة ١٧٨ ناخبا في هيئة الناخبين .

ومع ان بريطانيا لم تعترف بدولة اسرائيل الا في اذار ١٩٥٠ ، فقد كانت قبل ذلك الوقت قدرت اسرائيل كشريك في الصراع ضد حركة التحرير الوطنية لشعوب الشرق الاوسط . ولذا فان التقارب الذي ابتدأ بعد ان اقدمت مصر على تأميم شركة قناة السويس ما لبث ان نما متحولا الى تحالف وثيق . وكان لفرنسا دوافع مماثلة في عواطفها نحو اسرائيل . والى ذلك ، فان تأييد اسرائيل لسياستها المعادية للعرب السابقة في الامم المتحدة كان احد العوامل المهمة .

والعلاقات بين اسرائيل وجمهورية المانيا الاتحادية جديرة بالاهتمام ايضا ، فهي تعود الى العاشر من ايلول (سبتمبر) ، ١٩٥٢ ، عندما وقعت اسرائيل والمانيا الاتحادية اتفاقا حول التعويضات لاسرائيل . ولعب ناحوم غولدمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية دورا مهما في اقامة الاتصال وتنظيم المفاوضات مع المانيا الاتحادية . وكان غولدمان هو الرجل الذي اقام المستشار الالماني ، الدكتور ادينارو ، اول اتصال معه ، وبواسطته نقل الى تل ابيب اقتراحه لبدء المفاوضات . وكانت المانيا الاتحادية بحاجة الى مفاوضات كهذه لكسب الاحترام في نظر العالم . فقد انتحل زعماء اسرائيل الصهاينة حق التكلم نيابة عن جميع اليهود ، وبعدما قدروا ثمن روح ضحية من ضحايا الابادة الجماعية النازية وضربوها بمدد اليهود الذين ماتوا على ايدي النازيين ، اتفقوا مع حكومة المانيا الاتحادية على ان تسلم اسرائيل ، خلال فترة ١٢ سنة ، سلعا بقيمة ٨٢٢ مليون دولار وتمدها بخدمات مختلفة . واضافة الى ذلك ، اتفق على ان تحتفظ اسرائيل لمواطنيها اليهود بحق المطالبة بتعويض فردي من المانيا الاتحادية . وبحلول ١٩٦٥ كانت هذه التعويضات الفردية قد بلغت ما مجموعه الف مليون دولار .

هكذا سعت المانيا الاتحادية الى رد الاعتبار المعنوي اليها ، والى كسب عضوية حلف شمال

الاطلسي (ناتو) معه . اما بالنسبة الى اسرائيل، فقد طغت الاعتبارات التجارية لزعمائها على الاعتبارات الاخلاقية . وكما لاحظت بحق صحيفة معاريف الاسرائيلية ، فمن الواضح ان الزعماء الصهاينة الذين ايدوا التعويضات الالمانية نسوا ان الصناعة الالمانية قد انتجت الصابون من عظام ابائهم .

نتج الاتفاق حول التعويضات للحكومة والافراد اليهود ، الفرص امام تعاون اوثق بين حكام اسرائيل والدوائر النازية الجديدة الساعية الى التوسع في المانيا الغربية ، وقد كانت انذاك قوية النفوذ نوعا ما . ووجدت اسرائيل في المانيا الاتحادية نصيرا دبلوماسيا ومصدر تمويل وامدادات .

وادى قيام علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة وعلاقات ودية مع البلدان الامبريالية الاخرى الى تمكين الصهاينة من بدء تنفيذ خطط الضم الجديدة. وفي صيف ١٩٥٤ ، قام موشيه دايان ، رئيس اركان الجيش الاسرائيلي انذاك ، بزيارة الولايات المتحدة حيث بحث المساعدات العسكرية لاسرائيل. وفي آب (اغسطس) ١٩٥٤ ، ابتدأ ابا ايبان ، سفير اسرائيل في الولايات المتحدة انذاك ، محادثات مع وزارة الخارجية الاميركية حول التزامات اسرائيل العسكرية تجاه الولايات المتحدة والضمانات الاميركية لامن اسرائيل . ودامت هذه المحادثات ثمانية عشر شهرا .

وفي اوائل ١٩٥٥ قرر غلاة الصهاينة ، اعتمادا على تلك الضمانات ، توسيع اشتباكات الحدود الاسرائيلية — العربية وتحويلها الى عمليات عسكرية واسعة النطاق . وفي ربيع ١٩٥٦ اعلن بن غوريون في الكنيست ان الحرب ضد الدول العربية محتومة . وكان قد تم تحضير اسرائيل لحرب عدوانية بمعونة الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى ، وفي خريف ١٩٥٦ انتهز الزعماء الصهاينة فرصة العدوان الانكلو — فرنسي المشترك على مصر ليهاجموا ذلك البلد .

ابتدأ العدوان البريطاني — الفرنسي — الاسرائيلي المشترك على مصر في التاسع والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٥٦ ، في اعقاب تأميم الحكومة المصرية لقناة السويس . وتميز العدوان بوحشية فائقة نحو السكان المصريين المسالمين . وشجبت الامم المتحدة والقوى التقدمية العالمية العدوان بقوة . وتحت ضغط الرأي العام العالمي ، وبفضل الموقف الشديد الذي وقفه الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى حول تلك القضية ، اجبر الغزاة الصهاينة على الاذعان لقرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، وفي السابع من اذار (مارس) ، ١٩٥٧ ، سحبوا قواتهم من قطاع غزة .

الا ان اسرائيل ، في خريف ذلك العام ، كانت مستعدة للاشتراك في التدخل العسكري الذي خططت الولايات المتحدة له ضد سوريا باستخدام القوات المسلحة التركية والاسرائيلية . وكان لاسرائيل ايضا ضلع في التدخل المسلح الانكلو — اميركي ضد لبنان والاردن في صيف ١٩٥٨ .

وكانت اسرائيل ، بتشجيع من الدول الامبريالية وبدعمها النشيط لسياساتها العدوانية في الشرق الاوسط ، مسؤولة عن التوتر المتزايد في ذلك الجزء من العالم .

وفيما كانت المنظمات الصهيونية في اسرائيل وخارجها ترتكب اعمالا عدوانية وتخطط لضم اراض عربية جديدة ، راحت تشن حملة دعائية واسعة لتسويغ اعمالها . وفي خطاب امام الجنود الاسرائيليين في تشرين الاول ١٩٥٨ ، قال ميناحيم بيغن زعيم حزب حيروت ذي الطابع الفاشي ، والذي يمثل الدوائر الصهيونية الاكثر رجعية ، وعضو الكنيست : « انتم اسرائيليون، ويجب ان لا تشعروا بأي ذنب حول قتل اعدائكم . ويجب ان لا يكون لديكم اي عطف عليهم الى ان ندمر الثقافة العربية المزعومة . وعلى اطلالها سنبني مدنيتنا نحن » . وبروح اسوأ التقاليد الفاشية اعلن قائلا : « لن تكون لنا فرصة للتطور حتى نسوي مشكلاتنا الاقليمية من مراكز القوة . وسنجعل العرب يطيعوننا طاعة تامة » .

وفي خطاب امام الطلبة قال بن غوريون ، احد ابرز المنظرين الصهاينة ورئيس وزراء اسرائيل الاسبق : « ان خارطة اسرائيل ليست خارطة وطننا . لدينا خارطة مختلفة عليكم انتم تلامذة المدارس اليهودية وطلبتها ان تجعلوها حقيقة واقعة . فعلى الامة الاسرائيلية ان توسع اراضيها لتشمل المنطقة من الفرات الى النيل » .

وهذا القول ليس كلاما عابرا بل بيانا بسياسة

الحكومة . فان غلاة الصهاينة تدعوا لشعب اسرائيل هدفا ذا صياغة واضحة للتوسع الاقليمي. وشرح طرق تحقيق ذلك الهدف الزعيم الصهيوني فلاديمير جابوتنسكي ، قبل قيام دولة اسرائيل بوقت طويل . فقد اعلن قائلا : « فلسطين يجب ان تكون ملك اليهود . وان استخدام طرق ملائمة لتأسيس دولة يهودية قومية سيكون عنصرا ضروريا دائم الحضور من عناصر سياستنا . ويعرف العرب منذ الآن ما ينبغي علينا ان نفعله بهم وما نطلبه منهم . علينا ان نخلق وقائع وحقائق جديدة ، ونشرح للعرب ان عليهم مغادرة ارضنا والخروج الى الصحراء . »

وسرعان ما نبتت البذور السامة للدعاوة الصهيونية . وكانت احد الاسباب الرئيسية « لحرب الايام الستة » في الشرق الاوسط ، العمل العسكري الجديد عام ١٩٦٧ .

العدوان الاسرائيلي يستمر

كانت « حرب الايام الستة » قد انتهت ، لكن الدبابات الاسرائيلية زحفت حتى قناة السويس ، ووقفت على طول الضفة الغربية الكاملة للاردن واستولت على الجولان ، مخلفة الدمار والموت . وواجه الصهاينة مهمة جديدة — هي المحافظة على غنائم النصر . كان في نية تل ابيب اجبار الدول العربية ، ضحايا العدوان ، على الموافقة على مفاوضات سلام تأمل في ان تؤيد نتائج العدوان وتترك اسرائيل اراضيها الجديدة ، متوسعة على حساب جاراتها . الا ان الشعوب العربية ، رغم النكسات العسكرية ، لم تستسلم ولم توافق على المفاوضات طالما ظلت اسرائيل محتلة لجزء من اراضيها .

وهكذا اخفقت المؤامرة الامبريالية ضد القوى التقدمية في الشرق الاوسط ، فمع ان تسوات المعتدي كانت متمركزة على تراب عربي ، فقد عجزت عن الاطاحة بحكومتي مصر وسوريا ، او تحطيم ارادة الشعوب العربية في مقاومة العدوان. كذلك اخفقت في تمزيق العلاقات السوفياتية — العربية الودية .

وبعدما حقق الصهاينة النجاح في ساحة المعركة، استمروا يعتمدون على قوة السلاح لممارسة الضغط السياسي . واخذوا يقصفون بالقنابل والمدافع مراكز القوات العربية على طول خط وقف النار وعلى الحدود مع لبنان ، ويشنون غارات جوية بربرية في عمق سوريا ومصر والاردن . ولم يكن الهجوم الوحشي الذي شنه سلاح الجو الاسرائيلي على قرية كفر اسد الاردنية ، والتي اشتملت ضحاياه على رجال ونساء واطفال ، غير مثل واحد على السياسة الصهيونية الرامية الى « الضغط » على العرب الصامدين . وتوالت هذه الغارات الجوية الاثيمة على المدن والقرى في البلدان العربية ، وبخاصة مصر التي كان غلاة الصهاينة يعتبرونها العقبة الرئيسية في طريق تنفيذ خططهم . وفي اوائل شباط (فبراير) ، ١٩٧٠ ، تباهى رئيس الاركان العامة الاسرائيلي الجنرال بارليف بان سلاح الجو الاسرائيلي قام منذ نهاية « حرب الايام الستة » بنحو ٣٠٠٠ غارة جوية على الاراضي المصرية .

وفي محاولة لاستفزاز حرب اخرى ، ارسلت اسرائيل طائراتها القاذفة للقنابل متوغلة اكثر فاكثر في البلدان العربية واغارت على مواقع آهلة بالسكان قرب القاهرة ودمشق وعمان . حتى ان المظليين الاسرائيليين شنوا غارة كومندوس ضد محطة المحولات الكهربائية القريبة من تجمع حمادي ، جنوبي القاهرة . وكررت الغارة في نيسان (ابريل) ، ١٩٦٩ .

وفي اواخر ١٩٦٩ كانت الخسائر بالارواح التي وقعت نتيجة للقصف الاسرائيلي ١٢٠٠ ضحية . وشرع الزعماء الصهاينة يشيرون في خطبهم الى « حرب دائمة » .

وانجرفت رئيسة الوزراء الاسرائيلية غولدا مئير في نوبة من حمى الحرب فاعلنت للعالم الباخط الغاضب ان الغارات الجوية ستستمر الى ان « تحقق الاهداف المحددة سابقا » . وكانت اهداف غلاة الاسرائيليين تتألف من استفزاز رد انتقامي عربي بنية توفير الذريعة لاشعال حرب اخرى .

وقد ندد الاجتماع العاشر المنعقد بكامل اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي في نهاية كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٠ ، تنديدا شديدا باعمال غلاة الصهاينة وقال ان المغامرات العسكرية الاسرائيلية انما تهدف لتوريط البلدان العربية في حرب ، ولقلب النظامين المناهضين للامبريالية في مصر وسوريا ، ولتقويض الصداقة السوفياتية — العربية ، ولمنع الوصول الى تسوية

سلمية لازمة الشرق الاوسط .

وشهد كانون الثاني ١٩٧٠ توسيعا اخر للعدوان الاسرائيلي . فقد زاد الاستراتيجيون الصهاينة من قصفهم للاراضي العربية ، بصورة منافية لقرارات مجلس الامن التابع للامم المتحدة . ففي السادس من شباط (فبراير) ، على سبيل المثال ، قسام الطيارون الاسرائيليون بما يزيد عن ثلاثين غارة ، مغيرين على تل الكبير ومرفأي البحر الاحمر الغردقة وصفاجه وبعض المناطق الكثيفة السكان . وكان غلاة الصهاينة يعتمدون على تاثير نفسي : ارادوا اشاعة الذعر بين السكان وتحطيم معنوياتهم وارغامهم على الاستسلام .

وفي الثاني عشر سباط صعق العالم بغارة وحشية تشن على مشروع غير عسكري ، هو مصنع لاشغال المعادن في ابو زعبل ، احدى ضواحي القاهرة . ففي اللحظة التي كان يجري فيها تغيير نوبات العمل ، قصف الطيارون الاسرائيليون المصنع ، فقتلوا ما يزيد عن ٨٠ شخصا وجرحوا نحو مئة . وكانت هذه الغارة الجوية ، التي لا معنى لها على الاطلاق من وجهة النظر العسكرية ، جزءا من حرب اسرائيل النفسية .

وفي سنتين ونصف السنة بعد « حرب الايام الستة » وقع ، الى جانب الغارات الجوية العديدة ، نحو ٤٠٠٠ اشتباك مسلح على خط وقف النار بين اسرائيل ومصر ، واكثر من ٣٠٠٠ على حدود اسرائيل مع الاردن ، واكثر من ٣٠٠ على حدودها مع سوريا .

وفي الثامن من ايلول ، ١٩٧٢ ، اغار عدد من الطائرات الاسرائيلية من طرازي سكاي هوك وفانتوم على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا ولبنان . ومن مستوى طيران منخفض ، قصف الطيارون الاسرائيليون النساء والاطفال الذين استولى عليهم الذعر . وكررت الغارة الجوية في اليوم التالي . وجرى قصف عشر مناطق في سوريا ولبنان وقرية اردنية . وزادت الخسائر البشرية بين المدنيين المسالمين عن الاربعماية في يومين فقط .

وبعد ذلك باسبوع ، في السادس عشر من ايلول ، قامت وحدات الية ومدرعة اسرائيلية ، تؤازرها الطائرات ، بغزو لبنان في الجنوب ، ولنحو ٣٦ ساعة راحت القوات الاسرائيلية تقتل وتدمر عبر البلدان والقرى ، ولم ترغم على التراجع الا بعد وصول عدد كبير من القوات اللبنانية . وخلال الغارة سقط اكثر من ٤٠ قتيلا و ١٠٠ جريح عربي ودمر ١٣٠ منزلا .

وفسرت تل ابيب هذه الغارة البربرية على انها انتقام لاعمال متطرفين عرب من منظمة ايلول الاسود . بيد ان الحكام الصهاينة لم يحاولوا حتى تسويغ هجومهم التالي ، يوم الاحد الخامس عشر من تشرين الاول ، ١٩٧٢ ، ففي ذلك اليوم قامت اكثر من ٢٠ قاذفة قنابل اسرائيلية بقصف ضواحي صيدا ، في لبنان ، والقرى المجاورة بالقنابل والصواريخ . وفي الوقت ذاته وجهت ضربة جوية ضد مدينة مصياف وجوارها . وفي مقابلة مع وكالة انباء اميركية قالت القيادة الاسرائيلية ان الغارات ينبغي اعتبارها اشارة الى استعداد اسرائيل لان تهاجم حيثما ارادت وكلما ارادت .

وجاء الدليل الاخر على هذا الاستعداد في الثلاثين من تشرين الاول ، ١٩٧٢ ، عندما قامت اسرائيل بغارة جديدة على عدة قرى سورية . والقت الطائرات الاسرائيلية الكثير من القنابل الكبيرة التي لا تنفجر ساعة القائها ، مما جعل عمليات الانقاذ خطرة جدا . وقالت وكالة الصحافة الفرنسية ان نحو مئة شخص قتلوا خلال تلك الغارة . ودمرت الكثير من منازل الفلاحين والمباني الزراعية ، ونفقت رؤوس عديدة من الماشية .

وقبل فجر الحادي والعشرين من شباط ١٩٧٣ ، بعد الكثير من اعمال خرق الحدود والاجواء السورية واللبنانية ، انزل المعتدي الاسرائيلي قوات محمولة جوا في الاراضي اللبنانية وهاجمت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين التي تبعد عن خط وقف النار مسافة ١٨٠ كلم . وفي ذلك اليوم ايضا استطعت الطائرات المقاتلة الاسرائيلية طائرة ليبية مدنية قرب قناة السويس . وقتل الركاب ، الذين يربو عددهم على المئة ، وطاقم الطائرة .

وفي العاشر من نيسان ، ١٩٧٣ ، تسللت جماعة ارهابية اسرائيلية الى بيروت . فدمرت عدة بنايات وقتلت ثلاثة من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية . وقتل الارهابيون او جرحوا ٤٠ شخصا .

وبالطبع ، لم تسفر تلك الاشتباكات المسلحة عن خسائر في الجانب العربي وحده . فالقوات

الاسرائيلية تكبدت ايضا خسائر كبيرة في الطاقة البشرية والاعتدة . بيد ان هذا لم يزعج الزعماء الصهاينة كثيرا . فاجتذاب المهاجرين الجدد بين السكان اليهود في « الشتات » والموقف المتعاطف للدول الامبريالية امنا لاسرائيل تعويض النقص في الطاقة البشرية والاسلحة .

وكل يوم من العدوان كلف اسرائيل ٣ر١٤٠ر٠٠٠ دولار ، او ١٢٠٨ دولار للمواطن الواحد ، كذلك انفقت مبالغ طائلة من المال على بناء شبكة دفاعية قوية على طول الضفة الشرقية لقناة السويس . وسميت الشبكة « خط بارليف » ، وجاءت الاموال الضرورية لكل هذا من المنظمات الصهيونية وحكومات البلدان الامبريالية .

وفي حين تجنب حكام اسرائيل الصهاينة الوصول الى تسوية سلمية مع البلدان العربية وحافظوا على حالة « لا حرب ولا سلم » في الشرق الاوسط، فقد اصروا على مواصلة سياسة الضم « من اجل الامن » . وقد ادعوا ان مصر ترفض الاعتراف بسيادة اسرائيل والسماح لها باستخدام المياه الدولية . وفي اوائل ١٩٧١ ، ردا على سؤال من غونار يارينغ ، الممثل الخاص لامين عام الامم المتحدة ، قالت الحكومة المصرية ان مصر مستعدة لضمان سيادة اسرائيل ، بشرط ان يلتزم الجانبان الحدود التي كانت قائمة قبل العدوان الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ ، وان مصر ستضمن الملاحة الدولية على طول خليج العقبة . والى ذلك ، فلدى انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الشرقية لقناة السويس ، تضمن مصر ابقاء القناة مفتوحة طوال الاشهر الستة التالية لجميع السفن ، بما فيها السفن الاسرائيلية . ولم تعترض الحكومة المصرية على تمركز قوات مراقبة دولية في شرم الشيخ .

وقال تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي لمؤتمر الحزب الرابع والعشرين الذي تلاه ليونيد بريجنيف، الامين العام للجنة المركزية للحزب « طلعت الجمهورية العربية المتحدة اخيرا بمبادرات مهمة . فقد اعلنت قبولها باقتراح تقدم به الممثل الخاص للامم المتحدة ، الدكتور غونار يارينغ ، واستعدادها للوصول الى اتفاق سلام مع اسرائيل حال سحب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، كذلك اقترحت الجمهورية العربية المتحدة خطوات لاستئناف الملاحة على طول قناة السويس في المستقبل القريب جدا . وهكذا فان موقف الجانب العربي يوفر اساسا حقيقيا لتسوية الازمة في الشرق الاوسط . ويظهر رفض الحكومة الاسرائيلية لجميع هذه المقترحات ، وتمسك تل ابيب الوقح بصورة مكشوفة الان بالاراضي العربية ، يظهر بوضوح من الذي يسد الطريق الى السلام في الشرق الاوسط ، وعلى من يقع اللوم لمناخ الحرب الخطر الذي يحافظ عليه في تلك المنطقة . »

وفي القدس قامت الجرافات الاسرائيلية ، لتوسيع الساحة حول حائط المبكى ، بهدم المساكن العربية المجاورة لها . الا ان الصهاينة لم يتوقفوا عند ذلك الحد ، بل هدموا مجموعات كاملة من المنازل العربية واستبدلوها بما سموه وحدات اسرائيلية . وتقول وزارة الاسكان ان ٦٥ الف يهودي آخر سيصار الى اسكانهم في القسم الشرقي من القدس بحلول ١٩٧٥ . وينسجم هذا مع السياسة العامة لاخراج العرب من المدينة . ويرافق طردهم تدمير بربري للمعالم التاريخية وغيرها من معالم الثقافة العربية . ويعتزم الصهاينة ، الذين اعلنوا القدس عاصمة لاسرائيل في كانون الثاني ١٩٥٠ ، رفع عدد السكان اليهود في المدينة الى ٩٠٠ الف . وآنذاك سيواجهون العالم كله ، وليس العرب وحدهم ، بحقيقة واقعة — تحويل تلك المدينة الى المركز الديني والاداري والسياسي للدولة الصهيونية .

وتعقد السلطات الاسرائيلية مؤتمرات صهيونية تظاهرية في القدس . كان احدها مؤتمر المليونيريين اليهود ، الذي اظهر دعم كبار رجال المال الصهاينة في العالم للسياسة التوسعية التي تنتهجها اسرائيل .

ويجري تشييد المساكن لليهود والمستوطنات الزراعية على اراضي طرد منها العرب . ففي اوائل ١٩٧٣ كانت هناك ٤٥ مستوطنة كهذه ، وعددها آخذ في الازدياد . وخصص نصف هذه المستوطنات لكتائب الشبيبة المشرفة على ما يسمى حزام الامن في خط الحدود وغيره من المناطق المهمة استراتيجيا في البلاد . وفيما تستصلح الاراضي، يجري تحويل بعض المستوطنات المحصنة الى مشروعات زراعية . ولم يعد عمالها الشبان يحملون بندقية او رشيشا معهم الى

الحقول ، مما يؤكد « الحقيقة الواقعة » . وعزمهم على البقاء في الارض .

وحتى نهاية ١٩٧٠ ، لم تكن الحكومة الاسرائيلية قد اوصت رجال الاعمال بتوظيف رؤوس الاعمال في اعمال البناء في شرم الشيخ ، ولكنها تشجعهم الآن بكل وسيلة . ونتيجة لذلك تتكاثر بسرعة الفنادق والمخيمات السياحية والمقاهي والمطاعم ومرآب تصليح السيارات ومحطات البنزين .

والغزاة منهمكون الى حد كبير ايضا في قطاع غزة . فخلال ١٩٧٢ هدموا ٧٧٢٩ مسكنا هناك ، وفي شهرين فقط ، تموز وآب ، طردوا ١٦ الف شخص من بيوتهم . وحولوا عدة مدارس في المنطقة الى ثكنات للجيش .

وفي التشجيع المتواصل لتل أبيب في سياستها العدوانية يعتمد حماة الصهيونية الاميركيون على العناصر الاكثر مغامرة بين الدوائر الاسرائيلية الحاكمة . فعندما شكلت في كانون الاول ، ١٩٦٩ ، حكومة جديدة في اسرائيل ، صار ثلاثة جنرالات اعضاء . وكان هذا امرا لم يسبق له مثيل ، وقد تحقق بمعونة واشنطن . كان الجنرالات الثلاثة هم : ييغال آلون ، القائد السابق للبالماخ ، وموشيه دايان ، وزير الدفاع ، وعيزر وايزمان ، مؤسس سلاح الجو الاسرائيلي . وشكل هؤلاء الثلاثة ، مع قوميين متطرفين ، هما ميناحيم بيغن وشمعون بيريز ، فريقا يمينيا متطرفا في الحكومة ، اعتمدت عليه رئيسة الوزراء غولدا مئير لدعمها . وتجدر الملاحظة ان الكثيرين من المعلقين السياسيين في الخارج وصفوا الحكومة الجديدة بانها « وزارة حرب » حال اعلان اسماء اعضائها .

واثناء تأليف الحكومة ، اخذ الصهاينة الاسرائيليون تعليماتهم من خطاب لوليم روجرز ، وزير الخارجية الاميركية السابق ، في مؤتمر للمربين في واشنطن . ففي وقت كانت تجري فيه مباحثات حول المرشحين للمناصب الوزارية وسياسات الحكومة المقبلة في تل ابيب ، اعلن روجرز انه قبل ان يصير من الممكن بدء حل مشكلة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة ، ينبغي على البلدان العربية ان تقنع اسرائيل بانها ترغب في سلام دائم في الشرق الاوسط. فوفقا لمنطق وزير الخارجية الاميركية ، يتوجب على ضحية الاعتداء ان تقنع المعتدي بانها مسالمة . وكان هذا امر لم يسبق له مثيل في الدبلوماسية العالمية وممارسة القانون الدولي . والى ذلك ، اعلن روجرز ان القدس يجب ان تصير مدينة موحدة وهذا يتعارض مع قرار الجمعية العامة للامم المتحدة حول اعادة المدينة الى وضعها السابق للحرب . وكان الامر الذي لا يقل دلالة هو تجنبه السؤال المتصل بالمناطق المحتلة في سوريا والاردن ، والمشكلة الفلسطينية .

وفي تل ابيب فهم خطاب روجرز كتحريض مباشر على الاعمال المعادية للعرب وبالتالي كتعليمات حول كيفية اختيار المرشحين للمناصب الوزارية . وتبين ان القدرة على تنفيذ توصيات واشنطن ، خصوصا فيما يتعلق بتأليف الحكومة الاسرائيلية ، تعتمد على حجم المعونة الاميركية لتل أبيب .

ويقوم زعماء صهاينة نافذون في الولايات المتحدة امثال السناتور جاكوب جافيتس والمستشار الخاص في البيت الابيض ماكس فيشر ، بالضغط ضغطا متواصلا على الحكومة الاميركية من اجل امدادات جديدة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك والدبابات والصواريخ والادوات الالكترونية لاسرائيل . وتقوم بنشاط كبير الهيئات الصهيونية الضاغطة على الكونغرس الاميركي حيث تشن حملات سياسية دقيقة التخطيط لحمل الحكومة على دعم اسرائيل دعما مطلقا .

كما ان الارتباطات الدولية للمتمولين الصهاينة تمكنهم من تنسيق المعونة المالية التي يقدمها المليونيريون الاميركيون ونظراؤهم في البلدان الاخرى للعسكريين الاسرائيليين . وكان بين المشتركين في « مؤتمرات المليونيريين » الثلاثة التي انعقدت في اسرائيل بعد « حرب الايام الستة » ، روتشيلد البريطاني وروتشيلد الفرنسي ، شارلز كلور رئيس او مدير ادارة ١٤ شركة ومصرفا في انكلترا ، وزيغموند واربورغ المصرفي اللندني البارز ، وايزاك ولفسون صاحب اكبر متاجر « الديبارتمانت ستورز » في انكلترا ، واسرائيل كالبين رئيس او مدير ادارة ١١٦ مصرفا وشركة في البرازيل . وتوصلوا جميعا الى اتفاق سريع وسهل فيما يتعلق بتلبية احتياجات الصهيونية .

التأم اول هذه المؤتمرات في آب ١٩٦٧ . حضره ٦٠ رأسماليا صهيونيا ، بينهم ٣٨ موفدا

من الولايات المتحدة . فوافقوا على اعمال اسرائيل العدوانية واعربوا عن استعدادهم لتقديم المبالغ المطلوبة على الفور .

واجتمع المؤتمر الثاني والاكثر تمثيلا في نيسان ١٩٦٨ وحضره ٥٠٠ رجل اعمال مهم و ٣٠٠ مستشار اقتصادي . وجرى بحث شامل لاحتياجات المعتدي . وتقرر بناء على اقتراح ولفسون ، تأسيس شركة تأمين اسرائيلية كبيرة . كذلك سوى المؤتمر مشكلة تمويل بناء خط انابيب نفط من مرفأ ايلات ، على خليج العقبة في البحر الاحمر ، الى مرفأ اشدود على ساحل البحر الابيض المتوسط وتعهدت شركتا تيسن وماتسزمان الالمانيتسان الغربيتان بتقديم الصلب لخط الانابيب .

انعقد المؤتمر الثالث لكبار الممولين الصهاينة في حزيران ١٩٦٩ . واشتمل جوفدوه على ٣٠٠ مصرفي وصناعي ورجل اعمال . وكان الموضوع الرئيسي للمؤتمر هو الخطط التوسعية بصورة مكشوفة . واضافة الى المخصصات التالية للتسلح ، بحث المؤتمرون توظيف رؤوس الاموال في الاراضي العربية المحتلة ، وبخاصة في قطاع غزة والضفة الغربية . و « لاسباب امنية » ابقيت تفاصيل الخطط الاسرائيلية الجديدة ، التي تطلبت مبالغ كبيرة من المال ، طي الكتمان ولم تبحث في المؤتمر . الا ان وزير المالية الاسرائيلية اكد للموفدين ان توظيفات رؤوس اموالهم مأمونة تماما ، مهما طرأ من تحول على الاحداث في الشرق الاوسط .

والى جانب الاستثمارات والقروض الاجنبية ، تلعب تبرعات الصهاينة دورا مهما في اقتصاد اسرائيل . وفي اقل من ربع قرن حولوا اسرائيل من بلد ضئيل السكان متخلف اقتصاديا الى دولة صناعية . ولولا جميع هذه المساعدات المالية والاقتصادية لكان هذا الوليد الصهيوني افلس منذ وقت طويل عاجزا عن معالجة الصعوبات المادية التي ولدتها سياسة المغامرات والحروب المتواصلة التي تشنها . ففي ١٩٧٠ وحدها تلقت اسرائيل في اشكال مختلفة وعملات مختلفة ، نحو ٥٠٠ مليون دولار ، وهو مبلغ انزل عجز ميزان مدفوعاتها الى النصف تقريبا .

وللصهاينة شبكة واسعة من المنظمات التي تفرض « ضرائب على يهود الشتات » . واكبر هذه المنظمات الوكالة اليهودية ومركزها القدس . وتتولى العمليات المصرفية في تحويل الاموال المجموعة ، الكيرن هايسود ، وهي منظمة خاضعة للوكالة اليهودية ولها فروع في ٣٤ بلدا .

تتلقى اسرائيل نحو ٨٠ بالمئة من هداياها المالية وقروضها من الولايات المتحدة التي يبلغ عدد السكان اليهود فيها ستة ملايين . ولا يجمع الصهاينة المال في اية جالية يهودية اخرى على مثل هذا النطاق الكبير وبمثل البراعة التي يظهرونها في الولايات المتحدة . وتقوم مكاتب « النداء اليهودي الموحد » ، الفرع الاميركي لمنظمة كيرن هايسود ، في الطبقة التاسعة والعشرين من بناية سبيري راند . ويستخدم عدد كبير من الموظفين الذين يتقاضون اجورا ومن المتطوعين لجمع الاموال . وتقيم مكاتب « النداء » اتصال « تلتيب » مباشرا مع نحو ٣٠٠ جالية يهودية في الولايات المتحدة . وانتجت زيارة غولدا مئير الى الولايات المتحدة في اوائل ١٩٧٣ لاسرائيل منحة مجانية مقدارها ٥٠ مليون دولار .

ولا تقل المنظمات الصهيونية في البلدان الرأسمالية الاخرى اصرارا على سلب اليهود . وهي كثيرة النشاط في فرنسا ، على سبيل المثال . وذات مرة وجه المليونير الفرنسي روتشيلد نداء للنصف مليون يهودي فرنسي للتبرع بعشرة بالمئة من مداخيلهم لاسرائيل .

وفي بريطانيا ، كذلك ، يساعد الفرع الانكليزي من اسرة روتشيلد المصرفية والرأسماليون الصهاينة الاخرون اسرائيل بمبالغ ضخمة من المال . وباستطاعة المنظمات الصهيونية التي تملك اموالا ضخمة في بريطانيا ان تضغط من اجل التبرعات بواسطة اعلانات تنشرها لا في صحافتها هي فحسب بل ايضا في الصحف التي يملكها رأسماليون انكليز .

ونتيجة لجمع الاموال على نطاق واسع ، فان سيلا متواصلا من المال يتدفق على تل ابيب من ٥٤ بلدا في العالم . وينوف المبلغ الاجمالي للتبرعات التي جمعها الصهاينة من « الشتات » في الاعوام الاثنين والعشرين الاولى بعد قيام اسرائيل على اربعة الاف مليون دولار . ويقول زعماء الصهاينة على سبيل النكتة انهم افلحوا في تطوير حيوان هجين بين بقرة وزرافة :

فهو يتغذى من الخارج ولكنه يعطي حليبا في اسرائيل .

وانطلاقا من القول المأثور بان المال لا رائحة له ، لا يأنف الصهاينة من جمع الاموال حتى من رجال عصابات معروفين ، واصحاب بيوت القمار وغيرها من اوكار الشر . ففي ١٩٧١ اعلنت الصحف الاسرائيلية متهللة بان منير لانسكي ، زعيم العصابات الاميركي البالغ من العمر ٦٩ عاما ، قد صار مواطنا اسرائيليا . ولم يكن دافع لانسكي في طلبه المواطنية هو رغبته في الافادة من المنافع التي تقدمها لرجل ثري الدولة التي تصورها تيودور هيرتزل ليس الا . بل كان دافع لانسكي ايضا هو كون نشاطاته قد اجتذبت اهتمام الجمهور الاميركي الى حد ان الشرطة الاميركية المتساهلة وجدت صعوبة في الاستمرار في التغاضي عنها . وخشي زعيم العصابات المتقدم في السن الفضيحة والاعتقال فقرر اللجوء الى اسرائيل ، اذ انه كان اسدى تكرارا خدمات جلى للصهاينة وقاسمهم ارباحه البغيضة اخلاقيا . وكانت حسابات لانسكي دقيقة . فان كلا من الزعماء الصهاينة الاسرائيليين والاميركيين ، الذين كان لانسكي ورجاله بناء على طلبهم قد ارهبوا معارضي الايديولوجيا العنصرية الصهيونية والتنافر الوطني في الولايات المتحدة ، لم يستطيعوا تجاهل كون المجرم المتأصل يملك وثائق تعرضهم للشبهة ووصولات موقعة من جامعي اموال التبرع الصهاينة الذين كان يتبرع لهم بانتظام لذا كان الصهاينة مجبرين على فتح بوابة الارض المقدسة للانسكي وامواله .

ولكن مهما عظمت الخدمات المسداة لاسرائيل من المنظمات الصهيونية الدولية او التبرعات المجموعة ، فهي ما كانت لتكفي بحد ذاتها لتمكين اسرائيل من مواصلة سياسة المغامرات والعدوان والسلب طيلة هذه الاعوام . وصارت هذه السياسة ممكنة بفضل البلدان الامبريالية التي اوجدت اسرائيل في العالم وما برحت تدعمها .

فالمصادر الصحافية الاميركية تقول ان اسرائيل قادرة على صيانة جيش نظامي من ٨٠ الف رجل يتالف من ٢٠ لواء ومجهز بـ ١٢٠٠ دبابة و ٣٠٠ مدفع ذاتي الحركة (من عيار ١٠٥ مم و ١٥٥ مم) ، و ١٥٠٠ سيارة مدرعة وحاملة جنود وغيرها من الاعتدة .

في اوائل ١٩٧٣ كان سلاح الجو الاسرائيلي قد صار يتالف من ٥٠٠ طائرة مقاتلة ، بينها الميراج والفانتوم والسكاي هوك . وخلال بقية السنة طرأت زيادة كبيرة على القوة بفضل الطائرات الجديدة التي وصلت من الولايات المتحدة .

سن الدعوة للالتحاق بالجيش بالنسبة للرجال في اسرائيل هي ١٨ الى ٢٩ سنة . وهناك ايضا نساء غير متزوجات تتراوح سنهن من ١٨ الى ٢٦ ، يخدمن في وحدات الخبر ومقر القيادة ووحدات السونيات في الجيش الاسرائيلي ، وتحرس كتائب النساء المراكز الحكومية والسلك الدبلوماسي .

وبين جنود القوات المسلحة الاسرائيلية ٣٥٠٠ جندي مرتزق من ١٢ بلدا (معظمهم من الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وجنوب افريقيا واستراليا) لم يتجنسوا بالجنسية الاسرائيلية ، و ١٠ الاف يهودي يحملون جنسية مزدوجة ـ اسرائيلية وجنسية البلد الذي جاءوا منه .

وقالت غولدا مئير بعد زيارتها لواشنطن في ربيع ١٩٧٣ ان الولايات المتحدة اظهرت تفهما للموقف الاسرائيلي افضل من اي وقت مضى . وكان دليل ذلك التفهم القروض والمنح المعطاة لاسرائيل وتبلغ ٥١٥ مليون دولار ، خصص ٣٠٠ مليون منها لشراء ٤٨ طائرة فانتوم وعشرات الزوارق المزودة بمحركات وعدد من طائرات سكاي هوك وقنابل يوجهها شعاع ليزر وغيرها من معدات القتال الحديثة . وتخصص تل ابيب ١٠٠ مليون دولار « لبناء المساكن » ، يعني « انماء » الاراضي العربية المحتلة .

ومع ان بون اعلنت عن حيادها التام فيما يتعلق « بحرب الايام الستة » ، فان المانيا الاتحادية لم تتوقف قط عن مساعدة المعتدي ، وتستمر في مساعدته . وقد وقع السفير الاسرائيلي في بون ، أشر بن نائان ، ووزير الدولة لار في وزارة الشؤون الخارجية لالمانيا الغربية ، عقدا لمنح اسرائيل قرضا بمبلغ ١٦٠ مليون مارك لفترة ٢٥ سنة . والى ذلك اسهم الدويتش بنك ، وهو مصرف الماني غربي كبير ، في القرض المصرفي الذي قدمه لتل ابيب اتحاد مصرفي دولي من سبعة بلدان ويبلغ ١٥ مليون مارك .

وتقوم اسرائيل بالاشتراك مع المانيا الاتحادية باجراء ابحاث حول استخدام الطاقة النووية من

اجل الغايات العسكرية . ويشترك اكثر من ٧٠ عالما فيزيائيا المانيا غربيا في هذا العمل الذي يقوم به معهد وايزمان وتموله ، من بين من يموله ، مؤسسة فريتز يتسين وفولكسفاغن .

اول زيارة رسمية قام بها وفد حكومي اسرائيلي الى بون جرت في شباط ١٩٧٠ . ترأس الوفد وزير الخارجية (آنذاك) ايبان . وظلت المحادثات التي اجراها الوفد مع رئيس جمهورية المانيا الغربية ومستشارها ووزير خارجيتها سرية تماما .

والى جانب المانيا الاتحادية ، زار ايبان بلجيكا وهولندا ولوكسمبرغ حيث اجتمع بممثلي المنظمات الصهيونية المحلية وحثها على مضاعفة جهودها لجمع الاموال لاسرائيل . وفي بروكسل اجرى محادثات مع ممثلي الاسرة الاقتصادية الاوروبية بحث خلالها التعاون بين اسرائيل وبلدان السوق المشتركة . وقامت المنظمات الصهيونية في تلك البلدان بدور الوسيط في الوصول بالمفاوضات الى اتفاق بين الاسرة الاقتصادية الاوروبية واسرائيل وهو اتفاق تهتم به هذه الاخيرة اهتماما كبيرا .

وفي انتهاج غلاة الصهاينة سياستهم العدوانية، فانهم يسعون على الدوام الى تعزيزها بدعائم جديدة . . فالنزاع في الشرق الاوسط في تشرين الاول ١٩٧٣ الذي سبب توترا في الوضع الدولي نجم عن ايستيلاء اسرائيل على الاراضي العربية ورفضها العنيد تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ وسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة . ووقعت اعمال عسكرية في الاراضي المصرية والسورية ، ولا يستطيع احد ان يشك في حق الشعوب العربية في القتال من اجل تحرير هذه الاراضي . وفي حين تدافع الشعوب العربية عن هذا الحق فانها تؤيد جعل الحالة في الشرق الاوسط سوية ، الامر الذي يخلق الاوضاع لتمديد الوفاق الى هذا المنطقة .

صورة حقيقية عن « الفردوس » الصهيوني

الاهداف الراهنة للصهاينة الاسرائيليين هي : الاحتفاظ بالاراضي المحتلة ، ارغام السكان العرب على النزوح عنها ، وعن طريق اعمال الضم الجديدة توسيع اراضي اسرائيل ، وفي الوقت ذاته اجتذاب مستوطنين جدد من يهود الشتات . وسيصار الى تحقيق هذه الاهداف في وقت واحد مع مواصلة النشاط التخريبي ضد النظام الاشتراكي العالمي وحركات التحرير الوطني .

وهذه الاهداف توحد الاحزاب والجماعات الصهيونية — من حزب حيروت ذي الصبغة الفاشية الى حزبي مابام ومباي المدعي الاشتراكية . وخلال الاعوام الاخيرة ، في محاولة لكسب عطف العمال ، كانت الدعاوة الصهيونية تركز على مفهوم « الاشتراكية الصهيونية » في اسرائيل . ويقصد بهذا المفهوم ان يغطي امورا كثيرة وهو موجه الى البسطاء السذج . مثال ذلك ان المشاريع الصناعية لجمعية اتحادات العمال الاسرائيلية ، المسماة هستدروت ، اعلن عن انها « طريق مباشر الى مرحلة اعلى من الاشتراكية » ، في حين يزعم ان التعاونيات الزراعية ، الكيبوتزات ، هي منظمات فيها عناصر الشيوعية .

الصهاينة هم اعداء الاشتراكية الحقة ، الا انهم يلجأون الى التأكيدات الديماغوجية لتوجيههم الاشتراكي ، والى انتحال الاشتراكية . فهم يستغلون بمكر شعبية الافكار الاشتراكية لكسب جماهير العمال اليهود .

لقد صار من الصعب اكثر فاكثر اخفاء الطبيعة الرجعية للصهيونية عن طريق الاساطير حول « الرسالة التاريخية لشعب الله المختار » ، والروحانية الدينية ، والنظرية التي ظلت حتى الاونة الاخيرة مفيدة حول « وحدة واخوة » اليهود . ويجري فضح الاعمال والخطط الصهيونية المجرمة شيئا فشيئا ، واثار هذا الريبة والنقد بين الكثيرين من اليهود . فالسياسة الرجعية التي تنتهجها الصهيونية العالمية شجبتها علنا منظمات صهيونية كبيرة في بريطانيا وهولندا وفرنسا واوروغواي وبعض البلدان الاخرى . وحتى في اسرائيل ، ليس الشيوعيون هم وحدهم الذين يدركون ان الحكام الصهاينة يقودون الشعب في طريق محفوف بالاخطار . وهذه الظروف تجبر الايديولوجيين الصهاينة الاكثر مكرا على التظاهر بانهم اشتراكيون .

اسرائيل ، في الواقع ، دولة رأسمالية كأي دولة رأسمالية اخرى ، وبالتالي لا يمكن ان تحتوي على اقل عنصر من عناصر الاشتراكية الحقة في مجتمعها . فهي دولة ترتكز على

الاستغلال ، دولة يملك الرأسماليون فيها ادوات ووسائل الانتاج ، ويصون جهاز الدولة مصلحة الطبقات الملاكة . وتقوم الشركات الخاصة التي يملكها رأسماليون محليون او اجانب بالقسم الاكبر من الانتاج الصناعي في اسرائيل . وفيما يتعلق بمشروعات الهستدروت ، الورقة الوحيدة التي يعتمد عليها « الاشتراكيون » الصهاينة ، فهي لا تمثل الا ٢٠٪ من مجمل الانتاج الصناعي ، والاهم من ذلك هو انها ليست ملكا عاما . بل تملكها شركات ذات رأسمال مشترك تتشارك فيها نقابات العمال مع الرأسماليين المحليين والاجانب الذين يملكون القسم الاكبر من الاسهم . ولا يصار الى استخدام حصة الهستدروت من الارباح واشتراكات عضوية النقابات لتحسين الوضع المادي للعمال او لتلبية متطلباتهم الثقافية بل لتوسيع الانتاج واعالة موظفي ادارة النقابات . ويسلم قسم من الايرادات الى زعامة الاحزاب الصهيونية .

وثمة وضع مماثل نوعا ما في الزراعة . فاكثر من ٩٠٪ من الاراضي المزروعة تملكها الحكومة والوكالة اليهودية اللتين تؤجرانها بقيمة مرتفعة لمزارعين افراد ولمستوطنات جماعية ، والكيبوتز هو نوع المستوطنة الجماعية الاكثر شعبية ومع ان اعضاء الكيبوتز يعملون معا ، فهم لا يشاركون في الارباح او يملكون المباني الزراعية والادوات او غيرها من الممتلكات العائدة للمستوطنة الجماعية . ويعمل اعضاء الكيبوتز عشر ساعات يوميا ولا يحصلون على اي أجر لا بالمال ولا بالنتاج . والذي يحصلون عليه هو المأوى والغذاء العادي وبعض الالبسة . ويحق لهم التمتع بعطلة مرة كل عامين . ولكن حتى الذي عملوا اعواما عديدة في الكيبوتز لايحق لهم الحصول على اي شيء لدى تركهم له ، فقد جاءوه فقراء ويغادرونه فقراء . وهذه هي « عناصر الشيوعية » على الطريقة الصهيونية .

وتستولي على كامل ربح الكيبوتز الادارة الصهيونية غير المسؤولة تجاه اعضاء الكيبوتز وتتألف قوة الكيبوتز العاملة في غالبيتها من مهاجرين شبان واصحاء لا يملكون المال للعمل بشكل مستقل فيضطرون بالتالي الى تأجير انفسهم .

وبوصف الكيبوتزات ومشروعات الهستدروت بانها « اشتراكية » ، يحاول الصهاينة اخفاء الطبيعة الحقيقية لمشروعاتها ، وفي الوقت ذاته ان يطمئنوا في مبادىء الشيوعية العلمية ، ويشوهوا سمعتها في نظر المستوطنين السيئي الطالع الذين يلعنون وضعهم و « الاشتراكية » الصهيونية .

ان الدولة التي اسسها الصهاينة في الارض المقدسة هي ابعد ما تكون عن الفردوس الذي وعدوا به اليهود . فجميع السلطات في تلك الدولة هي ، في الواقع ، في ايدي البورجوازية الكبيرة . وتسيطر على الحكومة الائتلافية احزاب صهيونية رجعية . وليس لاسرائيل دستور حتى يومنا هذا فالقوانين التي صدرت عندما كانت فلسطين تحت سيطرة الاستعمار البريطاني ، وحتى قبل ذلك ، عندما كانت تحت العثمانيين ، ما تزال سارية المفعول . وتنظم العلاقات العائلية والشؤون اليومية « محاكم الحاخامين » التي تقيم العدل على اساس وصايا التوراة وقوانين التلمود واحكام هذه المحاكم ملزمة بالنسبة لكل من المتدينين والملحدين .

وتتميز الايديولوجيا المسيطرة في الحياة العامة الاسرائيلية بعنصرية صريحة ورجعية سياسية وروح عسكرية واكليروسية متطرفة . وتهجد القوة الفاشية وتمارس العادات القروسطية على نطاق واسع . وانسجاما مع هذه العادات ، مثلا ، لا يحق لغير الرجال ان يطلبوا الطلاق ، ووحدهم الرجال يتمتعون بحقوق الارث الشرعية . ولا تملك النساء حقوقا كهذه ، واذا مات زوج لا يحق لزوجته الزواج الا من اخيه واذا لم يكن شقيق زوجها الراحل يرغب في الزواج منها ، وترغب هي في الزواج من شخص آخر ، فعليها الحصول على اذن من الاخ . واذا كان الشقيق قاصرا يتوجب على المراة ان تنتظر حتى يبلغ سن الرشد ويقرر لها مصيرها . كما ان بعض الحاخامين ، انسجاما مع التقاليد وبشيء من الفسق على ما يبدو ، يجعلون النساء اللواتي يعتنقن اليهودية يقمن بالتطهر بالماء في بركة طقسية في حضور ثلاثة حاخامين .

ويمكن تقدير مدى تأثير الحاخامية على حياة اسرائيل الاجتماعية والسياسية من الحقائق التالية . هناك حوالي ٦٠٠٠ كنيس في اسرائيل . والجزء الجديد من القدس ، الذي استولت عليه

اسرائيل خلال « حرب الايام الستة » يوجد فيه وحده اكثر من ٤٥٠ كنيسا . والمجند في الجيش الاسرائيلي يعطي مجلد من التوراة مع بندقيته . وثمة حاخام وكنيس متحرك في كل وحدة من وحدات الجيش . ويحمل كبير حاخامي الجيش رتبة جنرال . ووفقا لمفهوم المؤسسين الصهاينة — الاكليركيين لاسرائيل ، فان الدور المهم الذي تلعبه الحاخامية في شؤون الدولة يجب ان يهدىء التنافر الطبقي ويشجع التنشئة الشوفينية للجيل الجديد ويخلق وهم الوحدة بين اليهود .

وفي اقناع اليهود في جميع انحاء العالم بالهجرة الى اسرائيل ، لم يكن « عملاء التجنيد » الصهاينة مقتصرين في وصف امجاد « الفردوس الارضي » . وموضوعهم المفضل في التنديد بالحياة في التشتت هو وجود اللاسامية هناك ، وانعدام الحقوق لليهود والتمييز ضدهم . ويؤكد « عملاء التجنيد » الصهاينة لسامعيهم ان استقبالا وديا ومعونة مادية كبيرة وشققا مريحة وعملا في اختصاص المرء ووحدة وطنية والموقف المقدر الودي للسلطات تنتظرهم في اسرائيل . ويقع الكثيرون من البسطاء السذج ضحية لهذه الدعاوة . وتوجه اناس من ٩٠ بلدا ، ويتكلمون عشرات اللغات المختلفة للعيش في اسرائيل . فماذا وجدوا هناك ؟

احدى مشكلات اسرائيل الرئيسية ، التي بدت منذ البداية وتبقى الى اليوم غير قابلة للحل ، هي مشكلة الفقر ، فان مستوى معيشة ٢٠٪ من العائلات الاسرائيلية هو تحت « خط الفقر » . ولا يتجاوز المدخول الشهري لكل عضو من اعضاء هذه العائلات السبعين ليرة اسرائيلية ، وهو لا يكاد يكفي لشراء الخبز والمرجرين .

والبطالة الجماعية كارثة وطنية في اسرائيل . وفيما تعمل الصناعة الحربية بكامل طاقتها ، يتقلص حجم الانتاج المدني بسرعة نتيجة لانخفاض القدرة الشرائية لدى اكثرية الشعب . كما ان النفقات الهائلة على الغايات العسكرية ، التي التهمت اكثر من نصف ميزانية الدولة ، والضرائب العالية (وهي الآن الاعلى في العالم) تؤدي حتما الى انخفاض في قدرة الشراء لدى الشعب ، مما يؤثر تأثيرا ضارا في السوق الداخلية وحالة العمالة . وبدل ان تحسن البطالة الناجمة عن ذلك ، الوضع ، فانها تفضي الى انخفاض آخر في الطلب على سلع الاستهلاك . وحكام اسرائيل الصهاينة عاجزون عن ايجاد حل للخروج من هذه الحلقة المفرغة الاقتصادية . وعلى مئات الالوف من اليهود الذين صدقوهم ان يتحملوا الآن العواقب السياسية للمغامرات التي انتهجوها .

وبسبب البطالة والاجور المنخفضة والضرائب المتزايدة والاسعار الآخذة بالارتفاع (وقد تضاعفت اسعار سلع المستهلكين خلال الاعوام القليلة الماضية) ، فان نحو ٥٠ بالمئة من ابناء وبنات الجيل الجديد عاجزون عن الحصول على ثقافة ، اذ ان رسم التعليم في المدرسة هو الف ليرة سنويا . بيد ان الحاجة تدعو الى المزيد من المال لشراء الكتب المدرسية وغيرها من اللوازم المدرسية .

وفي حين ان النفقات المباشرة وغير المباشرة للغايات العسكرية في اسرائيل تبلغ ٧٠ — ٧٥ ٪ من ميزانية الدولة ، فان المخصصات للاحتياجات الاجتماعية لا تؤلف اكثر من ١٢ ٪ ، و للتربية ٥ ٪ فقط .

وفي خطاب خلال مؤتمر لحزب الماباي اعترف وزير الاسكان زئيف شريف بان الحكومة تنفق على الاحتياجات الاجتماعية بقدر ما ينفق الاسرائيليون الاغنياء على المآدب في المطاعم .

وتقدم الحركة الصهيونية العالمية والبلدان الامبريالية مساعدات مالية كبيرة لاسرائيل ، الا انها ليست كبيرة الى حد يكفي لتغطية النفقات العسكرية التي تنمو من سنة لسنة .

ولدى عرض مسودة ميزانية الدولة لسنة ١٩٧٣ على الكنيست ، قال وزير المالية بنحاس سابير أن اسرائيل في الاعوام الستة السابقة لذلك التاريخ انفقت ٢٥ الف مليون ليرة اسرائيلية (٦ الاف مليون دولار اميركي) على الاغراض العسكرية ، وان النفقات ستضاعف خلال الاعوام الستة التالية . وتنفق اسرائيل على الاغراض العسكرية بالنسبة لسكانها اكثر مما تنفق الولايات المتحدة بمرتين ونصف المرة. وتبلغ نفقات اسرائيل العسكرية اليومية حاليا اربعة ملايين دولار ، او ٤٨٣ دولارا لكل واحد من سكانها . وفي ١٩٧٢ ، على سبيل المثال ، انفقت تل ابيب ٢٠٠٠ مليون ليرة (قرابة ٥٠٠ مليون دولار) على شراء الاسلحة من الولايات المتحدة . ونفقات اسرائيل العسكرية بالنسبة للفرد هي الاعلى

في العالم . وفيما تنمو نفقات اسرائيل على الشؤون الحربية ، تنمو ايضا ديونها الاجنبية . وفي الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ بلغت تلك النفقات ٤٢٠٠ مليون دولار . وفي تلك الاثناء كان احتياطي الذهب والعملة الاجنبية في اسرائيل يتلاشى بصورة رهيبة : وقد تقلص خلال الاعوام الاخيرة الى ثلث حجمه السابق .

والحملة لشراء الاسلحة هي عبء ثقيل يتحمله الشعب العامل . وفي حين ان الشعب الاسرائيلي كان في ١٩٧٠ يدفع من الضرائب اكثر بثلاث مرات مما كان يدفع قبل عدوان حزيران (يونيو) ، فان سنة ١٩٧١ حملت اليه زيادة جديدة في الضرائب على السجائر والبنزين وغيرهما من انواع الوقود ، وفي رسوم الهاتف والخدمات البريدية والكهرباء والنقل .

وتظهر الحكومة الاسرائيلية براعة كبيرة في سياستها الضريبية . فهي تنجح في اختراع ضرائب لا صلة لها البتة باحتياجات الشعب الاساسية . مثال ذلك انها فرضت في الاول من نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ضريبة جديدة — على شراء اقنعة الغاز للسكان المدنيين . ويقول المدير العام للمصرف الاسرائيلي ، شافنر ، ان كل مواطن من مواطني اسرائيل دفع للصندوق الحربي خلال العامين الماضيين اكثر مما دفع المواطن في مصر او سوريا او لبنان او الاردن باحدى عشرة مرة .

ويلجأ الزعماء الصهاينة الى حيل خادعة بغية تمويه نشاطهم المعادي للمجتمع . ففي ١٩٧٠ ، مثلا ، بعد محادثات بين الحكومة والهستدروت دامت قرابة سنة ، تقرر رفع الاجور بنسبة ٨ بالمئة . لكن تبين ان هذه الزيادة هي خدعة . ففي الوقت ذاته رفعت « ضريبة الدفاع » من ١٠ الى ١٥ بالمئة من الاجر المتوسط ، والى ذلك فان نصف زيادة الثمانية بالمئة دفعت في شكل سندات الزامية لاكتتاب « قرض الامن » . وبلغت الضريبة المزادة وحسومات الاكتتاب ٩ بالمئة من الاجر ، بحيث لا يبقى شيئا من زيادة الثمانية بالمئة . وهذا مثل على « العناية » التي يبديها زعماء النقابات العمالية الصهاينة بالشعب العامل .

وردا على احتجاجات العمال طرح الصهاينة الشعار : « لا يمكن الدفاع عن البلد ورفع الاجور في الوقت ذاته » . وهذه اعادة صياغة لشعار غورنغ : « المدافع بدلا من الزبدة ! » فللزعيم النازي مقلدون يطبقون فكرته بفعالية في اسرائيل اليوم .

وهناك ازمة اسكان حادة في اسرائيل . ففي ١٩٧٠ ، مثلا ، ارتفعت الايجارات بنسبة ٤٠٪ ورغم استمرار مجيء المهاجرين ، الذين يحتاجون الى شقق غير غالية ، فليست الحكومة مستعجلة لتزويدهم بالمساكن . والى ذلك فان بنحاس سابير (وزير المالية السابق) كان يعتبر بناء المساكن غير مفيد اقتصاديا لانه يستنفد المال الضروري لمهمات عسكرية اكثر الحاحا . ونتيجة لذلك ، تؤكد الاحصاءات الرسمية ان اكثرية المهاجرين تبقى في فقر مدقع . وثلاثة ارباع الذين يعيشون في احياء الفقراء القذرة والمزدحمة بالسكان ويحتاجون الى اغاثة هم مستوطنون وصلوا الى البلاد خلال الاعوام القليلة الماضية . وهم يشتملون على ٨٠٪ من الشبان العاطلين من العمل .

ورغم ذلك يستمر الصهاينة في جلب المهاجرين . وتنفيذا لاوامر البورجوازية اليهودية الكبيرة يستمر الصهاينة في الأصرار على ان الحل النهائي للمسألة اليهودية لا يمكن تحقيقه الا بجمل جميع اليهود ، او اكثريتهم على الاقل ، يستوطنون فلسطين .

في خطاب امام جمهور اميركي في ايار ١٩٥١ ، اعلن بن غوريون ان اربعة ملايين يهودي سيستقرون في اسرائيل خلال الاعوام الاربعة التالية . ولم يحدث ذلك قط ، الا ان الايديولوجيين اليهود يستمرون في التمسك بمنطقهم القائل بان مثل هذه الهجرة هي ضرورية لليهود وبان تحررهم غير ممكن طالما هم يعيشون بين شعوب اخرى .

حتى الاونة الاخيرة كان استجلاب المستوطنين في ايدي منظمات عدة . وفي ١٩٦٨ تغيرت الحالة : فقد اقيمت في تل ابيب مصلحة خاصة ، هي وزارة الهجرة ، التي تولت المسؤولية الكاملة لاستجلاب المهاجرين ونقلهم وتأمين احتياجات استيطانهم .

وفي حجم المخصصات من ميزانية الدولة ، تحل وزارة الهجرة ثانية بعد وزارة الدفاع ، ويمكن تقدير الاهمية المعلقة على الوزارة الجديدة ونطاق عملها من ميزانيتها السنوية البالغة ٢٠٠ مليون دولار والمخصصة لاستجلاب المستوطنين .

في شباط (فبراير) ١٩٧١ اشارت احدى الصحف

الصهيونية الى ان احد الاهداف الرئيسية للصهيونية اليوم هو تصحيح الوضع الشاذ لليهود في «الشتات» متجاهلة الفرص القائمة التي تعنيها الهجرة الى اسرائيل بالنسبة لاكثرية المستوطنين . ومما لا ريب فيه ان مثل هذه الخطة تروق للرأسماليين اليهود اذ انها تعدهم بارباح طائلة . فارباح الرأسماليين ترتفع كلما ازداد عدد العاطلين عن العمل في سوق العمال ورخصت الطاقة العاملة . وتأثير الخطة على العمال لا يقلق بال اصحابها الصهاينة . فهم اكثر قلقا حول كون اكثر من ١٠ بالمئة من المهاجرين الى اسرائيل سرعان ما يعودون الى البلد الذي جاءوا منه ، وتنشر تل ابيب على مضض احصاءات حول عدد اليهود الذين يغادرون « الفردوس » الصهيوني . فذكريات «حرب الايام الستة» والخطر الماثل ابدا لنزاع مسلح جديد في الشرق الاوسط والمشتقات المتزايدة التي ينبغي على الشعب في اسرائيل ان يمر فيها تؤدي الى زيادة مد الهجرة من « ارض الموعد » . وقد غادر اسرائيل ربع مليون نسمة منذ تأسيسها ، ولا سبيل الى التكهن بعدد الذين يرغبون الان بمغادرتها ولكنهم لا يستطيعون ذلك ، بعدما شعروا انهم حملوا بالاغراء والخداع على الذهاب الى « الوطن القديم » .

فزوال الوهم ينتظر المهاجرين منذ اللحظة التي يصلون فيها الى اسرائيل . اذ يمكنهم ان يروا بأم اعينهم الفجوة الواسعة بين الغنى والفقر . وتحل اعظم المشتقات بالفقراء القادمين من اسيا وافريقيا ، اذ ان المجتمع الاسرائيلي لا يقسم تبعا للطبقات الاجتماعية والمنزلة الناس كملاكين فحسب بل ايضا وفقا للجماعات العرقية ، فالسكان اليهود الفلسطينيو الاصل ، وليسوا عديدين ، يؤلفون الطبقة العليا الممتازة المسماة « الصابرا » . وتحتهم يوجد الاشكينازيون ، وهم مستوطنون من اوروبا والولايات المتحدة . وينقسم الاشكينازيون الى الذين جاءوا من الغرب والذين جاءوا من الشرق ، والاولون مفضلون . ويعامل مواطنو الاتحاد السوفياتي معاملة حذرة بنوع خاص .

يحتل ادنى درجة في هذا السلم الاجتماعي المتعدد الدرجات السيناريديون ، وهم مستوطنون من البلدان الاسيوية والافريقية . ويؤلف السيفارديون الذين يسمون بازدراء « اليهود السود » ، المجموعة الرئيسية من العاطلين عن العمل ، خلافا للمزاعم الديماغوجية الصهيونية عن « الوحدة الوطنية والمساواة » . فهم يعطون ، بعد جميع الاخرين فقط ، اشق الاعمال واقلها اجراء وتخصص لهم مساكن ادنى مستوى ، معظمها في ابنية ضخمة بسيطة مكتظة ، تتقاسم الغرفة الواحدة فيها عائلتان او ثلاث عائلات . ومع ان السيفارديين يؤلفون اكثر من نصف السكان اليهود في اسرائيل ، فان عضويتهم في نقابات العمال الصهيونية هي اقل من واحد بالمئة . ومن اصل ١٢٠ مقعدا في الكنيست ، يحتل « الصبرا » ٣٣ مقعدا ، والاشكينازيون ٧٠ مقعدا ، والسيفارديون ١٧ مقعدا فقط ، ولا يؤلف « اليهود السود » غير ٥ بالمئة من الجسم الطالبي في الجامعات الاسرائيلية . وقد منعت الحاخامية الزواج بين السيفارديين واعضاء الطبقات العرقية الاعلى .

واقسى وضع على الاطلاق يعانيه الغوييم ، اي غير اليهود في اسرائيل . والعنصريون الصهاينة يعتبرون اليهود المولدين غوييم ايضا ، وليس العرب وحدهم . ففي العاشر من اذار (مارس) ١٩٧٠ ، اقر الكنيست قانونا حدد من يمكن اعتباره واحدا من « شعب الله المختار » . وبموجب هذا القانون لا يمكن لغير شخص امه يهودية خالصة النسب تدين باليهودية ان يكون مواطنا مكتمل الشروط في المجتمع الاسرائيلي . وبكلام اخر ، اذا كان احد والدي الام غير يهودي لا يمكن لاولادها ان يتوقعوا الحصول على شرف اعتبارهم يهودا اصيلين . فبحكم سخرية القدر اضحت النظريات النازية البيولوجية والعنصرية ، التي اوحت « بقوانين نورمبرغ » المخزية ، الاساس الذي يقرر المنزلة الاجتماعية في اسرائيل . غير ان هذا الامر منطقي اذ ان كلا من القوانين العنصرية لالمانيا النازية واسرائيل تنبع من نفس الايديولوجيا الامبريالية .

وتمارس السلطات الصهيونية تمييزا شديدا ضد السكان العرب . فعلى العرب ان يحصلوا على اذن خاص من الشرطة اذا ارادوا الذهاب من احد اجزاء البلاد الى جزء آخر . وفي الكثير من المدن والقرى ينبغي حتى على العرب الذين يقيمون هناك بصورة دائمة اثبات وجودهم يوميا في مركز الشرطة المحلية . ويحق للشرطة ان تضع اي عربي تحت المراقبة ، وان تصادر ممتلكاته ، وان تطرده من بيته ، وان تعتقله هو واعضاء عائلته ، وان تحتجزه لمدة محدودة . والعرب

مجردون من الحقوق المدنية الاولية ولا يعطون من الاعمال غير التي يرفض حتى السيفارديون القيام بها او عندما يكون ثمة نقص مؤقت في الايدي العاملة . وتشتمل مثل هذه الاعمال على حفر الآبار وشق الطرقات عبر الصحاري وتجفيف المستنقعات . والامية مصير جميع الاولاد العرب تقريبا .

وتتبع اعمال الانتقام الوحشية ادنى اشتباه بالتعاون مع الفدائيين الفلسطينيين او حتى التعاطف معهم . وبأمر من موشيه دايان يصار الى انزال « العقاب الجماعي » و « العقاب للوجود قرب المكان » بالعرب . ولا ينزل هذا العقاب بالذين يشتبه بانهم ساعدوا الفدائيين او ساعدوا اي شكل اخر من اشكال مقاومة المحتلين فحسب ، بل ينزل ايضا بالذين كانوا يقيمون قرب المكان الذي قام فيه الفدائيون باحدى عملياتهم .

وكثيرا ما تبرز الصحف الصهيونية « مآثر » ذوي « القبعات الخضراء » ، وهم قوة حدود خاصة تعمل في الاراضي المحتلة . وفيما يلي تقرير من صحيفة هآرتس : « أمرت الدورية الجميع بالوقوف مكانهم والاستعداد للتفتيش . بيد ان البعض حاول الفرار بالقفز الى الباص الذي كان يمر بهم . ففتحت الدورية النار على الباص وجرحت خمسة من ركابه » .

يستشهد بهذا التقرير صحافي الماني غربي اسمه ميخائيل غلازر . ويكتب ايضا : « عدة مرات شاهدت انا نفسي رجال الدورية يضربون الفلسطينيين بالهراوات فيما يجري التدقيق بوثائقهم . ومن التسليات المفضلة لدى ذوي القبعات الخضراء ان يعروا النساء من ثيابهن بحجة التثبت من هويتهن وان يستجوبوهن ساعات وهن عاريات . وهذا ما حدث اخيرا بالضبط لجماعة من الممرضات» ويروي غلازر حالات اخرى من المعاملة غير الانسانية التي لقيها عرب على يد السلطات الاسرائيلية . فقد قالت امرأة مسجونة ، هي عبله طه ، لمحاميها بحضور احد مفتشي الشرطة انها وضعت بعد اعتقالها مباشرة في زنزانة مع بعض المومسات الاسرائيليات اللواتي خلعن عنها ثيابها وانهلن عليها بالضرب . وبعد ذلك رمي بها وهي عارية تماما في زنزانة العقاب حيث القى بها ارضا شرطي يدعى دويك واخذ يركلها . وكانت المرأة المسكينة حامل فاصيبت بنزف ، ولكن منعت المعونة الطبية عنها .

وعندما سمح لمؤيد عشان البحش ، وهو طالب عربي ، بمقابلة محاميه كانت ذراعه مصابة بالشلل . وروى له ما يلي : « علقوني بالسقف من ذراعي واخذوا يشدون قدمي . وظلوا يضربونني الى ان غبت عن الوعي . ثم قيدوني بالاغلال وضربوني بالعصي ، وجعلوا التيارات الكهربائية تمر جسدي ، وحرقوا جلدي بالسجائر » . ويبدو واضحا ان الاسرائيليين لم يتركوا ايا من ممارسات مدرسة هتلر الا واستعملوها .

ويحتج الكثيرون من المهاجرين اليهود ، فضلا عن العرب المضطهدين ، على النظام الصهيوني في اسرائيل . وثمة حركة نامية مناهضة للعسكرية الاسرائيلية . وكذلك تزداد قوة الحملة المضادة للاستغلال الرأسمالي والعنصرية ووسائل الادارة الارهابية ، وسيادة اللاشرعية .

ويتزعم الحزب الشيوعي الاسرائيلي الحركة من اجل سلام دائم في الشرق الاوسط ، ومن اجل التحرير الاجتماعي والديموقراطي كذلك تدعو «حركة الاستقلال اليسارية » التي يترأسها النائب في الكنيست جاكوب رفتين الى تنفيذ قرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة وسحب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة . وتنشط عدة منظمات شبيبة اسرائيلية في النضال من اجل السلام وضد السياسة العسكرية التي تنتهجها الحكومة .

وفيما تتدنى مستويات معيشة العمال الاسرائيليين يزداد الصراع الطبقي حدة ، وتتخذ حركة الاضرابات نطاقا متعاظما اكثر فاكثر . وجاء في احصاءات رسمية نشرتها تل ابيب ان ٩٠ اضرابا حدث في الفترة بين كانون الثاني (يناير) وايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، وبلغ عدد المضربين ٣٠ الفا . وفي الفترة نفسها في عام ١٩٧٠ حدث في اسرائيل ١٢٧ اضرابا اشترك فيه ٧٢ الف شخص . وفي ١٩٧٠ بلغ مجموع عدد المضربين ١٢٠ الف شخص . واستمرت حركة الاضرابات تزداد زخما في ١٩٧١ ، وانضم اليها عمال صناعة الورق وموظفو البريد والسكك الحديدية والكهربائيون وعمال ارصفة الموانىء والاطباء وموظفو وطيارو شركات الطيران المدنية وسائقو الباصات وسيارات الاجرة، والعمال في مختلف الصناعات . وقام معلمو المدارس الثانوية باضراب استمر اسبوعا . كذلك قام موظفو الجمارك في ثاني اكبر مرفأ اسرائيلي ، اشدود ، باضراب غايته التهمل في العمل ، مطالبين

باجور اعلى .

وشهدت نهاية ١٩٧٢ موجة جديدة من الاضرابات اشترك فيها الالوف من العمال الصناعيين وموظفي المكاتب الاسرائيليين . وتوقف العمل مرة اخرى في المرافىء . وما لبث ان انضم الى عمال ارصفة الموانىء المضربين عمال من عدة شركات عامة وخاصة ، فضلا عن موظفي المستشفيات الفنيين ، وقالت تقارير وكالات الانباء الاميركية في تل ابيب ان اتصالات الهاتف والتلكس اصيبت بالشلل ، واوقفت شبكات الطاقة عن العمل في بعض المناطق ، وعرقل العمل في مطار اللد عندما اضرب ١٥٠ فنيا وموظفا اداريا في شركة طيران ال عال الاسرائيلية .

وفي اوائل كانون الثاني ١٩٧٣ ارغمت الاضرابات المستمرة الحكومة على ان تدعو الى اجتماع طارىء لجنتها المولجة بتنظيم الاجور والضرائب والاسعار ، التي ارتفعت فيما بعد بنسبة ١٤٪ عام ١٩٧٢ . الا ان الحكومة لم تنشر اي تصريح يظهر نيتها في تحسين حالة العمال او في تلبية مطالب المضربين ، جزئيا على الاقل .

واقلق عدد الاضرابات المتزايد رئيسة الوزراء غولدا مئير فدعت العمال الى انهائها ، بحجة ان البلاد لا تستطيع تلبية مطالباتها بزيادة الاجور وثار سخط رئيسة الوزراء العجوز عندما لم يعبأ احد بندائها وامرت باتخاذ اجراءات عنيفة لقمع الاضرابات ، بما فيها معاقبة المضربين . واقترح وزير الدفاع موشيه دايان ، بدوره معاملة المضربين باقسى طريقة ممكنة ، بما في ذلك السجن .

كما ان الفقر والبطالة وارتفاع كلفة المعيشة والاحياء السكنية الخربة والقذرة والمكتظة بالناس وعدم تيسر التعليم بالنسبة لعدد كبير من ابناء الجيل الجديد هي من العوامل الثابتة في تشجيع الجرائم وادمان المخدرات والبغاء في الارض المقدسة . وشرح ابراهام بولاك ، وهو ضابط سابق في الجيش الاسرائيلي ، لماذا هاجر من اسرائيل فقال : « لقد اسعدني الخروج من ذلك الجحيم » .

وتكاد المخدرات تباع بصورة مكشوفة في اسرائيل على الرغم من القوانين الشديدة التي تنص على سجن الذين يبيعونها حتى ١٠ سنين وتغريمهم ٢٠ الف دولار . وتنمو هذه التجارة المربحة بصورة مطردة محولة الالوف الجديدة من الشبان والشابات الى مدمني مخدرات ومدمرة حياتهم . كما ان البغاء ، وهو ليس ممنوعا في اسرائيل ، يزداد بسرعة .

وخلال الاعوام الخمسة الاخيرة ازداد معدل الجريمة في اسرائيل بنسبة ٣٥٪ . وفي تلك الفترة ازدهر السطو على المنازل بنوع خاص ، مشيرا الى زيادة بنسبة ٢٠٠٪ . ويزداد عدد الاعتداءات المسلحة بسرعة ومن سنة الى سنة . واعرب المدعي العام مئير شمغار عن قلقه لان العنف المسلح اخذ في الازدياد . وبلغت الجرائم في تل ابيب درجة حدت بالسلطات في تشرين الاول (اكتوبر) الى ارسال كتائب خاصة من القوات التي كانت تستخدم لقمع الثورات العربية في قطاع غزة على جناح السرعة الى تل ابيب لمساعدة الشرطة .

ويستمر جنوح الاحداث في اسرائيل بالنمو . ونحو ٢٠ الف حدث تتراوح سنهم بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة لا يدرسون ولا يعملون . ولقسم كبير منهم ارتباطات بعصابات الاجرام .

هذه هي بعض نتائج العسكرية في البلاد ، وسياسة العنف والعدوان التي تنتهجها اسرائيل نحو الدول العربية المجاورة . هذه هي الثمرة المرة للارهاب الممارس في الاراضي العربية المحتلة ، والغارات البربرية على المدن والقرى الامنة في سوريا ولبنان ، وعبادة العنف ، والتخلي عن كل تحفظ في سلوك العسكرية الاسرائيلية .

الصهيونية في خدمة الامبريالية العالمية

مقابل المساعدات الكبيرة والشاملة التي يتلقاها الصهاينة من الولايات المتحدة والبلدان الامبريالية الاخرى ، فانهم يقدمون خدمات مختلفة للاحتكارات الاميركية وغير الاميركية في صراعها ضد حركات التحرير الوطني . ففي البلدان النامية ، مثلا ، نجد ان الصهاينة هم المتعاونون الرئيسيون مع المستعمرين الجدد .

واستقبلت الصحافة الصهيونية خبر الغاء المستعمرات البرتغالية في الاراضي الهندية بهجمات قذف وافتراء ضد الهند ، مع انه ليست لاسرائيل اية مصالح على الاطلاق في ذلك البلد . وكان رد فعل الصهاينة لتصحيح ظلم تاريخي بحق الشعب الهندي مدفوعا برغبة في ارضاء الامبرياليين الذين

« تكبدوا خسارة » . وكان رد فعلهم هو نفسه حينما قررت حكومة اندونيسيا انهاء الوضع الاستعماري لغربي اريان . فقد وجه الصهاينة وابلا من الافتراءات والشتائم الى الحكومة الاندونيسية . وفعلوا ذلك ايضا لا لان مصالح الصهاينة اصيبت بخسارة ، بل لانهم ارادوا ان يظهروا ولاءهم للامبرياليين الاميركيين والبريطانيين والهولنديين .

وفي افريقيا يقوم الصهاينة بنشاطهم كخدم للامبريالية العالمية على نطاق واسع بنوع خاص . وقد اخذت اسرائيل تتغلغل في افريقيا حال تأسيسها . وكانت في كل مناسبة تزدهي بانه لا يوجد لها ما من استعماري يعوقها ، وزعمت ان دوافعها « نزيهة » . وارسل عملاء صهاينة على جناح السرعة الى افريقيا ، مجهزين بخطط المعونة الفنية وبعروض القروض وبوعود تدريب العسكريين والخبراء الاقتصاديين للبلدان الافريقية.

وادركت تل ابيب الاهتمام البالغ الذي تبديه الامم الافريقية بمشكلات التنظيم الاجتماعي ، فاخذت تعرض باصرار مشروعاتها على الدول الافريقية الفتية، مدعية انها الاكثر ملائمة للاوضاع الافريقية. وتستغل اسرائيل الحاجة الملحة لدى الدول الفتية الى الايدي العاملة الماهرة، من اجل تحقيق اهدافها الصهيونية . وفي خطاب امام اجتماع عقدته المنظمات الصهيونية في زيورخ ، قال شن . امير ، وهو مسؤول في وزارة الخارجية الاسرائيلية ، ان ١٣ الف شخص من بلدان العالم الثالث قد تم تعليمهم وتدريبهم في اسرائيل . ونحو ثلثي ذلك العدد كانوا طلبة افريقيين . وفي الوقت ذاته ارسلت اسرائيل ٣٥٠٠ من اخصائييها الى تلك البلدان . وخلال التعليم والتدريب يمرض الاخصائيون الاسرائيليون الطلبة الافريقيين لغسل دماغ معاد للسوفيات وللشيوعية ، بينما يزرع جهاز الاستخبارات الاسرائيلي عملاءه بينهم .

ويجمع عملاء الصهاينة بين نشر خبرتهم «الشينة» في تنمية الدولة والنشاطات التخريبية وبث الافكار الاستعمارية الجديدة بين طلبتهم . وهكذا كان يرأس مزرعة نموذجية تدعى « كوندل » ، قرب نيورت لامي عاصمة جمهورية التشاد « مستشاران » اسرائيليان راحا يكملان عملهما الاداري بمحاضرات حول الشؤون العالمية والتاريخ والجغرافيا ويثنيان فيها على سياسة اسرائيل ورسالة الغرب التمدينية ، ويشددان على حاجة البلدان الافريقية لدعوة الاستثمارات الرأسمالية الاجنبية .

والى جانب القيام باعمال التخريب الايديولوجي في البلدان الافريقية ، كان الصهاينة يقومون بدور الوسطاء للدوائر المالية الدولية ، وفيما هم يعملون نيابة عن اسرائيل « النزيهة » باموال يتلقونها من الامبرياليين ، فانهم لا ينسون مصالحهم التجارية والمالية . وبكلام اخر ، كان الصهاينة يلعبون دور الوسيط في افريقيا لقاء مكافأة مناسبة، ويساعدون دولا كبيرة معينة في تنفيذ سياساتها الاستعمارية الجديدة هناك .

ففي اوغندا ، مثلا ، كانت اسرائيل منهمكة في تشييد طرقات رئيسية حديثة باموال قدمها البنك العالمي للتعمير والانماء . وعن طريق مساعدة الرأسمال الاجنبي بهذه الطريقة يؤمن « المحسنون » الصهاينة في البلدان الافريقية لانفسهم الوصول الى الاسواق الافريقية المربحة جدا .

احدى الطرق الاخرى للتغلغل في الاقتصاد الافريقي كانت اقامة امتيازات وشركات مشتركة مختلفة. ففي ١٩٦٩ كان هناك اكثر من ٤٠ شركة مشتركة في افريقيا بلغت فيها الاستثمارات الرأسمالية الاسرائيلية ٢٠٠ مليون دولار . والى ذلك كان هناك الكثير من الشركات الاسرائيلية في افريقيا ، التي تعمل اما بهذه الصفة او في شكل مشروعات افريقية . ففي اثيوبيا ، مثلا ، هناك نحو ٤٠ مشروعا مسجلا رسميا على انه اثيوبي ولكنه في الواقع اسرائيلي.

ويرسل حكام اسرائيل الصهاينة ضباط مخابراتهم الى البلدان الافريقية فيما هم يقدمون خبراءهم ومستشاريهم مصورينهم على انهم مئاليون همهم الوحيد مساعدة « اخوتهم الصغار » . وهكذا فان جماعة من الخبراء الزراعيين الذين كانوا قد ذهبوا الى توغو غادروا البلد على عجلة في حزيران ١٩٦٧ ، حينما ابتدأ العدوان الاسرائيلي . ولكن عندما انتهت الحرب عادوا واستمروا يعملون كخبراء زراعيين . كما ان « اخصائيا » اسرائيليا اخر ، يحمل رتبة كولونيل ، كان مستشارا لاحدى منظمات الشبيبة في ليبيريا ، اخذ هو ايضا اجازة غياب ليشترك في العمليات العسكرية في شبه جزيرة سيناء . وعندما كان العميل الامبريالي تشومبي يحكم الكونغو ، كان كولونيلا اسرائيليا اخر اسمه بن هشال ، ينتحل صفة منظم لحركات الشبيبة حيث جند العملاء لاسرائيل .

وكان معظم السفراء الاسرائيليين في البلدان الافريقية اما ضباط جيش محترفون او ضباط مخابرات .

ويمكن رؤية الدور الذي كانت اسرائيل تلعبه في افريقيا من الحقائق التالية . وجد الثوار الانغوليون خلال فحصهم لاسلحة اقتنصوها من القوات البرتغالية ان الرشيشات كانت اسرائيلية الصنع . وعلم فيما بعد ان تل ابيب باعت شحنة كبيرة من تلك الاسلحة للبرتغال التي كانت بحاجة اليها لمقاومة حركة التحرير الوطنية في مستعمراتها الافريقية . وفي مرة اخرى ، بعد اشتباك بين قوات الحركة الوطنية لتحرير انغولا واحدى الوحدات البرتغالية ، وجد اربعة جنود اسرائيليين بين القتلى البرتغاليين .

واسرائيل مذنبة ايضا بتقديم الاسلحة والمدربين للمستعمرين البرتغاليين في غينيا والموزامبيق . كما اشرف الاسرائيليون في اسرائيل على تدريبهم لسحق حركات التحرير والاستقلال الوطني .

واقيمت علائق وثيقة من الصداقة والتعاون بين الاسرائيليين والعنصريين الجنوب افريقيين . ورغم الموجة الراهنة من اللاسامية في جمهورية جنوب افريقيا ، تحافظ اسرائيل على اتصالات دبلوماسية واقتصادية وسياسية وثيقة معها . وكانت اسرائيل الدولة الوحيدة التي امتنعت عن انتقاد السياسة العنصرية لجنوب افريقيا في الامم المتحدة .

وفي صيف ١٩٧١ قررت اسرائيل التأكيد للدول الافريقية النامية الفتية انها تبقى صديقة ونصيرة للحرية والمساواة . ومن اجل تلك الغاية قامت اسرائيل بالعمل التالي . فقد اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارا لاعطاء منظمة الوحدة الافريقية هدية مقدارها ٢٨٠٠ دولار ، وهو مبلغ تافه بالنسبة للمنظمة . الا انه اعطى العنصريين الجنوب افريقيين الفرصة للتظاهر بالسخط واتهام اسرائيل بخيانة « المثل المشتركة » . وحسبت اسرائيل ان الشجب الصاخب لعملها من قبل جنوب افريقيا سيرد الاعتبار اليها في نظر البلدان الافريقية الاخرى ويجعلها تمتنع عن توجيه انتقادات علنية لسياسة اسرائيل في الشرق الاوسط . ونظرا لذلك اعرب وزير خارجية اسرائيل انذاك ، ابا ايبان ، عن امله بان الجلسة التالية لمجلس وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية ستمتنع عن اصدار تصاريح مضادة لتل ابيب .

على ان مجلس وزراء خارجية المنظمة وجمعية رؤساء الدول والحكومات الاعضاء فيها لم يذعنا للعدوان الصهيوني وطالبا بانسحاب القوات الاسرائيلية فورا من جميع الاراضي المحتلة . وانذاك سحبت الحكومة الاسرائيلية عرضها المالي لمنظمة الوحدة الافريقية ، وكان « السخط الكاذب » لزعماء جنوب افريقيا غير مجد .

ويقول الكثيرون من الصحافيين الغربيين ان جمهورية جنوب افريقيا تحكمها في الواقع منظمة فاشية سرية ، اسمها « برودربوند » ، تجمع بشكل عجيب بين اللاسامية المسعورة والاحترام العميق للصهيونية . ويبدو ان للصهاينة تاثيرا قويا على لجنة عمل البرودربوند . وعلى اية حال ، فان صحيفة ستار الصادرة في جوهانزبرغ قالت ان البرودربوند سارعت الى تقديم الدعم المعنوي والمادي الكبير الى تل ابيب خلال « حرب الايام الستة » . وبعد التبرع الكبير الذي قدمته البرودربوند الى « صندوق مساعدة اسرائيل » اسس الصهاينة ، اقرارا بالجميل للتفهم الذي اظهر لهم ، جمعية اصدقاء جنوب افريقيا » ، وبذلك اضفوا الصفة الرسمية على الوفاق الذي يربط بين النظامين العنصريين .

ومنذ ذلك الحين والبرودربوند تساعد اسرائيل بثبات وسخاء . وتم تحويل ملايين الرندات والدولارات والجنيهات للحسابات المصرفية الخاصة بالمنظمات الصهيونية ، ولا يعود مثل هذا السخاء الى الصلات الايديولوجية فحسب . فان اعتبارات اخرى ، اكثر عملية ، تلعب دورها كذلك . فاسرائيل في نظر العنصريين الجنوب افريقيين هي حصن « المدنية البيضاء » وحارسها ضد « الخطر الاحمر ــ اسيوي » . والى ذلك فان العدوان الاسرائيلي مفيد جدا لجنوب افريقيا ، اذ انه يعطل عمل قناة السويس ، مما يفتح المجال لمصدر من الارباح الكبيرة غير المتوقعة لرأسماليي جنوب افريقيا . اذ يتوجب على الوف السفن المبحرة عبر المحيطات من اوروبا الى شواطىء الهند او الشرق الاقصى و في الاتجاه المعاكس ــ الى اوروبا ــ انذاك ان تستخدم المرافىء الجنوب افريقية لتملأ مستودعاتها بالوقود وتتمون وتجري الاصلاحات اللازمة . وكل هذا يجعل البورجوازية وحكومتي جنوب افريقيا واسرائيل مهتمة في اطالة نزاع الشرق الاوسط اطول مدة ممكنة .

وفي الايام التي كان فيها العالم المتمدن كله ساخطا على الهجوم العسكري الذي شنته اسرائيل على مطار بيروت الدولي ، اعرب الجنرال مارتن ، رئيس الاركان السابق لدفاع جنوب افريقيا ، عن تضامنه مع الغارة القرصانية واشار الى اوجه الشبه بين الصعوبات التي تواجه اسرائيل وجنوب افريقيا . وفي المقابل ، فان حاييم هرتزوغ ، المدير السابق للاستخبارات العسكرية الاسرائيلية والمعلق العسكري في اذاعة اسرائيل ، لا تفوته فرصة لاطراء جنوب افريقيا والدعوة الى تمتين علاقات الصداقة معها . وبالفعل ، تزداد تلك العلاقات اتساعا وقوة يوما بعد يوم .

وبما ان الكثير من البلدان الافريقية منعت طائرات الخطوط الجوية الجنوب افريقية من الطيران فوق اراضيها ، فقد كان على طائراتها ان تطير فوق المحيط على طول الساحل الغربي لافريقيا . الا ان اسرائيل وجنوب افريقيا وقعتا في ١٩٦٩ على اتفاق للتعاون بين الخطوط الجوية الجنوب افريقية وشركة ال عال، ولفتح خط بلا توقف بين جوهانزبرغ وتل ابيب ، تقطع الى النصف مسافة الطيران بين جنوب افريقيا والشرق الأوسط .

وتهدف التكتيكات الصهيونية لدق الاسافين بين الدول الافريقية وتنظيم انقلابات رجعية وتمهيد الطريق لتسلل الرأسمال الاجنبي الى عرقلة واضعاف حركة التحرير الوطني ، واعاقة نمو الدول الفتية باستخدام اساليب استعمارية جديدة .

غير ان الصهاينة ، في خدمتهم لصالح الدول الامبريالية في العالم ، يظهرون اكبر قدر من الحماسة في نشاطهم المعادي للسوفييت وللشيوعية . وفي هذا يتصرفون على نحو مكشوف بوصفهم قوات الصاعقة المسعورة للامبريالية . وفي الدعاوة التي يوجهونها نحو البلدان الاشتراكية يركزون على زرع التباعد بين اليهود ومواطني القوميات المختلفة، وعلى عزلهم عن الايديولوجيا الشيوعية والمشاركة في البناء الشيوعي .

ويحاول عملاء الصهاينة ان يشربوا شبيبة البلدان الاشتراكية اللامبالاة بالسياسة وانعدام المبادىء والايديولوجيا . ويحاولون ان يحطوا من شأن الماركسية ـ اللينينية وان يشوهوا سمعتها في اعينهم وان يضعفوا ثقتهم بالمستقبل ، ويبحث الصهاينة من اشخاص يهود غير مستقرين معنويا وسياسيا ويحولونهم الى ابواق لدعاوتهم ويزرعون فيهم نفسية ملاكي البورجوازية الصغيرة .

وفي البلدان الرأسمالية يوجه الصهاينة جهودهم نحو تشويه سمعة النظام الاشتراكي ونحو تنفير العمال من الأحزاب الشيوعية والعمالية ، ونحو التحريض على العداوات الوطنية . ولا يتورع الصهاينة عن استخدام اية كذبة ضد الاتحاد السوفياتي ، على امل الحط من شأنه وتقويض الثقة والصداقة اللتين تمنحهما له شعوب العالم ، وتشويه صورة سياسته . ولا يترددون في استخدام اية كذبة او استفزاز او خدعة مهما كانت خسيسة طالما انها تخدم غرضهم .

كانت المشكلة اليهودية المزعومة في الاتحاد السوفييتي احدى الحيل المفضلة لدى الصهاينة لاعوام عديدة . حتى انهم في شباط (فبراير) ، ١٩٧١ ، دعوا الى مؤتمر دولي خاص في بروكسل لبحث « المشكلة » التي اخترعوها انفسهم . فهم يزعمون ان وضع اليهود السوفييت يرثى له ، وانهم يتعرضون للتمييز ، وانه توجد لاسامية رسمية في الاتحاد السوفياتي . ويمرض « المحسنون » الصهاينة على اليهود السوفييت المساعدة والحماية ويطالبون بتلبية رغبة اليهود السوفييت في الذهاب الى (ارض الموعد) في اسرع وقت ممكن ودون تأخير .

ويصار الى نشر تلفيقات افترائية حول وضع اليهود السوفيات في خطب الخطباء الصهاينة ، وفي مقالات لصحافيين ومؤلفين وصانعي دعاوة صهاينة ، وفي مؤتمرات صحافية الخ . واسست منظمات خاصة لانقاذ «اليهود السوفييت المساكين». واحداها « عصبة الدفاع اليهودية » التي اسسها في ١٩٦٨ مئير كاهان ، وهو حاخام نيويورك في الثامنة والثلاثين من عمره وكاتب سابق في الصحف اليهودية والصهيونية . وقد كان كاهان منذ وقت بعيد عضوا نشطا في « التصحيحيين الصهاينة المتحدين » اليمينية في اميركا ، وهي منظمة رجعية متطرفة لها صلات وثيقة بحزب حيروت الاسرائيلي . وكان مئير كاهان ايضا مستشارا لوكالات حكومية اميركية وعمل بانتظام من اجل لجنة النشاطات اللاأميركية . ويرأس شقيقه نيحام كاهان ، وهو ايضا حاخام ، احدى دوائر وزارة الشؤون الدينية باسرائيل .

واكتسبت عصبة الدفاع اليهودية سمعة رديئة جدا في غضون وقت قصير جدا . ويلجأ اعضاء العصبة ، الذين يظهرون عداء مسعورا للشيوعيين والسوفييت ، الى احط الاساليب — بما فيها الاستفزازات والاعمال الارهابية . وبتغاض من السلطات الاميركية يرجمون الوكالات السوفييتية في الولايات المتحدة بالحجارة ويحاولون تمزيق حفلات الممثلين والموسيقيين السوفييت .

وفي الثاني والعشرين من حزيران (يونيو) ، ١٩٧١ ، وهي الذكرى الثلاثون لهجوم المانيا النازية على الاتحاد السوفياتي ، عندما يعرب العالم كله عن احترامه للشعب السوفياتي لانقاذه من الفاشية ، زرع بعض اعضاء عصابة الدفاع اليهودية لغما مؤجل الانفجار عند مدخل البعثة السوفياتية في الامم المتحدة . وكان اللغم موقتا للانفجار عند الظهر لدى وجود عدد كبير من الناس هناك . ولحسن الحظ اكتشف اللغم في الوقت المناسب وابطل مفعوله .

و « لحماية اليهود » نظم مئير كاهان اعضاء العصبة في كتائب مسلحة . وهذه الكتائب مدربة على استخدام المسدسات والبنادق والرشيشات في مخيمات خاصة ، يقوم احدها في جبال كاتسكيل ، على مسافة غير بعيدة عن نيويورك . وتدرب هذه المخيمات ٣٠٠ شخص شهريا . ويشتمل برنامج التدريب على تلقين ايديولوجي مكثف ودروس في الكاراتيه وتعليم في استخدام الأسلحة .

وهناك ايضا قاعات خاصة للتدريب على الرماية في الكثير من المدن الاميركية — حيث يمارس اعضاء العصبة التدريب يوميا . وبالاموال التي قدمها مليونير صهيوني في بروكلين اسمه برنارد دويتش ، اقامت العصبة مدرسة عسكرية وكلية عسكرية لتدريب الارهابيين .

وفي السابع والعشرين من كانون الثاني (يناير) ، قامت العصبة بعمل ارهابي دقيق التخطيط يهدف الى تمزيق العلاقات الثقافية السوفييتية — الاميركية ففي الساعة التاسعة والخمس والاربعين دقيقة صباحا فجر عملاؤها قنبلة في المكتب النيويوركي الخاص بمعهد الحفلات سول هوروك ، الذي ينظم عروض الفنانين السوفياتيين وعرض الافلام السوفياتية في الولايات المتحدة . وقتلت القنبلة فتاة يهودية في السابعة والعشرين تدعى ايريس وسببت الجراح والحروق لثلاثة عشر شخصا اخر . وكان متعهد الحفلات البالغ من العمر ٨٣ سنة ، وهو ايضا يهودي ، بين ضحايا الانفجار ، وادى هذا الحادث الى اثارة السخط العام . واعلن سول هوروك لدى مغادرته المستشفى انه لن يتخلى عن نشاطه كمروج للفن السوفياتي الذي يكن له اعجابا كبيرا .

ان احدى النقاط الخاصة في برنامج عمل عصبة الدفاع اليهودية تسبب المتاعب لليهود السوفيات الذين يذهبون الى الولايات المتحدة للاجتماع باليهود الاميركيين . فالسفارة الأسرائيلية في واشنطن ومنظمة كاهان يقلقهما احتمال اطلاع الرأي العام الاميركي على الحقيقة حول وضع اليهود السوفيات . وتخشيان افتضاح الظفيقات الهائلة التي تنشرانها ، وقد ظهرت احداها في صحيفة اعمال بمدينة كليفلاند . وكانت نداء ، مؤطرا بالسواد كالنعي ، يطالب بوضع حد « لمجزرة اليهود » في الاتحاد السوفياتي .

وعندما ذهب يهودا لئيب لفين ، كبير حاخامي كنيس موسكو ، الى الولايات المتحدة في ١٩٦٨ ، حاول اشقياء كاهان ، بتحريض من جماعة تسمي نفسها « المؤتمر اليهودي الاميركي حول اليهود السوفييت » ، ان يحطموا الاجتماع الذي حضره نحو ٣٠٠٠ شخص جاءوا ليستمعوا الى حاخام موسكو ، فقد راح رجال كاهان يصرخون موجهين التهديدات والاهانات للرجل البالغ من العمر ٧٣ سنة ، وحاولوا ان يطمسوا خطابه بصراخ الهزء المعادي للسوفيات .

واجتمع لفين خلال وجوده في الولايات المتحدة بالسكرتير الاول للسفارة الاسرائيلية هناك . وفي معرض بحث شؤون مختلفة ، سأله الدبلوماسي الاسرائيلي فجأة : « هل هناك لاسامية في الاتحاد السوفياتي ؟ » فطلب حاخام موسكو منه ان يحكم في الامر هو نفسه . وذكره باضطهاد اليهود في روسيا القيصرية ، وبالمذابح اليهودية المنظمة التي ارتكبها اعضاء « المئة السود » ، وبالقانون الذي يحدد الانتساب اليهودي الى المؤسسات التربوية بنسبة معينة . ثم اخبر الدبلوماسي الاسرائيلي من حياة اليهود السوفيات ، آتيا على ذكر اسماء ذات شهرة عالمية في العلوم والثقافة والفن . واخبره عن اليهود الذين منحوا لقبي بطل الاتحاد السوفياتي وبطل العمل الاشتراكي . وفي الختام

سأل الدبلوماسي الاسرائيلي : « ماذا كان حل بهؤلاء القوم لولا ثورة ١٩١٧ ؟ » وصمت الدبلوماسي واجاب لفين عنه : « كانوا تحولوا الى تجار بالتجزئة وتجار خردة وحذائين وخياطين ، فانت تعلم تمام العلم انه لم يكن امام اليهود من خيار كبير » .

وكان يدير اعمال عصبة الدفاع اليهودية اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطن ورئيس الوزراء الحالي ، الذي كان رئيسا للاركان العامة الاسرائيلية ابان « حرب الايام الستة » . وهو سخي في دعم العصبة ماليا ويشجعها على استعمال العلم الاسرائيلي في حملاتها المناهضة للسوفييت .

ولاعضاء العصبة بزات خاصة ، الا ان قمصانهم زرقاء اللون بدل ان تكون سوداء ، ويحمل شريط ذراعهم النجمة السداسية ودرع داود ، بدلا من الصليب المعقوف .

واستنادا الى خبرة عصبة الدفاع اليهودية اقام غلاة الاسرائيليين ومناصروهم الاميركيون شبكة من « فرق عمل » صهيونية في عدد من بلدان اوروبا الغربية . ويستخدمون وسائل للقيام باستفزازات معادية للسوفيات واعمال ارهاب مستعارة من مئير كاهان . مثال ذلك ، فجر الصهاينة الهولنديون في نيسان (ابريل) ١٩٧١ قنبلة عند مدخل بعثة التجارة السوفياتية في امستردام . غير ان الحكومة الهولندية اكتفت في ردها على الحادث باصدار تصريح رسمي .

بعد الحرب العالمية الثانية بوقت قصير اسست في الولايات المتحدة منظمة تدعى « القضية المشتركة » بمبادرة من جون فوستر دالس ، الذي كان انذاك مستشارا سياسيا لطوماس ديوي زعيم الحزب الجمهوري، وجايمس فارلي زعيم الحزب الديمقراطي الذي تعاون تعاونا وثيقا مع دالس . وسارعت الحاخامية والمنظمات الصهيونية للانضمام الى « القضية المشتركة » ، مؤلفة ضمنها قسما يدعى « العصبة اليهودية الاميركية ضد الشيوعية » . وضم ممثلون عن الحاخامية الى « المجلس الديني » التابع للمنظمة ، وبتوجيه منهم شرع الحاخاميون في تأليف شبكة من المخبرين ، جندوهم من بين رعيتهم ، للتجسس على « الاشخاص المشبوه بهم » من اليهود . وكذلك استخدم مخبرون في المدارس الثانوية والجامعات لاكتشاف حملة « الثورة الحمراء » بين الطلبة . وعقبت صحيفة النيويورك تايمز يومها باستحسان قائلة ان هدف القسم اليهودي من « القضية المشتركة » هو اكتشاف النشاط الشيوعي بين اليهود في جميع الحقول . وهكذا فان النموذج الاصلي لعصبة الدفاع اليهودي بني ببادرة ومشاركة من السياسيين الاميركيين الرئيسيين قبل ولادة العصبة بزمن طويل .

كما ان ب.ج. هارفيس ، المبشر الاميركي الشهير وزعيم « الصليبية المسيحية ضد الشيوعية » قام بزيارة الى اسرائيل بحثا عن شركاء لحملته المناهضة للشيوعية والسوفيات واجرى محادثات مع الزعماء الصهاينة . وقالت التقارير الصحافية الغربية ان نحو ٢٠٠ الف رجعي اميركي انضموا الى « صليبيته » المناهضة للسوفيات والشيوعية . وبميزانية سنوية تبلغ نحو مليوني دولار ، تملك منظمة هارفيس مئة محطة اذاعة تعمل يوميا على تنميم عقول المستمعين باذاعات تفتري على البلدان الاشتراكية والاحزاب الشيوعية . ويعمل هارفيس في اتصال وثيق مع جميع الذين يدعون الى « تطهير شامل للحمر » .

ولا تستخدم جميع المنظمات الصهيونية بحال من الاحوال ، خصوصا في الولايات المتحدة ، كلمة « صهيونية » او مشتقاتها في اسمائها . فهي وثيقة الارتباط بافكار العدوان والعنف والعنصرية . ويفضل الكثير من هذه المنظمات حذف تلك الكلمة من اسمائها . ويتجلى هذا في اسماء مثل عصبة الدفاع اليهودي، ولجنة فلسطين الاميركية، ومجلس المنظمات اليهودية ، واللجنة اليهودية الاميركية ، وجمعية النشر اليهودي في اميركا الخ ..الا ان طبيعة هذه المنظمات هي نفسها ، وان اختلفت الاسماء .

ومع ان الاحزاب والجماعات والاتحادات الصهيونية تدرك تمام الادراك ان جميع الشعوب والقوميات في الاتحاد السوفياتي تتمتع بالمساواة التامة ، فهي على اختلاف اوصافها تشن حملات صاخبة تتهم الاتحاد السوفياتي باللاسامية والتمييز ضد اليهود . وفي الوقت ذاته تبذل قصارى جهدها لاخفاء الصفة الطبقية للصهيونية ، وتصويرها كحركة اوروبية شاملة ، والمساواة بين افكار مثل اليهود والصهاينة واليهود واسرائيل .

ويتجاهل الصهاينة — كون ٢٠ بالمئة من السكان اليهود يتمتعون بالتعليم العالي في الاتحاد

السوفياتي ، حيث لا توجد اية قيود وطنية ، ولا يمكن ان تكون ثمة قيود ، وحيث العلم الشامل يعم جميع القوميات . ويزعمون ان اليهود السوفيات محظور عليهم الانضمام الى الانتلجنسيا واحتلال مناصب ادارية عالية في الاقتصاد الوطني ودخول حقل الادب والفن . وتظهر الاحصاءات انه في حين لا يؤلف اليهود غير نحو واحد بالمئة من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي، فهم يشكلون ٣٫٥ بالمئة من جميع الخبراء الاقتصاديين — و ١٤ بالمئة من جميع الاطباء والكتاب و ٢٣ بالمئة من جميع الموسيقيين . ويعتز الشعب السوفياتي بكتاب ذوي شهرة عالمية امثال ايليا اهرنبورغ وناتان ريباك وبائيل انتوكولسكي وصموئيل مرشاك ، وبلامبي الشطرنج ميخائيل بوتفينيك وميخائيل تل وبفسين غيللر ومارك تايمونوف ، وبمازمي الكمان ليونيد كوغان وديفد اويستراخ ، وبراقصة الباليه الباليرينا مايا بليستسكايا والممثلة الينا بيستريسكايا والكوميدي اركادي رايكين والكثيرين غيرهم من اليهود الذائعي الصيت .

يزعم الصهاينة ان الشبان والشابات اليهود في الاتحاد السوفياتي لا يستطيعون الحصول على التعليم العالي . الا ان السكان اليهود ، وفقا للاحصاءات ، يحلون في المرتبة الثانية عشرة من حيث الحجم بين القوميات في الاتحاد السوفياتي. اما في الانتساب للكليات العليا والمدارس الثانوية المتخصصة فيحلون في المرتبة الخامسة من حيث الحجم . وهذه الارقام تدحض الزعم الصهيوني .

وفي معرض تكذيب هذا الادعاء نشرت صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي زو هاديريخ احصاءات تثبت ان نسبة الطلاب الى مجموع السكان اليهود في الاتحاد السوفياتي هي ٣٫٨ بالمئة ، في حين ان النسبة الموازية لها في اسرائيل هي ١٫٢ بالمئة فقط . وكان عنوان المقالة التي وردت فيها هذه الاحصاءات هو « اين هو التمييز ضد اليهود ! »

ويدعي الصهاينة ان الاتحاد السوفياتي ليس وطنا اما لليهود السوفيات بل هو في افضل الحالات « زوجة اب » ، قاسية وظالمة . غير ان شعور اليهود نحو الاتحاد السوفياتي تجلى على اكمل وجه ابان الحرب ضد المانيا النازية عندما قلد ٧٢٢٫١٦٠ منهم اوسمة وميداليات ، في حين تلقى ١١٧ اخر ،على وسام في البلد ، وهو لقب « بطل الاتحاد السوفياتي » . وبلغ عدد اليهود السوفيات الذين قلدوا اوسمة حكومية ، بالاضافة الى العمال في المؤخرة ، ٣٤٠٢٠٠ (من مجموع السكان اليهود البالغ مليوني نسمة) . وارتقى كثيرون من القادة العسكريين اليهود الى الشهرة في الاتحاد السوفياتي . وهؤلاء هم : قائد الجيش من الدرجة الاولى ياكير ، القائد الاعلى السابق لسلاح الجو سموشكيفيتش الذي منح لقب بطل الاتحاد السوفياتي مرتين ، وجنرال الجيش كريزر بطل الاتحاد السوفياتي، والكولونيل جنرال دراغونسكي الذي منح لقب بطل الاتحاد السوفياتي مرتين ، واللوتينانت جنرال فاينروب بطل الاتحاد السوفياتي، والماجور جنرال دوفاتور بطل الاتحاد السوفياتي .

ودحضا للمزاعم الصهيونية حول كون اللاسامية صفة مميزة من صفات النظام السوفياتي ، عمدت صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي لومانيتيه الى تذكير كثيري النسيان في السادس والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٧١ بان اول رئيس للدولة السوفييتية ياكوف سفير دلوف كان يهوديا وبان فيينامين ديمشيتز ، اليهودي ايضا ، هو اليوم نائب لرئيس الوزراء السوفييتي .

وقد اسست منطقة يهودية متمتعة بالحكم الذاتي تدعى بيروبيدجان في الاتحاد السوفياتي لبضعة عقود خلت . وتقع بيروبيدجان على ضفاف نهر الامور في الشرق الاقصى وتبلغ مساحتها ٣٥٫٧٠٠ كلم مربع — ١٢٥ مرة اكبر من مساحة اسرائيل . وفيها صحيفتان — هما بيروبيدجانسكايا زفين الناطقة بالروسية وبيروبيدجانر شتيرن الناطقة باليديش — محطة اذاعة واحدة تذيع يوميا باليديش . وهناك ١٥٠ مدرسة ثانوية ، وسبع مدارس متخصصة واربع مدارس مهنية ، وكل ثالث شخص من سكان بيروبيدجان يدرس — ولا يشمل هذا الرقم الذين يدرسون في الكليات العليا والمؤسسات التربوية الاخرى خارج حدودها .

ويجتهد الصهاينة في نشر الشائعات بان اليهود السوفيات يتوقون للعودة الى « الوطن القديم » ولكنهم ممنوعون منعا باتا من مغادرة الاتحاد السوفياتي . . ففي عام ١٩٦٦ عندما قام رئيس الوزراء السوفياتي أ.ن. كوسيغين بزيارة باريس ، سأله احد الصحافيين ما اذا كان بامكان اليهود السوفيات الذهاب الى اسرائيل . فاجاب رئيس الوزراء كوسيغين ان الحكومة السوفياتية لا تمنع من يرغب في الذهاب الى اسرائيل من الانضمام الى

عائلته . ومنذ تأسيس دولة اسرائيل ذهب الكثير من العائلات اليهودية السوفياتية الى «ارض الموعد» الا انهم لم يجدوا دوما هناك وطنا طيبا كالذي تركوه . وتبقى الأكثرية الساحقة من العائلات اليهودية في الاتحاد السوفياتي مخلصة لبلدها ، ولا تغريها قصص الدعاوة الصهيونية بالذهاب . وهي ترفض بغضب العناية المفرطة وغير المرغوب فيها التي يبديها غولدا مئير ومئير كاهان وبن غوريون .

ويحسن بالصهاينة الا يقتربوا بعنايتهم المفرطة هذه من ابرام بوريسوفيتش سوروكين . فلمدة ٢٨ سنة كان يدير مزرعة جماعية في منطقة دونيتسك . وخلال الحرب قاتل في ستالينغراد . وكان برتبة ملازم كبير يقود سرية رشاشات . ولان سوروكين حقق النجاح الاقتصادي لمزرعته الجماعية منح لقب بطل العمل الاشتراكي . ولا وقت عنده للعناية المفرطة التي يبديها « حماة » اليهود السوفيات ، ولا نية لديه لمغادرة البلد الذي دافع عنه في ساحة المعركة وهو الان احد مواطنيه المحترمين .

كذلك يحسن بالصهاينة الا يقتربوا من زينوفي ايوسيفوفيتش كراسوفيتسكي، رئيس قسم الامراض المعدية في دائرة صحة منطقة سومي ، وهو ملازم سابق في « الحرس » قلد اربعة اوسمة وميداليات عديدة . وخلال الحرب انقذ حياة ١٧٨ ضابطا ورجلا اصيبوا بجراح نخينة باخراجهم من ساحة المعركة . وكان بينهم روس واوكرانيون ومواطنون من روسيا البيضاء ويهود وازبكستانيون . وفي معركة برلين اصيب كراسوفيتسكي بجراح بالغة هو نفسه وانقذه زخر سيمينوفيتش فاسيلينوكو وهو الجراني .

ويجدر « بحماة » اليهود السوفيات الصهاينة الا يعرضوا خدماتهم على اسحق لفوفيتش برونغمان وهو شاعر بروبيدجاني كان ملازما ابان الحرب وقد انقذ حياته صديقه الحميم فاسيلي باراتوف الذي حمى دبابة اسحق بدبابته هو في لحظة حرجة . ويحسن بالصهاينة الا يعرضوا خدماتهم على فلاديمير مويزييفيتش غوبنيك ، الكولونيل المتقاعد الذي كان يقود طائرة هجومية ابان الحرب وهو الان عضو سوفيات نواب العمال لمدينة لفوف — او على الكثيرين غيره ، بل على مئات الالوف من اليهود السوفيات الذين سيرفضون محاولات الصهاينة رفضا باتا .

كذلك يستاء الكثيرون من التقدميين اليهود في الخارج من هجمات الصهاينة المناهضة للاتحاد السوفياتي . فالصحافي والكاتب الذائع الصيت حاييم جيتلوفسكي ، مؤلف عدة اعمال عن تاريخ اليهودية ، يكتب عن الاتحاد السوفياتي باحترام عميق ويستهجن الافتراءات المناهضة للسوفيات . فهو يسأل : « في اي مكان من العالم يعطى اليهود حقوقا كاملة ؟ اية حكومة توفر جميع الفرص لتطورهم القومي التقدمي ؟ اين اعطي اليهود قطرا خاصا ؟ اين تعتبر اللاسامية جريمة رسمية ؟ اين يتمتع اليهود بكل فرصة لتنمية قواهم الروحية والمادية ؟ ما من مكان اخر في العالم يتمتع فيه اليهود بكل ذلك بقدر ما يتمتعون به في الاتحاد السوفياتي » .

قال الكاتب اليهودي الاميركي الشعبي شولوم اش ذات مرة انه يحني رأسه للشعب الروسي العظيم الذي فتح كل تلك الفرص الكبيرة امام اليهود . فان حكمة الحكومة السوفياتية وبعد نظرها وتبصرها ساعدت اليهود على تحرير انفسهم من اغلال العداء والافتراء .

نشرت الصحف اليهودية الديموقراطية في الولايات المتحدة منذ بعض الوقت رسالة مفتوحة من عامل اميركي . وكان كاتب الرسالة منذ اعوام عديدة عضوا نشيطا في البوند الصهيوني وقارئا لصحيفتها، **فوروارتز** . الا ان دراسة للسياسة الداخلية التي تنتهجها الدولة السوفياتية ساعدته على ادراك ان ما قرأه في **فوروارتز** عن كون اليهود محرومين الحقوق المدنية في الاتحاد السوفياتي ليس الا محض كذب وتلفيق .

ويجمع الصهاينة بين الافتراءات الماكرة ضد الاتحاد السوفياتي والهجمات الشرسة على الماركسية — اللينينية واظهروا عداء للافكار الشيوعية منذ البداية . ففي اليوم التالي لثورة اكتوبر في روسيا (٢٦ اكتوبر ١٩١٧) دعت اللجنة المركزية الصهيونية الى اجتماع طارئ، وصف ثورة اكتوبر بانها « جريمة ضد حقوق الشعب » ، واصدر التعليمات الى جميع المنظمات الصهيونية «باسداء المساعدة النشطة لاية هيئة محلية مؤسسة حديثا تدعم سلطة الحكومة المؤقتة » . وطلب الاجتماع من اعضاء المنظمات الصهيونية الانضمام الى « اللجان من اجل انقاذ البلاد والثورة » التي كان يقيمها « الاشتراكيون — الثوريون» والمنشفيك، الذين عارضوا دكتاتورية البروليتاريا . ومطاوعة

لهذه التعليمات قام اعضاء البورجوازية اليهودية بدور نشيط في تمرد مضاد للثورة اعده الطلبة البيسكريون في بتروغراد . وكانت تلك هي اول محاولة جدية للاطاحة بالسلطة السوفياتية .

وفي الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، قالت راسفيت ، الصحيفة الصهيونية الصهيونية الرئيسية في روسيا ، متأسفة : « لقد تبعت روسيا لنين . ونحن لا نريد هذا . والى ذلك ، قاومناه ... » . وصدرت تصريحات كثيرة مماثلة عن الصهاينة في ذلك الحين . وفي الثاني من ايار (مايو) ١٩١٧ تبنت احدى المنظمات الصهيونية النشيطة في روسيا ، في مؤتمر سري ، خطة صراع ضد الشيوعية . فقد وافق المؤتمر على برنامج عمل جاء فيه :

« الاشتراكية عقبة في طريق الصهيونية . ولهذا فان الصهيونية والاشتراكية ليستا متضاربتين فحسب ولكنهما عنصران يلغي احدهما الاخر » .

ومنذ ذلك الحين قام الصهاينة بمهاجمة الشيوعية العلمية تحت اي علم وفي اي شكل وبالتحالف مع معظم العناصر الرجعية . ولعبت الديانة اليهودية دورا كبيرا في حملتهم . فعندما كانت دولة اسرائيل ما تزال في عامها الاول اسس مارتن بوبر ، المنظر التلمودي واحد دعاة ما يسمى الانسانية الدينية ، معهدا خاصا لتدريب موظفين على العمل بين المهاجرين بغرض تعليمهم رفض الماركسية والعودة الى « حضن الدين » .

ويهدد اتباع بوبر العمال اليهود بعقاب صارم من يهوه اذا ما تبنوا الافكار الماركسية ، ويصرون على ان الغاء الملكية الخاصة لأدوات ووسائل الانتاج هو اجراء لا اخلاقي ويؤدي حتما الى الكارثة . ويدعون قائلين : « سيصير الانسان مبذرا اذ لن يكون ثمة معنى للتدريس ولا مصلحة . وسيكون هناك تهافت مجنون على الترف فيما توسع الثروة الطبيعية وقوى الانتاج بلا شفقة ولا رحمة » . ولا يوفر دعاة الصهيونية جهدا في محاولة اثبات ان التقدي على الرأسمال لا اخلاقي وغير جائز . ويعلنون ان الاستياء من الثراء ومقاومة الاستغلال هما خطيئتان كبيرتان ينبغي على اليهودي المتدين تجنبهما في مطلق الاحوال .

ويعتمد الصهاينة الى حد كبير على اثارة المشاعر القومية في البلدان الاشتراكية . فهم يبالغون كثيرا في تقدير مقدراتهم ، ويزعمون ان بامكانهم توجيه ضربات ساحقة الى الاشتراكية في بلدان اوروبا الشرقية . ويقترح اليف شيم ، مراسل صحيفة هآرتس الاسرائيلية في لندن ، في احدى مقالاته خلق « المصاعب » في البلدان الاشتراكية باثارة المشاعر القومية المتطرفة بين السكان اليهود عن طريق وسائل الاعلام الجماهيرية ، وبالدرجة الاولى محطات الراديو والتلفزيون التي يملكها الامبرياليون .

واهداف الصهيونية هي نفسها اهداف اي نوع اخر من انواع القومية البورجوازية ، التي اضحت احد الاسلحة الايديولوجية الرئيسية في ايدي القوى المناهضة للاشتراكية . ويسر الايديولوجيون البورجوازيون كثيرا ، في صراعهم ضد الاشتراكية وضد الحركة الشيوعية ، ان يفيدوا من النزعات القومية ، وبخاصة تلك التي تتخذ شكلا معاديا للسوفيات .

حضر المؤتمر الثامن والعشرون للمنظمة الصهيونية العالمية ، الذي انعقد في القدس في كانون الثاني ١٩٧٢ ، ٥٢٥ موفدا من بلدان كثيرة . وقد عقد بعد اعمال تحضيرية واسعة . وسبقت المؤتمر اجتماعات مثل مؤتمر عالمي للمعابد اليهودية واجتماع للصحافيين اليهود ، ومؤتمر للحاخامين الاميركيين ، وندوة «للخبراء في الشؤون السوفياتية» في جامعة تل ابيب . وكانت جداول اعمال هذه الاجتماعات والمؤتمرات متشابهة الى حد كبير : فقد تضمنت جميعا نفس البرنامج المعتاد للسوفيات والشيوعية الذي تبناه المشاركون ، وقد بحث هؤلاء افضل السبل المتوفرة امام المؤتمر المقبل لتحقيق هذه الاهداف .

وفي جلسة الافتتاح اقترح رئيس دولة اسرائيل زلمان شازار بحث « مشكلة اليهود السوفيات » بوصفها اول نقاط جدول الاعمال . وقد حث على الاقتراح بكثير من الحماسة الموفدون الذين كانوا قد اختيروا بعناية . ويبدو ان الذين كان يتوقع منهم اظهار اية معارضة منعوا ببساطة من حضور المؤتمر . وهكذا فان جماعة من الاميركيين اليهود برئاسة ماندل ، معروفين بموقفهم المستنكر للعنصرية والعدوان ، لم يصلوا الى المؤتمر على الاطلاق : فلدى وصول اعضاء الجماعة الى القدس زج بهم في السجن مع الذين نددوا في اسرائيل بالتوجيه المعادي للسوفيات والشيوعية في المؤتمر .

واستخدمت الشرطة هراوات من مطاط لتفريق التظاهرة الكبيرة المؤلفة من العاطلين عن العمل وضحايا الدعاوة الصهيونية الذين زحفوا على المبنى حيث كان المؤتمر منعقدا لتسلمه عريضة . وبمثل هذه التسهيلات ضمن منظمو المؤتمر انه سيكون حرا في مهاجمة الاتحاد السوفياتي ، بحيث يتحول الى الاجتماع المعادي للسوفيات والشيوعية كما هي العادة .

ويخدم الصهاينة باخلاص مصالح الامبريالية العالمية ، وتدفع لهم اجور سخية على اتعابهم . ويرتكز تحالف الصهيونية والامبريالية ، وهما شريكان يستحق احدهما الاخر ، على تماثل اهدافهما الرجعية .

ويجب ان لا نستخف بالخطر الكامن الذي تشكله الصهيونية على المصالح الطبقية للشعب العامل في العالم . ولا يمكن خفضه الى خطر حروب جديدة تولدها سياسة اسرائيل العدوانية . فليست اسرائيل غير مكان تختبر فيه الصهيونية العالمية قوتها . واسرائيل هي قاعدة عملياتها ليس الا .

والصهيونية قادرة على نشر نفوذها في كل مكان لا تجد فيه اية مقاومة ، او مجرد مقاومة ضعيفة ، وحيثما نسي الناس اهدافها العدوانية واساليبها الدعائية الغادرة ، وحيثما لا يصار الى فضح محاولاتها الرامية الى شق وبلبلة صفوف حركة الطبقة العاملة .

ولا بد من كشف النقاب كاملا عن سياسة الخداع والعنف والافتراء الصهيونية . فشعوب العالم يجب ان تدرك الحقيقة عن الصهيونية .

المبادرات الجماهيريـــة ولجان الاحيـــاء الشعبيـــة خلال الاحداث في لبنـــان

غـازي الخليـلي

خلال الشهور الثمانية الماضية ، اي منذ نيسان الماضي حتى الان ، شهدت الساحة اللبنانية معارك حامية بين القوى الانعزالية والطائفية من جهة ، والقوى الوطنية من الجهة الاخرى ، وقد شملت هذه المعارك معظم المناطق ، واكتوت بنيرانها اوسع الجماهير ، لدرجة انه لم يعد بالامكان وجود موقف محايد لاي طرف او جهة لبنانية ، في الوقت الـذي كان فيه لبنان يشتعل رصاصا وقنابل وقذائف ، وفي الوقت الذي تحولت فيه الاحياء المكتظة بالسكان في معظم المدن اللبنانية الى ساحات قتال . لقـد كان لبنان خلال هذه الشهور الثمانية ساحة حرب فعلا ، فالاحياء في كل مدينة ، وحتى الشوارع في كل حي — احيانا — كانت عبارة عن جزر معزولة عن بعضها بالحواجز ومتاريس المقاتلين ، وخدمات المرافق العامة توقفت توقفا كليا في بعض المناطق او جزئيا في مناطق اخرى ، الاوساخ والقاذورات تراكمت في الشوارع بشكل كان يهدد بانتشـــار الاوبئة . المواد التموينية نفدت من الاسواق ، واصبح هناك شبه مجاعة يخيم على لبنان ، عندما تعذر تأمين رغيف الخبز . عائلات كثيرة تشردت ، اما لان بيوتها تعرضت للهدم والخراب من جـــراء القصف ، او لانها اضطرت للرحيل لان بيوتهـــا تقع في المناطق الفاصلة بين المقاتلين . اضافة الى ذلك فان الكثير من العائلات الفقيرة اصبحت بامس الحاجة الى المساعدة ، بعد ان فقدت مورد رزقهـــا الذي كانت تعتاش منه .

لقد طرح هذا الوضع مجموعة من المهمات على القوى الوطنية ، لا تتعلق فقط بضرورة بذل المزيد من الجهد التعبوي ، لتعبئة الجماهير سياســـيا والارتقاء بوعيها السياسي وقدرتها على مواجهة الاحداث ، ودعم امكانات صمودها في وجه العنف الفاشي ، بل تتعلق ايضا بضرورة ايجاد حلـــول سريعة لمجموعة من المشكلات الجديدة التي طرحت نفسها — وبالحاح — خلال الاحداث . فهل كانت القوى الوطنية بمستوى هذه المهمات ؟ وهـــل استطاعت ان تطور اشكالا جديدة من العمـــل الجماهيري في مواجهة مهمات من هذا النـــوع ؟ والى اي مدى كان تحرك القوى الوطنية — احزاب ومنظمات ومؤسسات اجتماعية — في مواجهـــة مهمات كهذه يسبق او يلتقي مع مبادرات الجماهير ؟

للاجابة على هذه الاسئلة ، قمنا بدراسة على الواقع ، شملت معظم الجهات والمؤسسات التي كان لها دور في هذا المجال في منطقة بيروت وضواحيها . وعلى ضوء الدراسة التي اجريناها، فقد امكن التمييز بين اربعة اشكال من العمـــل في هذا المجال ، وهي :

١ — المبادرات الجماهيرية ، وهي مبادرات ذاتية قامت بها العناصر النشطة من الجماهير في عدد من الاحياء لتأمين بعض الخدمات لسكان هـــذه الاحياء ، وقد تفاوتت هذه المبادرات من حي لاخر ، كما تفاوتت في نوع الخدمات التي قامت بها او اهتمت بها ، وذلك على ضوء طبيعة المشاكل الاكثر الحاحا التي كان يواجهها هذا الحي او ذاك .

٢ — الدور الذي قام به بعض الاحـــزاب والمنظمات الوطنية اللبنانية في هذا المجال .

٣ — الدور الذي قام به بعض المؤسسات او النوادي الاجتماعية اللبنانية .

٤ — الدور الذي قام به بعض مؤسسات الثورة الفلسطينية في هذا المجال ، وهنا ركزنا فقط على دور كل من جمعية الهلال الاحمر الفلسطينـــي ، واتحاد المرأة الفلسطينية . وقبل البحث في هـــذه الاشكال الاربعة من العمل ، ارى انه من المهـــم

لفت الانتباه الى عدد من النقاط وهي :

■ لقد كانت المهمة المركزية للقوى الوطنية خلال الاحداث هي المجابهة العسكرية للقوى الانعزالية والطائفية ، وبالتالي فان هذه المهمة كانت تطغى في كثير من الاحيان على المهمات الاخرى .

■ لم يكن لدى القوى الوطنية — احزاب ومنظمات — تصور واضح عن المدى الزمني لاستمرار الاحداث ، وبالتالي فانها في البداية اي منذ احداث نيسان ، لم تعط اهتماما للمشاكل الاجتماعية والتموينية والصحية التي نجمت عن هذه الاحداث ، واعطت كل جهدها للمواجهة العسكرية ، ولكن امام استمرار الاحداث هذه الفترة الزمنية لطويلة — نسبيا — وامتلاك تصور واضح — الى حد ما — عن احتمالات استمرارها ، وجدت القوى الوطنية نفسها تحت الحاح ضرورة ايجاد حلول للمشاكل الجديدة التي طرحتها الاحداث فتعاطت معها باهمية وبفعالية .

■ ان زخم المبادرات الجماهيرية كان يتصاعد ابان اشتداد المعارك ، ليتراجع عندما تهدأ الاحوال وهذا يدل على ان الجماهير اللبنانية ، كغيرها من الجماهير العربية ، تدفعها الاحداث الساخنة الى المواجهة والعمل ، لتفتر همتها من جديد عندما تفقد الاحداث سخونتها . وهذه الظاهرة تؤكد مدى اهمية التعبئة السياسية المستمرة للجماهير ، وضرورة ايجاد اشكال متطورة من العمل ، تعبىء وتجند طاقات الجماهير وامكاناتها في كل الظروف والاحوال .

المبادرات الجماهيرية : وهي مبادرات ذاتية تقوم بها الجماهير بشكل عفوي ، وبشكل خاص العناصر النشطة منها ، الهدف منها تعبئة سكان حي او منطقة ما لمواجهة بعض المشاكل التي تعرض لها سكان هذا الحي او المنطقة . ومثل هذه المبادرات تقوم عادة بشكل عفوي ولا تضم في البداية اوسع الجماهير في الحي ، بل العناصر النشطة فيه ، وتعتمد اساسا على العمل التطوعي وعلى حث هم الجماهير لمواجهة طارىء ما ، وهذا الطارىء قد يكون قضية اجتماعية او سياسية. وتبدأ المبادرة عادة صغيرة وخجولة وضمن الحي فقط معتمدة على حماس واندفاع القائمين بها تأخذ بالاتساع شيئا فشيئا عندما تجند اوسع الجماهير، وتأخذ مهامها بالاتساع ايضا تدريجيا ، لتنتهي في بعض الاحيان ، لدى امتدادها الى احياء ومناطق اخرى ، الى ارساء تقليد في العمل الجماهيري يتطور مع الزمن الى شكل من اشكال النضال الجماهيري على الصعيدين السياسي والاجتماعي. ان مثل هذه المبادرات لا تظهر عادة الا في ظل الاحداث الساخنة ، وقد تنتهي مثل هذه المبادرات عندما تفقد الاحداث سخونتها ، وقد تستمر بعد ذلك وتتكرس في العمل الوطني كاسلوب من اساليب النضال . ان مثل هذه المبادرات ، بالاضافة الى انها تظهر العبقرية التي تتمتع بها الجماهير في ابتداع اشكال واساليب في النضال والعمل الجماهيري متطورة ومستحدثة ، فانها تظهر ايضا ، الطاقات الكامنة لدى الجماهير ، وكيف انه اذا امكن تنظيم هذه الطاقات وتوجيهها الوجهة الصحيحة ، فانها تعطي نتائج جيدة وكبيرة. ولا يخلو تاريخ اي شعب من الشعوب من هذه المبادرات ، مع التفاوت في دور هذه المبادرات بين شعب واخر على ضوء التجربة النضالية لكل منهما .

وبالنسبة للشعب اللبناني ، فقد ظهرت مثل هذه المبادرات في نضاله الوطني ، وحديثا ظهرت اشكال من هذه المبادرات في مواجهة الاعتداءات الصهيونية على جنوب لبنان ، على شكل لجان شعبية لدعم صمود اهالي الجنوب ، او على شكل لجان لاعمار القرى التي دمرتها الاعتداءات الصهيونية مثل **لجنة اعمار كفرشوبا** ، او على شكل لجان قامت بها بعض العناصر المثقفة بدعم من بعض الاحزاب السياسية لتقديم خدمات صحية لقرى الجنوب ، مثل **النجدة الشعبية** التي قامت بالاساس على فتح مستوصفات شعبية في قرى الجنوب ، ثم طورت عملها لفتح مستوصفات اخرى في عدد من الاحياء اللبنانية في اكثر من مدينة لبنانية .

وخلال الاحداث الاخيرة في لبنان ، برزت العديد من المبادرات الجماهيرية في عدد من الاحياء في بيروت الغربية وضواحيها، وذلك على ضوء اشتداد هجمة القوى الانعزالية والطائفية على الاحياء الوطنية الفقيرة في بيروت . وقامت هذه المبادرات في البداية بشكل عفوي ، من خلال بعض العناصر النشطة في بعض الاحياء والتي كانت في غالبيتها عناصر مثقفة ، واتخذت شكل تشكيل لجنة شعبية لهذا الحي او ذاك ، بهدف تجنيد انشط العناصر في الحي ، للقيام ببعض الخدمات لسكان الحي .

في البداية انصب اهتمام العديد من هذه اللجان على تنظيف الأحياء من القاذورات والأوساخ ، عن طريق تجنيد عدد من شبان وشابات الاحياء لازالة الاوساخ ونقلها الى اماكن بعيدة عن الحي وخالية من السكان ، وكانت هذه اللجان تقوم احيانا بالاتصال بمصلحة التنظيفات لتأمين سيارة لنقل الاوساخ المتراكمة او استئجار بعض السيارات لنقل هذه الاوساخ ، ثم طورت هذه اللجان عملها في مرحلة لاحقة لتأمين الخبز للمواطنين في بيوتهم ، بدلا من الوقوف في تجمعات كبيرة امام الافران ، مما يجعلهم عرضة للقتل الجماعي بفعل قذيفة او صاروخ ، كما جرى في حادثة الفرن في الطريق الجديدة ، حيث ان قذيفة واحدة ادت الى مقتل واصابة اكثر من ٦٠ شخصا كانوا مجتمعين امام احد الافران . كذلك فان بعض هذه اللجان طورت نشاطها الى المجال الصحي فساهمت بشكل جيد في اقامة بعض مراكز الاسعاف المتقدمة في الاحياء التي كانت تتعرض للقصف المستمر . ومن هذه اللجان من قام بجمع التبرعات الشعبية لاعالة العائلات المتضررة ولاعادة بناء البيوت المهدمة مثل لجنة اعمار حي البرجاوي ، التي تشكلت بمبادرة من سكان الحي ، بهدف جمع الاعانات والتبرعات لدعم صمود عائلات حي البرجاوي ولاعادة اعمار العديد من مساكنه التي تهدمت بفعل القصف الشديد .

بالمقابل فان بعض القوى السياسية التقليدية ، حاولت انتهاز الحالة الجماهيرية النشطة ، فاعلنت عن تشكيل لجان شعبية في بعض الاحياء ، مثل لجان التمرد الشعبي في منطقة الشياح — الغبيري وهذه اللجان لا تمت الى الجماهير بصلة ، بل هي عبارة عن تجمع لبعض العائلات الغنية في منطقة الشياح ، وجدت اساسا لتعطيل مهمة اللجان الشعبية التي ظهرت في منطقة الشياح .

لقد كانت الجماهير في مبادراتها اسبق من الاحزاب والمنظمات الوطنية ومتقدمة عليها في هذا المجال ، واتضح لنا ذلك من خلال دراستنا الميدانية لتجربة اكثر من منطقة وبشكل خاص تجربة منطقة الشياح — الغبيري ، التي كانت اسبق من غيرها في هذا المجال .

تجربة الشياح — الغبيري .

يبلغ عدد سكان الشياح — الغبيري اكثر من ١٢٠ الف نسمة معظمهم من الفقراء المعدمين وذوي الدخل المحدود ، ونسبة ليست قليلة من سكان هذه المنطقة قدمت من قرى الجنوب ابان اشتداد الاعتداءات الصهيونية على جنوب لبنان . كانت هذه المنطقة من اكثر المناطق سخونة منذ بداية الاحداث ، وتعرض الكثير من بيوتها للقصف والدمار ولا سيما تلك البيوت التي تقع في الشوارع القريبة من مناطق الاشتباكات . ولذا فان بعض العائلات القاطنة في هذه الشوارع اضطرت الى الرحيل والعودة الى قراها في الجنوب موقتا ، في حين ان البعض الاخر تشرد او اضطر ان يعيش تحت القصف والرصاص ، لانه لم يجد مكانا يلجأ اليه . وحيث ان هذه المنطقة وبشكل خاص الشياح ، كانت مستهدفة ، منذ البداية في هجمة القوى الانعزالية والطائفية التي بدأت في نيسان الماضي ، فقد ظهرت فيها بشكل مبكر العديد من المبادرات الجماهيرية والتي اتخذت اشكالا عدة . فمن ناحية ظهرت في البداية **مبادرات جماهيرية عفوية** في عدد من احياء المنطقة ، قامت بها بعض العناصر المثقفة والطالبية غير المنتمية حزبيا . وتبلورت هذه المبادرات في تشكيل لجان شعبية في عدد من الاحياء قامت بمهمات النظافة وتنظيم توزيع الخبز ، وجمع بعض التبرعات لاعانة بعض العائلات المتضررة كما قامت بنوع من التوعية السياسية بين السكان عن طريق السهرات التي كانت تعقدها في العديد من المنازل . لقد كان دور هذه المبادرات محدودا وضيقا من الناحية العملية ، الا ان هذه المبادرات كان لها الفضل في تنبيه اذهان القوى الوطنية من احزاب ومنظمات الى ضرورة المبادرة بدعم مثل هذه المبادرات وتطويرها ، وبالتالي اعتمادها كشكل من اشكال العمل الجماهيري .

لقد ترافقت هذه المبادرات مع التجربة التي قامت بها لجان انصار الثورة الفلسطينية في المنطقة عندما بادرت الى تشكيل **لجان العمل الشعبي** . لقد كانت تجربة لجان العمل الشعبي مختلفة عن المبادرات الجماهيرية حيث ان هذه اللجان لم تكن اساسا لجانا قاعدية ، بل قامت بالاساس على تشكيل لجنة مركزية تم اختيار عناصرها اختيارا من قبل لجان انصار الثورة الفلسطينية ، على اساس ان تقوم هذه اللجنة بتشكيل لجان فرعية لتنظيم عملية التموين والعناية الصحية واعانة العائلات المتضررة . اضافة الى ذلك فان هذه اللجان قامت على اساس سياسي ، وهو ايجاد اطار تنظيمي — الى حد ما — لتجنيد اوسع

الجماهير اللبنانية في المنطقة لمواجهة هجمة القوى الانعزالية والطائفية . وعلى الرغم من الحماس الذي بدأت فيه هذه اللجان عملها ، حيث كانت تصدر بعض البيانات السياسية ، بين فترة واخرى ، كما اصدرت نشرة باسم « صوت الشياح » — لم يصدر منها الا عددين — كما قامت بتوزيع كميات لا بأس بها من المواد التموينية على العائلات المتضررة ، اضافة الى اقامة مستوصف ومركز اسعاف متقدم ، كان يشرف عليه طبيب واحد ، على الرغم من ذلك ، فان تجربة لجان العمل الشعبي تعثرت ، لانها لم تعتمد اساسا على المبادرة الجماهيرية ، كما ان العناصر التي شكلت اللجان ، اختيرت اختيارا وكان ينقص بعضها الخبرة في العمل الجماهيري ، كما كان بعضها يفتقر الى الحماس والاندفاع في العمل . ان بعض لجان العمل الشعبي لا زال قائما حتى الان في عدد من الاحياء ، وتجري الان محاولة لتقييم التجربة السابقة ومحاولة الاستفادة منها ، لوضع صورة افضل لعمل هذه اللجان مستقبلا .

وفي الفترة الاخيرة ، اي اعتبارا منذ ابتداء الحوادث في منتصف ايلول الماضي ، ظهرت تجربة اخرى في هذه المنطقة ، حيث قام الحزب الشيوعي اللبناني وكذلك منظمة العمل الشيوعي اللبناني بتشكيل العديد من اللجان الشعبية في عدد من احياء المنطقة . واعتمدت هذه التجربة على اساس دعم مبادرات العناصر النشطة في كل حي لتشكيل لجان شعبية في الاحياء التي تقيم بها ، وكان يجري تشكيل هذه اللجان اما من خلال تشكيل لجنة من الانصار الحزبيين في الحي ، او من خلال دعوة اكبر عدد ممكن من سكان الحي الى سهرة سياسية تشترك بها عناصر حزبية حيث يجري التداول بالاوضاع السياسية القائمة ، ثم يجري بعد ذلك اختيار عدد من الاشخاص ليكونوا بمثابة لجنة للحي ، واللجنة عادة تكون من ٥ — ١٠ اشخاص ، وقد شارك بعض النساء في بعض هذه اللجان جنبا الى جنب مع الرجال ، في حين ان بعض الاحياء كان لها لجانها النسائية الخاصة ، وحتى الان ما زالت للحزب الشيوعي لجانه الخاصة التي يشرف عليها بشكل غير مباشر ، كما ان لمنظمة العمل الشيوعي لجانها الخاصة التي تشرف عليها بشكل غير مباشر ايضا ، على الرغم من العلاقات الجيدة بين الحزب والمنظمة .

لقد قامت هذه اللجان بالاعمال نفسها التي تقوم بها لجان الاحياء الشعبية الاخرى ، من توفير بعض المواد التموينية وتوزيعها على العائلات المتضررة ، الى فتح بعض مراكز الاسعاف المتقدمة ، الى القيام بحملات نظافة ، اضافة الى التوعية السياسية للمواطنين ، ثم مؤخرا الاشراف على فتح بعض المدارس في المنطقة ، حيث تم فتح ثلاث مدارس تكميلية حتى الان ، يدرس فيها الطلاب مجانا ، كما يقوم بالتدريس فيها معلمون متطوعون .

التجمع الوطني : ان وجود العديد من اللجان التابعة لاكثر من مركز توجيه ، قد خلق نوعا من الفوضى والارباك في عمل هذه اللجان ، وجعلها تتأثر بالمنافسات الحزبية والعصبيات الحزبية والتنظيمية ، وهذا ما ادى الى وجود اكثر من لجنة واحدة في بعض الاحياء تابعة لهذا المركز او ذاك ، مما خلق تضاربا في العمل ، واثر على حماس الجماهير واندفاعها . وقد شعرت كل القوى السياسية في المنطقة بضرورة توحيد كل اللجان وتوحيد عملها من خلال التجمع الوطني القائم في المنطقة . وهذا التجمع يضم حاليا كل الاحزاب والمنظمات الوطنية المتواجدة في المنطقة اضافة الى بعض الشخصيات الوطنية . لقد قام التجمع الوطني قبل الاحداث كاطار لتجميع القوى والشخصيات الوطنية في المنطقة ، ولم يكن يضم كل القوى الوطنية المتواجدة في المنطقة في البداية. في بداية الاحداث كان دور التجمع غير واضح وغير مبلور ، اضافة الى انه لم يكن مهتما بقضية صمود المنطقة وقضاياها المعيشية ، كان همه الاساسي هو ايجاد جبهة عريضة تضم كل القوى الوطنية ليتم من خلالها طرح القضايا السياسية . ولكن على ضوء استمرار الاحداث هذه الفترة ، وبعد ان اتضحت ابعاد المعركة الدائرة في لبنان ، فان التجمع اخذ يعد نفسه كي يلعب دورا جماهيريا في تنظيم مبادرات الجماهير ودعم صمود المنطقة . وكانت البداية في ذلك دخول كل القوى الوطنية المتواجدة في المنطقة الى التجمع، تلاها تشكيل لجان عدة ، مالية وتموينية وصحية ، تابعة للتجمع للاشراف على هذه النواحي ، ويجري الان الاعداد لاصدار بطاقة تموينية لكل عائلة متضررة او محتاجة لتقديم ما يمكن من المساعدات التموينية لها باستمرار . وفي مرحلة تالية، سيحاول التجمع توحيد كل اللجان الشعبية القائمة والاشراف عليها ، الا ان هذه المحاولة على ما يبدو ستواجه صعوبات عديدة ، والخطأ الكبير الذي قد يقع فيه

التجمع ان يعيد تشكيل هذه اللجان على اساس المنتوبين الحزبيين بحيث ان يكون مندوب لكل حزب او تنظيم في كل او معظم لجان الاحياء القائمة ، مما يعني قتل المبادرات الجماهيرية التي قامت في السابق ، ومما يعني ايضا جعل هذه اللجان ارضا لنمو العصبيات الحزبية والتنظيمية . ان الحل الممكن ، والذي يساعد على دعم وتنظيم المبادرات الجماهيرية التي قامت ، هو حل كل اللجان القائمة ، واعادة تشكيلها على اساس ان ينتخب كل حي بشكل ديموقراطي لجنته الخاصة به ، ثم ينتخب من كل هذه اللجان لجنة مركزية تشرف على كل اللجان الشعبية القائمة ، ويتم ربط التجمع الوطني بهذه اللجان من خلال اللجنة المركزية ، ان مثل هذا الحل سيفرز تجربة اكثر نضجا ووعيا وتنظيما ، ويجعلها قدوة ومثالا للمناطق الاخرى .

اضافة الى ذلك فانه من الخطأ الكبير حصر مهمة هذه اللجان في تقديم الخدمات للجماهير فقط ، دون ان يجري العمل على تطوير هذه اللجان لتصبح اطارا تنظيميا واسعا لتجنيد اوسع الجماهير وتربيتها تربية سياسية ونضالية . ان حصر مهمة هذه اللجان في تقديم الخدمات فقط سيجعل منها مجرد شكل متاخر للجمعيات الخيرية ، وهي بهذه الصفة لا تجند الا عناصر محدودة جدا من الجماهير ، اضافة الى ان حصر مهمتها بهذه الناحية ، سيؤدي الى تنمية النزعات الاتكالية والاعتماد على الاخرين لدى الجماهير ، بدل ان تكون هذه اللجان ارضا لغرس التقاليد الثورية وتنمية روح المبادرة والعمل التطوعي لدى اوسع الجماهير .

النوادي والمؤسسات الاجتماعية .

قامت بعض النوادي والمؤسسات الاجتماعية بنشاطات مختلفة خلال الاحداث ، ولا سيما في مجالات توفير المواد التموينية وتقديم الخدمات الصحية للجماهير ، وكذلك القيام بحملات النظافة في الاحياء المتواجدة فيها ، وقد اعتمدت هذه النوادي على تجنيد اعضائها ، وعلى تجنيد اعداد لا بأس بها من المتطوعين والمتطوعات . وكان من ابرز النوادي التي قامت بهذه النشاطات نادي الضاحية الاجتماعي في الغبيري ونادي الرواد في المزرعة .

نادي الضاحية الاجتماعي : تأسس في العام ١٩٦٨ بمبادرة مجموعة من المواطنين القاطنين في منطقة الغبيري . كانت اهتمامات النادي في البداية رياضية وصحية . فعلى الصعيد الصحي ، افتتح النادي في مقره مستوصفا صحيا لمعالجة المواطنين مجانا ، وكان النادي يعتمد على نحو ١٥ طبيبا متطوعا يداومون في المستوصفات في فترات مختلفة . خلال الاحداث ، وابتداء من احداث نيسان ، قام النادي بالعديد من النشاطات فعلى الصعيد الصحي نسق النادي مع جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، فقام بتجهيز ٢٤ سريرا لاستقبال الجرحى المصابين باصابات خفيفة ، والمصابين الذين يحتاجون الى فترة نقاهة ، كما جهز غرفتين لاجراء العمليات الجراحية البسيطة . كذلك قام بالاشتراك مع الهلال في تنشيط عملية التبرع بالدم ، وفي التطعيم ضد التيفوئيد . كما قام النادي بحملة للنظافة العامة في منطقة الغبيري ، لم تقتصر على ازالة الاوساخ المتراكمة ، بل اشتملت على نشر الوعي باهمية النظافة بين المواطنين كما شملت توزيع سلال في العديد من الاماكن في المنطقة لوضع الاوساخ بها بدلا من القائها على الارض . بالاضافة الى ذلك فقد قام النادي باجراء مسح اجتماعي للعائلات المتضررة في المنطقة ، ووزع كمية من المواد التموينية على هذه العائلات . ومؤخرا افتتح النادي دورة لمحو الامية اشترك بها نحو ٨٠ شخصا من الذكور والاناث ، ويقوم بالتدريس عشرة مدرسين متطوعين .

نادي الرواد : تأسس نادي الرواد في العام ١٩٥٩ ، وكان عبارة عن نزل للشباب على نسق بيوت الشباب المنتشرة في العديد من بلدان العالم . وخلال الاحداث الاخيرة حول النادي نشاطاته لمواجهة الحالة التي نشأت عن هذه الاحداث . فاعتمد على تجنيد اعضائه ، وكذلك على تجنيد عدد من المتطوعين والمتطوعات من سكان المنطقة . فقام بالتعاون مع جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني بافتتاح مركز اسعاف وصيدلية في مقر النادي ، اشرف عليهما ثلاثة من الاطباء ، يعاونهم بعض الممرضات والمسعفين . وساهم النادي في تنشيط عملية التبرع بالدم وحلل مئة الدم لاكثر من ٢٠٠٠ شخص . كذلك فقد جهز في مقره غرفة طوارىء للقيام بالاسعافات الاولية للمصابين . واجرى بالتعاون مع جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني عدة دورات للاسعاف الاولي تخرج منها نحو ١٥٠ مسعفا . اشترك النادي في عملية التلقيح ضد التيفوئيد وضد شلل الاطفال . كما قام النادي بتنظيم عملية توزيع الخبز على بيوت المواطنين خلال الاحداث .

جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني :

قامت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني بدور فعال خلال الاحداث ، وذلك من خلال عدد من العناصر النشطة والاطباء العاملين فيها . فقامت بتوسيع قدرتها على استيعاب الجرحى والمصابين بزيادة عدد الاسرة . فبالاضافة الى مستشفى غزة الذي يتسع لـ ٣٠ سريرا فقط ، ومستشفى تل الزعتر ، تم استخدام احدى قاعات جامعة بيروت العربية كمستشفى حيث جهز بغرفتين للعمليات و بـ ١٠٠ سرير ، وذلك عوضا عن مستشفى القدس الذي اضطرت الجمعية الى اغلاقه لانه يقع في منطقة تسيطر عليها القوى الانعزالية والطائفية ، اما مستشفى حيفا فقد خصص للمصابين الذين يحتاجون لفترة نقاهة .

لقد شمل نشاط جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني خلال الاحداث ، وجوها عدة، فبالاضافة الى استقبال الجرحى الكثيرين واجراء العمليات الجراحية اللازمة لهم ، قامت الجمعية بتنظيم عملية التبرع بالدم ، عن طريق تشكيل بعض اللجان الشعبية في عدد من الاحياء ، وعن طريق التنسيق مع عدد من اللجان الشعبية القائمة في بعض الاحياء ، وكذلك بالتنسيق مع بعض النوادي والمؤسسات الاجتماعية والاتحادات الشعبية . وفي الفترة ما بين ٩/١٨ — ١٢/٢ تم جمع ٨٥٠ وحدة دم ، كما تم تحديد فئات الدم لاكثر من ١٥ الف شخص ، ثم تسجيل اسماء وعناوين عدد كبير منهم للاستعانة بهم وقت الحاجة . كذلك فقد قامت الجمعية بتنظيم عدد من دورات الاسعاف تخرج منها ما يقرب من ٢٠٠ مسعف . كما قامت بدعم مراكز الاسعاف المتقدمة بالادوية والعلاجات وبالممرضات من المتطوعات . واعتمدت الجمعية في نشاطاتها على تجنيد عدد من المتطوعات — ممرضات ومسعفات — واللواتي بلغن نحو ٥٠ متطوعة ، بالاضافة الى النشاط الاساسي الذي كان يقوم به عدد من العناصر النشطة العاملة فيها. لقد استطاعت الجمعية ان تغطي — الى حد ما — النقص الحاصل في الخدمات الصحية في منطقة بيروت الغربية وضواحيها ، وان تنشر وعيا صحيا بين سكان هذه المناطق . ومن النشاطات الاخرى التي قامت بها الجمعية ، حملتها ضد التيفوئيد وضد شلل الاطفال في منطقة بيروت الغربية .

اتحاد المرأة الفلسطينية :

كان اتحاد المرأة الفلسطينية من انشط الاتحادات الفلسطينية خلال الاحداث . وقام الاتحاد بعدد من النشاطات منذ بداية الاحداث في نيسان الماضي ، واعتمد في ذلك على اعضائه وعلى عدد كبير من المتطوعات اللواتي بلغن اكثر من ٢٠٠ متطوعة معظمهن لبنانيات . في البداية اهتم الاتحاد في دعم العائلات المتضررة في تل الزعتر ، فقدم مساعدة تموينية لنحو ١٥٠ عائلة في تل الزعتر ، وتم جمع هذه المواد التموينية من خلال التبرعات التي كان يقوم بها الاتحاد . كذلك قام الاتحاد بتأمين عدد من وجبات الطعام لعدة ايام لافراد الميليشيا في الكمائن القريبة من منطقة الجامعة العربية . ونتيجة لاستمرار الاحداث وتصاعدها ، فقد وسع الاتحاد اطار نشاطاته ، ففرغ اكثر من ٥٠ فتاة للمداومة في المستشفيات للعناية بالجرحى والسهر على راحتهم والاتصال باهاليهم . كذلك قدم للجرحى ما يحتاجونه من البسة وغيارات خلال وجودهم في المستشفيات . بالاضافة الى ذلك فقد قام الاتحاد بتنظيم عدد من دورات الاسعاف للمتطوعات ، الذي جرى توزيع عدد منهن على المستشفيات ومراكز الاسعاف المتقدمة في المناطق التي كانت تتعرض للقصف الشديد . كما تم توزيع العدد الاخر على مراكز اسعاف متنقلة في عدد من المناطق ، وذلك عن طريق وضع فتاة او اكثر في احد المحاور بعد تزويدها بجعبة اسعاف، كي تقوم بالاسعافات الاولية اللازمة للجريح قبل نقله الى المستشفى .

من ناحية اخرى ، فقد قامت اللجان والروابط الفرعية للاتحاد في المخيمات الفلسطينية بتهيئة الملاجىء في المخيمات ، بتنظيفها وتزويدها بوسائل الانارة والحرامات وبقصص الاطفال استعدادا لكل طارىء ، وتم تخصيص فتاتين لكل ملجأ ، كي تقوما بخدمة من يلجأ الى الملجأ اثناء الطوارىء. بالاضافة الى ذلك فقد كان للاتحاد دور جيد في دعم حملة التبرع بالدم ، وهذا يظهر في كون ان ٦٠٪ من المتبرعين بالدم كن من النساء .

مراجعـات

د . عائشة عبـد الرحمـن ، الاسرائيليـات في الغـزو الفكـري ، (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥) .

مرت الكتابات العربية بشأن الوجود الاسرائيلي بثلاث مراحل : **الاولى** : مرحلة التجاهل التـام والتي امتدت منذ بدء هذا الوجود حتى عام ١٩٦٧ ، **الثانية** : مرحلة الاغراق والكثافة للمؤلفات المتعلقة باسرائيل منذ عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ ، وكان معظمها يتأثر بالكتابات الاسرائيلية التي تتناول بالتضخيم والاعجاب **بالتجربة الاسرائيلية الثالثة** : ابتداء من ١٩٧٣ ، حيث بدأت تتسم الكتابات بالاتزان وانتقلت الى تناول الجانب الفلسطيني وليس الاقتصار على التجمع الاسرائيلي .

رغم ذلك فالكتاب الذي نحن بصدده ، يذكرنا بالمرحلة الثانية ، اذ تتحدث الكاتبة في البداية عن « ابتلاء الامة بطاغوت بني اسرائيل » وتتحدث عن الاجتياح اليهودي (ص ٩) ، ثم تلخص مضمون الكتاب في ص ١٣ بقولها « فما تصورت من قبل وانا اوغل في الكشف عن ذرائع الاسرائيليات في الغزو الفكري ان **الشيطان** نفسه يمكن ان يصل الى ذلك **المدى الرهيب** من حيث الشر ومكر الحيلة ، وذكاء الدهاء ، ولا خطر على بالي ان **عصابات اليهود المشردين** .. كانوا وراء **ما نكبت به البشرية** في العصر الحديث من اهوال الحروب وعواصف الفتن والفوضى والالحاد والاغلال ، وانهم ينفذون **مؤامرة رهيبة للسيطرة على العالم كله** .

ويبدو ان الكاتبة ، مدفوعة بحماس ديني حاد ، لم تستطع ، او هي اغفلت التمييز بين اليهودية من جانب والصهيونية من جانب اخر ، واسرائيل من جانب ثالث ، فمنذ البداية ندرك انها تستخدم ايا من المصطلحات الثلاثة للدلالة عليها جميعا ، رغم ثبوت التفرقة بينها ليس فقط لاعتبارات سياسية وتاريخية ومنطقية ولكن ايضا لاعتبارات دينية ، وهي المنطلق الذي يوجه فكر الكاتبة .

ينقسم الكتاب ثلاثة مباحث ومقدمة ومدخل ، تخبرنا في المدخل انها تعتمد على كتاب وليم غاي كار « احجار على رقعة الشطرنج » والذي يتناول بالوثائق الطاغوت اليهودي والمؤامرة الصهيونية على العالم الى حد السيطرة عليه ، وتؤمن معه الكاتبة بان المنظمة الصهيونية لعبت دورا هاما ما بعد الحرب العالمية الاولى الى حد القول بان عصبة الامم ما هي الا فكرة يهودية للسيطرة على عالم ما بعد الحرب . وهي هنا تستخدم اصطلاح « اليهودية العالمية » (ص ٢٢) رغم ان اليهودية ديانة تنفصل من السياسة ، وكما لا يصح الحديث عن « الاسلامية العالمية » او « المسيحية العالمية » ، فكذلك الحال بالنسبة لليهودية ، الا انه من الواضح ان الكاتبة تستخدم هذا الاصطلاح للدلالة على الصهيونية العالمية رغم ما ذكرناه من ضرورة الفصل بينهما ، فما تواجهه ليس اليهودية وانما الفكر الصهيوني ، ومعنى هذا الخلط هو التعصب غير المنطقي ضد احدى ديانات السماء ، والاسلام — الذي هو منطلق الكاتبة — دين تسامح واعتراف باليهودية .

في المبحث الاول : تتناول الاسرائيليات في المجال التاريخي : حيث تعرض ثلاث قضايا للتدليل على المؤامرة الرهيبة للسيطرة على العالم (!) **الاولى** : هي التآمر اليهودي ابتداء من بدء الدعوة الاسلامية ضد الاسلام ، وتدلل على ذلك بان عبدالله بن سبأ ، ذلك اليهودي اليمني ، الذي اسلم ، كان وراء الفتنة الكبرى بين علي بن ابي طالب ومعاوية ، ومن قبل اثارة المسلمين ضد عثمان لانه استولى على الخلافة من علي الوصي بعد النبي ، وعلى الرغم من انني لا ادعي ثقافة دينية ، غير ان المهم هو اعلان الاسلام ، وعبد الله بن سبأ ، في تصوري ، ان كان قد تآمر ،

فقد حدث ذلك ، من واقع انه مسلم وليس لكونه يهوديا ، **والثانية** : هي قصة هرتزل مع عبد الحميد السلطان العثماني ، وتفخر الكاتبة من موقف عبد الحميد من هرتزل ورفضه التسليم لليهود وبدخول فلسطين ، ولكنها تتباكى على سقوط الامبراطورية العثمانية ، وتندب حظها وشماتة العرب لها (ص ٣٢) ، ومن واقع التعصب ترى ان تقسيم تركة الرجل المريض هو اخذ بالثار من سقوط القسطنطينية عاصمة الروم المسيحيين والثار للهزيمة الصليبية (ص ٣٧) ، ولا تدري الكاتبة ان الحملات الصليبية لم تكن مدفوعة باسباب دينية (الحفاظ على المسيحية) ، ولكنها كانت مدفوعة بعوامل اقتصادية مضمونها البحث عن اسواق في المشرق العربي لصناعات اوروبا الناهضة ، فضلا عن البحث عن مصادر للمواد الاولية ، ولقد عاصر تلك الغزوات الكشوف الجغرافية للامريكتين لنفس الاغراض ، ولكن الدين استخدم كأداة لجمع ملوك اوربا وراء تلك الحملات وليس كغاية في ذاته ، وهي ترى ان هرتزل هو عبد الله بن سبأ القرن التاسع عشر . ومن الغريب فعلا ان تنظر الى السلطان عبد الحميد بانه كان الشهيد الاول الذي سقط دفاعا عن فلسطين (ص ٤٨) ، وبالرغم من احترامنا لدور عبد الحميد ، الا انه كان يتحرك من واقع الدفاع عن امبراطوريته الاستعمارية من جانب ، والمناورة مع الدول الاوربية الاخرى لتسديد ديونه ، **والثالثة** : قضية الاستعمار ، هي ترى ان اليهود كانوا وراء احتلال فرنسا للجزائر واحتلال بريطانيا لمصر (ص ٣٩) ومن قبل فتحت البيوت المالية اليهودية ابوابها امام الخديوي اسماعيل حتى اغرقته في الديون ، وكانت رقابة صندوق الدين على المالية المصرية احتلالا اقتصاديا يهوديا محضا ، هكذا تفهم الدكتورة بنت الشاطىء الصراعات الامبريالية المادية ضد الشعوب المتخلفة على انها مؤامرة دينية يهودية ضد المسلمين ، والواقع ان العامل الديني في كل تلك الصراعات لا يلعب دورا يكاد يذكر امام التنافس وتوازن القوى بين الدول الاستعمارية في تلك الفترة خاصة بين انجلترا وفرنسا .

البحث الثاني : تتناول الاسرائيليات في الغزو الثقافي والفكري : تتحدث صناعة حركة الاستشراق وتأثيرها على شعور اجيالنا بالنقص تجاه القيم الاوربية ، والسبب يعود الى الارساليات التبشيرية والبعثات التعليمية الاجنبية التي سيطرت على الكليات الحساسة (الحقوق . الاداب ....) واجهزة الاعلام ، وكافة المجالات الثقافية والعلمية وانتهت تلك المرحلة بسيطرة بني اسرائيل على حياتنا ابتداء من الضفة الشرقية للقناة حتى مشارف الفرات ، وفي تفسيرها لكيفية نفوذ هذا الغزو اليهودي الى حياتنا ، ترى انهم ادخلوا علينا شعارات مضللة ، فقد ادخلوا العروبة محل الاسلام (ص ٦٢) وحينما قوي الشعور القومي العربي ضد محاولات التسلط الاجنبي عمدوا الى اثارة فتنة السلالات القديمة لشعوب وطننا ، وظهر بيننا ازدواج العقيدة ، فهناك المسلم الماركسي ، والمسيحي اللينيني ، والمسلم البهائي ، وهكذا افضت الدروب كلها الى تل ابيب ، (٦٤) ومما لا شك فيه ان فكرة القومية العربية ظهرت كنتيجة للنضالات العربية ابتداء من اواخر القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ومنها حتى اليوم ، ولا تعارض بينها وبين الاسلام ، ولكنها فكرة علمانية ككل قومية ، تضم مسلمين ومسيحيين ويهود وبهائيين ، وغيرهم ، واذا اخذنا بتفسير الدكتورة بنت الشاطىء لاصبنا باحباط وانعدام وزن ولتصورنا ان الصهاينة (او اليهود في مفهومها) يملكون مفتاح الكون ، يديرونه ونقنا لمشيئتهم .

وننتقل لنقطة هامة جدا ، وهي نقطة السامية ، هي ترى ان اليهود ادخلوها علينا خطأ ليثبتوا اننا وهم من اصل واحد هو « سام » وهي ترفض ذلك بشدة ، بل وترفض انتماء اليهود الكنعانيين الى الجزيرة العربية ، لانها تتخر بخصال العرب وتندد بخصائص اليهود ، غير انها حين ترفض انتماء اليهود — معنا — الى سام ، لا تقدم اجابة عن السؤال الرئيسي ، ما هو اصل اليهود اذن ؟ ما هو اصل العرب النادر هذا ؟ وترفض كذلك — دون تدليل — اعتبار اليهود ابناء عمومتنا (ص ٨١) ، والواقع ان ما وقعت يداي عليه من مراجع تاريخية تؤكد وحدة الاصل السامي لكل من قطن الجزيرة العربية وبلاد الشام ، ولماذا نرفض اشتراك اليهود معنا في اصل واحد ، او قرابة ما ، ونحن نسعى — كعرب — وليس كمسلمين ومسيحيين فقط — الى الدعوة الى اقامة الدولة العلمانية في فلسطين محل دولة اسرائيل لتضم — دون تمييز بسبب الجنس او الدين او اللغة او الانتماء الطبقي — الفلسطينيين واليهود معا .

البحث الاخير : الاسرائيليات في الموقع الديني :

مر ذلك بثلاث مراحل : **الاولى** : بث اخبار اليهود ممن تظاهروا بالدخول في الاسلام في عصر البعث اسرائيليات من تراثهم الديني . **الثانية** : ما قام به اليهود المستشرقون من دس بالاسرائيليات الى الفكر العربي . **الثالثة** : ما قام به العرب انفسهم ممن تربوا في مدارس الاستشراق من نقل واقتباس للاسرائيليات الى الفكر العربي .

وهي تتناول باسهاب محاولات بعض المستشرقين تشويه التفسير القرآني مثل « جولد تسهير » الذي نقب بعمق عن اسهامات اليهود وقصصهم في التفسير القرآني وتأثيره على القران ذاته انطلاقا من **مقولتهم الجريئة الفاحشة** : الاسلام كله بضاعة اسرائيلية ، ثم تنتقل الى علاقة حركة البهائيين في عكا وحيفا اثناء الحرب العالمية الاولى باليهود ، فلقد صبا اليهود البهائيين ، مقابل اقرار الاخيرة بان تؤول فلسطين لليهود ، وتحاول رصد العلاقات الخاصة بين الحركتين « الصهيونية والبهائية » خاصة بعد نشأة دولة اسرائيل ، فلقد رأى البهائيون انهم دين جديد لا يمكن ان يترعرع الا في دولة جديدة ، واسرائيل هي تلك الدولة الجديدة .

وتتعرض لما قام به البعض من ترجمة للقرآن — مشوهة — لتقديمها الى المسلمين غير العرب ، وترى انها ترجمات قام بها اليهود ، وترى أن محاولات الدكتور مصطفى محمود تقديم تفسير مصري للقرآن هي محاولات مبتوتة متأثرة بالاسرائيليات .

وترى في الختام ان الفصل بين اليهود واسرائيل والصهيونية خدعة لانها ليست سوى اقنعة لوجه واحد (١٧٤) (٢) ، وتتساءل : متى كانت الصهيونية منفصلة عن اسرائيل واليهود ؟ وكيف جازت علينا خدعة الخلط بين اليهودية والموسوية ؟ فاليهود اسبق في الوجود التاريخي من الديانة الموسوية ، **ومحنة البشرية بهم اقدم من مولد** موسى بقرون . والذي يجب ان ندرك تماما هو التفرقة بين الموسوية دينا ، والصهيونية نحلة وعنصرا ، وتخلص في النهاية : الى انه لم يكن التاريخ الديني والحضاري للانسان يعرف منهم اصحاب شريعة دينية ، ولا كانت الاجيال من شعوب البشرية في مقاومتها للشر اليهودي ..... تنظر فيهم قط الى اهل ملة ودين .

ولعل اخطر ما في الكتاب هو ذلك الاقتباس السابق ، وفيما يتعلق بالفصل بين اليهودية والصهيونية واسرائيل ، نذكر عدة اعتبارات :

أ — المفهوم الأول هو مفهوم ديني ، والثاني مفهوم ايديولوجي سياسي ، اما المفهوم الثالث فهو من قبيل مصطلحات السياسة العملية المتعلق بالدولة الاسرائيلية .

ب — المفهوم الاول : قديم يعود الى بدء ظهور موسى بني اليهود ، المفهوم الثاني لم يظهر الا كحركة سياسية ظهرت في منتصف القرن ١٩ ، وبصفة خاصة في الربع الاخير منه ، وتعود في الواقع الى الثورة الصناعية حيث تحالفت البورجوازية المسيحية مع البورجوازية اليهودية ضد بروليتاريا اليهود الزاحفة الى المدن للعمل — كعمال — في المصانع الضخمة ، والخوف من ان تمد تلك الاخيرة الحركات العمالية الثورية والاحزاب الاشتراكية بمدد بشري اخر ، لذا تم البحث عن وسيلة لابعاد هؤلاء عن اوروبا ، وكان ان ظهرت الفكرة الصهيونية التي نادت بالوطن القومي او الدولة اليهودية (هرتزل) لتضم اليهود العاطلين في اوربا وابعادهم عن النضالات الثورية ضد تلك البرجوازيات ، اما المفهوم الاخير فلم يظهر الا في عام ١٩٤٧ ، بعد قرار تقسيم فلسطين (رقم ١٨١) (٢) في ٢٩ نوفمبر (١٩٤٧) وهكذا يصير من الخطأ — كل الخطأ — بل من الخطر ، ان لم يكن من الجهل استخدام المفاهيم الثلاثة بمعنى واحد وهي — كما يبدو لي في النهاية — ترفض حتى اعتبار اليهود بشرا ، وهذا ما يؤدي بنا الى الاغراق في متاهات اليوتوبيا التي لا مجال لها في ميدان السياسة العملية .

وفي تقييمنا لهذا الكتاب نبدي الملاحظات التالية :

اولا : عنوان الكتاب ينطوي على خطأ تاريخي فاحش ، ما كان يجب ان تقع فيه الدكتورة بنت الشاطىء « الاسرائيليات في الغزو الفكري » وكان يجب ان تختار له عنوانا اخرا مثل « الصهيونية في الغزو الفكري » ولكنها تريد ان تظهر تعصبها الديني الذي اعتقد انه لن يحقق ما تصبو اليه ، ان كانت تريد خدمة قضايا الدين ، وكما رأينا فان اسرائيل — كاصطلاح — لم تستعمله الا منذ نشأة الدولة الاسرائيلية عام ١٩٤٧ .

ثانيا : من حيث المنهج ، يتميز الكتاب

بالتفكك والضعف ، ذلك ان ينطلق من منهج ديني لخدمة قضية سياسية — هي قضية الصراع العربي الاسرائيلي — وكان بودي ان تقتصر الدكتورة بنت الشاطىء على التفسير القرآني والادب الديني ، بدلا من تخطي ذلك الى قضايا قد لا تصيب فيها . واذا قيمنا المنطق الديني للكتاب ، وجدناه اعلانا صارخا بالتعصب — دون سبب يذكر — للدين الاسلامي ، ذلك التعصب الذي دعا مثلا الى اعتبار سقوط الدولة العثمانية مأساة المسلمين في القرن العشرين ، واعتبار سلطانها عبد الحميد اول شهيد من اجل فلسطين ، ثم تجريد اليهود من دينهم « اليهودي » ومن اصلهم « السامي » (؟)

ومن جانب اخر ، فالكتاب يعتبر دعوة الى حرب صليبية جديدة ، ضد اليهود في كافة انحاء العالم رغم ان هناك يهود يؤيدون الحق العربي ، ويهود داخل اسرائيل يؤيدون عودة الفلسطينيين الى وطنهم — وان كانوا لا ينادون بزوال دولة اسرائيل .

ثالثا : الكتاب يدعو الى البحث عن المجهول ، وقد صنعه خيال الدكتورة بنت الشاطىء ، وترك الواقع الملموس ، فلقد طرح الصراع العربي — الصهيوني معطيات نعتمد عليها في حربنا ضد اسرائيل ، معطيات احتلال الارض العربية ، وتشريد سكان فلسطين خارج ارضهم ، تلك معطيات يجب الدفاع من اجل تصحيح مسار التاريخ بشأنها ، اما البحث عن عبدالله بن سبأ ، وسقوط الدولة العثمانية وصندوق الدين المصري واحتلال الجزائر وحملات الاستشراق ، فهو حديث المدفأة لا حديث السياسة ولا حتى حديث الدين « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، انك لن تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء .

رابعا : المضمون الكلي للكتاب يدعو الى التقاعس والاحباط ، فاذا كان اليهود منذ بدء الخليقة متامرون ، ويخططون المؤامرة خطيرة للسيطرة على العالم كله ، واذا كانت الديانات قد تعرضت لمؤامراتهم ، واذا كانت الحروب الصليبية من تخطيطهم ، واذا كانت الصراعات والفتوحات الاستعمارية بوحي منهم ، فماذا بقي لارادة شعوب الأرض من غير اليهود ؟ انها دعوة ليست للمقاومة ، ولكنها للوقوف مكتوفي الايدي، خشية تلك المؤامرة العالمية ، والتحليل الموضوعي للوجود الاسرائيلي وللحركة الصهيونية انما يأتي بفهم ارتباطاتهما بالمصالح الامبريالية العالمية ، سواء في مرحلة تكوين تلك الامبريالية في او اخر القرن التاسع عشر ، ام في مرحلة التوسع والدفاع الامبريالي عن النظام الرأسمالي اليوم ، ليس ضد النفوذ الشيوعي في دول الشرق الاوسط — كما تدعي الولايات المتحدة — ولكن ضد ثورة التحرير في الوطن العربي ، وبصفة خاصة تلك الحركات التقدمية ذات المضمون الاجتماعي والتوجهات الجماهيرية في بعض دول الوطن العربي هذا التحالف الامبريالي الصهيوني لا يتطلب التنقيب في الحفريات الاثرية للبحث عن بصمات الصهيونية ، ولكن يتطلب تقديم العلاجات الثورية للمعطيات الواقعية في الصراع العربي — الصهيوني في فلسطين .

خامسا : ان الاسهام الحقيقي للنخبة المثقفة العربية بشأن الصراع العربي — الصهيوني ، ليس التعلق بجانب واحد — ولو كان الدين — ولكن البحث في مسببات ذلك الصراع في صورتها الشاملة ، تلك المسببات الحضارية والتاريخية في شكلها المادي المتمثل في الصراع بين القيم الثورية ، والمصالح الاستعمارية المنبثقة عن بنية النظم الرأسمالية الغربية وخاصة الامريكية وارتباطها بالدولة الاسرائيلية ، ذلك يفتح الباب الحقيقي امام النضال الفلسطيني والعربي .

عبد المنعم المشاط

كاتبة اميركية يهودية في مصر

Gornick, Vivian, *In Search of Ali Mahmoud—An American Woman in Egypt* (Saturday Review Press/E.P. Dutton & Co., New York, 1973).

فيفيان غورنيك هي كاتبة اميركية في المقد الرابع من عمرها ، تتعرف على شاب مصري يحضر للدكتوراه بالفيزياء في احدى الجامعات الاميركية ، فتفتتن به وتعيش معه ستة اشهر . وهذه التجربة تثير اهتمامها ، ككاتبة ، على اكثر من صعيد واحد : فقد سبق لها ان شاركت في وضع كتاب عن المرأة الاميركية المتحررة * ، ولكنها الان عشيقة رجل قادم من مجتمع شرقي محافظ . وهي يهودية نشأت في كنف اسرة صهيونية الميول ، بينما علي محمود (والاسم مستعار كسائر الاسماء الاخرى بهذا الكتاب) عربي ينتمي الى دولة في حالة حرب مع اسرائيل . وهي امرأة لا تترك انطباعا او احساسا دون ان تبسطه على طاولة التشريح والتحليل ، بينما علي محمود نقيضها تماما في ذلك . وهذا التضارب في المواقف يولد في نفسها الفضول ، كانثى وكمؤلفة ، ويدفعها الى القرار بان تقوم برحلة استكشاف في مصر « بحثا عن علي محمود » . وهي تسجل في مطلع كتابها ردود فعل اهلها ومعارفها على قرارها هذا :

احد اصدقائها المقربين : هل جننت ؟!

رئيس تحرير المجلة التي تعمل فيها : لن يسمحوا لك بدخول بلادهم .

شقيقتها : لو كنت مكانك لراجعت قراري مرة اخرى .

دبلوماسي اوروبي في الامم المتحدة : انهم ستراقبونك اينما ذهبت في مصر ، ولن يفسحوا لك المجال لان تفعلي ما تريدينه .

كاتب ايراني : انها فكرة رائعة .

صديقة فرنسية سبق لها ان اقامت في مصر : ان مشكلتك في مصر لن تكمن في كونك اميركية او يهودية ، وانما في كونك انثى .

واخيرا امها : انك تخونين اليهود !

فيفيان : ارجوك !

فتعود امها لتقول : ان المصريين سيقتلونك .

فتسألها ابنتها : ولكن لماذا يقتلونني ؟

فتجيبها امها : لاننا في حرب معهم يا ابنتي الذكية .

فتقول فيفيان : اني مواطنة اميركية واميركا ليست في حالة حرب مع مصر .

ويكون تعليق امها على ذلك : انك حمقاء !

ولكن ردود الفعل السلبية لا تثبط عزيمة فيفيان وكخطوة اولى في طريقها لتحقيق المشروع ، تدعو علي محمود لزيارتها في بيتها ، بالرغم من اعتراض امها واستنكارها . (عربي في بيتي ؟! مستحيل !) ويزورها علي محمود ويتعرف على امها ، وهذه الاخيرة تضطر الى ابداء الاعجاب به ، مبررة اعجابها هذا بقولها : اني لم ازعم ابدا بان الاشخاص الاستثنائيين غير موجودين بين العرب .

ثم تستقل فيفيان الطائرة وتصل القاهرة في الشهر الثاني من عام ١٩٧١ .

قبل الاستطراد في الحديث عن هذا الكتاب ، علينا اولا ان نصنفه . ولعل افضل طريقة لتصنيفه هي تلك القائمة على النهج التصفوي . ان كتاب فيفيان غورنيك لا يدور حول تاريخ مصر ، ولا يتناول سياستها او اقتصادها او ثقافتها وحضارتها . وهو بالتاكيد ليس جولة سياحية في بلاد النيل ، وانما هو حسب تعريف المؤلفة نفسها محاولة لتحليل شخصية الفرد المصري المنتمي الى الطبقة المتوسطة المتعلمة في المدن ، تلك الفئة التي تقول المؤلفة ان نسبتها لا تتجاوز الواحد بالمائة من مجموع الشعب المصري .

وتندمج فيفيان مع اسرة علي محمود (وكان قد زودها برسائل التقديم الى اهله) وتدخل في علاقات حميمة مع اخواته وعماته وخالاته واعمامه وسائر اقربائه ، وكذلك تعقد العلاقات الغرامية مع رجلين (ليس في نفس الوقت) وهي طوال فترة اقامتها التي امتدت بضعة اشهر ، تدرس وتحلل وتسجل ، ليس من موقع المراقبة المحايد ، وانما من الداخل ، ومن موقع الشخص الذي هو

* Vivian Gornick & Barbara Moran: Woman in Sexist Society.

ايضا يلعب دورا في الاحداث . وهذا النهج في البحث يتيح لها الحصول على انطباعات تخالف تلك التي دونها كتاب غربيون كثيرون كتبوا عن مصر قبلها . انها مثلا لا تستخلص من حالة الفقر المدقع التي يعيش فيها معظم المصريين ، بانهم فريسة الخمول وتبلد الاحساس . بل بالعكس ، فان النشاط الذي تشاهده في شوارع القاهرة وازقتها يذكرها بنيويورك . فالناس هنا لم يستسلموا « للقسمة والنصيب » ، وانما هم في سعي دائم محموم وراء لقمة العيش . وبينما تحدث جون سايكس في كتابه عن مصر * عن جو العنف المستتر الذي يحس به المرء في شوارع القاهرة ، تكتشف فيفيان عن مناخ اللطف والرقة Tenderness الذي يسري في كل مكان بمصر . فهي من البداية تشعر بانها قد تصاب بالارتباك في القاهرة ، ولكن ابدا ليس بالخوف . ولها ايضا ملاحظة طريفة عن التزمير المستمر للسيارات في شوارع القاهرة ، فهي تقول : ان القاهريين يزمرون مثلما يتبادلون التحيات فيما بينهم ، وكأن كل واحد منهم يقول للمارة وسائقي السيارات الاخرين حواليه : مرحبا ازيكم ؟ انا هنا ! وفي المرة الوحيدة التي تسمع فيها نفير سيارة يزأر بهياج وكأنه يشتم الناس حوله ، تخمن فورا بان صاحب الصوت الغاضب ليس مصريا . وفعلا تكتشف بانه اميركي !

الا ان العدسة اللاقطة لهذه المؤلفة المجهزة بحواس دقيقة كالتيفات الرادار ، لا تسجل الايجابيات وحدها . فان احد افراد اسرة علي محمود ينفجر في حملة حاقدة على عبد الناصر : اننا نكرهه .. نكرهه من كل قلوبنا .. كلنا نكرهه . والمتحدث هو رجل كان يمتلك مصنعا انتزع من ملكيته وامم . واخر يقول لها : ان الاشتراكية هي خازوق البشرية وهي الان خازوق مصر . ومع ان المؤلفة لا تدعي الاعجاب بعبد الناصر او بالاشتراكية ، الا انها تنحت بعطف اكبر الى قريب لهذين الرجلين ، يصف لها باسلوب مؤثر المظاهرات الهائلة التي عمت القاهرة اثر استقالة عبد الناصر . ان عطفها ينبعث من احساسها بان هذا المتحدث هو اكثر اخلاصا وصدقا من سابقيه اللذين رسما لها صورة ملونة تعكس حقدهما الشخصي . ان هذا الرجل يحذرها من العائلة التي صادقتهما والذي هو احد افرادها ، فهي لا تمثل روح مصر على حد قوله ، وذلك لحشمها وقلة فائدتها للبلاد وعدم اهتمامها بشيء يتجاوز مصالحها البورجوازية الخاصة . انه يقول لها : **هؤلاء الناس لا يرون ما يجري امام اعينهم ، وهم يكرهون ويخافون الشيء الوحيد الذي بامكانه ان يرفع مصر من القرون الوسطى .**

وتلاحظ المؤلفة افتتان هذه الطبقة بكل ما يتعلق بالغرب ، وخاصة اميركا ، ذلك الافتتان الذي يرافقه نفور شديد من الكتلة الاشتراكية ، اذ دوما تسمع اللوم الموجه الى سياسة اميركا تجاه مصر ، والتحسر على تردي العلاقات بين البلدين . الا انها لا تنجر الى المناقشات السياسية بل تصر على انها لا تفهم في السياسة . وهذا الموقف يرسم بعض علامات التساؤل حول صدق المؤلفة حول هذا الموضوع بالذات . فهي من جهة تبين بكل وضوح شعورها القوي بيهوديتها ، ولا تخفي استياءها عند سماعها لملاحظة جارحة لليهود تصدر من احد معارفها المصريين (واغلبهم لا يعرفون انها يهودية) الا انها لا تسجل موقفها من اسرائيل ، وان كانت قد ذكرت في سياق كتابها بان اهلها صهيونيو الميول . ولعلها تمتنع ذلك الرأي الذي عبر عنه احد اليهود عندما قال ان ارتباطه باسرائيل هو مثل ارتباط الكاثوليك بالفاتيكان . ان المرة الوحيدة التي تتطرق فيها للقضية الفلسطينية هي اثر زيارتها لمخيم للاجئين اثناء زيارة قصيرة تقوم بها لبيروت ، اذ تقول لمرافقها الفلسطيني : لقد سبق ان رأيت ما هو اسوأ من ذلك في الصعيد المصري . (وكتعبير عن نزاهتها في تسجيل جميع معالم الصورة ، فهي تسجل رد مرافقها الذي يقول : ان هذا هو ليس بيت القصيد) .

ما الذي نستخلصه من هذا الكتاب ؟ قد يكون رد فعلنا المبدئي هو مزيج من الجدية والهزل عندما نقول بان افضل مرشح لدراسة شخصية الفرد العربي المتعلم هو كاتبة يهودية ـ اميركية تقوم بقسط كبير من بحثها الميداني في فراش الغرام . فالحقيقة التي لا يمكن نكرانها تشير الى انفتاح الرجل العربي امام المرأة الاجنبية ومصارحته لها باشياء لا يمكن ان يخطر في باله البوح بها لاخيه او لاصدق اصدقائه . وهذه الحقيقة قد اتاحت الفرصة لفيفيان فورنيك ان تكتب كتابا ممتازا عن مصر . فهي فعلا قد رفعت شخصية المصري من المستوى الكاريكاتوري الذي طالما صورته فيه الصحف الغربية ، لتقدمه كرجل من لحم ودم ، ذو ملامح انسانية صادقة . الا ان رحلة الاستكشاف

* Sykes, John: Down into Egypt.

التي قامت بها فيفيان غورنيك في قلب مصر تثير اسئلة تبقى بلا اجوبة ، وهو مـا تقر به المؤلفـة وما يذكره الناشر على غلاف الكتاب ، فالموضوع شديد التعقيد وقلة الاجوبة دليل على اخـلاص هذه المؤلفة النيويوركية التي تكاد تخنق مشاعرها واحاسيسها بالتحليل والاختبار . ان الكثير مما تذكرة هو محرج وقد يظنه البعض مسيئا للسمعة الا انه بالتأكيد ليس مختلقا وليس مجهولا . ولا اظن المؤلفة قد تناولت الموضوع من زاوية التحيز المسبق او الرغبة في الجرح والشتم ، كمعظـم الكتاب الغربيين الذين سبقوهـا ورسموا المواطن العربي في شكل الغول الرهيب ، بل انها تكتسب بعطف وتفهم ، واذا كانت لوحة الفسيفسـاء الواسعة التي صنعت احجارها حجرا حجرا عبـر ٣٤٣ صفحة تحتوي على بعض الجوانب المتآكلة ، فذلك لان هذه اللوحة هي بمثابة المرآة التي نرى نفوسنا فيها بدون رتوش . وهذه القناعـة تدعونا الى ان نطلب من الناشر العربي ان يقدم هذا الكتاب الى قراء العربية ، فبغض النظر عن موقف المؤلفة من الصهيونية ، ونحن لا نعلم عنـه الكثير ، فهي بقدر ما يتعلق الامر بمصر قد الفت كتابا في غاية الاهمية ، ومن مصلحتنا نحن ان نقرأه بتمعن ونضعه قيد المناقشة . ان الفرد العربي يكره النظر في المرآة ، الا اذا كـان واثقا من ان الصورة المنعكسة التي سيراهـا ستكون باهرة الجمال . وطبعا الصورة التـي ترسمها لنا فيفيان غورنيك هي واقعية وبلا مكيـاج ولكنها لا تنتزع منا انسانيتنا . فلننطلق من هـذا المنطلق وننظر الى انفسنا لنقارن بين الواقع ، والصورة التي رسمناها لانفسنا في اذهاننا .

فارس المنصوري

مصطفى كمال ، **الطريق الى جنيف ومخططات الصهيونية**
(دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٧٥) .

لا زلنا نفتقد الى حد كبير في الكتابة العربيـة وجود وتوافر « الكتاب ــ المناسبة » ، اي الكتاب الذي يدور ــ بالبحث والدراسة ــ حول مسألـة محددة ، مثارة في وقت محدد ، وتثير النقـاش الذي يمهد لاتخاذ اجراء او قرار ، او تدعـو الحاجة الى بلورة اتجاهات واتخاذ مواقف ، ازاء هذه المسألة وقد تحددت زمانا ، ومكانا . لا زلنا نفتقد هذا النوع من الكتابة ، رغم ان وطننا العربي شهد ويشهد كثيرا من الاحداث او المناسبات التي استدعت وتستدعي صدور « الكتاب ــ المناسبة » .

وعندما يصدر عندنا كتاب من هذا النوع ، فانه يتصف في اكثر الاحيان ، بقدر غير قليل من السطحية والتسرع ، ويعتمد على تجميع كمية من المعلومات

— قد تكون غير دقيقة — ولصقها ببعضها ، بدون منهج دراسي واضح ، وبدون رؤية فكرية متكاملة .

يكفي ان يشار مثلا الى الفترة التي ارتفع فيها في مصر شعار « كتاب كل ست ساعات » من مجموعة سلاسل وصفت بأنها « السلاسل العشر » كانت من مجموعها وفي اغلبها عنوانا بارزا على تفاهة كتب المناسبات في حياتنا . علما بان الكتاب — المناسبة يكاد يملك منهجه الخاص في البحث والدراسة ، حيث ينقسم هذا النوع من الكتب الى نوعين اساسيين : يقوم الاول بالاساس على عرض وتقديم الظروف والملابسات التي قادت الى « المناسبة » موضع الدراسة ، وكذلك الظروف والملابسات التي تكتنف وقوعها من ناحية ، وتطورها من ناحية اخرى ، هذا بينما يعتمد النوع الثاني من « الكتاب — المناسبة » على تقديم وجهة نظر معينة حول هذه المناسبة ، سواء كانت معارضة للاسلوب المتبع في علاجها او مؤيدة ، او داعية الى اتباع نهج محدد في علاج المناسبة ، والتعامل معها .

ولكن هذا التقسيم ليس نهائيا ، ففي اساليب البحث والدراسة لا توجد فواصل قاطعة بشكل نهائي ، وكلما تعددت طرق التحليل كان ذلك ادعى الى الاقتراب الموضوعي من الظاهرة التي تجري عليها الدراسة . ولذلك ، فان افضل ما يصدر من كتب المناسبات هو ذلك الذي يستطيع الجمع بين الاسلوبين المذكورين في العرض والتحليل ، بحيث تكون « الخلفية » اداة ووسيلة لدعم وجهة النظر التي يتبناها الكاتب ويدعو اليها ، ويدافع عنها بشكل واضح وصريح . وهذا هو المسلك الذي اختاره الاستاذ مصطفى كمال (رئيس القسم الخارجي في جريدة « الجمهورية » القاهرية) في كتابه « الطريق الى جنيف ومخططات الصهيونية » وان كان لم يوازن بين الجزء الخاص بالخلفية والجزء الخاص بالرأي ، اذ طغى الاول على الثاني . ولكن يبدو على الارجح ان ذلك تم بشكل مقصود ومتعمد ، املته ظروف صدور الكتاب ، وموضوعه « الشائك » في مصر حاليا . فقد لجأ الكاتب بشكل بارع وبطريقة ذكية الى ايراد الحقائق والوقائع بشكل موضوعي ، متسلسل ، بحيث خدمت بشكل غير مباشر وجهة النظر التي يريد قولها ، فاذا بها بارزة امام القارىء دون ان يتدخل المؤلف ليعلن صراحة وبشكل فج ومباشرة : هذا رأيي وما عداه خطأ . فذلك من الصعب المجاهرة به الان ، داخل مصر حيث تخفق رايات حرية الصحافة والنشر !

والظروف التي الجأت الكاتب الى هذا الاسلوب، ساعدته دون شك على اصدار كتاب صغير الحجم وعظيم الاهمية في نفس الوقت ، لانه يعبر عن وجهة نظر قطاع هام في مصر ازاء الموقف من الامريكان ، ومن السوفييت ، ومن التسويات المطروحة ، والتي يجري الترويج لها تحت شعار ودعوى ان كل اوراق القضية في يد الامريكان ، او ان الوفاق الدولي هو الذي يملي ذلك ويفرضه ، مع ان « التطورات الجديدة في المناخ الدولي ... تكون في صالح قضيتنا اذا ادركنا انه انفراج دولي لا يمنعنا من حرية النضال ضد الامبريالية ولا يحرمنا من تأييد الاتحاد السوفييتي ، ولا يقيد حركة الاتحاد السوفييتي — وسائر بلدان العالم الاشتراكي — في مساعدتنا بمختلف الاشكال » (ص ٩٢) .

ويمتلىء الكتاب بالكثير من الافكار الجريئة والموضوعية التي تناقض الخط السياسي والفكري والاعلامي السائد الان في مصر . ومن هنا تجب الاشادة بجرأة المؤلف وشجاعته . وحيث ان الاهمية السياسية لهذا الكتاب تفوق كثيرا كثيرا اهميته الفكرية او العلمية ، فليس ثمة ما يدعو الى الوقوف كثيرا حول الهنات والثغرات ونقاط الضعف . الأهم من ذلك ، والاجدر بالبحث بل والثناء هو ابراز « الخط العام » الذي يسير عليه المؤلف ، في الدعوة الى افكار تضاد تماما تلك الافكار التي اتيح لها ان ترفع رأسها مرة اخرى ومن جديد ، بعد ان غلب على الظن يوما انها ووريت التراب من سنين .

ان احدا لا يستطيع ان يناقش الان في وسائل الاعلام والدعاية المصرية — سواء المسموعة او المرئية او المقروءة — يناقش بشكل موضوعي وعلمي حقيقة موقف امريكا ، وحقيقة علاقتها باسرائيل والصهيونية ، واهدافها في الوطن العربي . وهنا، يخرج مصطفى كمال شاهرا سيفه اي كتابه ، وممزقا هذا الحجر ومؤكدا ان امريكا هي العدو الرئيسي . وهو لا يقول ذلك بخطابية ، او بلهجة عنترية ، ولكن يقوله بالوقائع والحقائق والارقام التي يستقيها من المصادر الامريكية نفسها ، ويقوله بالتصريحات والبيانات التي يعلنها المسؤولون

الامريكيون انفسهم ، بحيث يتبين مدى خطأ اولئك الذين لا زالوا يتحدثون عن امكانية تحييد امريكا ، وينتظرون الحل على يدها . ثم لا يتردد الكاتب في اعلان ذلك بشكل مباشر ، بعد ان يقدم كمسل الادلة التي تؤيد وجهة نظره فيقول : « علينا نحن ان نتحرك — سلما او حربا — وعيوننا مفتوحة جيدا على كل ما يجري هناك . فعدونا ليس هو فقط اسرائيل بملايينها الثلاثة ، وانما عدونا ايضا هناك ، على الجانب الاخر من المحيط الاطلسي ، هو الجناح الرجعي المتطرف من المؤسسة الاحتكارية الصهيونية ، بكل ما يملك من نفوذ على اداة الحكم وسائر الاجنحة الاخرى» (ص ٤٦) .

ومع اني اسلفت انه لا حاجة الى الوقوف امام نقاط الضعف ، فان هذه العبارة تكشف نقطة خلافية تستحق الذكر . ذلك ان الكاتب في سبيل تاكيد مدى خصوصية العلاقة بين اسرائيل والصهيونية وامريكا قد اورد كثيرا من الحقائق التي تدل على ذلك ، وهذا امر لا غبار عليه ، بل هو ضروري ، ولكن من الخطأ تصوير ان امريكا كلها « لعبة صهيونية » او انها اي الصهيونية تبسط — على حد تعبير المؤلف — « سيطرتها تماما على الولايات المتحدة وتسخير كل ثروتها وقوتها ووزنها الدولي في سبيل تنفيذ الحلم الصهيوني » (ص ٤٨) بحيث تقع « امريكا في شبكة العنكبوت الصهيوني » (عنوان الفصل الرابع) وبحيث تكون الصهيونية هي الامبريالية كاملة ويكون « الهدف الحقيقي للصهيونية هو بسط سيطرتها على العالم كله » ! !

اعتقد ان المبالغة واضحة ، ذلك ان الصهيونية لا تعدو ان تكون جزءا من الامبريالية ، بل وجزءا ليس قوي الوزن في اطار « الاخطبوط الامبريالي » بحيث تكاد ان تكون احيانا مجرد اداة لتحقيق الاهداف الامبريالية في المنطقة ، وبحيث تكاد تفتقد — اقول تكاد — استقلالها الذاتي في اكثر الاحيان . اما نفوذ الصهيونية داخل الكونجرس ، وفي البيت الابيض ، وفي وزارة الدفاع الامريكية ، فليس الا لعبة « صناعة امريكية » . ولذلك فمن الخطأ تصوير امريكا بكل جبروتها ونفوذها على انها مجرد جزء من « المؤسسة الصهيونية العالمية» هذا خطأ ، وخطأ ايضا قول المؤلف : « انه حتى هذه اللحظة ، فان اي قرار او موقف تتخذه الولايات المتحدة الامريكية على الصعيد الرسمي انما هو في حقيقته وجوهره قرار وموقف المؤسسة الصهيونية العالمية . اي انه قرار يضع في المقام الاول مصلحة اسرائيل ، وفي المقام الثاني مصلحة الدوائر العليا في الاوليجاركية الامريكية المرتبطة تماما براس المال الصهيوني ، وفي المقام الثالث مصلحة الرأسمالية الامريكية ككل » (ص ٧٠) .

بالاضافة الى ذلك ، يؤخذ على المؤلف ميله الى القول بامكانية انهيار اسرائيل من الداخل او بنص كلماته « ان الظروف الذاتية داخل اسرائيل قد اصبحت مهيأة — اي ناضجة — لحدوث الانهيار في اسس الكيان الصهيوني بأكمله » وان كان يرى ان الظروف الذاتية وحدها لا تستطيع ان تحدث هذه العملية التاريخية اذ يجب ان تتوفر معها ظروف موضوعية مناسبة للوصول الى نفس النتيجة . (ص ١٩) ونقطة الخلاف هنا ان اسرائيل لم تعد حتى الان وحتى بعد حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ مهيأة للانهيار من الداخل ، ان تلك عملية معقدة ، وليس هناك جدار ينهار من تلقاء نفسه الا اذا تقوض اساسه تماما ، وليست اسرائيل في هذا الوضع حتى الان .

وعلى اي حال ، فاختلاف الراي لا يفسد للود قضية ، كما انه لا يقلل من شجاعة هذا الكتاب ، وجرأة مؤلفه الذي يضع فوق كل حرف نقطة بارزة واضحة ويتساءل ماذا تريد امريكا ؟ ويجيب تريد اخراجنا من حالة الثورة الى حالة اللاثورة (ص ٩٧) ثم يتساءل هل نحن مستعدون لدفع هذا الثمن ولا يتردد في ان يجيب « اننا لا نستطيع ان ندفع الثمن الذي يطلبونه ، حتى لو حاولنا فلن نستطيع . فان هناك قوى اجتماعية في بلادنا اصبح لها من الوزن ومن القوة ما تستطيع به ان تسقط هذه المحاولة وهي بعد في دور التمهيد » .

وفي النهاية يبلور مصطفى كمال رأيه في عبارة مقتضبة « ان البديل الوحيد لنجاح مؤتمر جنيف هو حرب خامسة وعلى هذا الاساس يجب ان نعد انفسنا » فاذا وضعنا في الاعتبار ان الكتاب كله مكتوب ومصاغ بشكل يوحي ان الاسلوب المتبع في معالجة القضية لا بد ان يقود الى فشل مؤتمر جنيف ، ادركنا ان المؤلف ينبه الى ضرورة الاستعداد لحرب خامسة « حتى لا نخون فلسطين» وهي العبارة الاخيرة في الكتاب .

عبد العال الباقوري

نزيه قوره ، تعليم الفلسطينيين ــ الواقع والمشكلات
(بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، نيسان ١٩٧٥)

[أ]

قبل انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة ، امتلأت المكتبة العربية والمكتبة الاجنبية بالعديد من الكتب التي تناولت القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها ، بالتوثيق والتمحيص والبحث والتحليل حتى اتخمت . ولكن ، مع تنامي قوى الثورة وامتداد فعاليتها ، ازداد الاهتمام بالفلسطينيين انفسهم ، بعد ان كانت قد اهملتهم الدراسات السابقة طيلة الفترة الماضية كأنهم غير موجودين . فثارت حولهم اسئلة عديدة بقيت حائرة بلا اجابات واضحة موثقة فترة طويلة ، الى ان صمم البعض (ممن لم يستكن للذة الاغفاء والاسترخاء تحت ظلال الشكوى ، بانتظار ما سيأتي في ظل الظروف الصعبة القائمة) على حمل مسؤولية البحث والاستقصاء والجمع واجراء التجارب والدراسات الحقلية والابحاث المعمقة والشاملة ، يقوم بها اختصاصيون ومؤسسات جادة ، تحدد المشكلات القائمة وتحلل الواقع وتولد الحلول .

ولقد كان مركز الابحاث الفلسطيني من اوائل الذين وعوا خطورة هذه المشكلة بابعادها الراهنة والمستقبلية . فغرز من بين باحثيه مجموعة شكلت قسما خاصا يتعاطى كافة شؤون الشعب الفلسطيني بالتوثيق والدرس والتحليل . فوفر المركز من خلال عدد من الدراسات التي تم نشرها مادة مكثفة شملت بعض جوانب حياة الفلسطينيين من زوايا مختلفة ، ساهمت في التخفيف الى حد ما من حدة الاسئلة المثارة .

وكتاب (تعليم الفلسطينيين ــ الواقع والمشكلات) لنزيه قوره هو مساهمة جديدة من مركز الابحاث في توسيع رقعة الضوء التي يقف عليها الفلسطينيون الان . ففي خضم صراع المصالح الناشب والمحتدم ، بين العرب من جهة وبين الحركة الصهيونية والامبريالية من جهة اخرى ، والذي يتخذ ابعادا حضارية مستقبلية مصيرية ، يصبح من الطبيعي والمؤكد ان يكون التعليم جانبا من اهم جوانب حياة امتنا الجديرة بالدرس والتحليل في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الصراع . اذ المعروف ، ان التعليم في النهاية هو عملية صناعة المستقبل ، بعد مواجهة تحديات الحاضر ، وعلى رأسها بلا شك التحدي الكبير ، الممثل بالامبريالية والصهيونية .

وبالتأكيد ، فان الباحث الجاد الذي يهتم بوصف او تحليل المشاكل التي واجهها الفلسطينيون في عملية تعليمهم ، سيواجه بعدد كبير من الصعوبات المعقدة ، اولها قلة المعلومات المدونة والموثقة في هذا الموضوع الهام ، بعد ان فقدوا مؤسساتهم الاجتماعية والاقتصادية وسلطتهم السياسية منذ عام ١٩٤٨ ، لا تزيد عن بعض النتف الصغيرة الموزعة هنا وهناك ، والتي لا تشكل في مجموعها مرجعا متكاملا صالحا ، لفهم ابعاد مشاكل تعليم الفلسطينيين وتمكن من استخلاص نتائج علمية حول شخصيتهم في الداخل والخارج ، بينما تتوفر المواد والدراسات بغزارة حول مشاكل التعليم العربي وتطوره .

والدراسة التي بين ايدينا تعتبر (على الرغم من بعض الهنات فيها) عملا رائدا في هذا المجال ، يعكس جهدا كبيرا ومشكورا ، ويمثل نقطة انطلاق صحيحة ضرورية في الاتجاه الصحيح ، لرسم استراتيجية وتخطيط سليمين لتطوير تعليم الفلسطينيين . فهي بعرضها شبه الشامل الواقع لتعليم الفلسطينيين ومشكلاته ، اعتمادا على المعلومات والاحصاءات المتوافرة حاليا ، والتي تسمح بصياغة بعض الفرضيات والمؤشرات الهامة ، توفر للقيادة السياسية الفلسطينية معطيات افضل لرسم استراتيجية تعليمية ، تستجيب استجابة بناءة وديناميكية لمتطلبات الثورة النضالية مرحليا ومستقبليا ، وللحاجات المتغيرة للافراد والجماعات وكل هذا في اطار تتوافق من خلاله مع قومية العمل التربوي ، خاصة وان التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للاقطار المربية التي استوطنوها بعد اقتلاعهم من فلسطين .

والكتاب في حقيقته جهد جيد ، يقع في ١٦٦ صفحة من القطع الصغير موزع على مدخل وخمسة فصول وثبت بالمراجع .

يبين الكاتب في المدخل الذي اعده للكتاب ، الظروف القاسية التي عاشها الشعب الفلسطيني بعد سنة ١٩٤٨ ، والتي افقدت التعليم طابعه الاجتماعي ، واكسبت مسألة التعليم بعدا وطنيا هاما قلما نرى له مثيلا في اى بلد اخر .

ويحدد الكاتب اهداف هذه الدراسة في « القاء الضوء على الدور الذي لعبه التعليم في حياة الفلسطينيين ، وحجم التعليم ومضمونه ، والمشكلات التي تعترض الفلسطينيين في سعيهم لاحراز مستوى علمي يساهم في حل قضاياهم ، والمشكلات الناتجة عن طبيعة تركيب الاجهزة التي تشرف على تعليمهم وعن مضمون هذا التعليم » .

ويختتم السيد قوره هذا المدخل بتعداد العقبات التي اعترضته عند تصديه لمعالجة هذه المواضيع ، والتي تبرز في الحقيقة عند كل دراسة جادة تتصل بحياة الشعب الفلسطيني . واهم هذه الصعوبات على الاطلاق ، هو بلا شك غياب المعطيات الاحصائية الشاملة والدقيقة والموثوقة لمختلف جوانب حياة الفلسطينيين .

بعد تلك المقدمة ، يمهد الكاتب لدخوله الى صلب دراسته ، بشرح واف لأوضاع الفلسطينيين التي افرزتها النكبة عام ١٩٤٨ . فيبين التوزيع الديمغرافي للفلسطينيين في منافيهم التي القوا فيها قبرا بعد ان حطمت سلطتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية والاقتصادية . ويذكر السيد قوره أن الصهيونية والاستعمار لم يكتفيا باقتلاع الفلسطينيين من وطنهم . بل عملا يلؤم على اعادة تشتيت الفلسطينيين بعيدا عن حدود بلادهم بطرق عدة ملتوية مباشرة وغير مباشرة سموها بعملية « التهجير الاقتصادي » بعد ان فشلت مشاريع التوطين المتعددة بعيدا عن حدود فلسطين ، لاستيعاب الفلسطينيين كمشروعي وادي الاردن وسيناء وغيرهما من المشاريع .

ولقد لعبت وكالة الغوث الدولية (الاونروا) عبر استخدام التعليم دورا بارزا في ذلك بالتعاون مع جهات عدة يهمها ضخ الشعب الفلسطيني بعيدا عن الارض الفلسطينية . يدل على ذلك ويؤكده الكتابات العلنية والسرية المعبرة عن سياسة الاونروا في هذا المجال ، الى جانب « ان ما انفق على التعليم في السنوات الاولى يدل على مدى الاهتمام الذي كانت توليه الوكالة والجهات الممولة لها للتعليم » .

وفي الفصل الثاني من هذه الدراسة يتناول الكاتب بالبحث والتحليل تطور التعليم الفلسطيني بعد النكبة مقدما لذلك بعرض سريع للوضع التعليمي عند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين ، يبين فيه ان مجموع نسبة طلبة المدارس الحكومية وغير الحكومية كانت قد بلغت ١١ر٣ ٪ من مجموع السكان في فلسطين . وهذه النسبة تفوق النسب المقابلة لها في معظم الدول العربية . ويعود ارتفاع هذه النسبة الى التحديات التي كان يفرضها الوجود الصهيوني على اهل البلاد ، بالاضافة الى الازدهار النسبي الذي شهدته فلسطين خلال سني الحرب العالمية الثانية » .

وبالتأكيد فان السياسة التعليمية التي اختطتها سلطات الانتداب البريطاني لتطوير التعليم في فلسطين كانت فقط من اجل سد احتياجات ادارته الحكومية وخدمة لاغراضه الاستعمارية .

منذ البدايات الاولى للنكبة نجد ان تعليم الفلسطينيين قد خضع لاشراف هيئات عديدة سواء على صعيد المناهج او التحويل او الادارة او التفتيش . وهذا التعدد والتباين بالاضافة الى عوامل اخرى عديدة ساهما في خلق « شخصية فلسطينية جديدة لا تملك من الخصائص المشتركة غير ما هو مرتبط بالعامل السياسي الذي يتجسد في الطموح لتحرير الوطن » . ويحذر السيد قورة اثناء عرض لاعداد الطلاب الفلسطينيين من خطورة الانبهار بالارقام المجردة التي قد تؤدي الى استنتاجات خاطئة اذا لم توضع ضمن اطارها وسياقها الصحيح . « فمردود الاستثمار في مجال التعليم لا يعاد استثماره في التجمعات الفلسطينية » .

لقد كان الفشل في الوصول الى حل يضمن عودة الفلسطينيين الى وطنهم والخشية من الخطر الناجم عن ازدياد سخط الفلسطينيين مع الايام ، على أمن المنطقة وعلى الانظمة التي خلقتها الامبريالية فيها ، هو الدافع الكامن وراء التوجه الى تهيئة الاجيال الفلسطينية واعدادها للتصدير الى مناطق النفط سواء في الخليج العربي او في ليبيا وغيرها من دول النفط ، كل ذلك ما كان ليتم الا عبر برامج تعليمية واسعة على اعتبار ان هذه البرامج هي من اقل البرامج التي تثير اعتراض الفلسطينيين وحذرهم . فكان الاقبال على التعليم شديدا ، فازدادت اعداد الطلاب ازديادا كبيرا

يفوق الزيادة في عدد السكان . فبلغت نسبة الذين يتلقون التعليم ٢٨,٨٣ ٪ من مجموع السكان .

وحيث « ان نسبة الذين يتلقون التعليم من ابناء الشعب الفلسطيني ليست واحدة في جميع الأقطار التي يتواجدون فيها » يتفحص السيد قورة الوضع التعليمي للفلسطينيين في كل منطقة من المناطق الاربع التي تضم القسم الاعظم منهم (سوريا لبنان ، غزة ، الضفة الغربية وفلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨) على حدة ، « مبينا الخصائص العامة لكل منطقة ولنظام التعليم في كل منها والاهداف التي تتوخاها السلطة المشرفة » هناك . ويختتم السيد قورة هذا الفصل بالتأكيد على « فشل مراهنة القوى التي تآمرت على الشعب الفلسطيني واعتبرت ان التعليم قادر على حل المشكلة الفلسطينية ، وذلك من طريق تمكين الفلسطينيين من الاندماج في الكيانات المحيطة .

كان من جملة ما استهدفته عملية الاقتلاع والنفي الذي مارسته الصهيونية والقوى الامبريالية على الفلسطينيين هو افقادهم شخصيتهم الوطنية المميزة والمستقلة واجبارهم على الذوبان والاندماج باقصى سرعة في الكيانات العربية الاخرى بعد زرع اليأس في نفوسهم . فاستخدموا لاجل هذه الغاية عدة وسائل مباشرة وغير مباشرة منها التعليم الموجه باستخدام مناهج خاصة تساعد على صياغة شخصية جديدة للفلسطيني ، تنفذ هذا المخطط وتكون الدليل المادي على نجاحه .

ويتناول السيد قورة في هذا الفصل بالنقد والتحليل المناهج التعليمية المستخدمة في تعليم الفلسطينيين وعلى الاخص الكيفية التي عرضت فيها القضية الفلسطينية في ثلاثة اقطار عربية هي الاردن ولبنان وسورية معتمدا في ذلك الى حد كبير على دراسة في هذا الموضوع كان قد اعدها قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويعتمد الكاتب ايضا في تحليله لمناهج التعليم في الارض المحتلة على دراسة قيمة كان قد اعدها الدكتور صالح سرية لنيل شهادة الدكتوراه واسمها « تعليم العرب في اسرائيل » .

ان سياسة ضخ الفلسطينيين بعيدا من اماكن تجمعهم حول فلسطين وتشتيتهم في اقطار نائية هي « احدى الأعمدة الاساسية التي قامت عليها سياسة وكالة الغوث الدولية » . وقد عبر عن ذلك بشكل ملتو المدير العام للوكالة في تقاريره السنوية . وهذا ما حدا بالوكالة التي كانت تريد تحقيق نتائج سريعة على هذا الصعيد الى عدم الاهتمام بالتعليم الثانوي الاكاديمي الصرف الذي لا يساعدها على ايجاد اعمال تستوعب الخريجين بسهولة في اسواق العمل المفتوحة في دول النفط ولهذا ركزت جزءا كبيرا من جهودها ونشاطاتها على التدريب المهني ، فافتتحت من اجل ذلك سبعة مراكز ، اثنان في الضفة الشرقية من الاردن واثنان في الضفة الغربية ، وواحد في غزة واخر في لبنان والأخير في سوريا ، توزع التدريب في هذه المراكز على سبعة فروع من فروع المهن . « لقد بدأت الوكالة بالاهتمام ببرامج التدريب المهني عام ١٩٥٤ حيث افتتحت مركزا للتدريب المهني في قلندية بالقرب من القدس ، وقد ضم هذا المركز عام ١٩٥٤ ، ٢٧ طالبا » واستمر فتح المراكز وازدياد طاقتها على الاستيعاب حتى بلغ عدد طلابها عام ١٩٧٢ ، ٢٥٦١ طالبا وطالبة . وبلغ مجموع الخريجين منهم حتى عام ١٩٧٢ ، ١٢٦٠٥ خريجين .

ولقد اولت الوكالة اهتماما بالغا لقضية ايجاد وظائف لاولئك الخريجين وقد نجحت في ايجاد عمل لنسبة كبيرة منهم سواء محليا او في اجهزتها او الدول العربية وغيرها .

أما على صعيد تدريب المعلمين فقد تمكنت الوكالة من التغلب على النقص الكبير في المقومات الاساسية التي كان يعاني منها جهاز التعليم الفلسطيني التابع لها وعلى الاخص في مجال تاهيل المعلمين وتدني مستواهم بانتتاح معهد تربوي في لبنان عام ٦٤ لتدريب المعلمين اثناء الخدمة . وقد بلغ مجموع خريجي دور المعلمين التابعة للوكالة حتى سنة ١٩٧٢ ، ٤٥١٦ معلما تخرجوا من ست دور معلمين تابعة للوكالة .

في الفصل الخامس والاخير من هذه الدراسة يتناول السيد قورة مشكلة التعليم الجامعي للفلسطينيين بالقول « لقد اصبح التعليم بشكل عام والتعليم الجامعي بشكل خاص ، خشبة خلاص بالنسبة للاغلبية الساحقة من شبابهم » ويقدر الكاتب عدد الجامعيين الفلسطينيين المنتشرين في كل انحاء العالم ما بين ٤٠ ــ ٥٠ الفا طالب

يدرسون كل انواع العلوم مشكلين نسبة تصل الى ١٦,٦ بالالف من مجموع الفلسطينيين وهي من اعلى النسب في العالم .

ويحدد السيد قورة اهم المشاكل التي يعاني منها التعليم الجامعي الفلسطيني « بانخفاض نسبة المتخصصين في الدراسات العلمية ونسبة الفتيات الى المجموع » بالاضافة الى « عدم قدرة الشعب الفلسطيني وتجمعاته الاساسية من الاستفادة من هذا العدد من ذوي الكفاءات العالية » .

ويختتم الكاتب دراسته باستعراض المقترحات المقدمة حول مسألة اقامة جامعة وطنية فلسطينية ويناقش حيثيات وضرورة انشائها ودورها وموقعها في التعليم الجامعي الفلسطيني كما هي مقدمة في تلك المقترحات . ويخلص السيد قورة في مناقشته تلك الى القول بان هناك « انفصاما كاملا بين الواقع الذي يحياه الشعب الفلسطيني وبين الاهداف والمبررات لاقامة هذه الجامعة » .

ومن الجدير بالذكر ان هناك مجموعة كبيرة من الملاحظات المتنوعة على هذه الدراسة تقلت الى حد كبير من جدية معالجة الكاتب لهذا الموضوع على الرغم من اهميته البالغة وعلى الاخص في هذه المرحلة التي تتميز بخصوصية استثنائية من مراحل النضال الفلسطيني ، ومما يزيد من حدة الاثر السلبي الذي تتركه الاخطاء التي وقع فيها الكاتب على مجمل الدراسة ، هو صدورها من احد الكوادر البحثية في مركز الابحاث الفلسطيني والتي كان من المحتم على مركز الابحاث ان يتشدد الى حد الصرامة « والحنبلة » في ضرورة التمسك بكل القواعد والاسس العامة والمتعارف عليها في اعداد الدراسات والابحاث وخاصة في الدراسات الصادرة عنه لمنع وقوع مثل هذه الاخطاء والتي سأختار منها عينات منتقاه ولا تشكل حصرا شاملا لها .

١ — من الواضح ان كاتب البحث لم يول القواعد التي تحكم الاقتباس والنقل اية اهمية بدليل عدم استخدامه الاقواس التي تشير الى الكلام المقتبس او المنقول تمييزا له عن باقي الكلام . والشواهد كثيرة وموزعة ما بين صفحات الكتاب (ص ٢٠ ، ٢١ مثلا) .

٢ — لكتابة المراجع في الحواشي ، هناك قواعد عامة ايضا ، اتفق اغلب الباحثين على اتباعها والتقيد بها تنص على ضرورة كتابة عائلة المؤلف ثم اسمه ، وبعد ذلك اسم الكتاب والدار التي نشرته ومكان نشره وسنة النشر واخيرا رقم الصفحة التي اقتبس منها . والانفلاتات التي نشاهدها في بعض المواقع من الدراسة (ص ٢١ ، ٤٠ مثلا) تدل على ان السيد قورة لم يتقيد بشكل دقيق ومتصل في كل الدراسة بتلك القواعد .

٣ — في الاعمال البحثية على الباحث ان يتقيد عند اقتباسه استشهادات متتالية من كتاب واحد باستعمال مصطلح ثابت يشير الى ذلك الكتاب وذاك المصطلح هو اما Ibid او « المرجع السابق » وليس كما فعل السيد قورة حين استعمل في الاستشهاد رقم ٢ في الصفحة ٤٠ المصطلح الاجنبي وفي الاستشهادين الثالث والرابع عاد واستعمل المصطلح العربي .

٤ — لا يجوز اعادة ذكر كل المعلومات التفصيلية عن مرجع سبق وذكر في حاشية احدى الصفحات السابقة عندما يقتبس منه مرة ثانية وهذا ما لم يراعه السيد قورة في الصفحات ٤٠ ، ٤٢ .

٥ — هناك ارقام يستخدمها السيد قورة لم يذكر لنا المصدر الذي استقاها منه وهذا بالتأكيد يثير الشك بصدقها ولا يتيح للمراجع فرصة التحقق منها (ص ٩٧ ، ١٤٤ مثلا) .

٦ — هناك اقتباس مرقم بعدد (١) صفحة ٥٤ لم يذكر لنا الكاتب مصدره في حاشية الصفحة مع اهمية ذلك .

٧ — في حواشي الصفحات ١١٤ ، ١١٦ خطأ كبير في كتابة اسم المرجع المقتبس منه وقع فيه السيد قورة لعدم تقيده بالقواعد المتبعة في مثل هذه الحالة والتي ذكرتها في الملاحظة رقم ٢ .

٨ — لم يذكر السيد قورة ارقام الصفحات التي اقتبس منها النصوص التي استعملها هذا وان كان قد ذكر اسم المصدر (ص ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ مثلا) .

٩ — كان على الكاتب ان يذكر العام الذي تمثله الارقام التي استعملها في الحاشية د في الصفحة ٥٩ حول عدد الفلسطينيين المسجلين في احصاءات الوكالة وكذلك في الصفحات ٢٠ ، ٢١ .

١٠ — لم يلتزم الكاتب بضرورة وضع عناوين او ارقام للجداول المستخدمة في دراسته ، فهو مرة يرقم بعضها ويعنون البعض الاخر ولا يرقمه

واحيانا لا يرقم تلك الجداول ولا حتى يعنونها وفي ذلك خروج واضح على الف باء قواعد البحث .

١١ — يحيل الكاتب القارىء في اكثر من موقع من دراسته الى جداول وهمية غير موجودة في صلب الدراسة . فهو يقول مثلا في الصفحة ١٤٨ « فقد بلغ المجموع العام للجامعيات من حملة الجوازات الاردنية عام ٧١/٧٠ ، ٣٩٠٤ فتاة ، الجدول رقم ٢ » بينما الجدول رقم ٢ والموجود في الصفحات ٥٠ ، ٥١ يبين تطور ميزانية الوكالة وتطور نفقات التعليم ليس الا . وفي الصفحة ١٥٠ يقول السيد قورة « اما في الهندسة فقد بلغ عدد الطلاب ٢٤٤٤ طالب عام ٧١/٧٠ الجدول رقم ٣ » بينما الجدول رقم ٣ في الصفحات ٥٢ — ٥٣ لا يبين الا اعداد اللاجئين المسجلين حسب فئة التسجيل . وكذلك في الصفحة ١٥٥ يذكر الكاتب ان الجدول رقم ١ يبين ان مجموع الطلاب الفلسطينيين في الجامعات العربية بلغ ٧٧٧٢ طالبا جامعيا في العام الدراسي ٦٩/٦٨ بينما الجدول المشار اليه وهو في الصفحة رقم ٤٦ هو حول عدد الطلبة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية في مدارس الاونروا .

١٢ — استخدم الكاتب مصطلحات في دراسته لم يبين للقارىء مفهوماتها المحددة والمستخدمة في هذه الدراسة بشكل واضح مميز ، واخص بالذكر مصطلح « سن العمل » « الفئات N.S.R. » (الدور الهامشي) واخيرا مصطلح « التهجير الاقتصادي » الذي لم يبين لنا اين استخدمه القادة الصهاينة في كتاباتهم .

١٣ — يذكر الكاتب في تعرض تفسيره لظاهرة تدفق الطلاب الفلسطينيين على الدراسة الجامعية ان الشهادة الثانوية اليوم لم تعد تكفي وحدها لضمان العمل مما جعل الاغلبية الساحقة من الطلاب الذين ينهون المرحلة الثانوية لا يكتفون بذلك بل يلتحقون بالجامعات وهذا باعتقادي هو بعض الحقيقة ، اما بعضها الاخر فهو نظام التعليم بالانتساب في بعض الجامعات وعلى الاخص جامعة بيروت العربية الذي اتاح وسمح للكثيرين من الفلسطينيين بمواصلة العمل والتحصيل الجامعي بنفس الوقت .

١٤ — هناك عدة اسباب هامة جدا دفعت الفلسطينيين دفعا الى التحصيل العلمي غير رغبة الاونروا في ذلك كما يذكر السيد قورة في دراسته .

فمن الواضح ان الفلسطينيين الذين عانوا من قسوة الحياة في النزوح قد ناضلوا من اجل الحصول على اكبر قسط من التعليم للتغلب على التحديات التي تواجههم ، فسعوا للحصول على تعليم حيوي ليمارسوا مهنا تساعدهم على التحرك وتمكنهم من الحصول على وظائف تدر دخلا مربحا لهم الى جانب التعويض النفسي الذي جلبه النجاح التعليمي والمهني للفلسطيني الذي كان مجردا من كل شيء . والذي اغنى قدرة الفلسطيني على التنافس والتغلب على السلبيات الناجمة عن وضعه كلاجيء .

ومن المؤكد والمعروف ايضا ان الفلسطينيين قد تمكنوا من الحصول على التعليم عن طريق الامكانات الذاتية وتعاون العائلة وانفتاح الجامعات العربية على تعليم الفلسطينيين الاكفاء بدون رسوم او برسوم زهيدة ومن بعض مساعدات الاونروا وبالحصول على منح دراسية جامعية للدراسة في الخارج .

وهذا بالتأكيد يتعارض مع ما يقوله السيد قورة في الصفحة ٤٤ حين يؤكد بان التطور الكمي والنوعي في تعليم الفلسطينيين لم يكن ليحصل اساسا بالصورة التي حصل بها لولا التوجيه الاميركي لوكالة الغوث من ناحية وللنظام الاردني من ناحية اخرى حيث يعيش نصف الشعب الفلسطيني .

١٥ — لا اتفق مع السيد قورة حين يقول في الصفحة ٤٤ ان مردود الاستثمار في مجال التعليم لا يعاد استثماره في التجمعات الفلسطينية . خاصة اذا علمنا ان من تعلم من اسرة فلسطينية كان يعود ويوفر اسباب التعليم لباقي افراد الاسرة لاهمية التعليم في الصراع مع الحياة .

١٦ — يشكل الفلسطينيون الان مصدرا هاما للطاقة البشرية العربية ذات المستوى العالي . ولقد ساهموا في عملية البناء القومي وفي تأسيس وتطوير المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية في مختلف اقطار الوطن العربي . وهذا يتناقض مع قول السيد قورة الذي لا اتفق معه فيه حين يقول في الصفحة ٩٩ ان تعليم الفلسطينيين ظل يلعب دورا هامشيا في حياة الكيانات العربية التي احتوته .

١٧ — لم افهم ما يعني السيد قورة « بالتعليم العالي » في قوله في صفحة ١٢١ « يتميز التعليم العالي لابناء اللاجئين الذي تشرف عليه وكالة الغوث ، بارتباطه المباشر بسوق العمل » واغلب الظن ان الكاتب يقصد « بالتعليم المالي »

التدريب المهني ومعاهد المعلمين ، واذا كان ذلك كذلك فهذا توسيع لمدلول المصطلح لا مسوغ له .

١٨ ـ ان عدد الفلسطينيين في لبنان والذي يذكره السيد قورة في الجدول المنشور في الصفحة ٥٩ هو دون الحقيقة بكثير حيث ان الكاتب لم يلاحظ وجود اربعين الفا من الفلسطينيين دخلوا لبنان بعد الاحصاء العام اللاجئين في اوائل عام ١٩٥٢ وذكرهم تقرير الدكتور مصطفى خالد المدير العام لمديرية شؤون الفلسطينيين المرفوع الى وزير الداخلية اللبناني . ولو اضفنا الى هؤلاء ثلاثين الف شخص اخرين تذكر مصادر الامن العام انهم دخلوا لبنان على مرحلتين ، اولى بعد احتلال غزة سنة ١٩٥٢ والثانية بعد احتلال الضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، لاصبح العدد الصحيح للفلسطينيين المقيمين في لبنان حتى اواخر عام ١٩٧٢ هو ٣٢١،٠٠٠ نسمة تقريبا وشتان ما بين هذا الرقم والرقم الذي يذكره السيد قورة .

١٩ ـ هناك استهانة كبيرة باهمية الارقام التي يوردها السيد قورة اثناء دراسته بينتها الملاحظة رقم ١٨ السابقة ويزيدها وضوحا ما ورد في الصفحة ٩٢ من الدراسة من قول الكاتب بان عدد الطلاب الثانويين الفلسطينيين في لبنان لم يزد من ١٩٠ طالبا وطالبة للعام الدراسي ٧٢/٧١ ، بينما يشير الكتاب الاحصائي السنوي الصادر عن الاونروا ـ الاونسكو في بيروت عام ٧٠/٦٩ في الصفحة رقم ٢٠ منه بان عدد الطلاب الثانويين الفلسطينيين قد بلغ في ذلك العام ١٦٤٢ طالبا وطالبة موزعين كالتالي : ١٦٧ طالبا وطالبة في مدارس الحكومة ، و١٤٧٥ طالبا وطالبة في المدارس الخاصة .

٢٠ ـ استغرب كثيرا كيف وضع السيد قورة في الصفحة ٨٢ عنوانا فرعيا لجدول ذكره في تلك الصفحة ، يقول النسبة المئوية لمن هم فوق سن ١٤ سنة ونالوا اكثر من ستة عشر عاما دراسيا وفي هذا خطأ فاضح اذ تكون عدد سنوات الدراسة اكثر من عدد سنوات العمر وكان من الممكن ايجاد صيغة اصح وذلك برفع عدد سنوات السن الى ما فوق عدد سنوات الدراسة او بتخفيض عدد سنوات الدراسة الى ما دون عدد سنوات السن .

٢١ ـ يورد المؤلف في الصفحة ١٤٨ كلاما يدل على جهل كبير بواقع المخيمات الفلسطينية في لبنان حيث كان يعيش وقت كتابة دراسته وعلى جهل اكبر بمؤسسة فلسطينية معروفة هي جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني وذلك حين يدعي المؤلف بان هناك مخيمات فلسطينية في لبنان يتراوح عدد سكانها ما بين ١٠،٠٠٠ ـ ٢٠،٠٠٠ نسمة لا يوجد بها طبيب واحد ، والمعروف ان لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني عيادات مجهزة بالاطباء والمساعدين في كل المخيمات الفلسطينية في لبنان مع وجود ستة مستشفيات عاملة للهلال في ستة تجمعات كبيرة للفلسطينيين في لبنان .

٢٢ ـ هذا لو عقد الكاتب مقارنة ولو سريعة بين تعليم الفلسطيني والتعليم في الدول المضيفة لهم تعميما للفائدة .

٢٣ ـ من الواضح ان موضوع تعليم الفلسطينيين موضوع هام ودراسته اهم ، الا ان هذه الدراسة لم تعط الموضوع حقه من الاهمية والتأني فجاءت دراسة مبترة مجولة في اجمالها وتفصيلاتها ، خاصة اذا ما علمنا ان تعليم الفلسطينيين في دول النفط لم يستغرق من الكاتب سوى ثلاث صفحات فقط . وان هناك دراسات اخرى غير هذه الدراسة صدرت عن مركز الابحاث لم يكن تعليم الفلسطينيين هو الاساس فيها ومع ذلك فقد تناولت الموضوع بجدية واسهاب اكثر مما اتبع السيد قورة في دراسته .

٢٤ ـ واخر ملاحظاتي تدور حول عدم فهمي للمسوغ السياسي والاستمرار في الاصرار على تقسيم فلسطين الى ضفة غربية ، وقطاع غزة ، وارض محتلة قبل عام ١٩٦٧ وان كنت اثق بان مثل هذا التقسيم يسهل عملية الاستقصاء والدراسة امام الباحث ومع ذلك فقد آن الاوان للانتباه الى هذه النقطة وعلى الاخص من جانبها السياسي الهام الذي لا يجوز اغفاله اطلاقا .

وبالرغم من كل ما ابديت من ملاحظات يبقى للكاتب فضل البحث والجهد الذي بذله ويشكر عليه .

سمير ايوب

[٢]

ان دراسة نزيه قوره عن واقع ومشكلات « تعليم الفلسطينيين » تحمل في مضمونها اشارة بالغة الاهمية عن خصوصية الواقع الفلسطيني ذاته . وعن خصوصية كل ما يمكن ان يفرزه هذا الواقع (سياسيا ، اجتماعيا ، اقتصاديا، وثقافيا). ان الاتفاق مع قول قوره بان « التعليم هو البضاعة الرئيسية التي يملك الفلسطينيون عرضها في السوق » — سوق العمل — « وحتى تكون هذه البضاعة صالحة للتسويق لا بد من توفر مواصفات ومقاييس معينة » . ان الاتفاق مع ذلك يحرضنا في الحقيقة لنسبر خصوصية كل اشكال والوان وخطوط واتجاهات ودوافع وحركات وانجازات الساحة الفلسطينية حين نتقدم لبحثها او الكتابة عنها .

اذن ، فخارج اطار واقع ومشكلات « تعليم الفلسطينيين » يجدر التنويه بدقة وتأكيد بهذه المسألة المركزية التي شكلت دليلا لنزيه قوره في بحثه . وهكذا انطلاقا من ذلك يتم التساؤل عن الاسباب التي جعلت من قضية التعليم ، تشغل كل هذا الحجم في واقع شعبنا الفلسطيني وحياته حيث تظهر احصاءات « وكالة غوث اللاجئين » ان اقبال الفلسطينيين على التعليم لا يعادله اقبال اي مجتمع من مجتمعات المنطقة ، وحيث ان نسبة الطلبة الجامعيين المتراوحة بين ١٣٫٣ بالالف — ١٦٫٦ بالالف من مجموع الشعب الفلسطيني تفوق كثيرا مثيلاتها من النسب السائدة في الاقطار العربية وبعض البلدان الأوروبية ، كما ان عدد الطلاب الجامعيين الفلسطينيين يزيد عن عدد الطلاب الجامعيين اليهود في فلسطين المحتلة .

وللاجابة على التساؤل يجدر تسجيل هذه المجموعة من الملاحظات والنتائج التي ترد متفرقة في كتاب نزيه قوره البالغ الاهمية :

١ — لم يكن ما جرى عام ١٩٤٨ حكما بالاعدام على الشعب الفلسطيني بمقدار ما كان حكما بالتوقيف الاداري ريثما تجد الاطراف المختلفة حلا للمعضلة . اي ان الذي حصل لم يكن مجرد حرمان من البيت والارض ، بل كان عملية اقتلاع كاملة ، اذ قد تم سلخ المجتمع الفلسطيني عن جميع المقومات اللازمة لقيام مجتمع ما واستمراره ، وتقد البناء الفوقي اساسه المادي .

٢ — لقد كان مطلوبا ان يظل شعبنا محجورا عليه في هذه المعسكرات حتى يتم ترويضه والاعداد لتصفية قضيته تصفية كاملة . وقد اتخذت محاولات التصفية شكلين اساسيين كانا ينفصلان ويتداخلان حسب المراحل :

●● الشكل الاول هو مشروعات التوطين ، اذ حيث اعتبار ان ابادة الفلسطينيين غير ممكنة من الناحية العملية ، لم يبق امام القوى الامبريالية والرجعية غير العمل على توطين اللاجئين الفلسطينيين في مناطق بعيدة نسبيا عن حدود وطنهم ، وقد وضح ذلك من خلال ما ذكرته بعثة التحقيق الاقتصادي التابعة للامم المتحدة المسماة « بعثة كلاب » ، في تقريرها عن ضرورة وضع برنامج مترابط شامل يرمي الى « تيسير عودة اللاجئين وتوطينهم واستردادهم مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وذلك في سبيل ادماجهم في حياة المنطقة الاقتصادية على اساس الاعتماد على النفس في اقصر وقت ممكن » وهكذا توصلت وكالة الغوث الى مشروعين اساسيين لتوطين الفلسطينيين الدائم — وهما مشروع وادي الاردن ومشروع سيناء لكن ، ولاسباب مختلفة ليس اقلها خيالية وارتجالية مثل هذه المشاريع القائمة على الغاء وشطب كيان شعب متكامل التكوين وبارز الملامح ، فشل كل ذلك تماما ، واستعيض عنه بمشاريع مختلفة للتهجير الاقتصادي اهمها :

● تقديم المساعدات المالية للراغبين في الهجرة الاجنبية وخاصة امريكا الشمالية والجنوبية .

● عقدت الوكالة مع الحكومة الليبية اتفاقا عام ١٩٥٢ يقضي بان تسمح الحكومة الليبية لعدد من اللاجئين بالهجرة الى ليبيا ، وفي الوقت المناسب تمنحهم « الحقوق والامتيازات » التي يتمتع بها الليبيون .

● انشأت الوكالة مكتبا للتوظيف للقيام بالاتصال بالشركات والحكومات لمعرفة احتياجاتهم الى الموظفين والمستخدمين ، بحيث يتم عبر هذا المكتب توظيف الفلسطينيين .

● قامت الوكالة بمنح عدد من ذوي الحرف والمهن قروضا صغيرة للمباشرة بمشاريع تتناسب وخبراتهم .

● افتتحت الوكالة مركزين للتدريب المهني في كل من الاردن وغزة لتأهيل الشباب للعمل في المجالات المتاحة وخاصة في بلدان النفط .

وهكذا نلاحظ هذا السعي الحثيث من جانب « وكالة الاغاثة » في سبيل محو التكوين الفلسطيني ذاته ، والغاء كل حس لدى الفلسطيني بالانتماء الى كيان وشعب ومجتمع محدد الاطر .

ورغم وصول الوكالة والقوى التي تردفها الى بعض النتائج في مراعاها هذا الا انها لاحظت انها لا تستطيع المراهنة على نتائج استراتيجية عبر هذه المشاريع الفردية ، لذا فقد اتجهت الى مراجعة كل خططها . وفي هذه المرحلة شرعت الوكالة في ايلاء مسالة التعليم والتدريب المهني اهتماما متزايدا وصل الى حد تخصيص نصف ميزانيتها لذلك .

●● الشكل الثاني هو تطوير جهاز تعليم وتدريب للاجيال الجديدة من الشعب الفلسطيني، بحيث يؤدي هذا التعليم الى تخريج كوادر من المثقفين لا يجدون مجالا للعمل في مناطق تجمع شعبهم ويضطرون بالتالي الى الهجرة . لقد وضع الفلسطيني في المخيم امام خيارين : اما الاعتماد على وكالة الغوث والانتظار الى ما لا نهاية ، او التعليم الذي تتلوه الهجرة ، والخياران لا يستلزمان إلا الحد الادنى من الشعور بالانتماء .

ان عدم توفر الشروط — في السنوات التي اعقبت النكبة — لحل المشاكل المادية والاجتماعية والاقتصادية ، مضافا اليه تسليم مسؤولية التعليم لجهات متعددة من بينها وكالة غوث دولية الوجه امريكية القلب ، عمل على تفتيت الشعب الفلسطيني ودفع افراده الى تبني نوع من ايديولوجية تحض على استعمال الوسائل الذاتية والفردية لحل القضايا التي يواجهها .

وهكذا كان المطلوب ان تلعب الضفة الغربية وقطاع غزة دور محطات على الطريق ، حيث منها كان المفروض ان تجري عملية اعادة تشتيت للتجمعات الفلسطينية الجديدة ، ولكن بطرق جديدة . اي ان ما كان مطلوبا بالتحديد هو اعداد سلع بشرية صالحة للتصدير .

٣ — لكن الى ماذا يعود هذا التركيز من جانب وكالة الغوث ومموليها على «تعليم الفلسطينيين» ؟ يحدد نزيه قورة اربعة اسباب لذلك : ١) ان التعليم ، في ظل معطيات واقع المنطقة ، هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى حالة من الاعتماد على النفس بالنسبة لقطاع واسع من الفلسطينيين . ٢) ان التعليم وما ينتج عنه بالضرورة ، من ابعاد للعناصر المتعلمة والمؤهلة فنيا وعلميا من تجمعات الفلسطينيين يقلل من اخطار الانفجارات السياسية على الأوضاع السائدة . ٣) ان التحويلات المالية التي يرسلها عشرات الالوف من الشباب الفلسطينيين الى اهلهم في الاردن (الضفة الغربية) وقطاع غزة ، تساعد في تخفيف حدة الشقاء الذي يعاني منه الفلسطينيون ، وتعمل ، بالتالي ، على تجميد الاوضاع القائمة . ٤) ان برامج التعليم هي اقل البرامج اثارة للاعتراض من قبل الفلسطينيين ، بغض النظر من الاهداف التي تتوخاها الوكالة منها .

ثم الملاحظات التالية : ١) ان مردود الاستثمار في مجال التعليم لا يعاد استثماره في التجمعات الفلسطينية . وهذا يعني أن الدورة الحضارية تظل دورة غير مكتملة ويظل الاستثمار في المجال البشري استثمارا ضعيف المردود حتى في حالة ارتباطه بهذا المردود . ٢) ان ظاهرة « هجرة الادمغة » التي تعاني منها معظم بلدان العالم المتخلف وعدد من الدول المتقدمة ، يعاني منها المجتمع الفلسطيني بشكل مضاعف . فحيث تجري في البلدان الاخرى هجرة العناصر الفائضة عن القدرة الاستيعابية لهذه البلدان ، فان التجمعات الفلسطينية لا تملك في معظمها اية قدرة استيعابية على الاطلاق . ٣) ان الفشل في ايجاد حل سياسي يضمن عودة الفلسطينيين الى ارضهم لم يكن يعني ابقاء الفلاحين والعمال الفلسطينيين في حالة بطالة دائمة وحسب ، ولكن الأخطر من ذلك هو «تخريج» ٣٠ — ٤٠ الف شاب فلسطيني ، يبلغون سن النضج سنويا ، لا هم بالعمال ولا هم بالفلاحين ، ولا يحملون اية مؤهلات اخرى .

٤ — وهكذا نصل الى المناهج التي تم استخدامها لكي تكون عملية « تعليم الفلسطينيين » هذه قادرة على تحقيق اهدافها التي تتلخص بالغاء الوجود الفلسطيني ، وذلك من خلال التفتيت اليومي لكيانه المتبلور . فحيث ان مستقبل الفلسطينيين ، من وجهة نظر وكالة الغوث ومموليها كان يتلخص في توطينهم ودمجهم ، فقد وجب ان تكون المناهج هي تلك التي تخلق مواطن الكيانات العربية الجديدة وتوجب بالتالي قطع كل خيط يربط الفلسطيني بوطنه

وبقضيته ، وتوجب ايضا محو هوية وملامح الانسان الفلسطيني واعطاءه هوية جديدة وملامح جديدة لا علاقة لها بهويته القديمة . وفي الواقع انه بعد نكبة عام ١٩٤٨ لم تعد هناك مناهج « فلسطينية » واصبحت المناهج التي يتعلمها ابناء الفلسطينيين اما اردنية او لبنانية او مصرية او سورية او اسرائيلية او غيرها .

ويسجل نزيه قورة هنا اعتراضا مبدئيا : فهو يعتبر ان اعتراضه ليس موجها ضد مناهج الاقطار العربية بقصد ايجاد منهاج تعليمي فلسطيني يضاف الى سلسلة المناهج التعليمية القائمة في المنطقة . وليس الغرض هو الدعوة الى كتابة تاريخ فلسطيني خاص وجغرافية فلسطينية خاصة وتربية وطنية فلسطينية خاصة . فالتاريخ الفلسطيني — برأي قورة — امر لا وجود له ، اذ لم يكن لفلسطين تاريخ خاص بها عبر معظم عصور التاريخ ، ومن الناحية الجغرافية كانت فلسطين هي سورية الجنوبية ، وكان الاعتراض الاساسي على وعد بلفور يتركز حول اقتطاع فلسطين من سوريا . اما التربية الوطنية الفلسطينية — ايضا برأي قورة — فلا تعني شيئا بالنسبة لنا غير قيام الفلسطينيين بالمساهمة في نضال الشعوب العربية من اجل تحررها وتقدمها ، والقضاء على البؤر الاستعمارية في المنطقة ، وبدرجة اساسية على الوجود الصهيوني في فلسطين .

من هنا فان نقد قورة للمناهج التعليمية المطبقة على الطلبة الفلسطينيين في الاقطار العربية ينطلق اساسا من مدى مساهمة هذه المناهج في تكوين الانسان العربي المؤمن بقضايا امته وباهدافها الانسانية التقدمية .

وهكذا يلاحظ الكاتب ان اول ما يلفت نظره في هذه المناهج هو ضالة المعلومات المقدمة حول تاريخ وجغرافية فلسطين . ففي مناهج الاردن مثلا يبلغ مجموع صفحات كتب التاريخ ٢١١٨ صفحة منها ٢٢٤ صفحة خاصة بفلسطين .

اما عدد صفحات كتب الجغرافية فتبلغ ١٤٦٣ صفحة منها ١٣ صفحة خاصة بفلسطين . هذا في بلد يشكل الفلسطينيون اكثر من ثلثي سكانه . ويلاحظ الكاتب ايضا حول مضمون المادة المقدمة للطالب الفلسطيني ان كتاب التاريخ للخامس الابتدائي في لبنان لا يذكر كلمة صهيونية على الاطلاق وانما يكتفي باستعمال كلمة يهود او يهودية .

اما من حيث الاساليب التربوية المتبعة في تدريس هذه المواد ، فعلى اعتبار ان المواطن المطلوب في الاردن مثلا هو المواطن الموظف، فان صفات الابداع والخلق والتغيير والتمرد تصبح صفات غير مطلوبة . وفي لبنان حيث تستهدف مؤسسات التعليم خلق مواطنين مناسبين للعمل في القطاع الخاص السائد ، فيصبح التشديد على الفردية والعمل الفردي هما المحورين الاساسيين في المناهج المدرسية . وهكذا .

٥ — بعد ذلك يضيف قورة فصلين آخرين الى كتابه يخصان التدريب المهني ومعاهد تدريب المعلمين، ثم التعليم الجامعي للفلسطينيين ، لكي يصل في النهاية الى مسألة جديرة بالتسجيل وتدور حول مسألة اقامة جامعة وطنية فلسطينية . فبعد ان يستعرض الكاتب المحاولات التي جرت لاقامة جامعة فلسطينية ، بدءا من العام ١٩٢٢ اثر اقتراح تقدم به السير رونالد ستورز حاكم القدس آنذاك، وحتى الدعوة الى اقامة جامعة فلسطينية في ظل الاحتلال العسكري الاسرائيلي . بعد ذلك يناقش الكاتب تلك الدعوات التي برزت خارج الاراضي المحتلة لاقامة مثل هذه الجامعة ، برعاية المقاومة ، في احد البلدان العربية .

وينطلق الكاتب في مناقشته من مسألة مركزية تؤكد على ان هناك انفصالا كاملا بين الواقع الذي يحياه الشعب الفلسطيني وبين الاهداف والمبررات لاقامة هذه الجامعة . ويضيف متسائلا : هل يعاني الشعب الفلسطيني حقا من نقص في الموارد البشرية ؟ ويجيب : ان جوهر المشكلة الفلسطينية هي ان الموارد البشرية الفلسطينية ، بعد اغتصاب فلسطين تعاني اساسا من عدم وجود مجالات كافية لتوظيفها . وبعد ان يستعرض المشاريع المقدمة في هذا الشأن يلاحظ ان نوع الجامعات المقترحة والكليات تصب كلها في اتجاه اعداد العلماء والتقنيين ، الذي لن يخدم في النهاية قاعدة انتاجية فلسطينية، لان هذه القاعدة شبه مستحيلة قبل انجاز التحرير الكامل .

ثم ينتهي الكاتب الى القول : ان مشكلة الشعب الفلسطيني تتلخص في اعادة الدورة الاقتصادية لحياة الشعب الفلسطيني وتمكينه من بناء علاقات انتاجية خاصة به .

وان الحل يكمن في الخلاص من حالة البداوة الثقافية التي يحياها الشعب الفلسطيني ، ليعود التعليم يلعب دوره الطبيعي في خدمة الانسان الفلسطيني والجماهير الفلسطينية .

ملاحظات :

١ — اننا نخشى ان يكون نزيه قورة قد وقع

في ما يمكن تسميته بشطط الموقف القومي الراديكالي حين اعتراضه الحاد على القول بتوفر الذاتية الفلسطينية ، او ضرورة توفرها . اذ ليس هناك من يعترض على ان التاريخ والجغرافيا الفلسطينيين ليسا الا جزءا من تاريخ وجغرافية المنطقة العربية بمجموعها ، لكن هذا القول بالذات لا يمكن ان يتعارض مع القول بالخصوصية الفلسطينية التي شكلتها مجموعة الظروف والاحوال والتغيرات التي طرأت على هذه المجموعة البشرية القاطنة في هذه المنطقة المسماة فلسطين .

ان مصدر هذا الموقف المتطرف الذي يقفه الكاتب من مسألة ايجاد تربية وطنية فلسطينية يعود — في تقديرنا — الى الالتباس القائم بين طموح الجماهير العربية الى بناء دولة الوحدة العربية الشاملة ، وبين التصور الذاتي المثالي الذي ينطلق من القناعة بان الوحدة حقيقة قائمة !

ورغم ان كل السلوكات والممارسات السياسية الحالية والماضية والقادمة الى فترة ليست قصيرة تؤكد على أن الوحدة ليست غير طموح وهدف وشوق للجماهير العربية تناضل من اجل تحقيقه ، الا ان الاستاذ نزيه قورة يعترض تمام الاعتراض على هذا الامر ، ويؤكد عكسه ، ويصل الى نتيجته القائلة بضرورة نفي امكانية قيام تربية وطنية فلسطينية تنبع من خصوصية فلسطينية لا يمكن ان تتماثل ولا ان تتناقض بذات الوقت مع الخصوصية المصرية او السورية او العراقية الخ.

اننا نخشى فعلا ان يكون الاستاذ قورة قد وقع في موقف لاطبقي وصل به حتى نهايته المنطقية التي تتعارض فعلا مع المحور الذي بنى عليه دراسته القائمة على افتراض بالغ الصحة يقول بان القوى الامبريالية قد استخدمت حتى التعليم كأداة لتفتيت شعبنا والغاء كيانه وتمزيق قضيته .

٢ — نعتقد ان موقف الاستاذ قورة السابق من مسألة بناء التربية الوطنية الفلسطينية هو الذي جعله يتخذ موقفا الاعتراض المبدئي من مسألة انشاء جامعة فلسطينية في المنفى .

ونحن قد لا نختلف مع موقف قورة من مجموع المشاريع المقدمة في هذا الشأن ، والمنطلقة من مبدأ تشغيل الفلسطينيين ، باستثناء مشروع الدكتور ابراهيم ابو لغد ، ولكن هذا لا يجعلنا نتفق مع رفضه المطلق لانشاء الجامعة الفلسطينية كمؤسسة علمية تهدف الى « تجميع المواهب الفلسطينية الموزعة في ارجاء العالم من اجل خدمة المجتمع الفلسطيني فكريا وسياسيا » كما يقول الدكتور ابو لغد في مشروعه الذي يصفه الاستاذ قورة بالمثالي .

ان اصرار الكاتب على ان بناء هذه المؤسسة يجب ان لا يكون الا بعد انجاز التحرير الكامل ، كما يفهم من كلامه ، يجعلنا نشير الى بقية المؤسسات العلمية القائمة الان والتي تشكل رديفا فعليا لمنظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة (مركزي الابحاث والتخطيط ، مؤسسة الدراسات ، الاكاديمية العسكرية) .

اننا لا نعتقد ان اذكاء حس الانتماء لدى الفلسطيني ، وتخليصه من النزعة الفردية الاستهلاكية التي تشربها في الشتات ، وتوجيه وعيه نحو الارتباط المتين بقضيته ، هي مهمات من الضروري ان تنتظر انجاز التحرير الكامل . وقد يكون المطلوب هو العكس تماما .

اننا نعتقد ان الخصوصية الفلسطينية ذاتها هي التي تفرض استمرار الحفاظ على بنائنا الفوقي ، واستمرار العمل على التكتيل السياسي — الايديولوجي للقطاعات الشابة من شعبنا ، رغم تفكك الدورة الاقتصادية لحياة شعبنا وتمزيق علاقات انتاجه .

٣ — بقيت ملاحظة اخيرة على عموم الدراسة التي نفذت بهدف توضيح الدوافع والنتائج المترتبة على «تعليم الفلسطينيين» ، وقد نجحت في ذلك الى حد بعيد ، الا انه لا بد من الاشارة الى ان هناك جانبا اخر من هذه العملية التعليمية قد جرى القفز عنه ، وهو المتعلق بمدى التأثير الايجابي لها في حياة شعبنا . اذ ليس هناك اي شك بان الشعب الفلسطيني يتمتع بقدر غير عادي من الحيوية والفعالية والقدرة على اختراق الحواجز ، وافراز القيادات بمستويات مختلفة ، والتأثير المستمر في تطور حركة الواقع السياسي — الاجتماعي العربي . ورغم ان العوامل التي تقف وراء ذلك كثيرة ومتنوعة ، الا انه لا يجب ان ننسى مدى تأثير تلك القطاعات الكبيرة المؤهلة فنيا وعلميا من شعبنا ، في ذلك .

سميح سمارة

اسرائيليـــات

[١]

اسرائيل واحياء الجبهه الشرقية

في اعقاب حرب تشرين الاول عـــام ١٩٧٣ ، تكاثرت التصـــريحات الاسرائيليـــة القائلة ، ان سوريا هي عدو اسرائيل الاول والاخطر « عسكريا وسياسيا وايديولوجيا » ، كما يقول البرفسور موشي ماعوز ، احد ابرز المستشرقين فـــي الجامعة العبرية (هآرتس ، ١٩٧٤/٤/٢٩) . واخذ هذا الاتجاه يتعزز كلما ابتعدت مصر عـــن حلبة الصراع ضد الصهيونية والامبريالية . ذلك الابتعاد الذي تتوج باتفاقية سيناء في بداية ايلول ١٩٧٥ . وكلما نشطت سوريا بالعمل على احياء جبهة شرقية ممتدة « من الناقورة الى العقبة » وتشترك فيهـــا القـــوات الســـورية والاردنيـــة والفلسطينيـــة ، وتعززها قوات عربية اخرى ، وخاصة عراقيـــة .

وفي اطار هذه الجهود السورية ، ابدت الدوائر الاسرائيلية اهتماما شديدا ، بالمبادرة السورية لاقامة قيادة سورية ــ فلسطينية مشتركة عسكريا وسياسيا ، والتي اقترحها الرئيس السوري حافظ الاســـد في اذار ١٩٧٥ . وابـــدت تلك الدوائـــر اهتماما اكبـــر بالتنسيق الســـوري الاردنـــي او « شهر العسل الســـوري الاردني المستمر بدون توقف ، منذ زيارة الملك حسين الى دمشق فـــي نيســـان ١٩٧٥ » (عوديد غرانوت ، معاريف ، ٧٥/٨/٢٠) .

كذلك ابدت اسرائيل اهتماما بالغا بما اسمته « التدخل » السوري في لبنان . واتهمت سوريا و م.ت.ف بالعمل على تحويل لبنان الى دولـــة مواجهة ضد اسرائيل قد تتواجد فيه قوات سورية فلسطينية وربما قوات عربية اخرى . وكذلـــك تحدثت المصادر الأسرائيلية عن وجود احتمـــال للتقارب بين م.ت.ف والاردن تتولى ســـوريـــا دور الوساطة فيه ، وعن امكانيات اكبر بالنسبة للعراق لدفع قوات الى المعركة تكون اكبر ممـــا دفع في حرب تشرين ، بعد تسوية المسألـــة الكردية وازالة التوتر على الحدود العراقية ــ الايرانيـــة .

من هنا ان سوريا اصبحت في نظر الاسرائيليين ، القاعدة الرئيسية في الصراع العربي الاسرائيلي . وهي الى جانب تعاظم قوتها العسكرية والسياسية المدعومة بتأييد المعسكر الاشتراكي تحاول ان تقود جبهة عربية محاربة قوية ومتماسكة عسكريا وسياسيا . وهي اخطر جبهة يمكن ان تواجههـــا اسرائيل فيما اذا قامت نظرا لطولها وقربها مـــن العمق الاسرائيلي . ولانها ، تستطيع ان تشكل خطرا عسكريا وسياسيا على الكيان الصهيونـــي حتى اذا خرجت مصر مـــن المعـــركة . بل قـــد تستطيع نسف ما حققته الامبريالية الاميركية فـــي مصر ، و « جرهـــا » الى المعركة . وفيما يلي سنحاول عرض ومناقشة تقييم الدوائر الاسرائيلية للاتصالات بين سوريا والاطراف المعنية في هـــذه الجبهة على امتداد السنة الجارية ، واحتمالات نجاحها او فشلهـــا .

القيادة السورية الفلسطينية المشتركة

ربطت الدوائر الاسرائيلية بين اقتراح ســـوريـــا اقامة قيادة سورية ــ فلسطينية مشتركة ، وبـــين جولة وزير الخارجية الاميركي ، الدكتور كيسنجر في المنطقة في ذلك الوقت ، بهدف ابرام اتفاقية منفردة بين مصر واسرائيل . وقالت ان الهـــدف المباشر لهذا الاقتـــراح هـــو افشال مثل هـــذه الاتفاقية المنفردة .

ويعني هذا الربط ان اميركا واسرائيل كانتا تسعيان في اطار فرض التسوية الاميركية في المنطقة الى تحقيق اتفاقية ، تتخلص مصر بموجبها عن الشرطين الاساسيين اللذين طرحهما العرب في المفاوضات السياسية بعد حرب تشرين . وهما :

(١) ربط اية خطوة تتخذ على احدى الجبهات بالجبهات العربية الاخرى ، وبجدول زمني للانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

(٢) ربط اية اتفاقية مرحلية بالتسوية الشاملة وبالالتزام الواضح للحل العادل للقضية الفلسطينية واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

وهذا السعي الاميركي الإسرائيلي لم يكن يستهدف مصر وحدها ، بل كان يهدف ايضا الى ان كون مصر (مفتاح) العالم العربي سيجر دول عربية اخرى لتحذو حذو مصر في عملية الدخول في اطار الاحتواء الاميركي .

من هنا ان المبادرة السورية في اذار ١٩٧٥ ، كانت خيبة امل مزدوجة بالنسبة للسياسة الاميركية — الاسرائيلية ، اعقبت خيبة الامل التي حققها مؤتمر قمة الرباط في عام ١٩٧٤ والذي اعترف ب م.ت.ف ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني. فكما ان مؤتمر الرباط وضع « العقبة » الفلسطينية في طريق المخطط الاميركي الذي سعى الى التسوية من خلال الالتفاف حول جوهر القضية ، وهي القضية الفلسطينية ، وضعت المبادرة السورية عقبة جديدة ، حيث ان وجود قيادة سورية — فلسطينية مشتركة ، معناه ان الالتفاف حول القضية الفلسطينية هو التفاف حول الجبهة السورية ايضا . وهذا يعني ايضا ان المخطط الاميركي اذا نجح في مصر فلن ينجح في سوريا وعدم النجاح في سوريا المتلاحمة مع القضية الفلسطينية التي تلتف حولها الجماهير العربية لا يعني فقط وضع نواة للجبهة الشرقية بل قد يعني في نفس الوقت تهديد ما حققته المخطط الاميركي في مصر ايضا .

وبعد ابرام اتفاقية سيناء في ايلول ١٩٧٥ ، استمر المسؤولون والمعلقون الاسرائيليون في ترديد تصريحاتهم القائلة ان سوريا والفلسطينيين يعملون على نسف هذه الاتفاقية واعادة مصر الى الصف العربي . ويزعم الاسرائيليون ان سوريا و م.ت.ف لا تتصديان لسياسة مصر الاميركية بالوسائل السياسية فقط ، بل ربما ستتجهان الى العمل العسكري . ولتحقيق هذا الهدف يستعد السوريون والفلسطينيون بدعم الاتحاد السوفيتي الى « معركة مزدوجة . فهم يريدون اولا : تفشيل زيارة السادات الى الولايات المتحدة الاميركية ونتائجها البعيدة المدى ويحاولون اعادة مصر الى الساحة العربية ضد اسرائيل . وثانيا : كلما نشلوا في ذلك ستزداد جهودهم لاقامة كتلة عربية ضد مصر . وبواسطة اثارة التوتر العسكري سيضطرون الاردن وربما العراق لقبول القيادة السورية في المعركة ضد اسرائيل ... ان وجود لبنان في وضع غير مستقر وتحت سيطرة اسلامية سيضطره الى الركوب على العربة السورية ، التي ستكون منظمة التحرير الفلسطينية احد الخيول التي تجرها ، وسيكون الاتحاد السوفييتي احد سائقيها » (حفاي ايشد ، دافار ، ٧٥/١٠/٢٤) .

لقد نظر في اسرائيل الى فكرة اقامة قيادة سورية — فلسطينية مشتركة بجدية بالغة . ليس فقط لما يعنيه التلاحم السياسي والعسكري بين الطرفين السوري والفلسطيني بحد ذاته ، بل ايضا لما قد ينطوي عليه من معان ونتائج عسكرية وسياسية بالنسبة للجبهة الشرقية وبالنسبة للساحة العربية ككل . فعدا عن التأثير المحتمل المشار اليه بالنسبة لمصر ، قال احد المعلقين في نيسان الماضي ان « اقامة القيادة السورية — الفلسطينية المشتركة قد يكون لها تأثير عملي مباشر بالنسبة للاردن ويتعبر عن ذلك بالتعاون العسكري القائم فعلا بين سوريا و م.ت.ف » (عوديد غرانوت ، معاريف ، ٧٥/٤/٤) .

وقال البرفسور موشي ماعوز ان سوريا « تنافس مصر على زعامة العالم العربي ، ففي حال نشوب حرب ضد اسرائيل ، ستعمل سوريا من اجل تجديد التحالف العسكري السوري — المصري ولضم باقي الدول العربية اليه . وسيكون هدفها هزيمة اسرائيل ، او طردها من مناطق جديدة بواسطة ضغوط سياسية وعسكرية منسقة . ولكن سوريا تأخذ في الحسبان انها قد تضطر لخوض الحرب بدون مصر . وعلى ذلك فهي تعمل على توسيع الجبهة الشمالية الشرقية ، ومعنى ذلك ليس فقط ضمان دخول قوات عراقية قوية في المعركة الى جانب سوريا بل ايضا محاولة لاشراك الاردن بصورة مباشرة في المعارك » واضاف

ماعوز : « على هذه الارضية يجب فهم الجهود الدبلوماسية السورية لأجراء المصالحة بين م.ت.ف والاردن ، وربما لضم الاردن الى الاتحاد السياسي العسكري المقترح بين سوريا وم.ت.ف . وبموازاة ذلك تستمر سوريا في الضغط على لبنان ، لكي يوافق على مرابطة قوات عربية خاصة سورية وفلسطينية في جنوب لبنان ويرجح انه في حال نشوب الحرب ستدخل قوات سورية الى لبنان حتى بدون موافقة الحكومة اللبنانية » (موشي ماعوز ، معاريف ، ٧٥/٤/٢٥) . ان صدور مثل هذه المزاعم حول لبنان في شهر نيسان بالذات الذي شهد بداية احداثه الدامية ، قد لا يكون مجرد صدفة وسوف نتوقف عند هذه النقطة بتفصيل اكثر في سياق هذا المقال .

لقد حاول القائمون على الدعاية الصهيونية الدس بين السوريين والفلسطينيين . فوصفوا فكرة التوحيد السياسي والعسكري بينهما على انها « شراكة الثور والبعوضة » (متتياهو بيلد ، معاريف ، ٧٥/٣/١٤) . وبحثوا عن « نقاط ضعف » سياسية قد تستغلها اسرائيل لصالحها واتهموا سوريا انها تريد « التوسع » و « السيطرة » على حساب الفلسطينيين واتهموا ياسر عرفات انه بموافقته على المبادرة السورية يعيد « الكرة الفلسطينية » الى ايدي الحكومات العربية وغير ذلك . ولكنهم في نفس الوقت اشاروا الى عوامل عدة وراء الفكرة يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ — سوريا « لديها التزام ثابت بتحرير فلسطين » (اهود يعاري ، داغار ، ٧٥/٣/١١) . والتنسيق العسكري قائم فعلا بين الطرفين (معاريف ، ٧٥/٣/٢٠) .

٢ — موافقة مصر على اتباع سياسة الخطوة خطوة ، وابتعادها التدريجي عن ساحة الصراع ضد اسرائيل « وضع كل من حافظ الاسد وياسر عرفات والملك حسين في سفينة واحدة ، لان الثلاثة يخشون ابرام اتفاقية منفردة بين مصر واسرائيل» (معاريف ، ٧٥/٣/٢١) .

٣ — الرفض الاسرائيلي المعلن للتنازل في الجولان او الضفة الغربية ورفضها الاعتراف بـ م.ت.ف هو عامل موحد بين الاطراف الثلاثة .

٤ — المكاسب السياسية التي احرزتها م.ت.ف على الصعيدين العربي والدولي شجعت الحكومات العربية على « تحمل المسؤولية عن اعمال م.ت.ف ... وكان المبادر الاول لذلك حافظ الاسد » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/١١) .

٥ — اقامة قيادة مشتركة بين م.ت.ف قد تكون نواة لجبهة شرقية وقد تجذب اليها قوى عربية اخرى في المستقبل تكون قادرة على خوض الحرب او تحقيق اهداف سياسية عن طريق الضغط العسكري .

٦ — القيادة المشتركة قد يكون الهدف منها حل مشكلة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف .

التقارب السوري الاردني

اعتبرت الدوائر الاسرائيلية شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٥ « منعطفا في سياسة الاردن وموقفه من قضية الصراع في المنطقة ، فقد اعتبرت زيارة الملك حسين الى دمشق في ٧٥/٤/٣ ، بدء التقارب بين القطرين اللذين وجد كل منهما رغم التناقضات القائمة بينهما اسبابا خاصة ومشتركة للتقرب من الاخر . وقيل انه في ذلك اللقاء وضعت الاسس الاولية للتعاون العسكري والسياسي والاقتصادي بينهما . ومنذ ذلك الوقت اخذت الدوائر الاسرائيلية تراقب باهتمام وحذر الزيارات المتبادلة بين المسؤولين في القطرين والتعاون بينهما في النواحي المختلفة واهتمت بشكل خاص بالاستعدادات العسكرية الاردنية على الجبهة ، وبتطوير الجيش الاردني ، وبتصريحات الملك حسين وغيره من المسؤولين الاردنيين حول استعداد الاردن للاشتراك في الحرب القادمة اذا ما نشبت . وقد عبر عن اهتمام اسرائيل بهذا التقارب « التحذير » الذي وجهه اسحاق رابين رئيس الحكومة الاسرائيلي بواسطة التلفزيون النمساوي للملك حسين « بان لا يتمادى في التقرب من دمشق » (معاريف ، ٧٥/٨/٢٠) وكذلك الجولة التي قام بها شمعون بيرس ، وزير الدفاع لمنطقة الاغوار بمرافقة رئيس هيئة الاركان العامة مردخاي غور ، في ايار الماضي ، وصرح بيرس خلالها ان « هناك تغييرات طرأت على التشكيل العسكري الاردني وهناك تحركات لقوات مدرعة اتخذت مواقعها على الحدود مع اسرائيل » (هارتس ، ٧٥/٥/٢١) .

دوافع الطرفين

ذكر بعض المصادر الاسرائيلية ان فكرة التعاون السوري الاردني طرحت في مؤتمر القمة في الرباط عام ١٩٧٤ . ففي اواخر ذلك العام كتب احد المراسلين العسكريين ان سوريا « ضغطت في الرباط من اجل انشاء قيادة مشتركة تضم سوريا والاردن و م.ت.ف . لان سوريا تخشى من عدم اشتراك مصر في الحرب القادمة » (عوديد زراي، ملحق هآرتس ، ٧٥/١٢/٢٠) وقد تحدث هذا المراسل بالتفاصيل والارقام عن تعاظم قوة الجيش الاردني في مختلف المجالات والاسلحة بالقياس الى ما كان عليه في عام ١٩٦٧ .

ولكن الحديث عن هذا التقارب ازداد في نيسان ١٩٧٥ حيث ذكرت المصادر الاسرائيلية ان الملك حسين « قام بزيارة مفاجئة الى دمشق ، واجرى مع الرئيس الاسد محادثات سرية تناولت على ما يبدو موضوع امكانية اقامة تحالف سوري اردني فلسطيني . هذا ما ادلت به مصادر عليمة في القدس بناء على معلومات من مصادر مختلفة » (اوري دان ، معاريف ، ٧٥/٤/٤) واضافت هذه المصادر حسب ما ذكره هذا المراسل المعروف بصلاته مع وزارة الدفاع الاسرائيلية ان هذا « المنعطف » في العلاقات السورية الاردنية « قد يحدث في المدى القصير ، بهدف تعزيز الجبهة الشرقية ضد اسرائيل سياسيا وعسكريا في مواجهة المرحلة القادمة من الصراع بين اسرائيل والجيوش العربية » (المصدر نفسه) .

في نفس الفترة كتب مراسل آخر ان « التعاون العسكري السوري الاردني الذي تم الاتفاق عليه في دمشق في اوائل نيسان ، من الممكن ان يكون حقا نواة لاحياء الجبهة الشرقية على الرغم من المسائل العديدة التي يجب تسويتها في سبيل ذلك مثل النزاع القائم بين دمشق وبغداد ، ومعارضة الملك حسين ادخال قوات عراقية الى الاردن بدون أن تكون خاضعة لقيادة الجيش الاردني من جهة ولمعارضته من جهة ثانية ، تجديد نشاط الفدائيين في اراضيه » (عوديد غرانوت ، معاريف ، ٧٥/٤/٢٧) .

وحذر مراسل عسكري آخر من احتمال « توقيع اتفاقية سورية — اردنية سرية وما قد يشكله ذلك من احراج للولايات المتحدة » واضاف: « ان تفاهما قد تم بين الطرفين حول التنسيق العسكري بينهما والاردن اخذ على عاتقه التصدي لعملية القفاز على سوريا من اراضيه في حال تعرض سوريا لهجوم اسرائيلي ... ومن الواضح ان ثمة تغيير يحدث في المملكة الاردنية . وعلى اسرائيل ان تتابع ما يجري عن كثب كي لا تتفاجأ في المستقبل » (يعقوب كروز ، يديعوت احرونوت ، ٧٥/٤/٢٨) .

وأكد على ذلك مراسل آخر حيث قال : « كل التقديرات تشير الى أن الاردن سيدخل المعركة القادمة على الجبهة الشرقية ، كما صرح الملك حسين اثناء زيارته الاخيرة الى واشنطن ... لقد تم توقيع اتفاقية عسكرية بين دمشق وعمان في ٧٥/٤/٣ » (يعقوب ايرز ، معاريف ، ٧٥/٥/١٣) . وعكست صحيفة « دافار » شبه الرسمية ، اهتمام الحكومة الاسرائيلية بهذا الشأن حيث كتبت تقول : « تتابع اسرائيل باهتمام بالغ ما يجري على الحدود الاردنية — الاسرائيلية اثر المعلومات التي تشهد على تغيير في موقف الاردن بعد التقارب السوري الاردني . وقد ورد من مصادر اجنبية ان ثمة استعدادات كبيرة وتبادل معلومات بين الجيشين السوري والاردني » (دافار ، ٧٥/٥/١٣) .

لقد شهد النصف الثاني من ايار (مايو) ١٩٧٥ اهتماما اسرائيليا شديدا بما يجري بين سوريا والاردن ، وبما يجري على الجبهتين السورية والاردنية ، خاصة وان اسرائيل كانت تنتظر ان تعلن سوريا موافقتها او عدم موافقتها على تجديد مهمة قوة المراقبة الدولية في الجولان في نهاية ذلك الشهر . وقد عكست الصحف الاسرائيلية هذا الاهتمام ، وتكهن بعضها ان ثمة تحركات عسكرية اردنية على الحدود مرتبطة بما سيحدث في حال عدم تجديد انتداب قوة المراقبة التابعة للامم المتحدة . وذكر بصدد ذلك : (١) ان سوريا وعدت الاردن بتوفير مظلة جوية فوق الارض الاردنية مقابل اشتراكه في الحرب القادمة . (٢) ان الجيش الاردني يواصل تعزيزاته على الحدود وقد نقل قواته من الخلف الى الخطوط الامامية (ناحوم برناع ، دافار ، ٧٥/٥/١٥ و ايتان هابر ، يديعوت احرونوت ، ٧٥/٥/١٨) .

في تلك الفترة عبر السياسيون الاسرائيليون عن قلقهم من الاتصالات والتحركات السورية الاردنية ، فمثلا قال عضو الكنيست م . شمعاري (الاحرار

المستقلون) : « على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يكون جاهزا لكل الاحتمالات بما فيها احتمال ان تصبح الجبهة الشمالية الشرقية ، هي الجبهة الأساسية لجيش الدفاع الاسرائيلي . كما عليه ان يضع في حسابه ان الحرب قد تنشب في كل لحظة . وعلى السياسيين إن يعملوا كل ما في وسعهم لمنعها » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٥/٢٠) .

وبعد موافقة سوريا على تمديد فترة عمل قوة المراقبة الدولية في الجولان في آخر ايار ١٩٧٥ ، استمر الاهتمام الاسرائيلي بالاتصالات السورية الاردنية خلال شهر حزيران ، وخاصة بالزيارة التي قام بها الرئيس السوري حافظ الاسد الى عمان في ١٩٧٥/٦/١٠ . وقد تركز الاهتمام بشكل خاص على الناحية العسكرية في هذه الزيارة لان « مرافقة وفد عسكري للاسد ، بالاضافة الى تقارير من مصادر اردنية وسورية تدل على أن التعاون والتنسيق العسكري سيكون له مكانة هامة بل ورئيسية في المحادثات . وسوف يستوضح الاسد من حسين فيما اذا كان مستعدا الان للاشتراك في قيادة عسكرية مشتركة أو مجرد تنسيق وتعاون عسكري » (معاريف ، ١٩٧٥/٦/٩) . وعشية الزيارة أبدت المصادر الاسرائيلية اهتماما خاصا بتصريح لرئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي قال فيه : « يوجد تنسيق سياسي وعسكري بين البلدين وهذا الموضوع سيبحث في المحادثات . وان للزيارة اهمية تتعدى المنطقة العربية الى الميدان الدولي الواسع . وقد تحدث الرفاعي على ضرورة التوصل الى اتخاذ مواقف موحدة لان الشرق الاوسط يقف على مفترق طرق بين التسوية السياسية او مواصلة الجهاد » . (دافار ، ١٩٧٥/٦/١٠) . في نفس الوقت تحدثت المصادر الاسرائيلية عن حرارة استقبال الملك حسين للرئيس الاسد وعن « الصفة الدراماتيكية » التي اعطتها وسائل الاعلام الاردنية لها وفسرت ذلك بقولها ان الملك حسين يريد أن يستخدم الزيارة كوسيلة للتخلص من عزلته في العالم العربي عن طريق الحصول على « شهادة حسن سلوك » سورية . ويريد في نفس الوقت أن ينافس م.ت.ف وأن « يبرز مزاياه كحليف عسكري أو سياسي على م.ت.ف بالنسبة لسوريا » (المصدر نفسه) .

من ناحية ثانية ذكرت الصحف الاسرائيلية أن حافظ الاسد سيحاول اثناء زيارته لعمان أن يقرب بين م.ت.ف والاردن « خاصة من مسألة الحكم في الضفة الغربية . كما وان زيارة الاسد ستدفع موقف الاردن من الحل السلمي الى أقصى درجات التصلب » (يهودا ليطاني ، هآرتس ، ٧٥/٦/١١) .

ووجد بين محرري الصحف الاسرائيلية المعبرة عن الاوساط الحاكمة ، من حذر الملك حسين أثناء زيارة الرئيس الأسد لعمان من « خطورة » تقربه من سوريا . فقال أحدهم : « وأخيرا فتحت ضدنا جبهة ثالثة غاية في الخطورة فيما اذا نشبت حرب أخرى بيننا وبين العرب . وهذا التهديد يأتينا من دولة تدين لنا بوجودها ... علينا أن نوضح للملك حسين جيدا باننا كما مددنا له يد المساعدة في حربه ضد أعدائه في العالم العربي ، نستطيع أن نفعل العكس وهو بلا شك سيفهم الاشارة » (الدكتور هرتزل روزبنلوم ، يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١١) .

لقد عبرت الدوائر الأسرائيلية أثناء زيارة الرئيس الاسد الى الاردن في حزيران ٧٥ عن قناعتها أن لدى الطرفين السوري والاردني مصلحة في التعاون في النواحي المختلفة . ولكن معظم المعلقين عبروا عن شكهم في انه من الممكن عقد تحالف تكون م.ت.ف والاردن شريكين فيه . فبالنسبة لسوريا قيل : « احياء الجبهة الشرقية كان دائما أقصى أحلام سوريا . هذه الجبهة لا يمكن أن تكون ذات فعالية دون اشتراك الجيش الاردني . سوريا ترى في هذا الجيش جناحا أيسر لجيشها ، وعنصرا يستطيع فتح جبهة ثالثة ضد اسرائيل . لقد عبر عن ذلك رئيس الاركان الاردني حابس المجالي عندما قال بأن الجيش الاردني هو بمثابة الجناح الايسر القوي للجيش السوري . والسوريون يحلمون حتى بأكثر من ذلك . فقد ألمح الاسد الى ذلك في حفلة العشاء التي اقيمت على شرفه في عمان عندما قال : سوريا والاردن بلد واحد وشعب واحد وجيش واحد » (هآرتس، ٧٥/٦/١٢) . ولكن هذا المصدر أضاف « ان علينا ان نتذكر ان استعداد الملك حسين للاستجابة لمطالب سوريا بخصوص التنسيق العسكري يعتمد على مدى استعداد الاسد في دفع الثمن بعملة فلسطينية أي على حساب م.ت.ف » وقد تحدثت هذه الصحيفة وغيرها عن « قلق يساور

قيادة م.ت.ف بسبب التقارب السوري الاردني » (المصدر نفسه) .

ولكن على الرغم من ذلك تكمن بعض المتخصصين الصهاينة في الشؤون العربية ان الاتفاق بين م.ت.ف والاردن اصبح ممكنا وعزا سبب ذلك الى : (١) أن الاردن تخلص من عزلته التي أحاطت به في العالم العربي منذ معركة الاحراش في تموز ١٩٧١ بعد أن حسن علاقاته مع سوريا والعراق . (٢) لم تثبت صحة الاسطورة القائلة : ان هناك خطة اسرائيلية اردنية خفية ترمي الى تحقيق مشروع حسين آلون سيسكو ، أي مشروع المملكة المتحدة او الاتحاد الفدرالي الاردني الفلسطيني تحت اشراف اميركي وهي التهمة التي طالما وجهها الفلسطينيون الى الملك حسين ... والملك حسين يعلن من على منصات مختلفة أنه مستعد أن يمد يد المصالحة نحو الفلسطينيين ويبدو ان ياسر عرفات رفع الثمن بهدف المساومة » (آهود يماري ، دافار ، ٧٥/٧/١٣) . مع ذلك أضاف هذا المعلق أن هناك ثلاث نقاط رئيسية يجب الاتفاق حولها من أجل اقامة التحالف الثلاثي السوري الاردني الفلسطيني :

(١) اعادة المقاومة الى الضفة الشرقية ويبدو ان هناك اتجاها للسماح لقوات حطين التابعة لجيش التحرير الفلسطيني أن تنتقل من سوريا الى الاردن « وقد ألمح الملك حسين في مقابلته مع مجلة الحوادث اللبنانية أنه مستعد أن يمنح « حق مرور » الى اسرائيل ولكنه غير مستعد لاعطاء قواعد دائمة للفلسطينيين في اراضيه » .

(٢) اقامة قيادة عسكرية مشتركة وهناك تقدم بطيء في هذا الاتجاه .

(٣) « النقطتان السابقتان شهدتا تقدما ولكن النقطة الثالثة لم يحصل فيها اي تقدم أو اننا لا نعرف عن ذلك بعد ، وهي مسألة تمثيل الفلسطينيين ودور كل من م.ت.ف والاردن في مفاوضات التسوية » . ولخص هذا المعلق موقف الاردن بقوله « ان الملك حسين يتقرب من م.ت.ف. لانه يعتقد أن تعزيز مكانة الاردن تتم من خلالها . انه يريد بناء الاردن من الضفتين بالتعاون مع م.ت.ف وليس رفضا عنها ولكن بعد تطويقها وترويضها ... ان اتفاق م.ت.ف. والاردن سيخلق مشكلة بالنسبة لاسرائيل . وأن مناورة يقوم بها السادات قد تعرقل ذلك . ولكن يبدو أن الاوراق هي بيد حافظ الاسد » (المصدر نفسه) .

هل يتغير الاردن ايديولوجيا ؟

لقد كتبت عشرات المقالات في الصحف الاسرائيلية منذ بداية السنة الجارية حول التقارب السوري الاردني وحول تطوير وتقوية الجيش الاردني واستعداده لفتح جبهة ثالثة ضد اسرائيل فيما اذا نشبت حرب جديدة . ولكن يبدو مما نشر ان الاسرائيليين يخشون من أن قولهم « لا » للاردن و « لا » لـ م.ت.ف. في نفس الوقت ، وأن كونهم في حقيقة الامر لا يريدون التنازل عن الضفة الغربية لا للاردن ولا لـ م.ت.ف. كما ثبت عمليا، يخشون من ان يؤدي اكتشاف الاردن لهذه الحقيقة لدفعه الى التقرب من سوريا و م.ت.ف. ليس فقط عسكريا وسياسيا بل وايديولوجيا أيضا .

. فنظريا : من المعروف أن الصهاينة ، ليس فقط في حركة أرض اسرائيل الكبرى وفي حيروت وغيرها من أحزاب المعارضة اليمينية التي تشكل كتلة ليكود المتطرفة بل أيضا بعض أعضاء حزب العمل الحاكم ذاته ، يغنون انشودة « للاردن ضفتان » ويعبرون بذلك عن أطماعهم في السيطرة على الضفة الشرقية للاردن أيضا .

وعمليا : مع أن الحكومة الاسرائيلية اعلنت مرارا وتكرارا أنها مستعدة للتفاوض مع الاردن حول الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧ وحتى بخصوص القضية الفلسطينية بعد عام ١٩٧٣ ، فقد أثبتت أنها ترفض اعادة أي جزء من الضفة الغربية للاردن في نطاق اتفاقية فصل قوات على الجبهة الاردنية كما حدث على الجبهة المصرية في بداية عام ١٩٧٤ وعلى الجبهة السورية في منتصف ذلك العام . وقد قيل في اسرائيل أن وزير الخارجية آلون واضع « خطة آلون » الشهيرة حاول تحقيق ذلك ولم ينجح وان وزير الدفاع السابق موشي دايان رفض ذلك في حينه قائلا : كيف من الممكن فصل قوات مع الاردن وهناك سلام قائم بيننا منذ عام ١٩٧٠ ؟

وبعد الحديث الكثير الذي تردد عن أن هناك مخطط اسرائيلي اميركي لوضع الضفة الغربية في اطار اتحاد فدرالي اردني فلسطيني ظهر أن اسرائيل تعمل جديا من اجل اقامة اتحاد فدرالي « اسرائيلي فلسطيني » أو ما يسمى « الحكم المحلي » في الضفة الغربية حسب خطة وزير الدفاع الحالي شمعون بيرس ، الذي يريد أن يبقى باب المناورة مفتوحا على الاردن ، وذلك فهو يقول

أن الاردن من الممكن أن ينضم الى هذا الاتحاد الفدرالي (هآرتس ، ٧٥/٩/٥) .

من هنا فان ابا ايبن وزير الخارجية السابق ومنظر حزب العمل الحاكم حاليا وجد من المناسب ان يحذر من ان « الاردن قد يتقرب ايديولوجيا من سوريا ، مما سيؤدي الى تعاظم قوته العسكرية » (دافار ، ٧٥/٩/١٢) . وقد فسر ايبن ذلك بقوله : « كنا نريد أن نقوي مكانة الملك حسين ، ولكننا في عام ١٩٧٤ توصلنا الى اتفاق فصل قوات مع مصر ثم مع سوريا ولم نفعل الشيء نفسه مع الاردن لاسباب داخلية . لا شك أن الملك حسين اعتقد بعد ذلك أنه أخطأ لانه لم يدخل الحرب في ٦ تشرين الاول » ولكن ايبن ايضا اراد ترك الباب مفتوحا للمناورة مع الملك حسين ضد م.ت.ف. ، اذ قال في المقابلة نفسها « الامر ليس ميئوسا منه بعد . فاذا ما تأكد الفلسطينيون ان عرفات لن يستطيع اعادة اراضيهم فربما يتوجهون الى الملك حسين » (المصدر نفسه) .

أما ما هو التقارب الايديولوجي الذي يمكن أن يحدث بين سوريا والاردن و م.ت.ف . فقد تعبر عنه بالموقف الاسرائيلي من صفقة الصواريخ الامريكية للاردن . فبعد أن عارض الكونغرس بفعل الضغوط الصهيونية بيع هذه الصواريخ عاد وسمح بها ثانية ولعل من اهم أسباب ذلك أن السفير الامريكي لدى السعودية جيمس ايكنز « أدلى بشهادة في ١٩٧٥/٧/٢٩ أمام اللجنة الفرعية للشؤون الدولية في مجلس الشيوخ الامريكي قال فيها أن السعودية مستعدة لتمويل صفقة صواريخ سوفيتية الى الاردن » (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٧/٣٠) .

وقد شرح ذلك بشكل أوضح روبرت ايليوت عضو معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن في مقابلة مع يديعوت أحرونوت (٧٥/٩/١٤) عندما قال ردا على سؤال : « القوة العسكرية بقيادة مشتركة سورية أردنية لا تتعدى الصفر حتى الان . من الصعب علي ان افهم هذه الصداقة المفاجئة . الاردن يريد أن يتخلص من عزلته وسوريا تريد أن تدافع عن مداخل دمشق ، وأفضل طريقة لذلك هي قيادة مشتركة مع الاردن . ان الخطر الحقيقي ازاء الاردن ليس قوته الحالية بل تلك المستقبلية ، أي عندما لا تزوده امريكا بالاسلحة التي يطلبها وحينذاك يتوجه بواسطة صديقته الجديدة الى الاتحاد السوفييتي » .

ان اسرائيل تعتبر ان الملك حسين لم ولن يتنازل عن الضفة الغربية ، رغم قرارات مؤتمر قمة الرباط وهذا في نظرها كفيل بمنع الاردن من « التعادي » في التعاون مع سوريا و م.ت.ف. مع ذلك ابدت اسرائيل قلقها من مجرد التنسيق العسكري بين سوريا والاردن ولو بهدف الحصول على مكاسب سياسية عن طريق التوتر والضغط العسكري وابقاء الخيار العسكري قائما . « والمراقبون العسكريون يأخذون بعين الاعتبار امكانية القيام بعمل عسكري من الجبهة الشمالية الشرقية بدون مصر وهذه الجبهة قد تحشد قوات أكبر وأقوى من القوات المصرية » (يديعوت أحرونوت ٧٥/٨/٢٨) . وأما المراقبون السياسيون فيرون أن الدكتور كيسنجر قد « يستغل » التوتر المتوقع على الجبهة الشمالية الشرقية للضغط على اسرائيل بهدف التنازل في الجولان وعقد اتفاقية فصل قوات جديد ترضى عنها سوريا « من أجل انقاذ الاتفاقية المصرية الاسرائيلية » (يوسف هاريف ، معاريف ، ٧٥/٩/١٢) .

وقد أشار المراقبون الاسرائيليون أن سوريا والاردن قد تعمدان الى الضغط العسكري مع انتهاء عمل قوة المراقبة الدولية في الجولان في ٧٥/١١/٣٠ ، لا سيما ان الجيش الاردني « شهد تغييرات ثورية . وهناك عاملان يدعمان هذا الاتجاه : (١) مصر حصلت على مكاسب اقليمية (٢) مصر تهتم فقط بمصالحها . وهذا قد ولد اتفاقا بين حسين والاسد يدعو الى التعاون السياسي والعسكري » (يهوشواع حلميشن ، يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٩/١) .

ومن الجدير بالذكر ان احتمال « تسخين الحدود » على الجبهتين السورية والاردنية كان من بين المواضيع التي أعلن عشية زيارة وزير الدفاع بيرس الى واشنطن في ايلول الماضي انه سيبحثها مع الدكتور كيسنجر « وسيبحثان تصريح الاسد الاخير حول احتمال اضطرار سوريا والاردن للجوء الى الحرب ضد اسرائيل في حال انعدام أي تقدم في الجبهة السياسية » (يعقوب اهرونسون ، يديعوت احرونوت ، ٧٥/٩/١٧) .

بعض المراقبين أعربوا عن رأيهم أن التصادم العسكري قد يبدأ ليس بالضرورة على الحدود السورية او الاردنية بل بالذات على الجبهة اللبنانية كنتيجة لاحتمالات تطور الاحداث في لبنان .

لبنان والجبهة الشرقية واتفاقية سيناء

توقع المراقبون في اسرائيل انه بعد اتفاقية سيناء قد يحاول السوريون والفلسطينيون والاردنيون نسف هذه الاتفاقية « فهناك علامة سؤال حول نية سوريا بالتجديد لقوة الامم المتحدة في الجولان في نهاية تشرين ثاني بعد أن شعرت ان مصر قد خانتها ... الخاسرون الرئيسيون بسبب اتفاقية سيناء هم الفلسطينيون ولكن سوريا والاردن قد يشكلان أكبر خطر عليها ... ان الفلسطينيين سيزيدون من نشاطهم ضد اسرائيل بمساعدة سوريا وربما الاردن . ولذلك | فمن الناحية العسكرية | علينا أن نكون في منتهى اليقظة خاصة على الحدود اللبنانية . | ومن الناحية السياسية | من المناسب ان نطور فكرة الاتحاد الفدرالي مع الفلسطينيين وربما حتى مع الاردن الامر الذي يتحدث عنه كثيرا كل من بيرس ورابين في الفترة الاخيرة . على اسرائيل ان يكون لديها حل خاص للقضية الفلسطينية » (ارئيل غيناي ، يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٨/٢٩) .

لقد رسم اسحق رابين منذ نهاية السنة الماضية استراتيجية اسرائيل عندما اعلن في مقابلته الشهيرة مع يوئيل ماركوس (هآرتس ، ٧٤/١٢/٣) ان اهداف اسرائيل هي :

١ ــ ابعاد مصر عن الساحة العربية ، ويجب دفع الثمن حتى ولو كان غاليا ، مقابل اتفاقية ثانية مع مصر لكي تسير مصر في المخطط الامريكي . ان سوريا قد تجدد الحرب عام ١٩٧٥ وقد تجر مصر الى الحرب . ولكن هناك فرق كبير فيما اذا دخلت مصر وسوريا الحرب مع تخطيط وحماس مسبقين او فيما اذا انجرت مصر وراء سوريا وبدون حماس « وخاصة في الأيام المصرية الأولى من الحرب » .

٢ ــ يجب ان نكسب « سبع سنوات عجاف » بدون حرب وهو الوقت المطلوب لكي تستطيع الدول الغربية الاستغناء عن مصادر الطاقة في العالم العربي . واضاف رابين انه اذا لم تنشب الحرب في عام ١٩٧٥ ستكون اسرائيل قد ربحت عامين لان عام ١٩٧٦ سيكون عام الانتخابات الامريكية .

بعد ذلك برزت فكرة احياء الجبهة الشرقية « من الناقورة الى العقبة » التي كانت سوريا المحرك الرئيسي لها والتي كان من شأنها اذا قامت ، ان تجعل هذه الجبهة قادرة على مواجهة اسرائيل بدون مصر . فبدلا من ان ترى سوريا نفسها مخطرة لان تحذو حذو مصر ستكون قادرة على الصمود في وجه المخطط الاميركي ، في حال وجود جبهة شرقية متماسكة . وربما ستستطيع ان تنسف مكاسب هذا المخطط في مصر ذاتها . لقد كشف الوزير بيرس عن سياسة اسرائيل تجاه سوريا عندما ايد اعطاء سوريا « تعديلات تجميلية » في الجولان « بهدف الحد من تصلبها وتشجيعها على قبول الخيار الاميركي » (هآرتس ، ٧٥/٩/٥) .

المخطط الواضح اذن هو اعطاء الدول العربية كل على حدة « اقراصا مهدئة » بهدف كسب الوقت وخلال ذلك العمل على ازالة « العقبة الفلسطينية» لانه حسب رأي بيرس « التسوية الشاملة غير ممكنة في المدى المنظور بسبب القضية الفلسطينية » (المصدر نفسه) ولكي ينجح المخطط الاميركي الاسرائيلي كان لا بد من العمل على عرقلة قيام الجبهة الشرقية بالاضافة الى عزل م.ت.ف او تصفيتها اذا امكن من هنا ان التحرك الاميركي ــ الاسرائيلي اتخذ عدة اشكال منها :

١ ــ محاولة اقامة « حكم ذاتي » عميل في الضفة الغربية . تلك المحاولة التي نشطت بشكل ملحوظ بعد اتفاقية سيناء . والتي تسعى الى خلق « بديل » لمنظمة التحرير الفلسطينية ، مع التلويح للملك حسين ان ذلك لن يتناقض مع مصالحه « فكل خطوة تبعد سكان الضفة الغربية عن م.ت.ف تخدم اسرائيل ، وتخدم الاردن في الوقت ذاته ... مع انه من الصعب اقناع سكان الضفة الغربية بذلك » (ماتي غولان ، هآرتس ، ٧٥/١٠/٢٤).

٢ ــ هذا التلويح للملك حسين و « تفضيله » على م.ت.ف من شأنه ان يلجم تقرب الاردن العسكري والسياسي والايديولوجي من سوريا و م.ت.ف ، مما قد يشكل ثغرة في احياء الجبهة الشرقية ضد اسرائيل .

٣ ــ اشغال المقاومة الفلسطينية باحداث لبنان ومحاولة دفعها لتكون طرفا فيها مع مواصلة ضربها عسكريا من الداخل والخارج قد يخدم عدة اهداف :

أ ــ اضعاف م.ت.ف سياسيا وعسكريا في وقت تعمل فيه اسرائيل على جنح « بديل » لها في الاراضي الفلسطينية المحتلة .

ب — زج سوريا و م.ت.ف في احداث لبنان قد يلهيهما عن التنسيق فيما بينهما وقد يلهي سوريا عن التنسيق مع الاردن وقد يلهيهما معا عن التصدي لاتفاقية سيناء ، بهدف اتاحة المجال امام استمرار التسوية الاميركية في المنطقة .

ج — احداث لبنان ومضاعفاتها قد تشغل المقاومة عن المجابهة على الحدود وقد تحدث ثغرة في الجبهة « من الناقورة الى المقبة » .

د — في الوقت الذي تحاول فيه اسرائيل خلق بديل لـ م.ت.ف تظهر « الصيغة اللبنانية » على انها ليست حلا مثاليا للقضية الفلسطينية .

هـ — انشغال الرأي العالمي باحداث لبنان قد يكون من شأنه ان يظهر للعالم ان النزاع العربي — الاسرائيلي ليس هو النزاع الوحيد في المنطقة العربية ، وهو بالتالي لا يستوجب حلا ملحا .

و — سوريا قد ترى من المناسب تجديد مهمة الامم المتحدة بسبب احداث لبنان وبذلك قد « تدخل اسرائيل عام ١٩٧٦ بسلام » على حد تعبير اسحاق رابين ، وعام ١٩٧٦ هو عام الانتخابات الاميركية الذي « لا يتيح لاميركا اغضاب اسرائيل » لاسباب انتخابية داخلية ، كأن تضغط عليها من اجل الانسحاب في الجولان او الضفة الغربية او الاعتراف بـ م.ت.ف .

يقول البروفسور موشي ماعوز في معرض تعقيبه على زيارة الرئيس السوري حافظ الاسد الى موسكو « ان هدف سوريا هو نسف التسوية الاميركية . وعندما يزور زعيم عربي موسكو يكون هدفه الخيار العسكري . اما عندما يزور واشنطن فيكون هدفه الخيار السياسي ، ومع ذلك فان سوريا والاتحاد السوفييتي سيجريان الخيار السياسي بشرط اشراك الاتحاد السوفييتي فيه بصورة فعالة وبشرط حصول سوريا على رقعة واسعة في الجولان وليس « تعديلات تجميلية » . أما اذا فشل هذا الخيار ، فسيكون هناك الخيار العسكري . وهنا يجب ان لا ننسى الجبهة الشمالية الشرقية وتدفق الاسلحة الكثيف اليها » (رأ ، ٧٥/١٠/١٣) . الا ان ماعوز اضاف « ... ويجب ان نتذكر عاملا اخر وهو لبنان فسوريا غير ملزمة بشن حرب شاملة او حرب استنزاف ، ويكفي ان تدخل في لبنان او اجزاء منه. فعندها لن تستطيع اسرائيل الوقوف مكتوفة الايدي وهذا سيجعل اسرائيل مدانة امام الرأي العالمي وقد يجر مصر الى دخول الحرب » (المصدر نفسه) .

من ناحية ثانية صرح رئيس هيئة الاركان العامة في اسرائيل مردخاي غور للاذاعة الاسرائيلية قائلا « ما يهمنا هو ان لا يصبح لبنان دولة مجابهة . واذا دخلت قوات عربية وخاصة سورية في جنوب لبنان سيكون لذلك مغزى عسكري من الدرجة الاولى . لان ذلك سيكون بمثابة فتح جبهة جديدة على حدود اسرائيل ، في منطقة حساسة من الناحية المدنية » (رأ ، ٧٥/١٠/٣٠) .

ان السؤال المصيري المطروح الان هو هل تنجح اسرائيل في تخطي « السنوات السبع العجاف » بسلام ، فيواصل المخطط الصهيوني الامبريالي تقدمه في المنطقة بعد ما حققه على الجبهة المصرية ملغيا بذلك النتائج الايجابية لحرب تشرين . ام ان هذا المخطط الخطير والذي يستهدف كل شعوب المنطقة ومصالحها ، سيتحطم على جدار جبهة شرقية متراصة ومدعومة من قبل قوى التقدم واعداء الامبريالية في العالم بحيث يفشل ليس فقط في ما ينوي تحقيقه بل وفي ما يبدو انه حققه حتى الان.

يوسف حمدان

الازمة اللبنانية الدامية كما عالجتها اذاعة اسرائيل باللغة العبريـــة

كان طبيعيا أن تعطي اذاعة اسرائيل باللغة العبرية * هذا الحجم الكبير من الاهتمام والمتابعة، لاحداث وتطورات الازمة الدامية القاسية التي عصفت بلبنان . وانعكس اهتمامها في الواقع على مجمل « مادتها » المذاعة ، سـواء في نشرات الاخبار التي تبثها كل ساعـة ، أو في التحليلات والتعليمات والمقابلات والندوات التي تعقدها . واذا كان خارجا عن موضوعنا هنا تفصيل أسباب هذا الاهتمام ، فانه يكفي القول انه يعود الى اسـباب استراتيجيـة وعسكريـة وسياسيـة وايديولوجية واقتصادية وفلسطينية ... بصورة عـامة .

وبادىء ذي بدء نود أن نوضح ان الاذاعـة التي نتعرض لها بهذا التقرر ، هي الناطقـة بالعبرية ، أي الموجهة لليهود عامة حيثما كانوا يعرفون العبرية . ولنا في البداية ملاحظتـان عامتان :

أولا : أن الاذاعة موضوع الحديث ، لـم تحقق طيلة أشهر الازمـة ، ما يمكـن تسميته سبقا اعلاميا انفردت به مثلا في أي جانب مـن جوانب الازمة .. ولهذه الملاحظة أهمية خاصة ازاء ما يتوهمه « البعض » من قوة غير اعتيادية لهذه الاذاعة في مجال التغطية الاعلامية .

ثانيا : أقـول بتجرد كامل ان اذاعة اسرائيل باللغة العبرية كانت بعيدة كل البعد عن مبادىء الامانة الاعلامية ، وعن مفاهيم الاسلوب الموضوعي في نقل الاحداث أو في محاولة تفسيرها وتحليلها . ويكفي لتأكيد صحة ما نقول ايراد الملاحظـات التاليـة :

١ — في روايتها للاحداث المجردة ، كـانت تنقل وجهة نظر فريق واحد في الصراع ، وتنقـل في كثير من الاحيان ما تقوله اذاعة بيروت ، لكنها اغفلت كليا وعلى الاطـلاق أية وجهـة نظـر للفريق الاخر في اي موضوع من مواضيع الصراع ، أو ازاء أي حادث من الاحداث اليومية المتلاحقة تباعا . انها لم تنقل تصريحا واحدا أو بيانا واحدا أو أية رواية للفريق اللبناني الوطني — الفلسطيني في الصراع ، بل اكتفت بنقل بعض ما تبثه وكالات الانباء ممثلا لوجهة نظر « الفريق الاخر » . وينبغي ان نعود الى التذكر مرة أخرى بأن هذه هـي الاذاعة الموجهة لليهود انفسهم . على اننا ينبغي أن نضيف في هذا المجال انها اذا كانت قد أغفلت وتجاهلت تماما آراء وتفسيرات الفريق اللبنانـي الوطني — الفلسطيني في الازمة ، فانها لم تنقل أو تعط شانا « لجميع » طروحـات « الفريـق الاخر » . اذ ينبغي أن نسجل هنا بقوة انهـا تعمدت كذلك اغفال التصريحـات « المعتدلـة » للفريق الاخر ، كما تجاهلت ما كان بعض عناصر هذا « الفريق الاخر » يطلقه من « بيانات تهدئة » بين وقت وآخر ، تجاهلا كاملا . لقد انصب كل همها من الناحية الاخبارية المحضة على أن تنقل عن راديو بيروت أسمـاء الشوارع غير الامنة ، وعن وكالات الانباء والصحافة اللبنانية جميـع البيانات والتصريحات المتطرفة في عدائها للطرف الفلسطيني خاصة ، وللمطـالب المرفوعة مـن جانب الفريق اللبناني الوطني .

٢ — عمدت الاذاعة الى المبالغة والتهويل الى أبعد الحدود ، بتخطية جميع المعطيات السياسية والاعلامية للازمة ، وخاصة فيما يتعلق بما ركزت عليه من « الخوف » و « القلق الشديد » على مصير المسيحيين في لبنان . لقد كان يراد للمستمع أن يصدق أن ما يجري في لبنان هو بكل بساطـة « عملية ابادة » شاملة وذبح « للاقلية » المسيحية في لبنـــان .

٣ — بل انها لجـأت أحيانا الى الكذب ، الكذب المجرد والصريح والمكشوف تماما . فمثـلا زعمت في ٧٥/١١/٢ « ان من المؤكد ان قـوات سورية قد دخلت لبنـان فعلا وقـامت بمحاصـرة المقاتلين « المسيحيين » في مدينة زحلـة الـذين أصبحت أوضاعهم سيئة جدا » . لكن المثـال البارز على هذا النمط من الكذب الوقح ، يتجسد

---

* أن معظم الاقتباسات الواردة في هذا التقرير ، مأخوذة عن نشرة رصد اذاعة اسرائيل باللغة العبرية (ر.ا.ع) التي تصدر يوميا عن مـركز الابحاث ، والتي يتولى كاتب التقرير رئاسـة تحريرهـا .

في رواية غريبة ومدهشة فعلا ، اذاعتها يوم ٧٥/١١/٢٠ (الساعة ١٦,٠٠) ، وزعمت فيها ان « العرب المسلمين في لبنان يقومون باختطاف واغتصاب راهبات ونساء مسيحيات يقعن في الاسر اثناء القتال . » وأكدت هذا بأن « مئات النساء المسيحيات قد جرى اختطافهن اثناء القتال ، وقام المسلمون باغتصابهن بوحشية ، على انفراد أحيانا ، وعلى شكل جماعي في أحيان أخرى !! » وتضيف انه « تم اغتيال عدد من النساء لرفضهن التجاوب مع الخاطفين ! » . بل انها مضت الى أبعد من ذلك لتروي انه حدث قبل أسبوع أن اختطفت في بيروت راهبة مع شقيقتها . « وطلب المسلمون من الراهبة ان تبصق على الصليب ، وهددوا بقتل شقيقتها ان لم تفعل ذلك ، ونفذت الراهبة رغبتهم ، وعندئذ اغتصبوها بحضور شقيقتها » !!!

وبالطبع لا حاجة لاي تعليق !

والان ، ماذا عن تناول الاذاعة لمختلف جوانب الازمة ؟

أولا : اطراف الصراع : ان لها في تصنيف أطراف الصراع طريقة خاصة طبعا منطلقة من عدائها الاصيل لكل ما هو فلسطيني من ناحية ، وعدائها الاصيل كذلك لكل ما هو « تقدمي » . ولهذا فانها في جميع نشراتها الاخبارية وعروضها التحليلية ، تؤكد وتعيد وتكرر ان الصراع هو بين « المخربين » والكتائب المسيحية ، بين « المخربين » الفلسطينيين وبين المسيحيين ، بين الفلسطينيين والمسيحيين ، بين « المخربين » الذين يساندهم المسلمون في الداخل والخارج وبين الاقلية المسيحية ، الخ ... فان هناك تأكيدا متصلا لطائفية الصراع من ناحية ولكون الفلسطينيين « الطرف الاول والاخير » فيه .

ثانيا : اسباب الصراع ، ان السبب الاول والاخير للازمة هو طبعا ما يثيره « المخربون » الفلسطينيون من « متاعب ومشكلات » . وانها حريصة تماما على نقل أي تصريح أو بيان تشم فيه ولو من بعيد رائحة العداء للوجود الفلسطيني في لبنان . فالفلسطينيون هم سبب كل ما نزل بلبنان من بلاء . بل ان الاذاعة تعطي لهذه الناحية طابعا « أكاديميا » حين تجلب الى الاستديو الدكتور ايتمار رابينوفيتش رئيس معهد شيلوح التابع لجامعة تل ابيب (مساء الاثنين ٧٥/٤/١٤) ليقول ان سبب اندلاع القتال « هو أن أعضاء المنظمات المتطرفة أضروا بالحياة في أحياء مسيحية بحتة في بيروت ، وان حزب الكتائب اعتبر تصرفات تلك المنظمات تحرشا واضحا » ... وان « المنظمات الفلسطينية منذ العام ١٩٥٨ تتحدى أسلوب الحياة اللبنانية » . ثم يلاحظ الدكتور انه « بعد فشل محاولة الجيش اللبناني عام ١٩٧٣ ، تحاول منظمات متطوعة مثل الكتائب القيام بالواجبات التي كان يجب ان تقوم بها الدولة » .

ويبدو أن الاذاعة أعجبت بالدكتور رابينوفيتش فعادت الى مقابلته يوم ٧٥/٥/٢١ ليقول ان الكتائب قائمة منذ ٤٠ سنة ، وان مهمتها « هي الحفاظ على الصيغة المسيحية للدولة أمام تحدي الاقلية ، وهناك من يقول الان انها الاغلبية ، الاسلامية ، وجاء هذا التحدي في السنوات الاخيرة من المنظمات الفلسطينية ، وان راس حربة الكتائب موجه الان ضد هذه المنظمات » . ويشير المتحدث الى ان زعيم الكتائب مرشح لانتخابات الرئاسة للعام ١٩٧٦ ، وان « هذه حقيقة ذات مغزى كبير بالنسبة للاحداث الجارية في لبنان » . ولكنه يعود الى القول « ان اسباب الصراع تعود الى ان الحياة المشتركة غير مريحة بين الميليشيا المسيحية ، وبين المنظمات الفلسطينية التي تخل بالنظام في لبنان ، وتتحدى نظام الحياة السائد في المدينة والدولة » . لكنه يسجل أيضا أن هناك « بعدا اخر للصراع هو الصراع على شخصية لبنان أمام المحاولة الاسلامية لزعزعة السيطرة المسيحية » .

وتنقل الاذاعة عن صحيفة « أومر » الاسرائيلية يوم ٧٥/٥/٢٢ قولها ان الكتائب المسيحية تحاول منع « المخربين » من السيطرة على لبنان » ... « ولكن احتمالات نجاحها ضئيلة لانها لا تتمتع حتى بتاييد العالم الغربي والمسيحي » .. وتضيف : « واذا اصبح لبنان دولة مخربين ، تكون للامر انعكاسات خطيرة على اسرائيل » . وتنقل في اليوم نفسه عن صحيفة « نوفيني كورير » الاسرائيلية كذلك ان « المخربين يعتزمون القضاء على الاقلية المسيحية في لبنان » . وتنقل عن صحيفة « شعاريم » الاسرائيلية يوم ٧٥/٩/١١ قولها « ان احداث لبنان جاءت لتشير الى مدى وحشية رجال م.ت.ف الذين يتنكرون للضيافة التي قوبلوا بها من جانب المسيحيين في لبنان » !

وكانت قد نقلت عن « عل همشمار » قولها يوم ٧٥/١١/٢ انها تريد ان تذكر اللبنانيين بـــان استضافة الفلسطينيين لا تشكل خطرا علـى اسرائيـل فقط ، بـل اتضـح الان ان اولئك الفلسطينيين أوصلوا لبنان الى حافة الانهيار » .

على ان الاذاعة تتجاوز في احيان قليلة هـذا النطاق الضيق الـذي ترسمه لاسبـاب الازمة ، لكنها تبقى دائما وفية لخطها الطائفي التحريضي ، وملتزمة باللغة الطائفية للصراع الذي يدور بين الشياح الاسلامي وعين الرمانة المسيحية ، بـين طرابلس الاسـلامية وزغرتا المسيحية ، بـين « المخربين » الفلسطينيين وانصارهم من المسلمين وبين المسيحيين الخ ..

اذن سبب البلاء هو الوجود الفلسطينـي ، وهناك أسباب أخرى « على الهامش » . من ذلك مثلا ان المراسل شمعون شيفر يقول في ظهيرة ٥/٢١ ان سبب الاشتباكات هو « ضعف حكومة لبنان ، وامتناع الجيش اللبناني عن الاشتراك في القتال » . ومـن ذلك قول الاذاعة يـوم ٧٥/٣/٣ تعليقا على تفجر قضية شركة بروتيين ان هناك محاولة من جانب السلطة لدق اسفين بين الصيادين اللبنانيين المعروفين بتعاونهم مـع « المخربين » وبين « المخربين » . ومنذلك اشارة الدكتور يهوشواع بورات في مقابلة معه يـوم ٥/٢٤ إلى ان « الازمة لن تحل في اعتقادي لان التناقض جوهـري بين الفلسطينيـين الذيـن يحيطون ببيروت في مخيمات اللاجئين والذين يكرهون لبنان البورجوازي بشدة ، هذه البورجوازية التي ترفع رايتها الكتائب ، وبين الكتائب » . وان معلق الشؤون العربية دوف يئون يقول في يوم ٦/١ ان استقالة حكومة الفسكريين بعد ثلاثة أيام فقط من تأليفها نتيجة لضغط المسلمين ووزير الخارجيـة السـوري ، هو انتصار للمسلمين على المسيحيين وعلى مكانتهم في الحكم . وان جنبلاط يحـاول أن يبعد المسيحيين عن مراكزهم التقليدية في الحكم. لكن كرامي لن يمضي في هذا الاتجاه بل سيبحث عن حل وسط مع المسيحيين ، وكلمـا أسرع المسلمون بـادراك هذه الحقيقـة ، كلمـا عاد الاستقرار الى لبنان بسرعة ، وهكذا يتوجب علـى الذين يحملون في لبنـان والعالم العـربي بلبنان اسلامي ، ان ينتظروا فرصة اخرى » ! ويقول هذا المعلق في مناسبة أخرى أن الـرئيس السـادات استغل « انهماك المخربين بسفك الدماء فـي بيروت ليعيد فتح القناة ، والملك حسين ليحصن مكانته مجددا ، ذلك ان مصر وسوريا تتسابقان على توطيد العلاقات معه على حساب المخربين » . وفي ٧٥/٦/٢٥ تؤكد الاذاعـة ان « الكتـائب المسيحية » تعتقد بان اي تعديل في الميثاق الوطني اللبناني سيلحق ضررا بالمسيحيين وبطابع لبنان المسيحي » . ونقلت عن الشيخ بيار الجميل زعيم الكتائب قوله ان حزبه « سيقـوم بكل ما فـي وسعه لمنع سيطرة الشيوعيين على لبنـان » — ٧٥/٧/١٠ . على ان المراسل العسكـري زئيف كوهين يقول في ٧٥/٨/٧ « أن الجيش اللبنـاني ليس مصمما على استخدام القوة ضد «المخربين» كما فعل الملك حسين ، وان هـذا هو السبب الذي يجعل الكتائب تعمل بمفردها أحيانا » . لكن على همشمار ترى في ٧٥/٩/٩ أن الاشتباكات تكشف عن محاولة المسلمين السيطرة على لبنان ودمجه مع سائر الدول العربيـة » . على أن الجيروزاليم بوست تعود الى الموضوعة الاصلية، اذ تقول صبيحة يوم ٧٥/٩/١٠ : « ان اشتعال الحرب بين المسلمين والمسيحيين في لبنان ناجم عن وجود م.ت.ف في لبنان ، الامر الذي عكر صفو العلاقات بين الطوائف المختلفة في هذه الدولة واذا لم تضع حكومة لبنان حدا لنشـاط م.ت.ف فلن يكون هناك مناص مـن تصعيـد الحـرب الاهلية » .

على أن « دافار » في ٧٥/٩/١٥ (ونحن ننقل ما نقلته الاذاعة عن هذه الصحيفة وغيرها من الصحف المشار اليها في هذا التقرير) تقول ان سبب الازمة اللبنانية يكمن في محاولة سوريا جعل لبنان منطلقا لحرب جديدة ضد اسرائيل ، وذلك بالقضاء على مكانة المسيحيين الذين ينعموا حتى الان جعل لبنان دولة مواجهة ضد اسرائيل ».

لكن ميخائيل جوردوسن مسئول الرصد في الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية يقول في ٧٥/١٠/١٦ ان «المسلمين اليساريين يدعون الى تعديل الدستور اللبناني بحيث يمنح الاغلبيـة الاسلامية المناصب الاساسية في الدولة » .

ونختتم هذه النقطة بتسجيل ما ذكرته الاذاعة في يوم ٧٥/١١/٥ وهو « ان مناطق الحـدود الاسرائيلية — اللبنانية تشهد هدوءا بسبب انهماك « المخربين » في أحداث لبنان » لكن الاذاعة دعت الحرس الاهلي المحلـي مع ذلـك الى « اليقظـة والتأهب » كي لا يباغتهم « المخربون » .

ذلك هو كل ما تورده الاذاعة بخصوص اسباب الازمة اللبنانية : تركيز على « شرور » الوجود الفلسطيني في لبنان [مع اغفال لكون اسرائيل هي سبب هذا الوجود طبعا] ، وتمييع لاطراف وصورة الازمة ، مع اشارات غامضة ومبهمة ومجتزأة للمطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الاصلاحية المرفوعة [والباسها الثوب الطائفي الفاتح طبعا] مع عملية متواصلة بلا انقطاع من التحريض الطائفي وتشويه حقيقة المواقف وتحريف مسار التوجهات .

ثالثا : اليهود اللبنانيون ، جريا على عادتها ، وانطلاقا من ايديولوجيتها الصهيونية في اعتبار اليهود في اي بلد من البلدان ، هم مجرد « جالية » يهودية أو اسرائيلية تعيش في « الشتات » أي خارج « الوطن — صهيون » ، كان من الطبيعي أن تلعب الاذاعة بورقة اللبنانيين من أصحاب الديانة اليهودية . وبرغم انها بثت في عدة مناسبات روايات عن تعرض « اليهود » و « الحي اليهودي» لاخطار فظيعة ، الا ان معطيات الواقع فضحت المحاولة فلم تتمكن من المضي بها بعيدا ، واضطرت الى الانزواء قليلا . ثم ان الاذاعة نفسها بثت مقابلة مع سيدة لبنانية يهودية غادرت بيروت الى باريس من جراء الاشتباكات ، أكدت فيها هذه السيدة انها غادرت لبنان « بشكل طبيعي » ونفت ان يكون اليهود يعيشون في « جيتو » بل قالت ان وادي ابو جميل « حي يهودي عادي كانت تعيش فيه بدون اي ضغط أو ازعاج من الخارج » ، وان « الوضع كان جيدا بصورة عامة ، وان اليهود يعيشون بحرية ولا احد يعترضهم » وان يهود لبنان يعدون ما بين الفين وثلاثة آلاف نسمة . (اذيعت المقابلة يوم ٧٥/١١/٩) .

كما اضطرت الاذاعة يوم ٧٥/١١/٣ الى ان تنقل نبأ قيام م.ت.ف بارسال مواد غذائية تكفي لمدة اسبوعين الى مجموعة من ستين يهوديا احتجزتهم الاشتباكات في كنيس في بيروت » . لكن الاذاعة استدركت بان وكالة الانباء الفلسطينية « لم تذكر ما اذا تم انقاذهم من الكنيس » !

رابعا : التقسيم ، طالما ان التقسيم ، اي تقسيم على الاطلاق في الوطن العربي وفي دولة يخدم مصالح اسرائيل بالدرجة الاولى ، وطالما ان انشاء كيانات طائفية في المنطقة سيكون خير تبرير لوجود الكيان اليهودي ، فمن الطبيعي ان يكون موقف الاذاعة من موضوعة التقسيم المشبوه في لبنان ، مفهوما مسبقا . ولعل اوضح ما فعلته في هذا الصدد الاشارة الى محاولة مفتعلة وغامضة وتافهة الشان ، لخلق ما وصف بانه كيان للمسيحيين في احدى مناطق الضفة الغربية . وكانت المسالة فقاعة صابون تلاشت بسرعة دون أن تثير اكتراث أحد .

خامسا : العرب المسيحيون في اسرائيل ، حاولت الاذاعة بصورة حثيثة أن « تخلق » شعورا « طائفيا » بين أوساط الفلسطينيين المسيحيين الموجودين في اسرائيل وشعورا « تضامنيا » بينهم وبين « اخوانهم » في لبنان الذين يتعرضون « للذبح والابادة » . وفي هذا النطاق ذكرتهم الاذاعة بان لمعظمهم أقارب وأهل بين مسيحيي لبنان . وحاولت مرة أخرى ومرات لاحقة أن تثير موارنة فلسطين بالذات ، ومن ورائهم موارنة الولايات المتحدة كذلك . « اذ كيف يجوز لهم أن يسكتوا أمام ما يجري لاخوانهم في لبنان ؟! » .

وفي ٧٥/١١/٣ كشفت النقاب عن محاولة الاثارة أفراد الطوائف المسيحية في حيفا ، وحملهم على العمل من « أجل اخوانهم في لبنان » . وانعقد اجتماع حضره بعض السكان الموارنة والكاثوليك والارثوذكس الذين « تحفظوا على فكرة التظاهر قرب سفارات الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا للمطالبة بانقاذ المسيحيين في لبنان . » ... « وقال حضور الاجتماع انهم يوافقون على التظاهر بثلاثة شروط : اذا تلقوا اشارة من الحكومة ، واذا قام الموارنة في أميركا بعمل مماثل ، واذا انضم المسلمون في اسرائيل للتظاهرت كذلك » . وهكذا من الواضح تماما ان محاولة الاثارة اخفقت بدليل ان أصحاب الشان وضعوا شروطا تعجيزية . لكن الاذاعة بررت المحاولة مع ذلك بان المسيحيين في اسرائيل — وعددهم يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ الفا ، « لمعظمهم أقارب في لبنان » !

على ان هذه المحاولة الشريرة لاثارة الفتنة « والتخاذل الطائفي » جوبهت بصفعة مدوية قبل ظهر السبت ٧٥/١١/٨ عندما طاف مراسلوها في انحاء فلسطين بحثا عن موقف العرب في اسرائيل — والمسيحيين خاصة والموارنة بصورة اخص —

من احداث لبنان . ولنقرأ معا وبهدوء المقدمة التي بدأت بها الإذاعة تحقيقها هذا : « لنحاول للحظة اجراء تجربة وهمية: خارج حدود اسرائيل الشمالية تعيش جالية يهودية كبيرة نصفها يهود شرقيون والنصف الاخر يهود غربيون . ومنذ ستة اشهر تدور معارك ضارية بين هؤلاء اليهود الشرقيين وبين اليهود الغربيين في مدينة المهجر الشمالية هذه، وعلى بعد ٧٠ كلم من حيفا . فما هي الاصداء التي كان سيثيرها مثل هذا الامر في البلاد ؟ واية تظاهرات كانت ستحدث ؟ » . تلك هي المقدمة الافتراضية المشبوهة التي بدأ بها المراسل جاد ليفي وهي حرية بالتأمل وجديرة بالتفكير . لكننا لن نتوقف كثيرا عندها الان ، بل نريد المضي مع التحقيق الاذاعي لنعرف رد فعل العرب في اسرائيل على احداث لبنان . وهنا يقول المذيع ، وبعد تلك المقدمة المدروسة بعناية : « لكن الجالية العربية في البلاد التي ٢٠٪ منها مسيحيون ، لن تنفعل باحداث لبنان ، واذا كانت لديها مشاعر فان مشاعرها خفية » .

ولقد كان مضطرا للجوء الى حكاية « المشاعر الخفية » هذه ، لان نتيجة التحقيق كما سيتبين فيما بعد ، ان جميع المسيحيين الذين سئلوا عن رأيهم ، خيبوا امله تماما . انه يقول « وكان هدف التحقيق معرفة ما اذا كان المسيحيون في البلاد — اسرائيل — ينظرون الى احداث لبنان على انها هجمة اسلامية على ابناء طائفتهم ، وهل هويتهم كمسيحيين هي الاهم في هويتهم العامة ؟ ان السؤال مطروح بصورة خاصة على اولئك الذين ولدوا في اسرائيل وتثقفوا فيها . اي هل الشباب المسيحي في اسرائيل يعتبر نفسه عربيا اولا وقبل كل شيء وبعد ذلك مسيحيا ؟ »

واكتشف المراسل بعد سلسلة من المقابلات مع العرب المسيحيين في اسرائيل انهم يعتبرون انفسهم عربا اولا وقبل كل شيء ، وانهم لا يعتبرون احداث لبنان امرا يخصهم بصورة خاصة من الناحية الطائفية . وبالاضافة الى ذلك فان العرب المسيحيين اليساريين الذين قابلهم المراسل اكدوا له ان الصراع في لبنان ليس طائفيا ، « بل حربا سياسية طبقية بين المتمولين والفقراء » . وقابل المراسل شخصا مسلما وصفه كذلك بانه يساري ، اتهم اسرائيل بأنها تساعد احد الاطراف في النزاع في لبنان !

سادسا : الدولة الديموقراطية العلمانية ، كان هذا اخطر جانب استغلته الدعاوة الاسرائيلية في الازمة اللبنانية . لقد اعتبرت « الصيغة اللبنانية » القائمة هي « دولة ديموقراطية علمانية » ، وبنت على هذا الافتراض الخاطىء نتيجة مضللة ، وهي عدم جدوى واستحالة بناء الدولة الديموقراطية العلمانية التي تدعو اليها الثورة الفلسطينية في فلسطين .

وفي هذا السياق نقلت الاذاعة عن رئيس حكومة اسرائيل يتسحاق رابين في ٧٥/٩/١٧ قوله « ان كل من يريد دليلا على ان الدولة العلمانية الديموقراطية ذات الاغلبية الاسلامية غير ممكنة ، هو الدليل » . وان قول رابين هنا « ذات الاغلبية الاسلامية » مسألة تستحق النظر !

ثم جاء دور نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية يجآل آلون ليدلي بدلوه في ٧٥/٩/٢٠ . لقد صرح بأنه شديد الاستياء « من سكوت العالم بصفة عامة ، والعالم المسيحي بصفة خاصة ، حيال حقيقة ان الطائفة المسيحية التي هي طائفة مهمة جدا في لبنان ، تلاقي الاضطهاد على ايدي غالبية اسلامية متعصبة . وما من احد يفتح فمه ، حتى انك لا ترى تدخلا سياسيا يستحق الذكر لوضع حد لأهراق الدماء . » ثم اضاف : « لقد اعتاد « المخربون » الحديث عن لبنان على انه مثال للدولة الديموقراطية العلمانية التي يمكن ان يعيش فيها ابناء شعوب مختلفة وديانات مختلفة تعايشا سلميا، ومن خلال تعاون ، كما ارادوا ان يروا ارض اسرائيل او فلسطين كما يسمونها . ان الواقع في لبنان يكذبهم . ومع كل الاسف على مصير المسيحيين في لبنان ، فانا نستغل هذه الحقيقة لنؤكد مقدار كذب نظرية م.ت.ف » .

وجاء دور بيرس وزير « الدفاع » لتنقل عنه الاذاعة في ٧٥/١١/٢ قوله : « انهم يطالبون بدولة ثنائية القومية ، وها نحن تعلمنا معنى هذه الدولة في العراق الذي قام بتصفية الاكراد ، وفي لبنان حيث يعمل المتمولون منا ينسونه ايجاد الديمقراطية » .

سابعا : تدويل الازمة ، لعل اسرائيل كانت اكثر الجهات في العالم اهتماما بتدويل الازمة ، وسعيا وراء التدويل . فطوال شهور الازمة الطويلة ، واسرائيل تناشد العالم ، و « العالم المسيحي » خاصة ، ان يتدخل لصالح المسيحيين

الذين يتعرضون للذبح والابادة في لبنان . وان اسرائيل باذاعتها وصحفها كثيرا ما وجهت اللوم القاسي والتوبيخ الشديد لهذا « العالم » لوقوفه لا مباليا . وها هي الاذاعة تنقل عن «نوميني كورير» قولها في ٧٥/٥/٢٢ ان « المخربين يعتزمون القضاء على الاقلية المسيحية في لبنان ، والغريب في الامر ان البابا القلق جدا على مصير القدس لا يكترث بمصير المسيحيين في لبنان » !

وتنقل عن هارتس قولها في ١٠/١٣ « ان الزعماء المسيحيين في لبنان خاب املهم لان العالم المسيحي الغربي وقف جانبا ولم يتدخل لصالحهم » .

وهـا هي تنقل عن « اومر » في ٧٥/١٠/١٥ « استغرابها لعدم اكتراث العالم المسيحي تجاه مسيحيي لبنان ، وان اسرائيل تعطف على الطائفة المسيحية في لبنان لانها عنصر تقدمي يمكن العيش معه في علاقات جوار جيدة في المستقبل » !

طبعا لم ينس العالم بعد ان اهالي قريتي اقرت وكفربرعم الذين طردتهم اسرائيل من اراضيهم وكنائسهم ولا تزال ترفض جميع طلباتهم للعودة الى بيوتهم .. هم مسيحيون ، وموارنة !

ومرة اخرى تنقل الاذاعة عن « نوميني كورير » في ٧٥/١٠/١٦ « احتجاجها لان الحرب الاهلية في لبنان لم تثر حتى الان الراي العام العالمي رغم ان « المخربين » اعلنوا بصراحة ان في نيتهم السيطرة كليا على هذه الدولة » !

ان الصحيفة لم تجشم نفسها عناء ذكر المصدر الذي فهمت منه ان « المخربين » هؤلاء قد « اعلنوا بصراحة » ذلك الموقف .. ولا الاذاعة نقلت ! .

على ان هذه الصحيفة نفسها تعود الى الاحتجاج بلهجة اشد ، كما نقلت عنها الاذاعة صبيحة ٧٥/١١/٢ ، وذلك « لان الدول الكبرى وجميع دول العالم المسيحي صامتة على الرغم من خطر ابادة الطائفة المسيحية في لبنان » !

وبلغت حملة التدويل ذروة اخرى فيما نقلته الاذاعة عن مندوب اسرائيل الدائم في الامم المتحدة حاييم هرتسوج في ٧٥/١١/٣ ، حين قال « انه مندهش لان الجمعية العامة للامم المتحدة اختارت ان تشغل نفسها باسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ، بينما الطائفة المسيحية في لبنان معرضة لخطر شديد » . ثم اضاف هيرتسوج مباهيا : « ان صوت اسرائيل كان الصوت الوحيد في الجمعية العامة الذي اعرب عن القلق ازاء الوضع في لبنان » !

.. ووافقت فرنسا على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في باريس . وجاءت الفرصة لوزير خارجية اسرائيل ، فنقلت عنه الاذاعة « لوما لفرنسا لانها فتحت المكتب ، ولانها تتجاهل كذلك مشكلات الطائفة المسيحية في لبنان التي تخلت عنها الدول التي تؤيدها عادة » . ثم يمضي آلون الى القول : « ان منح م.ت.ف مكانة معينة في باريس بينما تلعب م.ت.ف دورا عسكريا ضد الطائفة المسيحية في لبنان ، كان حتى من ناحية التوقيت ، وليس من ناحية الاعتبارات السياسية فقط ، خطأ كبيرا » !

ثامنا : التمهيد للتدخل ، كان واضحا من اسلوب توجيه الاخبار والتعليقات ان هناك تمهيدا متواصلا لاحتمال التدخل الاسرائيلي العسكري في لبنان . وتركزت عملية التمهيد النفسي في ذريعتين : احدهما ورقة يهود لبنان وما يتعرضون له من « اخطار رهيبة » ، والثانية التهويل بما ادعته الاذاعة من تدخل سوري عسكري في الازمة اللبنانية . ففي البداية لم تستبعد الاذاعة (على لسان دكتور يهوشواع بورات في ٧٥/٥/٢٤) ان تغلق سوريا حدودها مع لبنان ، وقيامها بتعزيز قوة الصاعقة وجيش التحرير ، او حتى ارسال جنود سوريين بلباس فلسطين » .

وبعد ذلك بيومين ، قال دكتور رابينوفيتش الذي سبقت الاشارة اليه ، في مقابلة في الاذاعة يوم ٧٥/٥/٢٦ ان « سوريا تتدخل في لبنان لانها ورثت مهمة مصر التي قامت بها في العام ١٩٥٨ ... وان سوريا تتدخل عسكريا بواسطة الصاعقة التي هي في الواقع منظمة سورية » !

وصبيحة يوم ٥/٢٧ نقلت الاذاعة عن الصحف الاسرائيلية « قلقها من قيام سوريا بالقضاء على استقلال لبنان » . واوضحت صحيفة « فياتسا نوسترا » في اليوم نفسه ان عملية الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان في ذلك الحين «استهدفت اعطاء تحذير واضح حول ما يمكن ان تفعله اسرائيل اذا سيطر الاسد وعرفات على لبنان » .

وفي ٧٥/٩/٣٠ نقلت الاذاعة عن « شماريم »

قولها ان القدس وواشنطن اتفقتا على الامتناع عن الادلاء بتصريحات الى ان يتضح ما سيحدث في بيروت » . وأضافت ان مستقبل العلاقات بين اسرائيل وسوريا سيتحدد بعد معرفة ما سيحدث في لبنان » .

ثم ظهر الحديث عن « الابتلاع » ، اذ نقلت عن « شعاريم » قولها في ١٠/١٣ ان « سوريا ستزداد قوة نتيجة لابتلاع اقسام من لبنان » .

وبمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في القاهرة للنظر في احداث لبنان ، استعرضت الاذاعة يوم ١٠/١٥ احتمالات التدخل العسكري الغربي في لبنان ، وخلصت الى ان « الذين يشكلون الخطر الاكبر على لبنان الان هم المنظمات الفلسطينية التي تتمتع بتأييد كبير في بعض الدول العربية » واستنتجت « ان الموارنة الراغبين بالحفاظ على استقلال لبنان يخشون اكثر من اي طرف اخر دخول قوات عربية الى لبنان » .

وارتفعت عملية التمهيد للتدخل ، او على الاقل التهديد الصريح به يوم ١٠/٣١ حين نقلت الاذاعة عن رئيس الاركان قوله « ان ما يهمنا هو الا يصبح لبنان دولة مجابهة . واذا دخلت قوات عربية وخاصة سورية الى لبنان، فسوف يكون للامر مغزى عسكري من الدرجة الاولى ، لان ذلك سيكون بمثابة فتح جبهة جديدة على حدود اسرائيل في منطقة حساسة من الناحية المدنية » .

بل ووصل التهديد بالتدخل والحث عليه الى الكنيست . فلقد اوردت الاذاعة يوم ١١/٢ عن النائب الليكودي المئون لين انه طلب اجراء مناقشة عاجلة في الكنيست حول ما يحدث في لبنان ، ذلك لان سوريا تبعث بقوات عسكرية تحت ستار منظمات « المخربين » ، وان واجبنا الامني يقضي بالتحرك بسرعة . وكذلك هناك سبب اخلاقي يفرض علينا ان نهب لمساعدة المسيحيين في لبنان ، اذ كيف نبقى صامتين وامامنا شعب كامل يتعرض للابادة»؟!

وبلغ التهديد بالتدخل ذروته في ٧٥/١١/٣ عندما هدد السفير الاسرائيلي في واشنطن سيمحا دينيتس، بان اسرائيل ستدرس بصورة جدية القيام بعملية عسكرية اذا تدخلت اية دولة عربية في النزاع القائم » .

تاسعا : الجانب الاقتصادي ، اهتمت الاذاعة كثيرا بجميع التقارير التي تحدثت عن قيام بعض الشركات والوكالات الاجنبية بنقل اعمالها ومراكزها من بيروت الى عواصم اخرى كاثينا او عمان . كما اهتمت بالحديث عن السفن السياحية التي كانت تصل الى ميناء حيفا « متجاوزة بيروت بسبب الاشتباكات » .

عاشرا : يمكن القول بتجرد ان الاذاعة كانت سعيدة بالازمة في لبنان ، وحرصت على نقل الكثير من « التحليلات » التي تؤكد ان « الازمة في تدهور » وانها « لا مخرج منها ولا حل لها » .

بل ان الاذاعة حرصت في كثير من الحالات على ان تنقل بعض بيانات اذاعة بيروت عن حالة الهدوء ، او الهدوء النسبي في بيروت ، ثم تنقل بعد ذلك ما جاءت به وكالات الانباء من احداث وقعت في بيروت تكذيبا للاذاعة اللبنانية ، ومضيا مع الازمة .

محمد نصر

[٣]

تخفيض الليرة الاسرائيلية

قامت الحكومة الاسرائيلية في اواخر الشهر الماضي باتخاذ قرار خفضت بموجبه قيمة العملة الاسرائيلية بنسبة ٥ر١٪ تقريبا بحيث اصبح سعر الليرة الاسرائيلية ٧١٠ اجورا لكل دولار ، وقد وصفت الاذاعة الاسرائيلية هذا القرار بانه « جزء من سياسة الحكومة لاجراء تخفيضات زاحفة في قيمة العملة للحفاظ على ربحية الصادرات » واضافت الاذاعة « ولن تفرض اعباء جديدة على الاستهلاك وستحافظ السلع الاساسية على اسعارها ... (وقد) تقرر تخفيض قيمة العملة بسبب ارتفاع سعر الدولار بالمقارنة مع عملات اخرى . وحيث ان الليرة مرتبطة بالدولار فقد ارتفعت قيمتها بالنسبة لسائر العملات ، وبذلك تضررت ربحية الصادرات الاسرائيلية .. » (ر.أ.ا. رقم ٩٥٠) . وقد اتى هذا التخفيض في سلسلة من عمليات التخفيض الضئيلة التي اتخذت اكثر من مرة قبل ذلك ويتوقع ان تستمر كما صرح بذلك اكثر من مسؤول اسرائيلي . وتعتبر هذه التخفيضات ضئيلة بالقياس الى التخفيض الذي جرى على الليرة الاسرائيلية في العام ١٩٧١ حيث خفضت في حينه بنسبة ٢٠٪ وهبطت قيمتها بالتالي من ٣ر٥٠ الى ٤ر٢ ليرة لكل دولار ، وكذلك التخفيض الذي طرأ على الليرة الاسرائيلية من ضمن اجراءات الحكومة التي اتخذتها بعد حرب تشرين حيث خفضت قيمة الليرة بنسبة تبلغ حوالي ٤٣٪ وهبطت قيمتها من ٤ر٢ الى ٦ ليرات لكل دولار . وقد ارتبط تخفيضها الكبير الاول في ١٩٧١ بازمة الدولار وقيام الحكومة الامريكية باتخاذ مجموعة من الاجراءات الاقتصادية وفي رأسها تخفيض قيمة الدولار ، ونتيجة لارتباط الليرة الاسرائيلية بالدولار فقد كان من الطبيعي خفض قيمة الليرة الاسرائيلية بنسبة قريبة من نسبة الخفض الذي طرأ على الدولار وذلك لكي تحافظ الصادرات الاسرائيلية على موقعها في السوق الامريكية والتي تستوعب نسبة عالية من الصادرات الاسرائيلية . والخفض الجديد الذي طرأ على الليرة الاسرائيلية ليس ببعيد عن التطور الذي حدث على الدولار الأمريكي الذي تحسنت قيمته نسبيا بعد ان تجاوز الاقتصاد الامريكي بدرجة معينة الازمة الحادة التي عصفت به نتيجة للحرب الفيتنامية . ولكن بالاضافة الى مؤثرات التبدل الذي طرأ على قيمة الدولار الامريكي ثمة اعتبارات وعوامل اخرى وراء قرار الخفض الزاحف الذي اتخذته الحكومة الاسرائيلية، ولا بد من الاشارة الى هذه الاعتبارات ودلالاتها ونتائجها القريبة والبعيدة . على انه من المفيد الاشارة الى بعض الامور التي قد تساعدنا على فهم بعض الاجراءات الاسرائيلية على حقيقتها ، وذلك تجنبا للدلالات الخاطئة لبعض الظواهر . وفي رأس هذه الامور الفهم الشائع الذي تتداوله بعض الاوساط الاعلامية لموضوع تخفيض قيمة العملة كدليل على ضعف وهزال الاقتصاد ، باعتبار ان مثل هذا القرار لا يعني بالضرورة ضعف الاقتصاد ، فارتفاع قيمة العملة احيانا يكون ذا اثر سلبي على الوضع الاقتصادي ، كما هو الامر بالنسبة لالمانيا واليابان ، عندما جابهتا ضغوطا امريكية لرفع قيمة عملتيهما ، لكنهما قاومتا هذه الضغوط تلافيا للنتائج السلبية لمثل هذا الاجراء على صادراتهما .

وهذا القول لا يهدف لتشبيه الاقتصاد الاسرائيلي باقتصاد هاتين الدولتين بل للاشارة الى خطأ الفكرة الشائعة عن موضوع تخفيض قيمة العملة ، واعتبار التخفيض امرا مرادفا للضعف الاقتصادي ولغيره من الامراض . فالتخفيض قد يكون ناشئا عن اعتبارات تتجاوز الاهداف القريبة للاهداف البعيدة ، ويكتسب هذا الامر بالنسبة لاسرائيل اهمية خاصة نتيجة للدور الكبير الذي يحتله القرار السياسي عند صنع سياستها الاقتصادية . والامر الثالث والهام والذي قد يساعد في تكريس الدلالات الخاطئة لاي هدف اقتصادي تتوخاه الحكومة الاسرائيلية من طراز قرار تخفيض العملة هو تكامل مثل هذا القرار مع ما عرف عن الاقتصاد الاسرائيلي من ازمات حادة كان يجري التركيز عليها ، وبالتحديد ميزان المدفوعات المتدهور . وهنا من الضروري عدم الوقوع في شرك المعلومات المضللة التي تقدمها اسرائيل وهي التي عرف عنها تضخيمها المستمر لازماتها لضمان حصولها على المعونات والمساعدات سواء من يهود العالم او من الدول الامبريالية . واذا كان تدهور ميزان مدفوعاتها يرتبط باعباء الحرب والمصروفات الامنية ، فما علينا سوى ان نتذكر ان كافة تكاليف الحرب مدفوعة من قبل الامبريالية الامريكية ، اذ ليس من قبيل المصادفة

ان تبلغ مساعدات الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل في العام ١٩٧٣ — ١٩٧٤ مبلغا يساوي ١٤ مليار و ١٨٥ مليون ليرة اسرائيلية في الوقت الذي بلغت فيه موازنة الدفاع الاسرائيلية لذلك العام مبلغا يساوي ٥ر١٤ مليار ليرة اسرائيلية * . اي ان المساعدات الامريكية قد غطت الموازنة العسكرية الاسرائيلية بالكامل ، وبالعملة الحرة ايضا ، في الوقت الذي غطي فيه جزء كبير من الموازنة العسكرية الاسرائيلية من المواد المحلية ، علما بان نسبة المساعدات الامريكية للاعوام اللاحقة لم تقل ، بل على العكس من ذلك فقد حصلت اسرائيل على كافة طلباتها من الولايات المتحدة الامريكية .

وان تخفيض العملة هو جزء من السياسة الاقتصادية الصارمة التي تمارسها الحكومة الاسرائيلية ، وتخدم هذه السياسة هدفين مزدوجين في الوقت نفسه ، اهداف قريبة واهداف استراتيجية بعيدة المدى ، مع الاشارة الى الاهمية الخاصة للاهداف بعيدة المدى ، وتخفيض العملة ليس سوى جزء من الخطة الشاملة .

ان الهدف الأول هو الحفاظ على موقع الصادرات الاسرائيلية ، واحتفاظها باسعارها الحالية في اسواقها الدولية ، ان لم يكن تحسينها . ويرتبط هذا الامر بارتفاع قيمة الدولار في السوق الدولية ، وارتفاع سعر الليرة الاسرائيلية تلقائيا لانها مرتبطة به ، ولذا فقد كان من الضروري اجراء تخفيض في قيمة الليرة الاسرائيلية بنسبة قريبة من تلك النسبة التي ارتفعت بها قيمة الدولار . وتشكل السوق الامريكية مستوردا رئيسيا للسلع الاسرائيلية ، بحيث بلغت نسبة وارداتها عام ١٩٧٢ ٢٢٫١٩٧٢٪ من اجمالي صادرات اسرائيل الصناعية . والوجه الاخر لعملية التخفيض هو الحد من الواردات الاسرائيلية من السلع الأجنبية ، باعتبار ان تخفيض قيمة العملة سيؤدي تلقائيا الى ارتفاع سعر السلع الاجنبية في السوق الاسرائيلية الامر الذي سيخفف الطلب عليها ، وهذا بدوره يسهم في تخفيض العجز في ميزان المدفوعات الاسرائيلي ، وحتى لو لم ينخفض الطلب . ولكن المستهلك الاسرائيلي سيضطر عندها لدفع سعر اعلى مقابل الحصول على السلع المستوردة ، الامر الذي يساعد الحكومة على امتصاص جزء اكبر من العرض النقدي ولهذا الامر انعكاساته على التضخم وهو احد مشاكل اسرائيل المزمنة .

ولكن كلا الاحتمالين لا يشكل حلا لمشكلة ميزان المدفوعات ، والذي اعتبر الهدف الاساسي لموضوع تخفيض العملة ، وذلك لعدم وجود مرونة كبيرة في موضوع الواردات والصادرات الاسرائيلية . خصوصا وان الواردات الاسرائيلية من السلع الاستهلاكية بلغت عام ١٩٧٠ حوالي ٩ر٨٪ فقط من جملة وارداتها بينما تتركز بقية الواردات في السلع الوسيطة والاستثمارية . اضافة الى وارداتها من الاسلحة . وبالتالي فان انعكاسات تخفيض قيمة العملة على ميزان المدفوعات ستكون في حدود ضئيلة .

وان تخفيض قيمة الليرة سوف يؤدي الى خلق ضغوط جديدة على مستوى المعيشة في اسرائيل باعتبار ان ارتفاع اسعار الواردات سينعكس بشكل ارتفاع اسعار السلع المستوردة او السلع التي تدخل في صناعتها موادا مستوردة . لكن وبرغم ان المواطن الاسرائيلي يدفع اعلى نسبة ضرائب في العالم ، فان حجم الضغوط على مستوى المعيشة لا يمكن ان يشكل الى درجة خطرة ، بل هو من صلب الخطة الاقتصادية الاسرائيلية الصارمة ، اذ برغم الاحتجاجات التي جوبهت بها هذه الخطة ، فان الحكومة الاسرائيلية تضع نصب عينيها تخفيض مستوى المعيشة ، والهامش الذي تتحرك في حدوده يبلغ حوالي ٥٪ . وقد اشار المسؤولون الاسرائيليون في اكثر من مناسبة الى ضرورة تخفيض مستوى المعيشة بنسبة ٥٪ ، وقد استند المسؤولون الاسرائيليون في قولهم هذا على اساس ان المواطن الاسرائيلي قد حقق في السنوات الماضية معدلات مرتفعة على صعيد مستوى المعيشة يمكنه من تحمل ضغوط جديدة . وبسبب وجود هامش بحدود ٥٪ يمكن للحكومة الاسرائيلية ان تخفض مستوى المعيشة دون ان يصل الامر الى حد الخطر ، كذلك فان التمييز الذي اتبعته على صعيد السلع الضرورية قد حد من الاثار السلبية لموضوع ارتفاع اسعار الواردات ، حيث استثنيت السلع الاستهلاكية الضرورية من هذا الارتفاع . وبهذا القرار خفف العبء عن كاهل ذوي الدخل المحدود .

لكن وبرغم ضوابط هذا القرار فان مستوى المعيشة لا بد وان ينخفض والاثار السلبية لا بد وان تعم التجمع ككل ، وبالتالي لا بد وان تحدث عمليات احتجاج واسعة النطاق على القرار الاسرائيلي . لكن برغم الاثار السلبية الاتية فانها

*بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي ص ١٢٦ .

لا تقاس بالاثار الايجابية التي يخدمها ذلك القرار في المدى البعيد والذي هو جزء من خطة الحكومة الاسرائيلية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي ، الذي هو هدف ابعد بكثير من موضوع الحفاظ على الموقع الحالي للصادرات الاسرائيلية .

اننا لا نستطيع عزل قرار الحكومة الاسرائيلية هذا عن ترتيباتها للاندماج الكامل بالسوق الاوروبية المشتركة تنفيذا للاتفاقية التي وقعت بين الطرفين . ويتضح ذلك من ملاحظة الخيار الذي لجأت اليه الحكومة الاسرائيلية ، فقد كان بامكانها ان تحافظ على مواقع صادراتها من خلال رفع حوافز التصدير وان تخفض وارداتها من خلال رفع نسبة الجمارك التي تفرضها على الواردات . ولمثل هذين الاجراءين على الاقتصاد الاسرائيلي نفس اثار تخفيض قيمة الليرة تقريبا . وعدم لجوئها الى هذين الاجراءين يرتبط اشد الارتباط باهداف المستقبل اكثر من ارتباطه باهداف الحاضر ، اذ ان سريان الاتفاق بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة سيعني ، برغم التسهيلات التي قدمت لاسرائيل ، ان لا مجال لحوافز التصدير او الحواجز الجمركية ، وبحكم الاتفاق ستكون اسرائيل مضطرة لالغاء مثل هذه القيود وحريتها في وضع اية حواجز بالمستقبل ستكون محدودة ومرهونة بموافقة دول السوق ، وبالمقابل فان دول السوق لن تجبر اسرائيل على رفع قيمة عملتها وهذا الامر له نفس اثر الحواجز الجمركية في حماية الصناعة المحلية الاسرائيلية . ويمكن لنا اعتبار خطوة اسرائيل هذه والخطوات اللاحقة جزءا من مرحلة التكيف التي تقرر اعطاؤها لاسرائيل . وقد تأكد هذا الامر اكثر فاكثر من خلال سياسة اسرائيل القائمة على فك ارتباط الليرة الاسرائيلية بالدولار ، وربط قيمتها بمجموعة من العملات اي ان تتحرك قيمتها صعودا او هبوطا في ضوء ما يطرأ على قيمة هذه العملات من تبدل ، وربط قيمة الليرة الاسرائيلية بمجموعة عملات ، وليس بالدولار وحده ، يعني توجها لربط الاقتصاد الاسرائيلي باسواق هذه العملات . وبالتاكيد فان العملات المقصودة بالاضافة الى الدولار هي الجنيه الاسترليني والمارك الالماني ، علما بان بريطانيا والمانيا الغربية هما المستوردان الرئيسيان للسلع الاسرائيلية ، في دول السوق المشتركة ، وقد استوردتا في العام ١٩٧٣ حوالي ٥٠٪ من اجمالي واردات دول السوق المشتركة مجتمعة . ويتضح مما تقدم ان جهود اسرائيل للتكيف مع مرحلة الاندماج الكامل بالسوق المشتركة هو الهدف الرئيسي وراء سياستها الاخيرة القائمة على تخفيض الليرة الاسرائيلية بشكل زاحف وبنسب ضئيلة تمهيدا للوصول بالليرة الاسرائيلية الى وضع يمكنها من الاندماج بالسوق المشتركة بدون ان يلحق بالاقتصاد الاسرائيلي اثارا ضارة كبيرة . والاثار السلبية الجانبية لقرار تخفيض الليرة الاسرائيلية لا تقارن بالاهداف البعيدة التي تتوخاها اسرائيل من سياستها تلك .

حسين ابو النمل

شهريـــات

(١) المقاومـــة الفلسطينية

فلسطين في الامم المتحدة

بعد سنة من اعتلاء منظمة التحرير الفلسطينية منبر الجمعية العمومية للامم المتحدة عضوا مراقبا في دورتها التاسعة والعشرين والنصر الفلسطيني الذي تحقق في تلك الدورة بالقرار ٣٢٣٦ الـذي اعترف بـ م ت ف ممثلة للشعب الفلسطيني ، بعد سنة من ذلك اتخذت الجمعية العمومية في دورتها الثلاثين عددا من القرارات تعزز قرارهـا السابق الذكر وتضيف رصيدا جديدا للنضـال السياسي والدبلوماسي الذي تخوضه م ت ف .

بدأت المعركة السياسية في اطار اللجنة الاجتماعية للامم المتحدة التي صوتت في ١٧ تشرين الاول على توصية للجمعية العمومية استعرضت في مقدمتهـا قرارا للجمعية العمومية اتخذته في العام ١٩٦٣ حول الغاء كافة اشكال التفرقة العنصرية ، والذي يقضي بان كل نظرية تدعو الى التمييز والاستغلال العنصري هي نظرية زائفة عمليا ومدانة اخلاقيا وتشكل حالة خطرة اجتماعيا ، كمـا استعرضت التوصية قرار الجمعية العمومية في العام ١٩٧٣ الذي ادان التحالف غير المقدس القائم بين العنصرية في جنوب افريقيه وبين الصهيونية ، وخلصت الـى « ان الجمعية العمومية للامم المتحدة اخذة بعـين الاعتبار كل هذه القرارات ... تقرر اعتبـار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييـز العنصري » . وقد صوتت لجانب القرار سبعـون دولة وصوتت ضده عشرون .

وكان منتظرا عرض هذا القرار على الجمعية العمومية لياخذ صيغته النهائية . وقد قامت اسرائيل بحملة دبلوماسية واسعة لمنع اقراره حال عرضه . وتالت دوائر القدس (كما نقلت ذلك « وصرف »/ « النهار » ١٠/٢٣) ان الدبلوماسية الاسرائيلية تبذل جهودها لتكسب الى صفها الوفود التي امتنعت عن التصويت في اللجنة وتلك التي لم تشترك فـي التصويت . واشارت هذه الدوائر الى ان الحملة تستهدف ايضا الدول التي صوتت ضد هذ القرار للتاكد من انها لن تتأثر « بالجهود المربيـة والسوفياتية » . كما قامت الولايات المتحدة مـن جانبها بجهد مماثل واعلن الرئيس الاميركي فورد ، في مأدبة اقيمت في سان فرنسيسكو ، انه سوف ينظر شخصيا بعدم رضا الى اي تصويت للجمعية العمومية للامم المتحدة في شأن اعتبار الصهيونيـة شكلا من اشكال العنصرية وان الولايات المتحدة « ستحول دونه » (« السفير » ١٠/٣١) .

غير انه بجانب السعي لادانة الصهيونية كحركة عنصرية كان هناك جهد اخر يبذل للخروج بقرارات ايجابية اخرى من شأنها تدعيم القرار ٣٢٣٦ الذي اتخذته الجمعية العمومية في العام الماضي .

وكانت مصر الهادئة من تحركها السياسي الـى اشراك م ت ف في مؤتمر جنيف على اساس القرار ٢٤٢ قد تقدمت بمشروع قرار الى الجمعية العمومية نص على ما يلي :

« الجمعية العامة وقد درست البند المتعلـق بالمسألة الفلسطينية ، واذ تقدر ضرورة التوصـل الى سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط باسرع ما يمكن ، واذ تؤمن بان تحقيق الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطيني طبقا لمبادىء الميثاق واهدافه هو شرط ضروري للتوصل الى سـلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، واذ تأخذ فـي الاعتبار ان مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط يجب ان يتم في القريب العاجل بحضور كافـة الاطراف المعنية لمعالجة مشكلة الشرق الاوسط من كافة جوانبها بهدف التوصل الى تسوية عادلـة ودائمة : (١) تدعو الى اشراك م ت ف ممثلـة الشعب الفلسطيني في اعمال مؤتمر جنيف للسلام

على قدم المساواة مع بقية الاطراف المشتركة في المؤتمر . (٣) تكلف السكرتير العام بابلاغ هذا القرار الى رئيسي مؤتمر جنيف للسلام واتخاذ كافة الخطوات التي تؤمن اشتراك م ت ف في اعمال المؤتمر ، وتطلب من السكرتير العام تقديم تقرير في هذا الشأن الى الجمعية العامة في اقرب وقت » (« الهدف » ١١/٨) .

وكان من الطبيعي ان يرفض الوفد الفلسطيني مثل هذا القرار وقد اكد شفيق الحوت ، الناطق بلسان الوفد ، في مؤتمر صحافي عقده في نيويورك ان م ت ف لن تشترك في اي مؤتمر حول ازمة الشرق الاوسط يكون مبنيا على قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ كما هي الحال بالنسبة لمؤتمر جنيف . (« السفير » ١١/٣) .

وقد اعلنت دمشق نص مشروع قرار سوري مناقض للمشروع المصري يأخذ في الاعتبار القرار ٣٢٣٦ ويدعو مجلس الامن الى تعديل قراره ٢٤٢ وقد تضمن نص المشروع « ١) دعوة منظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل الشعب الفلسطيني الى الاشتراك في الجهود المبذولة داخل نطاق الامم المتحدة من اجل التوصل الى سلام عادل ودائم في الشرق لاوسط ، وذلك على قدم المساواة مع جميع الإطراف الاخرى . ٢) دعوة مجلس الامن الى تعديل القرار الرقم ٢٤٢ الصادر في العام ١٩٦٧ وذلك في ضوء قرارات الجمعية العامة ذات الرقم ٣٢٣٦ و ٣٢٣٧ للعام ١٩٧٤ . ٣) دعوة مجلس الامن الى تطبيق ما هو وارد في الفقرة السابعة من الميثاق على اسرائيل بسبب رفضها المستمر لاحترام ميثاق الامم المتحدة ورفضها تطبيق قرارات المنظمة الدولية . ٤) دعوة جميع الدول الى ايقاف مساعداتها العسكرية والاقتصادية والثقافية لاسرائيل . ٥) دعوة السكرتير العام للامم المتحدة الى ان يعمل على تطبيق هذا القرار ، وتقديم تقرير عن ذلك الى الجمعية العامة في دورة طارئة يتم الدعوة اليها في خلال ثلاثة اشهر من اجل بحث تقرير السكرتير العام المتعلق بدرجة الالتزام بتطبيق هذا القرار بشأن مشكلة فلسطين والموقف في الشرق الاوسط » (« السفير » ١١/٦) .

وقد اعتبر مشروع القرار المصري ، كما ذكر نايف حواتمه (في مقابلة مع وكالة الانباء الكويتية « السفير » ١١/٧) ، « تراجعا مصريا جديدا امام الخطط الامبريالية الاميركية والاسرائيلية . وهذا المشروع تم اعداده والسادات في واشنطن ويسقط النص الصريح عن الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ولا يعتبر قضية فلسطين جوهر الصراع العربي — الاسرائيلي ويغفل النص القرار ٣٢٣٦ الخاص بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية » . وكشف حواتمه النقاب عن ان الوفد الفلسطيني في الامم المتحدة بذل محاولات مع الوفد المصري لسحب المشروع ، ولكن الوفد المصري امر عليه لتعليمات مباشرة من السادات كما ذكر الوفد .

غير ان الوفد المصري عاد في وقت لاحق فسحب مشروعه وجرى تقديم مشروعي قرارين واحدا ليدرج تحت بند قضية فلسطين والاخر كفقرة في بند مشكلة الشرق الاوسط . وفي ١١/١٠ صوتت الجمعية العمومية على مشروعي القرارين. وادرج قرار القضية الفلسطينية تحت رقم ٣٣٧٦ وفيما يلي نصه (كما اوردته « وفا » ١١/١١) :

« ان الجمعية العامة للامم المتحدة تذكيرا بقرارها ٣٢٣٦ الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤، وملاحظة تقرير الامين العام للامم المتحدة بشأن تنفيذ ذلك القرار ، واعرابا عن قلقها العميق لعدم تحقيق اي حل عادل لقضية فلسطين حتى الان ، واعترافا بان المشكلة الفلسطينية لا تزال تشكل خطرا على الامن والسلام الدولي :

اولا : تؤكد من جديد قرارها الرقم ٣٢٣٦ .

ثانيا : تعبر عن قلقها البالغ من عدم تحقيق تقدم نحو :

أ — ممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه الثابتة في فلسطين بما فيها حق تقرير المصير بدون اي تدخل خارجي وحق الاستقلال والسيادة الوطنية .

ب — ممارسة الفلسطينيين حقهم الثابت في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم التي اقتلعوا منها وابعدوا عنها .

ثالثا : تقرر تشكيل لجنة لمتابعة ممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه الثابتة تضم كلا من الدول التالية: السنغال وغينيا وموريشيوس وهنغاريا والمانيا الديمقراطية واوكرانيا وماليزيا والهند والباكستان ويوغسلافيا .

رابعا : تطلب من اللجنة ان تبحث وتوصي الى

الجمعية العامة ببرنامج تنفيذي لتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة الحقوق المعترف بها في الفقرتين ١ و ٢ من قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الرقم ٣٢٣٦ وان تأخذ بعين الاعتبار في وضع توصياتها لتطبيق ذلك البرنامج ، جميع الصلاحيات التي تملكها الاجهزة الرئيسية للامم المتحدة حسب ميثاقها .

خامسا : تخول اللجنة ، خلال ادائها مهمتها ، ان تقيم اتصالات وان تستقبل وتبحث مقترحات ومشاريع من اية دولة او اية منظمة اقليمية ، بالاضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية .

سادسا : تطلب من الامين العام تزويد اللجنة بجميع التسهيلات لاداء مهمتها .

سابعا : تطلب من اللجنة تقديم تقريرها وتوصياتها الى الامين العام في موعد اقصاه اول حزيران ١٩٧٦ ، وتطلب من الامين العام ان يقدم التقرير الى مجلس الامن .

ثامنا : تطلب من مجلس الامن ، في اقرب وقت ممكن ، بعد الاول من حزيران ، بحث قضية ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة المعترف بها بموجب الفقرتين ١ و ٢ من قرار الجمعية الرقم ٣٢٣٦ .

تاسعا : تطلب من الامين العام ابلاغ اللجنة عن الاجراءات التي اتخذها مجلس الامن وفقا للفقرة السابقة .

عاشرا : تخول اللجنة ، اخذا بعين الاعتبار الاجراءات التي اتخذها مجلس الامن ، ان تقدم الى الجمعية العامة في دورتها الحادية والثلاثين تقريرا يتضمن ملاحظاتها وتوصياتها .

حادي عشر : تقرر ان يدرج البند بعنوان « قضية فلسطين » في جدول اعمالها المؤقت لدورتها الحادية والثلاثين .

وقد فاز القرار باغلبية ٩٣ صوتا ضد ١٨ وامتناع ٢٧ دولة عن التصويت .

أما الفقرة التي ادرجت في القرار الخاص بازمة الشرق الاوسط الذي اقر باغلبية ١٠١ صوت ضد ثمانية اصوات وامتناع ٢٥ دولة من التصويت فقد نصت على ما يلي :

« الجمعية العمومية ... اخذا في الاعتبار البند الواقع تحت عنوان قضية فلسطين ، وتأكيدا لقرارها رقم ٣٢٣٦ الصادر في الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ ، والذي اعترفت بموجبه بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، واعترافا بضرورة تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط في اسرع وقت ممكن ، واعتقادا بأن تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفقا لأهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة هو شرط مسبق لتحقيق سلام دائم وعادل في المنطقة ، واقتناعا بان اشتراك الشعب الفلسطيني هو شرط اساسي في اية جهود او مناقشات تستهدف التوصل الى سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط :

اولا : تطلب من مجلس الامن الدولي دراسة وتبني القرارات والاجراءات اللازمة من اجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه الوطنية المشروعة وفقا لقرار الجمعية العامة الرقم ٣٢٣٦ .

ثانيا : تدعو الى دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة الشعب الفلسطيني الى الاشتراك في كل الجهود والمناقشات والمؤتمرات حول الشرق الاوسط والتي تتم تحت اشراف الامم المتحدة على قدم المساواة مع جميع الاطراف الاخرى على اساس القرار ٣٢٣٦ .

ثالثا : تطلب من الامين العام ابلاغ رئيسي مؤتمر السلام للشرق الاوسط هذا القرار ، واتخاذ جميع الخطوات اللازمة لتأمين دعوة منظمة لتحرير الفلسطينية الى المشاركة في اعمال المؤتمر ، كما في الجهود الاخرى للسلام .

رابعا : تطلب من الامين العام تقديم تقرير حول هذا الموضوع للجمعية العامة في اقرب وقت ممكن » .

وفي الوقت نفسه فاز القرار المقدم من اللجنة الاجتماعية والمتعلق باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري الذي ادرج تحت الرقم ٣٣٧٩ بـ ٧٢ صوتا ضد ٣٥ صوتا .

لبنان

ان من ابرز مظاهر الازمة اللبنانية انها متعددة الاسباب متشابكتها نتيجة تعقد الوضع اللبناني المتأزم نفسه وفعل العوامل المحلية (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) فيه ، بجانب بروز الدور الدولي (الاقليمي والعالمي) في صنعه . ولم

تكن هذه الحقيقة بغائبة عن اعين حركة المقاومة الفلسطينية التي فهمت الازمة بجوانبها المحلية والدولية كافة . وسنعرض هنا لفهم المقاومة لهذه الحقيقة من خلال ما تبدى من ذلك خلال الشهر الماضي وهي الفترة التي تغطيها هذه الحلقة من الشهريات .

لقد ادركت الثورة الفلسطينية ارتباط ما يجري في لبنان بما ترتبه الامبريالية الاميركية للمنطقة من مصير ومستقبل بعد ان شرعت الأبواب واسعة امام هجمة النفوذ الاميركي السياسي والاقتصادي ، فـ « هذه القوى الانعزالية [كما قال ياسر عرفات في اجتماع الجبهة العربية المشاركة (« النهار » ١٠/٢٤)] ترى ان هذا هو وقت تثبيت الموقف العربي بعدما انحسرت الموجة التي تصاعدت بعد مؤتمر الرباط عندما خلق موقف عربي نواته سوريا ومصر وفلسطين ، وجاء كيسنجر واستطاع ان يحفر اخدودا في الموقف العربي » . كذلك اعلن فاروق القدومي (ابو اللطف) ، رئيس الدائرة السياسية في م ت ف ، في الامم المتحدة («السفير» ١١/٤) ان « اراقة الدماء في لبنان هي نتيجة مفجعة لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ... لقد اراد اعداء ثورتنا ان يقضوا علينا بان يورطونا في معركة كان لا بد لها ان تحول بيننا وبين التصدي لسياسة الخطوة ـ خطوة » . وقد اوضح ابو عمار توضيحا مفصلا هذه الحقيقة بقوله « ان الازمة اللبنانية جزء من المخططات الامبريالية في الشرق الاوسط . لقد كان ولا يزال الهدف الأساسي للامبريالية الاميركية والصهيونية هو ضرب حركة التحرر العربية وطليعتها المقاتلة ـ الثورة الفلسطينية ، وذلك لتمرير مخططاتها المعادية لطموحات امتنا العربية وامالها في التحرر والعودة . كان ، ولا يزال ، هدف الامبريالية هو استخدام سياسة تعريب الحرب . وقد حاولت ذلك في فيتنام عندما عملت على فتنمة الحرب . وهي تحاول ذلك الان في لبنان ، وذلك بتحريك عملائها لضرب القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، ولعزلها عن الثورة الفلسطينية . ان تصعيد الازمة اللبنانية في هذه المرحلة بالذات هو تغطية لمعاهدة سيناء ولتحويل الانظار عن هذه المعاهدة غير المتكافئة بين مصر واسرائيل . لقد نبهنا لذلك منذ البداية ونستطيع ان نقول بكل ثقة ان المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية التي حاولت تصعيد الازمة للوصول الى مخططات التقسيم والمخططات الامبريالية المشبوهة الاخرى قد باءت بالفشل ، بل على العكس من ذلك ظهر التلاحم بين القوى اللبنانية الوطنية والتقدمية ، وظهر التعاون الوثيق بين الشعبين اللبناني والفلسطيني في مواجهة هذه المخططات » (مقابلة مع صحيفة « اليونيتا » الايطالية اعادت نشرها « وفا » ١١/١٢) .

هذا الفهم للبعد « الدولي » للصراع كان يجاريه ادراك لطبيعة العوامل الداخلية التي ان سترت ببراقع طائفية فان حقيقتها من حيث هي صراع اجتماعي/اقتصادي تظل ماثلة من خلال قيام القوى الانعزالية بمحاولة منع كل حديث عن اي صلاح اجتماعي/اقتصادي تحت وطأة تهديد الامن وبممارسات الارهاب المنهج.وبتعبير ماجد ابو شرار في ذكرى تكريم شهداء الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي في الزيدانية ـ الظريفة فان « الحقيقة هي انها صراع المسحوقين لرفع الظلم والاستغلال عنهم » (« السفير » ١١/٦) . وقد كتبت « الهدف » (١١/٨) « ان يمينية العصابات التي شكلت اداة المخطط وارتباطها بالقوى الاحتكارية ، والدوائر الفاشية في السلطة ، يؤكد ان من اهداف مخططها ضرب الحركة الوطنية اللبنانية بما تمثله من قوة تقدمية جماهيرية في الصراع الداخلي المعادي للاحتكار والمتطلع الى قيام نظام ديمقراطي شعبي حقا . وضمن هذا الهدف لعب المتآمرون بوحشية وذكاء معا ، الورقة الطائفية لشق وحدة الحركة الشعبية ، وخلق شرخ دموي بين القوى الاجتماعية ذات المصلحة المشتركة في النضال ضد الاحتكار » .

لقد توضح من خلال الصراع العسكري والتعبئة السياسية المرافقة له والفرز السكاني الذي يماشيها ان هناك في الأفق شبهة تقسيم لبنان الى دويلتين طائفيتين ، وقد اقترن ذلك بما ذكر عن اعطاء الفلسطينيين « وطنا » بديلا لهم في احدى هاتين الدويلتين . وقد كان موقف الثورة واضحا من كل ذلك فقد اكد ابو عمار « ان هناك مؤامرة بتقسيم لبنان وتبرصته وانا اقول ان لبنان وشعبه ومناضليه مع الثورة الفلسطينية سيبقى عربيا عربيا عربيا » . واوضح عبد المحسن ابو ميزر في اجتماع الجبهة العربية المشاركة في دمشق (« النهار » ١٠/٢٣) الموقف من ذلك بقوله « نحن نرفض نظرية الوطن البديل . ان الثورة التي رفضت التقسيم في فلسطين لن ترضى بتقسيم لبنان .

والثورة التي جعلت شعارها الدولة العلمانية لا ترضى بالاوطان الطائفية » .

وكان من الطبيعي ، في ضوء هذا الفهم ، ان تتصدى الثورة الفلسطينية لما يجري . واذا كانت احداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن وما تبعها من تطورات قد فرضت على الثورة ان تقف وحيدة في نضالها هناك نظرا لغياب القوة المنظمة للحركة الوطنية في شرق الاردن ، فان ظروف الحركة الوطنية في لبنان تختلف بالنوع والدرجة عن تلك التي هناك . فالحركة الوطنية اللبنانية حقيقة موجودة باحزابها ومنظماتها وبقدراتها البشرية والعسكرية معا وبقواعدها الجماهيرية الواسعة . وهذا الاختلاف النوعي جعل الحركة الوطنية اللبنانية في الموقع الامامي للصدام ، وبتعبير ابو عمار « ان الموقف المقدس الذي وقفته الحركة الوطنية اللبنانية سجله التاريخ . منذ ثمانية اشهر والدم ينزف من شعبنا في لبنان ، هذا الشعب هو الذي قرر ان يتصدى للمؤامرة دفاعا عن الامة العربية » . وكتبت « فلسطين الثورة » (١١/٢) انه « لم يكن امام الشعب اللبناني الملتزم بقضية الشعب الفلسطيني غير الوقوف في وجه المؤامرة والمتآمرين ... وبهذه الوقفة التاريخية المجيدة جسد شعب لبنان البطل تلاحمه النضالي مع شعبنا من اجل خير ومصلحة الشعبين الشقيقين » . غير انه مع هذا الموقف التاريخي للحركة الوطنية اللبنانية فان الثورة الفلسطينية في المقابل ، تجد نفسها ملزمة بسبب اواصر تحالفها مع هذه الحركة ، فـ « الثورة الفلسطينية (بتعبير عبد المحسن ابو ميزر) .. لن تكون حيادية في معركة مصيرها ، وربطت مصيرها بمصير الحركة الوطنية في لبنان » .واوضح ماجد ابو شرار « تعزز من تلاحمنا مع حركة التحرر العربي وخاصة في لبنان مع طلائع الجماهير الشعبية — الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية . فوقوفنا الى جانبها هو دفاع عن انفسنا وعن حركة التحرر العربي والعالمي » .

العبور المضاد واحكام المقاطعة العربية

العبور المضاد هنا مزدوج الاتجاه : الاول انتقال البضائع الاسرائيلية عبر قناة السويس الذي كان احد شروط صفقة — اتفاقية سيناء . والثاني المتعلق بالانفتاح المصري الاقتصادي على السوق الرأسمالية (الاميركية تحديدا) وما يعنينا - الان في هذه الفقرة هو موقف المقاطعة العربية من هذين العبورين .

في البداية نذكر هنا بعض احكام المقاطعة المتعلقة بشركات الملاحة الاجنبية . فقد نصت انظمة المقاطعة على ان « تدرج البواخر والناقلات وغيرها من وسائل النقل البحري الاجنبية في القائمة السوداء اذا ارتكبت احد الأعمال التالية :

أ — اذا ثبت انها مرت على ميناء عربي واخر اسرائيلي في رحلة واحدة (ذهابا وايابا) .

ب — اذا نقلت ادوات او مواد تفيد المجهود الحربي لفلسطين المحتلة .

ج — اذا اجرت لشركات او هيئات اسرائيلية .

د — اذا نقلت منتجات اسرائيل الصناعية والتجارية والزراعية .

هـ — اذا نقلت مهاجرين يهود الى فلسطين المحتلة » .

ويترتب على الادراج في القائمة السوداء «حرمان البواخر والناقلات المخالفة ، من الشحن والتفريغ والتموين بالمياه والوقود والمواد الغذائية وغير ذلك من القيود التي يفرضها هذا الوضع ومن بينها عدم السماح لها بالدخول الى الموانىء العربية » .

وخلافا لكل هذه الاحكام مرت السفينة اليونانية اوليمبوس في مطلع شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي محملة بالاسمنت عبر قناة السويس الى ميناء ايلات الاسرائيلي . وقد صرح قبطان السفينة لدى وصوله الى ايلات (وصف ٤/١١) « بان رجال الشرطة المصريين استقلوا السفينة طوال فترة مرورها في القناة وكانت سيارتا جيب ترافقان السفينة على طول الشاطىء » . وكانت « اوليمبوس » هي الطليعة اذ تبعتها بعد ايام باخرتان : ليبيرية وحمولتها ستة الاف طن وبريطانية وقد توجهتا الى اسدود . (« رويتر » ٩/١١) . والسؤال الذي يطرح هنا هو الى اي مدى يمكن لمنظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية المعارضة لاتفاقية سيناء الأستفادة من احكام قانون المقاطعة العربية للقيام بحملة مضادة تستهدف التأثير على الاتفاقية من هذا الجانب ؟ لقد اعلن محمد محجوب، المفوض العام للمكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل (في تصريح لصحيفة « الاخبار » الاردنية ، نقلته

« السفير » ١١/١٣) ان « موقف اجهزة المقاطعة لم يتغير اطلاقا بالنسبة للبواخر الاجنبية التي تعبر قناة السويس محملة بمنتجات الى اسرائيل او عائدة من موانىء اسرائيلية محملة بمنتجات اسرائيلية » واضاف « ان اي باخرة من هذا النوع تدرج في القائمة السوداء ويترتب على ذلك عدم جواز رسوها في اي ميناء عربي او تقديم اي تسهيلات لها » واعلن « ان الباخرة اوليمبوس التي عبرت قناة السويس محملة بالاسمنت ألى اسرائيل تم ادراجها في القائمة السوداء ، وقام المكتب الرئيسي للمقاطعة بمطالبة سائر المكاتب الاقليمية بادراجها في القائمة السوداء » . وان هذه الخطوة الايجابية يجب ان تكون منطلقا لممارسات اكثر فاعلية واوسع مدى تستهدف التصدي لاتفاقية سيناء ، بجانب الجهد السياسي الموجه لها باجمال ، تصديا لمفرداتها ولمكوناتها الجزئية .

اما المحور الثاني الذي اشرنا اليه فهو انفتاح مصر اقتصاديا على السوق الرأسمالية . وهذا الانفتاح سيصطدم حتما باحكام المقاطعة في الحالات التي يكون فيها الرأسمال الاجنبي (الممثل بالشركات) على علاقة مع اسرائيل . فقد نصت احكام المقاطعة على انه « يحظر ... التعامل مع الشركات او المؤسسات الاجنبية العامة او الخاصة في الحالات التالية :

أ ــ اذا انشأت لها مصنعا (فرعيا او رئيسيا) في اسرائيل .

ب ــ اذا انشأت لها مصنعا للتجميع في اسرائيل ...

ج ــ اذا كان لها وكلاء عاملون او مكاتب رئيسية للشرق الاوسط في اسرائيل .

د ــ اذا منحت امتياز حق استعمال اسمها الى شركات اسرائيلية .

هـ ــ اذا ساهمت في شركات او مصانع اسرائيلية .

و ــ اذا قدمت المشورة او الخبرة الفنية الى المصانع الاسرائيلية ... » .

وبالتأكيد فان عددا كبيرا من الشركات الاميركية التي سوف تستفيد من هذا الانفتاح الاقتصادي تقع في واحدة او اكثر من « المحظورات » المدرجة اعلاه . وقد بدأت بوادر الاصطدام بين احكام المقاطعة العربية وتوجه الشركات الاميركية الى مصر في المسألة التي اثيرت حول شركة فورد . ففي شهر تشرين الاول الماضي قام وفد من الشركة بزيارة الى مصر في محاولة لتأسيس مصنع لصناعة السيارات والجرارات . ومن المعروف ان شركة فورد مدرجة في القائمة السوداء ومقاطعة عربيا منذ العام ١٩٦٦ . وننقل فيما يلي المعلومات التالية عن هذا الموضوع :

بدأت قصة فورد بوصول معلومات الى المكتب الاقليمي للجمهورية العربية المتحدة نقلها الى المكتب الرئيسي ، مفادها ان اسرائيل تتفاوض مع فورد لانشاء مصنع تجميع سيارات النقل والجرارات . وتقول « الاهرام » (١٩٦٦/١١/٢٤) « انه اذا تم الاتفاق فان فورد ستكون اول شركة اميركية كبرى تنشىء لها مصنعا في اسرائيل ... وفي فترة التحقيق والتحري نهجت فورد اسلوبا غريبا في محاولتها لتوجيه ضربة للمقاطعة وشل اية حركة لها . وبعد انقضاء فترة الانذار المعتادة قررت مكاتب المقاطعة ادراج اسمها على قائمة الشركات الممنوعة من التعامل مع البلاد العربية . وظهر ان الهدف من بناء هذا المصنع هو انتاج سيارات شحن في اسرائيل لاهداف عسكرية وتسهيل انتقال قواتها من منطقة الى اخرى . وذكر ايضا ان البلاد العربية تستورد سنويا ١٤ الف سيارة من انتاج فورد مقابل الف تستوردها اسرائيل . وتقرر ايضا ان تشمل المقاطعة مختلف انواع السيارات التي تنتجها عدة شركات تابعة لها ومصنعين لتجميع قطع السيارات في الاسكندرية والمغرب وكافة وكالاتها في المنطقة العربية ، بالاضافة الى شركات تشرف عليها فورد واهمها شركة فيلكو التي تنتج الادوات والالات الكهربائية المختلفة . وظهرت الحقيقة المذهلة على لسان مسئول في شركة جنرال موتورز ان شركته لا تسمح بانشاء معامل تجميع لها في اسرائيل خوفا من منع دخول منتجاتها الى البلاد العربية ، واكد ان الضغط الصهيوني بدأ من سنتين على شركات السيارات لحملها على انشاء مصانع في اسرائيل ولم ترضخ لهذا الضغط سوى شركة فورد » (هاني الهندي ، المقاطعة العربية لاسرائيل ، ص ص ١١٣ ، ١١٤) .

ان هذه الحقائق جعلت محمد محجوب يصرح ، في اثناء زيارة وفد الشركة الى مصر ، بان شركة

المورد. ما زالت مدرجة على اللائحة السوداء وان مصر لا تبيتطيع ان تتعامل معها . وقال ان الشركة طلبت من مكتب المقاطعة في شهر ايلول ١٩٧٥ رفع اسمها من اللائحة السوداء ولكن المكتب لم يرد على الطلب الى الان (« النهار » ١٠/٢٢).

والجدير بالذكر هنا ان الرأسمال الاميركي بتأثيره الحاسم على صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة دفع الادارة الاميركية الى الوقوف في وجه المقاطعة العربية سواء لمصلحة اسرائيل ام لمصلحة الرأسمال الأميركي نفسه. ففي العام ١٩٦٤ بدأت حملة في الكونجرس لاصدار تشريعات مناهضة لانظمة المقاطعة . وفي العام ١٩٦٥ صدر قانون صدقه الرئيس جونسون يتوجب بموجبه على المصدرين ابلاغ وزارة التجارة ضمن مهلة ١٥ يوما عن اي طلب من دولة اجنبية يتعلق بمقاطعة دولة اجنبية اخرى او يفرض اي حد على حرية التجارة مع دولة ما (المصدر نفسه ، ص ١١٠). والان بعد الهجمة الاميركية الجديدة على المنطقة العربية تشتد الحاجة الى تدخل الادارة الاميركية تدخلا اكثر فاعلية في التصدي لاحكام المقاطعة العربية . وقد ظهرت بوادر ذلك في الشهر الماضي عندما وافقت احدى لجان مجلس الشيوخ الفرعية على مشروع قانون يعطي الحكومة مزيدا من السلطة للعمل ضد الشركات الاميركية التي تمتثل لمقاطعة اقتصادية تفرضها دولة اجنبية . وقال السناتور هاريسون وليامز احد المشتركين في تقديم مشروع القانون ان هناك حاجة الى سلطات تنفيذية اقوى لأن الحكومة الاميركية لا تفعل غير القليل لتشجيع الشركات على عدم الاذعان للمقاطعة . ويمنع مشروع القانون الشركات الاميركية من رفض التعامل مع شركات اميركية اخرى بسبب اي تهديد بالمقاطعة . كما انه يلزم الشركات بان تبلغ الحكومة اذا كانت ستمتثل لطلبات المقاطعة ويلزم مشروع القانون ايضا الحكومة بنشر التقارير عن الشركات التي تمتثل للمقاطعة . (« السفير » ١٨/٩ ، نقلا عن « رويتر ») . ومن الواضح ان المقصود بهذا القانون المقاطعة العربية تحديدا .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

ما زالت التطورات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية تتفاعل وتتكشف بصفتها ذيول ونتائج لاتفاقية سيناء الاسرائيلية ـ الساداتية . ومن الاحداث الهامة التي جرت خلال الفترة الاخيرة في هذا المضمار هي زيارة الرئيس السادات للعواصم الغربية الرئيسية (واشنطن ، باريس ولندن) وتستمد هذه الرحلة خطورتها واهميتها ليس من كونها مجرد زيارة يقوم بها رئيس دولة الى بضع عواصم هامة بل من كونها جاءت تكريسا لكافة المعاني التراجعية والمغازي التنازلية التي تضمنتها اتفاقية سيناء ، هذا بالاضافة الى كون الجولة رمزا يعلن ويؤكد من آن واحد نهج السياسة الساداتية المتجه بسرعة متزايدة نحو الالتقاء الكلي مع اهداف الامبريالية الاميركية في منطقتنا . قبل التطرق الى تفاصيل رحلة السادات « نحو الغرب » لا بد من الاشارة الى بعض العناصر الهامة في الاجواء السياسية التي احاطت بانطلاق جولته . اولا ، هناك الزيارة السريعة والقصيرة التي قام بها الرئيس الاسد الى موسكو في الاسبوع الثاني من تشرين الاول المنصرم على رأس وفد سياسي وعسكري كبير وعلى مستوى رفيع من الاهمية . إكتسبت زيارة الرئيس الاسد اهميتها الخاصة من عدة عناصر اهمها كون الوفد المرافق ضم بين اعضائه ممثلين عن الحكومة السورية وحزب البعث العربي الاشتراكي ووزير الدفاع ، ومن قيام الزعامة السوفياتية الثلاثية باستقبال الرئيس الاسد بكامل هيئتها . وعلى الرغم من ان المحادثات في موسكو احيطت بتكتم كبير اكدت مصادر دبلوماسية ان المحادثات تطرقت الى الخطورة التي يتصف بها الوضع الحالي في الشرق الاوسط على اثر توقيع اتفاقية سيناء والصدع الكبير الذي تركته هذه الخطوة المنفردة في علاقات التضامن العربي وخاصة العلاقات السورية المصرية . ولا شك ان البحث في هذا الموضوع قد تناول الحرب الاهلية في لبنان واحتمالات احتلال اسرائيل لجنوب لبنان وتهديدها بذلك امن سوريا ، يضاف الى ذلك مسألة الاتفاقات السرية الاميركية الاسرائيلية المتعلقة بشحنات الاسلحة الهجومية المتقدمة جدا (مثل صواريخ بيرشنغ) والتي تشكل تهديدا ضخما للعواصم العربية . كذلك تطرقت محادثات الاسد

الى الطريق المسدود الذي وصلت اليه محاولات ايجاد حل للقضية الفلسطينية نتيجة السياسة السادات كما عكستها اتفاقية سيناء . وعلى اثر انتهاء زيارة الرئيس الاسد صدر بيان اعلن : (أ) ان الاتحاد السوفياتي وسوريا متفقان اتفاقا تاما حول الوضع في الشرق الاوسط . (ب) تصميم البلدين على بذل كل الجهود اللازمة لاستعادة الحقوق المشروعة للدول العربية والشعب العربي وتأمينها بما في ذلك حقوق الشعب العربي الفلسطيني . (ج) تصميم الجانبين على الاستمرار في تعزيز الصداقة بين البلدين (د) ان المحادثات جرت في جو من الصداقة والود والتفاهم المتبادل . وجدير بالاشارة ان وزير خارجية سوريا ودفاعها تخلفا في موسكو بعد انتهاء الزيارة لاجراء المزيد من المشاورات مع المسؤولين السوفيات مما يعني ان المسائل العسكرية قد احتلت حيزا مهما من المحادثات السورية السوفياتية . وجدير بالاشارة كذلك ان المصادر الاسرائيلية اعتبرت هدف هذه الزيارة القضاء على « السلام الاميركي » في المنطقة ثانيا ، التصريحات التي ادلى بها رابين حول جبهة الجولان وذلك قبل سفر الرئيس السادات بحوالي اسبوع . كان اهم ما جاء في اقوال رابين ما يلي : (أ) ان حكومته لا ترى اي امكان لاجراء مفاوضات مع سوريا هدفها تحقيق تسوية مؤقتة شبيهة باتفاق سيناء . (ب) انه في حال دخول سوريا واسرائيل في مفاوضات حول الجولان ستطلب اسرائيل من سوريا اكثر بكثير من مجرد الالتزام « بعدم اللجوء الى التهديد او استعمال القوة » كما هو وارد في الاتفاق مع النظام المصري ، ذلك « لان العلاقات مع سوريا لا تشبه اصلا علاقات اسرائيل بمصر » . واشار رابين كذلك الى ما أسماه بالعمق الضيق في جبهة الجولان وموقف سوريا المتصلب تجاه اسرائيل (ج) ان زيارة الرئيس الاسد الى موسكو على قدر كبير جدا من الاهمية السياسية والاستراتيجية لان هدف البلدين هو تنسيق سياساتهما في المنطقة بهدف نسف اتفاق سيناء (د) بان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لن يتماونا في الضغط على سوريا واسرائيل من اجل التوصل الى اتفاق حول الجولان . ثالثا ، الخطاب الذي القاه الرئيس السادات قبل بدء رحلته بفترة قصيرة حيث حاول تقديم تغطية سياسية تخفف من وقع زيارته بالنسبة للقضايا الوطنية والقومية الكبرى . لذلك تعمد السادات — في خطابه المذكور — ايراد اشارات ودية الى الفلسطينيين والى التزامات مصر بالقضية الفلسطينية لكن على الرغم من هذا فقد اتهم القيادات الفلسطينية ومنظمة التحرير بالوقوع تحت تأثير تدخلات الاطراف العربية الاخرى وضغوطها . وفي الوقت ذاته زعم الرئيس المصري ان المفاوضات التي ادت الى اتفاق سيناء لم تكن باسم مصر وحدها بل باسم سوريا وفلسطين ايضا ولذلك تعهد الرئيس فورد باسم الحكومة الاميركية بانجاز فك ارتباط مماثل على الجبهة السورية وباتخاذ خطوة نحو الاعتراف الاميركي بحقوق شعب فلسطين . بالاضافة الى ذلك عبر عن قلقه من تصعيد اميركا لتسليح اسرائيل نوعا وكما لان مثل هذا الاجراء « لا يتفق مع الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة الان في المنطقة » كما اكد استمرار سياسة الانفتاح على الغرب و « تحرير القطاع العام » الى اخر ذلك من الاجراءات الداخلية التراجعية التي اصبحت عنوانا للسياسة السادات .

ننتقل الان الى رحلة السادات نفسها التي ابتدأت في الاسبوع الاخير من شهر تشرين الاول وهي الرحلة الاولى من نوعها التي يقوم بها رئيس جمهورية مصري الى الولايات المتحدة ، اي البلد الذي مكن اسرائيل من الانتصار على مصر وغيرها من الدول العربية في ثلاث حروب وباحتلال قسم من الاراضي العربية . شملت رحلة السادات زيارة عدة مدن اميركية رئيسية بالاضافة الى واشنطن مثل نيويورك وشيكاغو وهيوستون في تكساس . ومشية بدء الرحلة وصفت اجهزة الاعلام المصرية قمة واشنطن الامريكية — المصرية بانها في مستوى من الاهمية لا يقل ابدا عن قمة سالزبورغ اذ ان القمة الاولى نجحت في وضع الاسس اللازمة لتحقق اتفاق سيناء في حين ستضع قمة واشنطن الاسس اللازمة لمتابعة الجهود الامريكية من اجل التوصل الى حل شامل للنزاع في المنطقة وعبر انجاز فك ارتباط جديد في جبهة الجولان وارساء الاسس المطلوبة بحل القضية الفلسطينية . اما الاعلام الاميركي فقد عد الزيارة محاولة من جانب النظام المصري لتعزيز علاقاته بالولايات المتحدة على امل تحقيق تسوية سلمية في الشرق الاوسط « وانقاذ مصر من حالة الفقر التي تعانيها » . واعتبر الاعلام الاميركي الزيارة تتمة طبيعية « لعمل السادات الجريء » بتوقيع اتفاق سيناء « مما ادى الى فصل مصر عن عربة الحرب العربية مع اسرائيل » . ومع ان قمة واشنطن هي

تتمة طبيعية للاحداث السابقة فقد رأت فيها الاوساط الاعلامية الامريكية عملا جريئا اخر يقوم به السادات ويوازي في اقدامه خطوة توقيع اتفاق سيناء لان زيارة واشنطن هي « تمهيد للطريق امام صداقة فريدة من نوعها مع الولايات المتحدة التي كانت حتى وقت قريب عدو مصر اللدود » واشارت هذه الاوساط الى ان الصداقة المذكورة يمكن ان تتحقق بمساعدة اميركا لمصر على حل مصاعبها الاقتصادية وبتدفق الخبراء ورؤوس الاموال الغربية على البلد. هنا تجدر الاشارة الى الملاحظات التي ابدتها صحيفة « النيويورك تايمز » حول الزيارة حيث اشارت الى ان الرئيس السادات قد لايخرج الا بخيبة امل نتيجة جولته لان الالتزامات الاميركية امام اسرائيل لا تسمح بتقديم الكثير الى مصر خاصة على صعيد المعونات العسكرية . ولم يفت الصحيفة الاشارة ايضا الى مصاعب السادات الناجمة عن « عزلته من اشقائه العرب » . اما الصحافة الاسرائيلية فقد باركت جولة السادات عشية انطلاقها معتبرة اياها مساهمة في تعزيز احلال الوجود الاميركي محل الوجود السوفياتي في منطقتنا اذ ان اسرائيل « تفضل الوجود الغربي في القاهرة على الوجود السوفياتي »

كانت اول محطة في جولة السادات هي باريس حيث اجرى محادثات مع الرئيس ديستان وكبار المسؤولين الفرنسيين . وقد تناولت محادثات السادات في العاصمة الفرنسية اخر تطورات الموقف في الشرق الاوسط على ضوء اتفاقية سيناء والخطوات المقبلة التي يجب اتخاذها من اجل الوصول الى حل دائم وشامل لازمة المنطقة ، هذا بالاضافة الى تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين وخاصة على المستويين العسكري والاقتصادي . واثناء وجوده في باريس ادلى السادات بتصريحات قال فيها بانه ما زال يسعى الى تنويع مصادر اسلحة مصر لان القوات المصرية لم تتلق اية اسلحة سوفياتية منذ فترة طويلة . كذلك اكد بانه يعتزم الطلب من الولايات المتحدة عقد اتفاق للتسلح مع مصر مماثل للاتفاق الذي تم عقده مع فرنسا لانه بدون مثل هذه الخطوة لا يمكن لقرار تنويع مصادر التسلح من ان يكون ناجحا . وقبل مغادرته العاصمة الفرنسية اكد السادات ايضا : (أ) ان التطابق في وجهات النظر المصرية والفرنسية يعتبر كاملا بشان النقاط التي جرى التباحث حولها . (ب) ان فرنسا وبريطانيا موافقتان على كل طلبات مصر المتعلقة بالسلاح (ج) ان سياسة مصر ترفض منطق الصداقات او العداوات التقليدية وفي هذا غمز من قناة الاتحاد السوفياتي (د) ان حزب البعث في سوريا « يرتدي قميص القضية الفلسطينية لانه يعاني من مأزق على الصعيدين الداخلي والعربي » .

من باريس انتقل الرئيس المصري الى واشنطن حيث جرى له استقبال حار وعلى مستوى رفيع جدا وفقا لمعايير البروتوكول الدبلوماسي الاميركي ، وبالاضافة الى المحادثات التي اجراها مع الرئيس فورد ووزير خارجيته كيسنجر وغيرهما من كبار المسؤولين ورجال الاعمال الامريكيين القى خطابا امام الجمعية العمومية لهيئة الامم ، وخطابا اخر امام جلسة مشتركة للكونغرس ومجلس الشيوخ في واشنطن . يضاف الى ذلك تلك السلسلة الطويلة من الاحاديث الصحفية والتصريحات الاعلامية والخطابات الجانبية التي حفلت بها زيارة السادات لاميركا . فيما يتعلق بخطابه امام الجمعية العمومية فقد كان اهم ما جاء فيه اعلانه عن عزم مصر تقديم مشروع قرار الى هيئة الامم يطلب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في اعمال مؤتمر جنيف ومناقشاته وذلك على قدم من المساواة مع بقية المشتركين في المؤتمر . وقد عارضت منظمة التحرير هذا الموقف لان مؤتمر جنيف ينعقد على اساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

أما بالنسبة لخطاب السادات امام السلطة التشريعية الأميركية بشقيها فقد انطوى على النقاط التالية : (أ) دعوة الولايات المتحدة الى مراعاة مصالحها الحقيقية في الشرق الاوسط بعدم اغضاب الجانب العربي واخذه بعين الاعتبار عند وضع السياسة الاميركية في المنطقة. (ب) دعوة الكونغرس الى منح الشعب الفلسطيني تفهمه وتأييده لان اتخاذ الولايات المتحدة موقفا مؤيدا للفلسطينيين وحقهم في انشاء وطن قومي لهم من شأنه الاسهام بشكل كبير في ايجاد حل سريع لمشكلة الشرق الاوسط . (ج) التأكيد على ان المشكلة الفلسطينية هي لب النزاع في المنطقة وبدون حلها لا يمكن تسوية اي من المشاكل العالقة الاخرى . (د) اعرب عن ارتياحه لبعض العلامات المشجعة التي لاحظها من جانب البرلمانيين الامريكيين « الذين اخذوا يظهرون اهتماما فعليا في القضية الفلسطينية » وجدير بالاشارة ان السادات لم يذكر كلمة الصهيونية على الاطلاق في خطابه .

والاهم من الخطابات الرسمية التي القاها

السادات هو المعاني التي حملتها تصريحاته واحاديثه الصحفية والاعلامية الكثيرة اثناء الزيارة ويمكننا تلخيص اهم الافكار والنتائج التي برزت في هذا الميدان بما يلي :
(أ) ان ما درج السادات والمسؤولون المصريون على وصفه بأنه تعهدات اميركية لتحقيق اتفاق فك ارتباط في جبهة الجولان والاعتراف بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني ليست سوى مطالب مصرية لم يتحقق شيء منها حتى الان اذ بين السادات بأنه طلب من الرئيس فورد خلال اجتماعه به قيام الحكومة الاميركية بتشجيع انجاز فك الارتباط المطلوب في الجولان وبدء الحوار مع منظمة التحرير . الا ان المطالب المصرية بقيت مطالب تماما كما بقي سؤال السادات السابق — حول ما اذا كانت اميركا تحمي اسرائيل داخل حدودها السابقة (قبل حرب ٦٧) ام الموسعة — بدون جواب حتى الان (ب) مطالبة جميع القوى الاجنبية والعربية بعدم التدخل في الازمة التي تعصف بلبنان حاليا . (ج) انه لم يتقدم بطلبات محددة بالنسبة للاسلحة التي يعتزم شراءها من الولايات المتحدة وان محادثاته مع فورد ومع وزير الدفاع السابق شليزنغر تناولت هذا الموضوع بعبارات عامة فقط مع الطلب الى الرئيس الاميركي بذل مساعيه الحميدة لاقناع حلفاء اميركا في اوروبا الغربية واليابان لمساعدة مصر عسكريا واقتصاديا (د) ان هدفه على الصعيد الاقتصادي هو الحصول على معونات اميركية حكومية وخاصة لاعادة بناء اقتصاد مصر ، لذلك طمأن السادات رجال الاعمال الاميركيين على مستقبل توظيفاتهم المقبلة في مصر التي ستكون في مأمن من التأميم والمصادرة ونزع الملكية خاصة وان حكومته تعمل حاليا على اعادة صياغة قوانينها وانظمتها على ضوء سياسة الانفتاح الاقتصادي التي تستدعي دخول الرساميل الاجنبية للعمل في مصر . وللتأكيد على هذا الموضوع الحساس اشار السادات الى توقيع حكومته على اتفاقية حماية الاستثمارات بين مصر والولايات المتحدة وانضمام بلاده الى الاتفاقية الدولية المتعلقة بالنزاعات حول الاستثمارات في بلدان اجنبية كما اكد أن حكومته تبذل كل جهدها لترغيب رجال الاعمال للقدوم الى مصر . (هـ) ان علاقات مصر مع الاتحاد السوفياتي مجمدة من الناحية الاستراتيجية ومن هنا اهمية تقدم الولايات المتحدة والغرب عموما لملء هذا الفراغ . (و) ان مصر اعترفت بوجود اسرائيل كحقيقة واقعة عندما وافقت على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، لذلك فان حكومته تعارض طرد اسرائيل من الامم المتحدة .

وعند انتهاء زيارته الاميركية عقد الرئيس السادات مؤتمرا صحفيا وداعيا امام الصحفيين المصريين قال فيه بان زيارته الى الولايات المتحدة كانت ناجحة مئة بالمئة ضمن الاهداف التي حددها للزيارة واعترف بان المحادثات لن تؤدي الى اية اتفاقات محددة مع السلطات الاميركية لان الوصول الى مثل هذه الاتفاقات سيتطلب محادثات اضافية في المستقبل وبالنسبة لقضية الشرق الاوسط قال بان الاتفاق قد تم مع اميركا كي تكون الخطوة التالية في جهود السلام هي تحقيق الحل النهائي الشامل للنزاع خاصة وان الرئيس فورد « ملتزم بفكرة التسوية القائمة على اسس عادلة » واضاف السادات ان مناقشة تفاصيل هذا الامر متروكة لمؤتمر جنيف الذي ستحضره كل الاطراف ، وامتدح السادات كيسنجر مجددا قائلا بانه رجل شريف واصيل وقوي بالاضافة الى كونه رجل دولة فعلا .

خلافا لما كان متوقعا لم يصدر اي بيان مشترك حول الزيارة بل استعيض عنه بمؤتمر صحفي اجراه جوزيف سيسكو حيث قيم زيارة السادات ونتائجها . وكان اهم ما جاء في حديث سيسكو النقاط التالية :
(أ) ان وزارة الخارجية الاميركية ستجري مشاورات حول « المسألة السورية — الاسرائيلية » وقد استدعت واشنطن سفيرها في دمشق لهذا الغرض. (ب) ان الرئيس فورد اكد للرئيس السادات مجددا استعداد حكومته لبذل الجهود اللازمة لترى ما اذا كان بالامكان اجراء مفاوضات بين سوريا واسرائيل . (ج) انه لا توجد اية نوايا او مشاريع لعقد اجتماع بين الرئيسين فورد والاسد في المستقبل القريب . (د) ان محادثات الرئيسين تناولت رغبة السادات في تنويع مصادر اسلحة بلاده ، الا ان الرئيس المصري لن يتقدم باية طلبات معينة ولم يحصل على اية التزامات محددة في هذا الشأن . (هـ) ان فورد اكد لضيفه عزم مواصلة حكومته مشاوراتها مع الاطراف المعنية لاستئناف مؤتمر جنيف . (و) ان البلدين وقعا بالاحرف الاولى اتفاقا تشتري بموجبه مصر مفاعلين نوويين اميركيين لاستخدامهما في الاغراض السلمية فقط . وقد تضمن الاتفاق ضمانات صارمة لمنع استخدام المفاعلين لغير الاغراض السلمية . (ز) ان الرئيسين اتفقا على الا يتفقا حول موضوعين اساسيين هما طبيعة الصهيونية وطبيعة حقوق الشعب الفلسطيني ، خاصة وان الحكومة الاميركية تعارض قرار هيئة الامم اعتبار الصهيونية حركة

عنصرية ومشاركة منظمة التحرير في اي من المشاورات الدولية المتعلقة بحل ازمة الشرق الاوسط لان المنظمة لا تعترف باسرائيل . ويبدو واضحا ان حصيلة زيارة السادات كانت متواضعة خاصة بالقياس الى الضجيج الذي رافقها والتفخيم الذي اعطاها ايجابيات ضخمة . فالمساعدات التي وعدت واشنطن بتقديمها الى مصر ضئيلة جدا بالقياس الى احتياجات البلد الفعلية والى الامال التي علقها النظام الساداتي على تحالفه الجديد مع اميركا .

بالنسبة للجانب الاميركي فقد صدرت عدة تصريحات ومواقف مرتبطة اما بصورة مباشرة او غير مباشرة بزيارة السادات ، وكان اهم هذه التصريحات المؤتمر الصحافي الذي عقده فورد اثناء وجود السادات في البلاد حيث قال بان حكومته لا يمكن ان تقدم على اية اتصالات بمنظمة التحرير او اشراكها في محادثات السلام قبل اعتراف المنظمة بدولة اسرائيل . ومن الواضح ان كلام فورد هو الرد المباشر على دعوة السادات الحكومة الاميركية للاعتراف بمنظمة التحرير والتحاور معها . كذلك اشاد فورد بقرار الرئيس المصري « الجريء » القاضي بالتحول من سياسة المواجهة مع اسرائيل الى سياسة المفاوضات ، واعلن بانه يأمل بزيارة مصر ودول شرق اوسطية اخرى في العام المقبل . وجدير بالاشارة ايضا ان الرئيس فورد اجرى تبديلات هامة في وزارته وفي مراكز حكومية حساسة اخرى (باقالة وزير الدفاع ومدير وكالة الاستخبارات) اثناء وجود السادات في اميركا . الا انه لا يتوقع المراقبون ان ينتج عن هذه التغييرات اي تبديل في السياسة الاميركية في منطقتنا . في الواقع يعتبر وزير الدفاع الجديد اكثر تعاطفا مع اسرائيل من شليزنغر وقد فتح الابواب امام تزويد إسرائيل بالمعدات العسكرية المتقدمة جدا اكثر مما كانت مفتوحة سابقا . كل ذلك اثناء وجود الرئيس السادات على الارض الاميركية .

بعد واشنطن زار الرئيس السادات العاصمة البريطانية حيث اجرى محادثات مع رئيس الوزراء وكبار المسؤولين حول العلاقات الثنائية بين البلدين والمساعدات العسكرية والاقتصادية التي يمكن ان تقدمها بريطانيا لمصر ، بالاضافة الى امكان اشتراكها مع فرنسا في مؤتمر جنيف للسلام واشارت الانباء الى ان الولايات المتحدة ربما تكون قد اعطت الضوء الاخضر الى الحكومة البريطانية بخصوص بيع مصر حوالي ٢٠٠ طائرة قاذفة من مقاتلة من نوع جاغوار والتي يسعى السادات للحصول عليها . كذلك ذكرت الانباء بان الرئيس المصري ناقش القضية الفلسطينية مع ويلسون وحثه على الدخول في حوار مع منظمة التحرير . وخلال وجوده في لندن اعلن السادات (أ) بانه يريد اشتراك بريطانيا في مؤتمر جنيف خاصة بالنسبة لتقديم الضمانات الدولية المطلوبة لاقرار السلام النهائي في المنطقة وان حكومته لن تطالب بريطانيا بالتخلي عن علاقاتها مع اسرائيل ، بل ستطالبها فقط «باتخاذ نظرة موضوعية الى مشكلة الشرق الاوسط » (ب) ان العلاقات التي يقيمها السادات مع الغرب عموما هي علاقات استراتيجية وليست تكتيكية ، ولذلك تدعو مصر رجال الأعمال ورؤوس الاموال الانكليزية الى العمل والاستثمار في مصر علما بان كافة الضمانات لحفظ سلامة هذه الاستثمارات وارباحها اصبحت متوفرة . وفي مؤتمره الصحافي الختامي اكد السادات بانه راض كل الرضى عن رحلته الى الغرب وان بريطانيا قادرة على القيام بدور كبير في الابتعاد على زخم التحرك نحو السلام في الشرق الاوسط في الفترة التي ستتجمد فيها الجهود الاميركية لمدة عام كامل بسبب انتخابات الرئاسة المقبلة .

بالنسبة للجانب البريطاني اعلن جيمس كالاهان وزير الخارجية : ان بلاده تؤيد السياسة التي ينتهجها السادات بشأن تنويع مصادر التسليح وان العلاقات الثنائية بين البلدين قد تحسنت كثيرا وبوسع بريطانيا ان تقدم قدرا كبيرا من المساعدات الفنية والمعونات الاقتصادية لمصر . وبالنسبة لموضوع مشاركة منظمة لتحرير في مؤتمر جنيف كرر كالاهان الموقف الاميركي بحرفيته حين قال ان هذه المسألة خاضعة لموافقة باقي اطراف النزاع . وذكرت الانباء الصحفية على لسان مسؤول بريطاني كبير ان مصر لن تقدم على اي عمل عسكري ضد اسرائيل في السنوات المقبلة بسبب اتفاقية سيناء وان مصالح الغرب واسرائيل تقتضي تزويد مصر ببعض الاسلحة « حتى لا تقع تحت السيطرة السوفياتية ثانية » .

□ على صعيد اخر بدأت الجمعية العمومية لهيئة الامم مناقشتها للقضية الفلسطينية بحضور وفد يمثل منظمة التحرير برئاسة فاروق القدومي وقد شهدت المنظمة الدولية نشاطا كبيرا وتطورات دراماتيكية ادت الى انتصارات دبلوماسية هامة

لصالح منظمة التحرير والشعب الفلسطيني . علق الناطق بلسان وفد منظمة لتحرير ـ شفيق الحوت ـ على اقتراح السادات بدعوة المنظمة للاشتراك بمؤتمر جنيف قائلا ان المنظمة ترفض الاشتراك في اي مؤتمر حول ازمة الشرق الاوسط يستند الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واشار الى التعثر الكبير الذي أصاب مؤتمر جنيف منذ نجاح سياسة كيسنجر في شق التضامن العربي عبر اتفاقية سيناء . والقى رئيس وفد منظمة التحرير كلمة فلسطين امام الجمعية العمومية حيث اكد من جديد ان هدف الشعب الفلسطيني هو انشاء الدولة العلمانية الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني ، وهاجم بعنف السياسة الاميركية في المنطقة متهما اياها بالتصميم على « اسقاط غصن الزيتون الذي حملناه في يدنا العام الماضي » ، كما اكد رفض المنظمة الحلول الجزئية « مثل اتفاقات فك الارتباط وسياسة الخطوة خطوة » . كذلك شدد القدومي بانه لا يمكن ان يتحقق السلام في الشرق الاوسط بدون الأعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني كما انه لا يمكن لاي مؤتمر دولي مناقشة قضية فلسطين في معزل عن منظمة التحرير او في غيابها اما المندوب الاميركي فقد كرر موقف بلاده المعروف ، اي الذي يرفض الاعتراف بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني ، ويرفض قرار الجمعية العمومية رقم ٣٢٣٦ ، ولا يقر مشاركة منظمة التحرير في مؤتمر جنيف الا بعد موافقة اسرائيل على ذلك ، كما يعارض كل اتجاه من جانب الجمعية العمومية لتعديل قرارات مجلس الامن التي فرضت الاطار الذي ينبغي تسوية مشكلة الشرق الاوسط من ضمنه وهو اطار لا يعترف بالفلسطينيين الا كلاجئين .

من جهة اخرى ، وبناء على معارضة منظمة التحرير وسوريا لمشروع القرار الذي تقدم به الوفد المصري للجمعية العمومية (والذي يطالب بدعوة المنظمة للمشاركة في مؤتمر جنيف) فقد سقط هذا المشروع عربيا وجرى استبداله بمشروعين اخرين حازا على موافقة سوريا ومنظمة التحرير بالاضافة الى الدول العربية الاخرى ومسايرة مصر . نص المشروع الاول على النقاط التالية : (أ) تأكيد الجمعية العمومية من جديد للقرار الصادر منها (رقم ٣٢٣٦) في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ حيث جرى تأكيد اعتراف الجمعية بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . (ب) ان اقرار هذه الحقوق يشكل شرطا مسبقا لاي سلام دائم وعادل في المنطقة . (ج) ان اشتراك الشعب الفلسطيني في كل الجهود والمشاورات الهادفة الى السلام في الشرق الاوسط مسألة اساسية ولا غنى عنها . (د) التمني على مجلس الامن اتخاذ القرارات والاجراءات الضرورية من اجل اتاحة لفرصة أمام الشعب الفلسطيني لممارسة حقوقه الوطنية الثابتة وفقا لقرار الجمعية العمومية رقم ٣٢٣٦ (ه) المطالبة بدعوة منظمة التحرير باعتبارها ممثلة الشعب الفلسطيني للاشتراك في كل الجهود والمشاورات والمؤتمرات المتعلقة بالشرق الاوسط والمنعقدة تحت رعاية الأمم المتحدة وذلك على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى واستنادا الى القرار رقم ٣٢٣٦ . (و) التأكيد على ضرورة اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لدعوة منظمة التحرير للاشتراك في اعمال مؤتمر جنيف وكافة الجهود الاخرى الهادفة الى تحقيق السلام . (ز) التمني على الامين العام لهيئة الامم تقديم تقريره بهذا الصدد باسرع ما يمكن . وعند طرح هذا المشروع على التصويت فاز باكثرية ساحقة (٩٣ صوتا مقابل ١٨ وامتناع ٢٧) مما اعتبر انتصارا دوليا كبيرا لمنظمة التحرير والقضية الفلسطينية . وجدير بالاشارة ان بين الدول التي عارضت القرار الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية وكندا واسرائيل ، في حين امتنعت كل من فرنسا وايطاليا عن التصويت . اما مشروع القرار الثاني الذي جرى تقديمه للجمعية العمومية فقد نص على النقاط التالية : (أ) الاعراب عن قلق الجمعية البالغ بسبب عدم أنجاز اي تقدم باتجاه ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة في فلسطين بما في ذلك حقه في تقرير المصير والاستقلال والسيادة الوطنية ، بالاضافة الى حق الفلسطينيين الثابت في العودة الى ديارهم التي اخرجوا منها وممتلكاتهم التي انتزعت منهم . (ب) تشكيل لجنة لمتابعة موضوع اقرار حقوق الشعب الفلسطيني بحيث تقوم هذه اللجنة بالدراسات اللازمة وتقديم التوصيات وبرنامج العمل التي تراها مناسبة من اجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المشار اليها . (ج) تقوم اللجنة بعرض تقريرها وتوصياتها على الامين العام في موعد اقصاه اول حزيران ١٩٧٦ على ان يحيل الامين العام التقرير الى مجلس الامن ، كما تعرض اللجنة ملاحظاتها وتوصياتها على الدورة القادمة للجمعية العمومية

(د) ادراج بند بعنوان « المسألة الفلسطينية » في جدول اعمال الدورة القادمة للمنظمة الدولية وعند طرح هذا المشروع على التصويت فاز باكثرية مائة صوت ومعارضة ٨ اصوات وامتناع ٢٥ دولة عن التصويت ، وابرز الدول التي عارضت القرار هي الولايات المتحدة والمانيا الغربية وبريطانيا وهولنده ، وطبعا اسرائيل .

أما الانتصار الثالث فكان موافقة الجمعية العمومية على القرار الذي اتخذته اللجنة الاجتماعية في الامم المتحدة باعتبار الصهيونية حركة عنصرية شبيهة بانظمة الاقليات العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا . وقد عارضت الولايات المتحدة وحلفاؤها هذا القرار وعملت ما في وسعها لتفشيله الا ان مساعيها لم تنجح اذ صوتت ٧٢ دولة لصالح القرار وعارضته ٢٥ وامتنعت ٣٢ دولة عن التصويت .

□ التطور الهام الاخر على الصعيد الدولي هو الرسالة التي وجهتها حكومة الاتحاد السوفياتي في اواخر الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني الى الحكومة الاميركية وطلبت فيها دعوة مؤتمر جنيف الى الانعقاد بحضور كل الاطراف المعنية وعلى قدم المساواة بما في ذلك منظمة التحرير . وجدير بالذكر ان الرسالة السوفياتية لم تشر فقط الى قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ المستند الى قراره رقم ٢٤٢ بل اشارت ايضا الى قرار الجمعية العمومية رقم ٣٢٣٦ كأساس لانعقاد المؤتمر ، كما انتقدت الرسالة الاجراءات والتسويات الجزئية في المنطقة لان التجربة اظهرت بانها لا يمكن ان تؤدي الى تسوية ازمة الشرق الاوسط التي تفرض الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية الشرعية للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في انشاء كيانه الوطني . وجاء الرد الاميركي الاول والمباشر على الرسالة السوفياتية بتصريح لكيسنجر قال فيه بان حكومته لن تقبل التباحث مع منظمة التحرير ما لم تعلن الاخيرة عن نيتها الاعتراف بوجود اسرائيل .

٣ ــ المناطق المحتلة

مشروع الادارة المدنية

عشية الذكرى السنوية الاولى لدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في المناقشات الخاصة بالقضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، اجرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي انتخابات لاختيار اعضاء مجالس محلية وقروية في الضفة الغربية بلغ عددها ٥٧ مجلسا محليا وقرويا . وتعد سلطات الاحتلال كذلك لاجراء انتخابات لاختيار اعضاء مجالس بلدية في اذار (مارس) القادم لعدد من مدن الضفة المحتلة .

وليس مهما التوقيت الذي جرت فيه الانتخابات بقدر اهمية المغزى السياسي الذي تريد سلطات الاحتلال كشفه وبلورته من وراء عملية الانتخابات هذه . اذ انه في الوقت الذي تحرز فيه منظمة التحرير الفلسطينية المزيد من الانتصارات ويتدعم الاعتراف الدولي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، تحاول سلطات الاحتلال تمرير مشروعات مشبوهة لحل القضية الفلسطينية ، من عيار مشروع الادارة المدنية والحكم الذاتي . ويجمع عدد من المراقبين لسياسات الحكم العسكري الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، ان الانتخابات البلدية والمحلية هذه ، هي مقدمة لطرح مشروع الادارة المدنية ، كنوع من « رد الرجل » لمنظمة التحرير الفلسطينية ووقف حالة الدعم والالتفاف الشعبيين حولها في الضفة الغربية وغيرها .

وترجع فكرة الادارة المدنية هذه الى الايام الاولى التي تولى فيها شمعون بيرس وزارة الدفاع في حكومة رابين الحالية . حيث بدأ بدراسة فكرة الحكم الذاتي مع مساعديه ومع اشخاص اخرين من المناطق المحتلة . وقد اجرى بيرس سلسلة من اللقاءات مع اشخاص من الضفة الغربية وقطاع غزة لهذه الغاية . ونشط بيرس في سلسلة اتصالاته هذه بعد صدور القرارات

الفلسطينية الشهيرة عن قمة الرباط في اواخر العام ١٩٧٤ . تلك القرارات التي رأت فيها الحكومة الاسرائيلية قلبا لكل سياساته المرسومة ونواياها المبيتة تجاه سكان المناطق المحتلة . الا ان اتصالات بيرس هذه اجريت في ظل ما اسمته الحكومة الاسرائيلية « الفراغ » الناجم عن رفع يد السلطات الاردنية عن الضفة الغربية والتحدث باسم سكانها .

وشملت لقاءات شمعون بيرس مختلف رجال « الزعامة » المحلية في المناطق المحتلة . وكان من بينهم رؤساء البلديات الكبيرة ووزراء اردنيون سابقون واعضاء في مجلس الامة الاردني وشخصيات شغلت مناصب رئيسية في عهد الحكم الاردني . ومنهم الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل والحاج معزوز المصري رئيس بلدية نابلس، والحاج رشاد الشوا رئيس بلدية غزة . وانور الخطيب من القدس وغيرهم . كما اجتمع بيرس وشلومو هلل وزير الشرطة الاسرائيلية الذي كلفته حكومته باجراء وادارة الاتصالات السياسية مع وجهاء المناطق المحتلة في ذلك الوقت، مع الشخصيات التي عرفت في الماضي باعتدالها وبتأييدها للحكم الاردني او بمعارضتها الشديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية . وكان توقع الوزيرين الاسرائيليين بان هذه الشخصيات ستعرب عن امتنانها لهذه الفكرة، غير انهما اكتشفا بعد انتهاء المحادثات ان هذه الشخصيات المعروفة باعتدالها ومسايرتها التاريخية للعهد الاردني قد رفضت فكرة الحكم الذاتي تحت عوامل وضغوط مختلفة ومتباينة .

ولم يكن هؤلاء هم كل الذين اجتمع بهم الوزير الاسرائيلي ، بل كانوا من اصل عشرات الشخصيات التي استدعيت الى مكتبه في تل ابيب من الضفة الغربية وقطاع غزة . وكان الرأي السائد في عقب هذه المشاورات ان لا منافس لمنظمة التحرير الفلسطينية في المناطق المحتلة .

الا ان وزير الدفاع الاسرائيلي ، وبالرغم من كل ذلك ، لم يوقف اتصالاته برجالات الضفة الغربية وقطاع غزة ، من اجل بلورة زعامة محلية مناقشة لمنظمة التحرير . فقالت صحيفة دافار الاسرائيلية (٧٤/١٢/١٢) بان بيرس يواصل اتصالاته مع الشخصيات الفلسطينية في المناطق المحتلة ويتبادل معها الاراء حول الادارة المحلية ، التي يمكن ايجادها في المناطق المحتلة ، وحول التقديرات السياسية حيال العلاقة مع الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل .

الى جانب ذلك ، قامت الحكومة الاسرائيلية بعدة محاولات لدعم فكرة الادارة الذاتية وتكريسها في اذهان المواطنين في المناطق المحتلة . واهم هذه المحاولات هي :

١ — الغاء مخيمات الفلسطينيين وتوطينهم في المناطق المحتلة ، بغية تصفية القضية السياسية التي يمثلها هؤلاء . فقد اعلن شمعون بيرس نفسه في الكنيست يوم ٧٥/١/١٣ ان الحكم العسكري يصرف ٥٠ مليون ليرة في السنة لتوطين اللاجئين وان هناك خطة شاملة لتوطين ١٧٥ الف لاجيء في غزة حيث سيقام لاجلهم ١٩ حيا سكنيا (معاريف ٧٥/١/١٤) . واعلن بيرس بعد ذلك ان ١٥٠٠ عائلة من اللاجئين في قطاع غزة نقلت للسكن في معسكر اخر في رفح (هآرتس ٧٥/٢/٥) .

٢ — تصفية القوى الوطنية في المناطق المحتلة عن طريق القمع والارهاب ووسائل الاعتقال والابعادات خارج الارض المحتلة .

٣ — الضغط الاقتصادي ضد السكان بهدف دفع الزعامة المحلية لقبول مشروع الادارة المدنية ، وذلك « انقاذا » للوضع .

وكان مشروع الادارة المحلية يعرض على السكان ليس على انه بديل لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وانما كمشروع للخلاص من الحكم العسكري ، ومن هذه الادارة المحلية تنبثق قيادة تكون مؤهلة للتفاوض مع الحكومة الاسرائيلية على « الاستقلال » ومن خلال ذلك طرحت مشروعات عديدة مثل منح صلاحيات ادارة ذاتية لمناطق غزة ونابلس والخليل تركز في جهاز عام تكون له صلاحيات اعلى من مستوى صلاحيات المجالس البلدية حالنا . كما طرحت عدة صور يمكن ان تنفذ من خلالها فكرة الادارة الذاتية ، تعيين اشخاص من المناطق المحتلة في مناصب ضباط القيادة في الشؤون المدنية في ادارة الحكم العسكري . ووفق هذا الاقتراح يكون ضباط القيادة هؤلاء مسؤولين عن مجالات التعليم والصحة والداخلية وما شابه ذلك في الاطار العام للحكم العسكري . ومن بين الامكانيات كذلك بحث اقتراح لمنح صلاحيات ادارية في المجالات المدنية . وحسب هذا الاقتراح تمنح البلدية صلاحيات في مجال التعليم وبعد ذلك في مجال الصحة وهكذا . وطرحت امكانية اخرى وهي منح صلاحيات في جميع المجالات المدنية مرة واحدة

وبصورة تدريجية . وخلال مدة محددة تنقل جميع الصلاحيات في المجالات المدنية الى السكان المحليين (الشعب ٧٥/٣/٧) .

الا ان فكرة تطبيق مشروع الادارة الذاتية على هذا النحو استبعدت فيما بعد ، وحل محلها مشروع الاعتماد على رؤساء البلديات وذلك لعدم وجود هيئات لها صفة سياسية . لذلك اخذ الحديث يدور حول توسيع صلاحيات البلديات في مجالات تخرج عن نطاق اختصاصها الحالي مثل التعليم والصحة وغير ذلك . كل هذا الى جانب تعيين مدراء عامين من سكان المناطق بحيث يشمل مجال اختصاصهم الضفة الغربية كلها وليس محليا كما هو متبع حاليا . وقالت نشرة رصد اذاعة اسرائيل في حديثها حول هذا المشروع ان منظمة التحرير الفلسطينية تعارض هذا المشروع ، كما ان الاردن يمارسه بالضغط على عدد من الشخصيات الذين يعتقد انهم مرشحون لمنصب مدير عام (ر.ا.ف ٧٥/٤/٩) .

على الجانب الاخر فان سكان المناطق المحتلة من جانبهم ما فتئوا يقاومون هذه المشاريع ويعلنون تمسكهم بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لهم . وقد عبروا عن ذلك بحملة من البيانات والمنشورات والملصقات ضد مشاريع الاحتلال ومخططاته . فقد اصدر المكتب التنفيذي لـ «المؤتمر الاسلامي العام لبيت المقدس» بيانا ندد فيه بالمحاولة الاسرائيلية لاقامة حكومة محلية في الضفة الغربية . وقد تجلت معارضة مشاريع الادارة الذاتية والحكم الذاتي في مدن نابلس ورام الله وجنين وغيرها . كما ان رؤساء بلديات نابلس وطولكرم وجنين شمالي الضفة الغربية تشاوروا حول بيان سياسي يصدر عنهم ، يعلن معارضتهم لتشكيل حكومة محلية ، ويؤكد اصرار الشعب الفلسطيني على التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد له . وفي غزة صدر بيان بهذا المعنى بعد تعيين الحكم العسكري للمجلس البلدي في المدينة مؤخرا .

واصدرت الجبهة الوطنية الفلسطينية كذلك بيانا يوم ٧٥/١٠/١٩ حذرت فيه جماهير الشعب الفلسطيني من الانسياق لمخطط المحتلين لتحقيق مشروع الادارة المحلية في المناطق المحتلة . وجاء في هذا البيان ان هذا المشروع ليس الا نسخة عن مشروع الون ومشاريع تصفوية مماثلة تردد ذكرها خلال السنوات الماضية ، والتي فشل العدو في تطبيقها وفرضها رغم كل الاجراءات الهمجية التي اتبعها بحق جماهيرنا الفلسطينية، من سجن وملاحقة وابعاد واضطهاد وتعذيب ، مضافة اليها عمليات مصادرة الاراضي والاستيطان فيها وتخريب الاقتصاد الوطني ، وعمليات الافساد وشراء الضمائر . وجاء في ختام البيان بان الشعب الفلسطيني يزداد صلابة وصمودا وسيسقط هذا المشروع ويوحد صفوفه ويعزز قوة الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة وسيزيد من التفافه حول منظمة التحرير الفلسطينية ، مبتكرا اساليب واشكالا جديدة ضد الاحتلال على طريق النضال لتحرير الارض وتصفية الاحتلال نهائيا .

واذاع راديو اسرائيل يوم ٧٥/١٠/٢٢ ان التحركات في الضفة الغربية ضد دعوة السلطات الاسرائيلية الى تسليم الادارة المحلية لسكان هذه المناطق ، تجد الان استجابة شديدة حتى من قبل الجهات التي كانت تعد مقربة او متفاهمة مع السلطات الاسرائيلية . ومن ابرز ردود الفعل على تحركات السلطات الاسرائيلية جاءت من صحيفة القدس التي وصفتها الاذاعة الاسرائيلية بانها « متزنة جدا » حيث قالت الصحيفة : « ان دعوة الوزيرين الون وبيرس الى اعطاء حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية هي مؤامرة جديدة على هذه المنطقة . والمعروف ان هذين الوزيرين يعدان من ابرز الشخصيات التي كانت تعارض الاعتراف بالحقوق السياسية للشعب الفلسطيني . وقالت الصحيفة كما جاء على لسان الاذاعة الاسرائيلية « لن تمر دعوة الوزيرين مرور الكرام في هذه المنطقة ، ولن تسكت الا بعد زوال الحكم العسكري الاسرائيلي » .

وعلى العموم ، فاننا نعتقد ان مشروع الادارة المحلية لم يتعد الى الان نطاق المداولة وسبر ردود الفعل المختلفة لدى كل الاطراف المعنية . ونعتقد ان فكرة الادارة هذه لم يتعد نطاق مؤيديها على الصعيد الاسرائيلي نفسه صاحبها ومؤدلجها شمعون بيرس . فهي الى جانب المقاومة الشعبية العنيفة التي تواجه بها في الشارع وفي كل مكان من المناطق المحتلة ، لم تنل حتى الان موافقة الحكومة الاسرائيلية .

وفوق ذلك كله فاننا نعتقد مرة اخرى ان اقدام الحكومة الاسرائيلية على اقرار افكار بيرس ودفعها الى الصعيد العملي ، ستكون مغامرة حقيقية من جانب الاسرائيليين . فاذا ما قدر لها ان تلاقي بعض

النجاحات الشكلية ، فانها ستحرق كل الرمـــوز البشرية التي ستشارك بها جماهيريا ، وتقطـــع كل صلة لها بسكان المناطق المحتلة عبر هـــذه « الرموز » التي درجت سابقا على التعامل مـــع السكان عبرهم وبواسطتهم .

تجدد الانتفاضة الشعبية

وايضا ، في الذكرى السنوية الاولى لدعـــوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك بمناقشـــة القضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، التهبت الضفة الغربية مرة اخرى بمظاهرات طلابية وشعبية . فمنذ يوم ٧٥/١١/٧ وحتى كتابة هذا التقريـــر (٧٥/١١/١٧) ، ما زالت المظاهرات الطلابيـــة وما يصاحبها عادة من اغلاق المحلات التجاريـــة وانقطاع العمال عن اعمالهم ، مستمرة دون توقـــف بل وتزداد اتساعا وشمولا في مختلف مدن الضفة الغربية . وكما في العام الماضي كانت حناجـــر الطلاب تدوي بالهتاف لمنظمة التحرير الفلسطينية، دوت هذه السنة حناجر الطلاب وافئدتهم بالهتاف للمنظمة ، تحت اعلام فلسطين التي ارتفعت علـــى ساريات الاعلام في المدارس. والى جانب الشعارات المؤيدة للمنظمة رفعت هذه السنة شعارات تندد بالصهيونية وبالحكم العسكري ومشروع الادارة الذاتية . وقد اتخذ المتظاهرون من تجدد حديـــث سلطات الاحتلال عن مشروع الادارة المدنيـــة ، مناسبة لتبيان حقيقة مشاعر الجماهير الفلسطينيـــة تجاه هذا المشروع ــ المؤامرة من جهة ولمحض منظمة التحرير الفلسطينية مجددا ثقة الجماهير الفلسطينية بها كممثل شرعي وحيد قادر على التعبير عـــن الاماني الفلسطينية في الحرية والخلاص الوطني .

واوردت الاذاعة الاسرائيلية الانباء الاولى عـــن هذه التظاهرات في نشرتها العبرية يوم ٧٥/١١/٩ قائلة ، استمر « الشغب » لليوم الثالث في مدارس رام الله والبيرة « ففي الصباح لم تدخل تلميذات احدى المدارس في المدينة الى الصفوف . وبدلا من ذلك تجمعن في فناء المدرسة ورفعن علمـــين فلسطينيين من صنع منزلي وصحن بشعـــارات ضد الصهيونية وضد الحكم (العسكري) وضـــد مشروع الادارة الذاتية الذي يتجاهل ، حسب اقوالهن ، منظمة التحرير الفلسطينية الممثل المعترف به للشعب الفلسطيني » واضافت الاذاعة قائلـــة ان « الشغب » انتقل الى مدرسة اخرى في معسكر لاجئين قريب من المدينة . وتقصد بذلك مخيـــم الامعري قرب رام الله. وعلقت الاذاعة الاسرائيلية على هذه الظاهرة بقولها : « ان الشغب فـــي الدراسة اليوم هو استمرار مباشر للصدامـــات التي وقعت امس مع قوات الامن في رام اللـــه وللمعركة المنهجية التي تديرها عناصر معينة فـــي الضفة الغربية ضد مشروع الادارة الذاتية وضد كل محاولة للمساس او الاخلال بمركز م.ت.ف.». واشارت الاذاعة الى ان صحيفة « الفجر » التي تصدر في القدس الشرقية قد درجت خلال الاسابيـــع الماضية على نشر تعليقات « سلبية ضد فكـــرة الادارة الذاتية » . وهذا ما كانت تفعله صحيفـــة « الشعب » ايضا خلال تلك الفترة . وقالت ان ذلك اوجد « مجموعة ضغوط قوية على الاهالي الذين ربما ظنوا خلاف ذلك . ولا يوجد ما يثبت ان يـــدا واحدة تشد كل خيوط المعارضة النشيطة لفكـــرة الادارة الذاتية . لكن المنشورات التي وزعت في الاسبوع الماضي في الضفة الغربية والتي دعت الاهالي الى احباط الفكرة ، تحمل على الظن بان هذه ليست ثورة تلقائية كليا » .

وتفيد اخر تقارير وكالات الانباء الواردة مـــن الضفة الغربية ان الانتفاضة الشعبية ما زالت مستمرة الى الحد الذي حدا بالسلطات المحتلة الى التفكير في توقيع « عقوبات » على مدينتي البيرة ورام الله بشكل خاص ، خاصة وانه رافـــق التظاهرات الشعبية موجة من انفجارات القنابـــل في هاتين المدينتين المتلاصقتين . وتفيد التقاريـــر كذلك انه بعد ان تطورت المظاهرات الى اشتباكات عنيفة بين الطلاب وقوات الامن الاسرائيليـــة واستخدمت فيها الحجارة والقنابل المسيلة للدموع، اقدمت سلطات الاحتلال على اغلاق العديد مـــن المدارس ومعاهد التعليم ، خاصة في مدينة رام الله والى جانب اقفال المدارس واصابة عشرات الطلاب بجروح خلال المظاهرات، فقد لجأت سلطات الاحتلال الى اصدار اوامر باعتقال العديدين منهم والزامهم بدفع غرامات مالية باهظة . وما حدث في رام الله من مظاهرات وغيرها حدث الشيء نفسه في مدن نابلس وطولكرم وجنين وبيت لحم وغيرها . ويتوقع ان تستمر هذه المظاهرات مدة اخرى وان تقابـــل بالمزيد من اجراءات القمع والارهاب من قبل سلطات الاحتلال الاسرائيلية .

« الوطن » مرة اخرى

بعد انقطاع دام عدة اشهر ، حينما صـــدرت

جريدة الوطن تحمل اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني لاول مرة ، عادت هذه الصحيفة السرية الى الظهور مرة اخرى في الضفة الغربية باسم « التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية» . وحمل هذا العدد الذي صدر في ايلول (سبتمبر) ٧٥ في مكان بارز ، قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني حول تسمية فرع الحزب في الضفة الغربية وجاء في قرار الحزب المشار اليه حول هذه القضية كما نشرت « الوطن » : « ان قرار لجنة حزبنا المركزية بتسمية فرع الحزب في الضفة الغربية باسم « التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية » يمثل تجاوبا واقعيا مع متطلبات المرحلة الراهنة من نضال شعبنا الفلسطيني ، ويحقق انسجاما بين مضمون نضالنا واطاره .

« ان التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية هو امتداد اصيل للتقاليد الكفاحية للحزب الشيوعي الاردني . وسيبقى ينفذ نفس السياسة ويعمل لنفس الغايات والاهداف تحت راية الماركسية ــ اللينينية ومبادىء الاممية البروليتارية .

« وهو بهذا الاسم ، وقبل هذا الاسم ، موجود في حلبة النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني ومن اجل استرداد الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني وفي سبيل اقامة الدولة الفلسطينية الوطنية وفقا للمقررات الدولية .

« ان اعلان حزبنا عن هذا التغيير في الاسم في وقت تتزايد فيه المؤامرات على قضية الشعب الفلسطيني وتبذل المحاولات لطمس مكاسبه ، والتهرب من قرارات الرباط من جانب مصر السادات ، هو في حد ذاته تعبير عن ثقة حزبنا بان جميع هذه المحاولات ستلاقي الهزيمة ، وتأكيد من جانب حزبنا على تشديد النضال لانتزاع حقوق شعبنا المغتصبة .

« لقد كان حزبنا على الدوام ، ومنذ تأسيسه ، في قلب معارك النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، وضد محاولات تصفية القضية الفلسطينية لصالح الامبريالية والصهيونية ... وهو يواصل النضال ضد الاحتلال الصهيوني بمختلف اشكاله وصوره ومشاريعه التوسعية ، وتعرض للاضطهاد والملاحقة ولاقى الكثيرون من اعضائه وقادته التعذيب الوحشي والنفي خارج الوطن والسجن الطويل .

« وهو اليوم ، باسمه الجديد ، ليعاهد الجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة وخارجها ، على الماضي في النضال بتهمة شيوعية ، وبلا تردد في التضحية ، وبوفاء ثابت لكل قيم الشرف والكرامة الوطنية » .

عيسى الشعيبي

(٤) القضية الفلسطينية عسكريا

على الرغم من الاحداث الجارية في لبنان ومحاولات القوى المعادية للثورة الفلسطينية جر المقاومة الفلسطينية الى حلبة الصراع اللبنانية ، ومحاولاتها الهائها وابعادها عن ميدان نضالها الاساسي ، فقد واصلت الخلايا المسلحة وتنظيمات المقاومة السرية نشاطاتها في داخل الارض المحتلة ومقاومتها للاحتلال بفاعلية كبيرة ، بشكل اكسبها اعجاب الامة العربية والدول الصديقة والاجنبية وشبنا فشبنا باتت الجبهة الرابعة (الداخلية) تحتل اهمية كبيرة في المشاريع الامنية والمخططات العسكرية الدفاعية الاسرائيلية . وعلى الرغم من كل ذلك ، ظل محور النشاط الفلسطيني مسلطا باتجاه الارض المحتلة .

ففي ١٩٧٥/١١/٩ صرح ناطق عسكري باسم القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ان الفدائيين نفذوا خلال اربع وعشرين الساعة الماضية سلسلة عمليات عسكرية ضد الاهداف العسكرية والاقتصادية الحيوية في داخل الاراضي المحتلة في نابلس ومستوطنة رعنانه والخضيرة . (النهار ــ ١٩٧٥/١١/١٠) .

وفي تل ابيب ذكرت الصحف الاسرائيلية نقلا عن المراسلين العسكريين في الشمال ان دورية اسرائيلية تعرضت مساء الاحد ١٩٧٥/١١/٩ في منطقة تل الفرس لنيران اسلحة خفيفة اطلقت عليها من الاراضي السورية . واشارت المصادر نفسها ان افراد الدورية لم يصابوا بأي اذى . هذا ولم يعرف ما اذا كانت مصادر النيران من عمل الجنود السوريين ام الفدائيين الفلسطينيين (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/١١/١٠ قام اربعة من ثوار جبهة التحرير العربية بعملية جريئة في الجليل الاعلى ، فقد اقتحموا مستعمرة « كفار جلعادي » وكبدوا العدو (٢٥) اصابة وعطلوا دبابة وناقلتي جنود في معركة ضارية استمرت (١٠) ساعات . فقد جاء في البلاغ الذي اصدرته جبهة التحرير العربية في اعقاب المعركة انه « على مر عشر ساعات من القتال الضاري على ارض الوطن حشد العدو الصهيوني خلالها قوات كبيرة من جنوده منقولة بطائرات الهليوكبتر والمتمركزة في مستعمرتي « كفر ناحوم» و « حولاته » الى استراحة « كفارجلعادي » وحولها حيث الهدف من عملية ثوارنا ، وقد استعان العدو بكثيبة من المشاة معززة بالدبابات لتطويق مداخل المنطقة . ودار قتال عنيف ابتدأ قبيل منتصف ليل ٩ــ١٠/١٠/١٩٧٥ واستمر حتى الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الاثنين ١٩٧٥/١١/١٠ في الاستراحة وحولها وذلك في ظروف جوية صعبة ، وتحت الامطار الغزيرة ، حتى نفذت ذخيرة ثوارنا الاربعة وقاموا بتفجير انفسهم بعد ان احكم حصار كثيف من قوات العدو حول الاستراحة بغية اسرهم » . واضاف البلاغ قائلا لقد كبد ثوارنا الاربعة العدو اكثر من (٢٥) اصابة بين قتيل وجريح . كما كبدوه دبابة واحدة واثنتين من ناقلات الجنود ، مما دفعه الى رد فعل فوري استهدف جماهير شعبنا داخل الحدود اللبنانية حيث اقام بعض الكمائن على طريق كفركلا ــ العديسة ــ مركبا وقام بخطف العديد من المواطنين » (الثائر العربي ــ ١٩٧٥/١١/١٥) .

وفي الارض المحتلة صرحت بعض المصادر الاسرائيلية ان الفدائيين الاربعة الذين قتلوا في « كفار ــ جلعادي » حملوا معهم الى جانب المواد الناسفة والبنادق خرائط وشرائط مسجلة . ويتضح من المكتوب على الخرائط ، ومن مضمون الشرائط المسجلة بعض اهداف هذه المجموعة . فقد كان هدف العملية كما اتضح من الوثائق العديدة التي كانوا يحملونها ، انه كان في نيتهم اقتحام كيبوتس « كفار جلعادي » في محاولة لاحتجاز الرهائن . وكانت هناك اشارة الى كيبوتس « كفار جلعادي » في الخارطة التي وجدت في حوزة الفدائيين . أما الاهداف الاربعة التي اعدت للهجوم فكانت مفصلة على الخريطة . وكان في حوزتهم رسائل باللغتين العبرية والانكليزية ، تحتوي على مطالبهم مقابل الافراج عن ٢٠ فدائيا محتجزين في سجون اسرائيل ومن بينهم المطران كبوجي وكوزو اوكاموتو . كما كان في نيتهم المطالبة بتدخل سفراء رومانيا والنمسا وفرنسا في اسرائيل لاجراء مفاوضات معهم للافراج عن الرهائن مقابل الفدائيين المحتجزين في اسرائيل . كما وجد في حوزتهم جهاز تسجيل سجلت فيه بعض المعلومات ، التي يبدو ان الفدائيين كانوا يزمعون بثها بواسطة مكبر للصوت كانوا يحملونه معهم . وكانت الاسلحة والمعدات التي في حوزتهم منظمة هذه المرة واكثر تطورا من معدات واسلحة المجموعات السابقة التي تم القضاء عليها على الحدود الشمالية . (رأ.ا. ــ ١٩٧٥/١١/١١)

وفي الوقت الذي قربت فيه ضربات الفدائيين على مستعمرات القشرة ورجال المقاومة في الداخل نشرت مجلة « نيوزويك » الاسبوعية الاميركية في عددها الصادر في ١٩٧٥/١١/١١ مقابلة اجرتها مع الاخ « ابو اللطف » رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية جاء فيها قوله « ان الفلسطينيين لن يتخلوا عن التحرك السياسي ، ولكن لا خيار لهم سوى القتال وفي الامكان توقع تصعيد في عملياتنا ، فقد اصبحنا مقاتلين جيدين ، كما اننا نزداد قوة كل يوم » .

وفي الوقت نفسه ذكرت الانباء الواردة من داخل الاراضي المحتلة ان المظاهرات عمت المدن في الضفة الغربية ضد الاقتراحات الاسرائيلية القاضية بمنح الضفة الغربية المحتلة حكما محليا صوريا . وذكرت هذه الانباء ان عشرة طلاب آخرين اعتقلوا في رام الله لالقائهم الحجارة على رجال الشرطة الاسرائيلية . وكان مسؤولو الامن قد ذكروا في ١٩٧٥/١١/١٠ انه تم اعتقال (٦) طلاب افرج عنهم في وقت لاحق لاشتراكهم في المظاهرات التي قامت ضد الاقتراحات التي كانت الحكومة الاسرائيلية قد تقدمت بها لمنح الضفة الغربية حكما محليا محدودا . وذكرت المصادر نفسها انه جرت بعض المجابهات بين الجنود والطلاب الذين كانوا يرشقون الحجارة . كما ان مجموعة طلاب من بير زيت اعتصمت في مبنى الكلية بعد اصطدامهم بجنود اسرائيليين يوم الاثنين ١٩٧٥/١١/١٠ وهم يهتفون بحياة منظمة التحرير الفلسطينية وبسقوط اسرائيل . وظهرت كتابات على الجدران تقول ان الاعتقالات الاسرائيلية لن تؤثر على التأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية

(النهار — ١٣/١١/١٩٧٥) .

وفي ١٣/١١/١٩٧٥ فجر الفدائيون في قلب القدس عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار اسفرت عن قتل وجرح عدد من الاسرائيليين . فقد صرح ناطق عسكري باسم القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بما يلي « قام ثوارنا مساء يوم ١٣/١١/١٩٧٥ بوضع عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار في ساحة صهيون في قلب مدينة القدس . فقد انفجرت العبوات الناسفة في موعدها المحدد في الساعة السابعة من مساء هذا اليوم ، وادى انفجارها الى تكبد العدو خسائر مادية وبشرية كبيرة ، وعلى الفور هرعت اعداد كبيرة من سيارات الاسعاف وقامت بنقل القتلى والجرحى كما حضرت الى المنطقة قوات كبيرة من الشرطة والحرس المدني وقامت باخلاء المنطقة واغلاقها بوجه السيارات والمارة . وقد نجم عن الانفجار قتل وجرح عدد كبير من اليهود وتدمير اجزاء كبيرة من الابنية السكنية ، وتدمير واجهات عدد من المحلات التجارية بالاضافة الى عدد من السيارات . وفي اعقاب الانفجار شنت سلطات الأحتلال حملة اعتقالات بين المواطنين العرب في القدس » (المصرر ١٤/١١/١٩٧٥) .

وفي القدس اعلنت مصادر الشرطة الاسرائيلية ان احد المارة اليهود اكتشف في حي محنا يهودا عبوة ناسفة اخرى قبل وقوع انفجار ساحة صهيون بساعة ، ولكن الشرطة الاسرائيلية قامت بابطال مفعولها قبل ان تنفجر . (المصدر نفسه) وقد اعترف العدو بالعمليتين الا انه كعادته ادعى ان الخسائر كانت طفيفة . وعلى الرغم من محاولته التقليل من الخسائر ، فلا شك ان الحادث يظهر المرحلة المتقدمة الذي وصلت اليه مقاومة الاحتلال في عمق الاراضي المحتلة ، على الرغم من الاجراءات الامنية الكبيرة التي تقوم اجهزة الامن الاسرائيلية بتنفيذها في القدس وضواحيها .

لقد هزت العملية اعصاب الاسرائيليين ، وادى الحادث الى قتل ٨ وجرح اكثر من ٤٠ مواطنا يهوديا . ويبدو ان توقيت العملية كان بارعا من حيث تأثيرها معنويا على الاسرائيليين او من حيث مغزاها وبعدها السياسي حتى حملت الصحف الاسرائيلية على اجهزة وقوى الامن وقالت انه كان عليها ان تكون اكثر يقظة في مواجهة العمليات الإرهابية (المحرر ١٥/١١/١٩٧٥) .

وفي القدس واصلت الشرطة الاسرائيلية التحقيق في انفجار ساحة صهيون واعتقلت خلال الليل ٦٠ مشبوها وجرى التحقيق معهم ، ثم افرج عن بعضهم . وذكرت مصادر الشرطة ان ٣٠ جريحا يعالجون في مستشفيات القدس المحتلة جراح ثلاثة منهم خطيرة . (رأ.أ — ١٤/١١/١٩٧٥) .

وفي ١٤/١١/١٩٧٥ اعلنت مصادر الشرطة الاسرائيلية انها بدأت عمليات مطاردة بحثا عن الفدائيين الذين وضعوا القنبلة في ساحة صهيون . وقالت هذه المصادر ان عدد المعتقلين ارتفع الى نحو (٢٠٠) عربي سيتم استجوابهم . واضافت ان الحواجز ودوريات الامن في القدس عززت وان القنبلة تزن خمسة كيلو غرامات . واعلن وزير الشرطة الاسرائيلية شلومو هليل في تصريح نقلته الاذاعة « ان السلطات الاسرائيلية قد تضطر الى اتخاذ اجراءات تحد من حرية الدخول الى القدس » وقال « ان حرية التنقل بين القدس والاراضي الاسرائيلية من جهة والاراضي المحتلة من جهة اخرى تعتبر كاملة في الوقت الحاضر ، لكن هذا الوضع قد يتغير ، ذلك اننا بذلنا حتى الان كل ما في وسعنا من اجل عدم اتخاذ مثل هذه الاجراءات » . (النهار ١٥/١١/١٩٧٥) . وذكرت الانباء الواردة من القدس ان العدو اتخذ اجراءات امن مشددة خوفا من حدوث مزيد من اعمال العنف في المدينة . (المصدر نفسه) .

وفي هذا الاثناء استمرت المظاهرات في مدن الضفة الغربية ، وتركزت بشكل بارز في نابلس . فقد ذكرت المصادر الاسرائيلية ان الطلاب في اربع مدارس رئيسية في نابلس رفضوا الدخول الى صفوفهم وتجمعوا في ساحات المدارس . وبعد برهة جرت محاولة لتنظيم تظاهرة الى داخل المدينة والى سوق نابلس . فدخلت قوات الامن لمنع حدوث التظاهرة . وقد باشر الطلبة بعد ذلك يطلقون الهتافات الوطنية ، وقاموا برجم جنود الاحتلال . (رأ.أ — ١٧/١١/١٩٧٥) .

وفي الوقت نفسه اندلعت المظاهرات في عدة اماكن من الضفة الغربية المحتلة احتجاجا على مشروع « بيريز » للحكم الذاتي الداعي الى نقل مسؤولية التجارة والصناعة والصحة والتعليم الى السكان العرب والابقاء على مسؤولية الدفاع والأمن والشؤون الخارجية في ايدي سلطات الاحتلال

الاسرائيلية . واوردت وكالات الانباء من المناطق المحتلة ان الغضب العارم يجتاح مدن نابلس واريحا والخليل والبيرة ورام الله والقدس واجزاء اخرى من الضفة الغربية احتجاجا على المشروع الاسرائيلي وهتف المتظاهرون بحياة منظمة التحرير الفلسطينية (المحرر — ١٩٧٥/١١/١٧) .

وفي القدس اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريز « انه يجب على العرب ان يدركوا انهم لن يحققوا اي حل حقيقي بالقوة والمظاهرات او التهديدات » وقال « ان المشكلة الحقيقية مع منظمة التحرير ليست في انها تريد اقامة دولة فلسطينية في جزء من اسرائيل ، بل في انها تريد تدمير اسرائيل كليا » (المصدر نفسه)

وفي ١٩٧٥/١١/١٧ اعلنت مصادر الشرطة في اسرائيل انه تم اعتقال مواطن من نابلس كان عائدا من خارج البلاد في مطار اللد الليلة الماضية وقد اكتشف في امتعته صاعقان وباشرت الشرطة بالتحقيق . (رأ٠ا — ١٩٧٥/١١/١٨) .

ومن جهة ثانية اصدرت محاكم العدو الصهيوني في ١٩٧٥/١١/١٧ قرارا باعتقال المواطنين يحي طارق ومحمد ابو وافيه وهما من ابناء مدينة يافا ، واتهمتهما بالقاء قنبلة على منزل علي رشيد في يافا . (المحرر ١٩٧٥/١١/١٩) . وهكذا نرى ان موجة الانتفاضات ضد الاحتلال الاسرائيلي بدأت تعم سائر المدن المحتلة في الضفة الغربية وفي الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٤٨ .

وعلى صعيد آخر افادت التقارير الواردة من الجنوب اللبناني في ١٩٧٥/١١/١٩ ان العدو عزز قواته على طول الحدود الجنوبية بشكل ملحوظ حيث قامت دورياته بحملة لتمشيط الطريق الترابية المحاذية لطريق عديسه — مرجعيون فيما نشطت قواته في العمل لتحصين موقع تل النحاس الجديد . وشوهدت قوات مكثفة وعدة آليات ومجنزرات في اماكن متعددة بالقرب من المستعمرات المتاخمة للحدود اللبنانية. (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٠)

وفي مجال آخر نشطت الطائرات الاسرائيلية بشكل اعتيادي ، حيث قامت بعدة طلعات استطلاعية فوق معظم المناطق الجنوبية . وفي الساعة (١٠٤٥) من يوم ١٩٧٥/١١/١٩ حلق بشكل من الطائرات الاسرائيلية فوق منطقة طرابلس في الشمال . فتصدت له المقاومات الارضية في مخيم البداوي . وتأتي هذه التحركات في اعقاب تزايد المقاومة في داخل الارض المحتلة وعلى الحدود (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٠) . ويبدو ان العدو يبدي اهتماما كبيرا بالمخيمات الفلسطينية في شمال لبنان لاعتقاده انه يتم تدريب الفدائيين الذين يرسلون الى داخل الارض المحتلة في هذه المخيمات . فقد دأبت اجهزة الاعلام الاسرائيلية على القول ان كافة العمليات داخل الاراضي المحتلة تقوم بها عناصر فدائية في هذه المخيمات . لذلك تأتي هذه الطلعات الجوية فوق الشمال ضمن سلسلة من رحلات الاستطلاع والتصوير الجوي لهذه المناطق ، الهدف منها جمع ادق المعلومات عن مواقع ومعسكرات الفدائيين ، مما يوحي بأن العدو الاسرائيلي يبيت عدوانا على هذه المناطق .

ومن جهة ثانية يمكن تفسير النشاطات الاسرائيلية على الحدود الجنوبية بانها اجراءات لاقامة مراكز مراقبة جديدة على طول هذه الحدود لتشديد الرقابة على اكبر قطاع ممكن منها لعبور وتسلل الفدائيين عبرها . والجدير بالذكر ان القوات الاسرائيلية اقامت مركز مراقبة في « راس تلة جبل كحيل » شرق عيترون سبق للسلطات العسكرية اللبنانية ان اعترضت على احتلال القوات الاسرائيلية له في عام ١٩٧٣ ، كونه يشرف اشرافا تاما على مناطق واسعة في « بنت جبيل الشرقية » وضواحي « عيناتا » و « محيبيب » ويسهل « عيترون » . ويتوغل هذا المركز مسافة (٨٠٠) متر في جبل كحيل داخل الاراضي اللبنانية . (النهار ١٩٧٥/١١/٢٠) .

وعلى الرغم من هذه الاجراءات الامنية الاسرائيلية المشددة في الجليل الاعلى والمناطق الشمالية المحتلة ، فقد اقتحم الفدائيون مستعمرة « رمات مجشميم » بالجولان وعادوا الى قواعدهم دون خسائر . وقال بيان المقاومة الفلسطينية « ان الهجوم وقع في الساعة (٢٢٫٠٠) من يوم ١٩٧٥/١١/٢١ وقد استخدم فيه الفدائيون الرشاشات والقنابل اليدوية وتمكنوا من اقتحام المستعمرة التي تقع في القطاع الجنوبي من هضبة الجولان السورية المحتلة » . واضاف البيان قائلا « ان الفدائيين سيطروا على المقر المحلي لشبيبة الناحال العسكرية واسروا اثنين من افراد الشبيبة ثم تخلصوا منهما بعد ذلك . »

وقال البيان « انه حدث في الوقت نفسه اشتباك ضار بمختلف الاسلحة بين قوات اسرائيلية حاولت التقدم نحو مقر الشبيبة وبين مجموعة الفدائيين التي لم يذكر عددها استمر من الساعة (٢٢ر٠٠) من اليوم نفسه حتى الساعة (٠٤ر٠٠) من صباح يوم ١٩٧٥/١١/٢٢ . وقد ادى الاشتباك الى مقتل عدد كبير من جنود وضباط العدو ، وتمكنت المجموعة عند الساعة (٠٤ر٠٠) من فتح ثغرة في الطوق الذي ضربه جنود العدو حولهم وتمكنوا من العودة دون اية خسائر » (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٢) . وجدير بالملاحظة ان تشكيلات شبيبة « الناحال » هي التنظيم شبه العسكري للجيش الاسرائيلي الذي يرابط افراده في المستعمرات الامامية المتطرفة ، حيث تشكل هذه المستعمرات عيون اسرائيل الامامية . لهذا تلعب هذه المستعمرات اهمية عسكرية كبيرة في مشاريع اسرائيل الدفاعية وقت السلم والحرب .

وفي ١٩٧٥/١١/١٣ تمكن الفدائيون من نسف استراحة للجنود الاسرائيليين على طريق القدس رام الله في مستعمرة النبي يعقوب . وذكرت المصادر الفلسطينية ان العدو تكبد خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات نتيجة للحادث . وقد شنت السلطات الاسرائيلية حملة اعتقالات واسعة على الاثر بين المواطنين العرب . واعترف العدو بالحادث لكنه اخفى الخسائر . (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٤) .

وفي الامم المتحدة قال السفير الاسرائيلي « لقد قدمت رمات مجشميم نسيبها في الحمل الثقيل الناجم عن الاستيطان والامن وان الحادث هو خرق لاتفاق فك التحام القوات في الجولان » (رأ ـ ١٩٧٥/١١/٢٤) ومن جبهة اخرى قال رئيس الاركان الاسرائيلي اللواء مردخاي غور « ان مما لا شك فيه ان « المخربين » الذين عملوا في رمات مجشميم حصلوا على مساعدة من الجيش النوزي » واضاف قائلا « ان العملية كانت عملية اضرب واهرب » (المصدر نفسه) وكان ناطق بلسان الجبهة الديمقراطية في دمشق قد اعلن مسؤولية منظمته عن العملية . (المصدر نفسه) .

وفي اسرائيل وصف مراسل الاذاعة عملية رمات مجشميم بانها من اجرأ العمليات التي نفذها الفدائيون حتى الان . وقال المراسل « هناك امر واحد واضح هو ان « المخربين » استطاعوا الاقتراب من المستعمرة دون اية صعوبات وذلك بعد اجتياز الشريط » . وقال « انه يوجد في المستعمرة جنود مقاتلون تابعون لاجهزة الدفاع في المنطقة ، وقد تلقوا تدريبا خاصا على مواجهة عمليات التخريب » (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/١١/٢٤ صرع الثوار الفلسطينيون ضابطا اسرائيليا اعتبر مسؤولا عن ازالة المخيمات الفلسطينية وتهجير السكان في قطاع غزة . فقد نصب الثوار كمينا لسيارته في منطقة الشيخ رضوان بمدينة غزة . وفي الساعة (١٨٠٠) مرت السيارة وبداخلها الضابط المذكور واثنان من الحرس والسائق ، ففتح الثوار نيران رشاشاتهم عليها وقذفوها بالقنابل اليدوية وتمكنوا من تدميرها وقتل وجرح من فيها . وعلى الاثر هرعت الى مكان الحادث قوات من الشرطة وطوقت المنطقة وشنت حملة تفتيش واعتقال شملت العديد من المواطنين العرب في القطاع (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٥) . وفي اسرائيل اعترف ناطق عسكري اسرائيلي ـ أن النيران اطلقت على سيارة مدنية اسرائيلية اثناء مرورها في احد الاحياء السكنية في مدينة غزه المحتلة ليلة ٢٣ـ ١٩٧٥/١١/٢٤ . وادعى ان احدا لم يصب بأذى كما نفى وقوع اضرار بالسيارة . وأفاد الناطق ان الشرطة اعتقلت رجلا واحدا فقط للاشتباه بانتمائه الى المقاومة الفلسطينية (المصدر نفسه) .

وفي القدس اعلن عن تشكيل لجنة برئاسة الجنرال الاحتياطي « رحبعام زئيفي » مستشار رئيس الوزراء الخاص لشؤون مكافحة المقاومة ، مهمتها دراسة وسائل اقامة تعاون اكبر بين الشرطة الاسرائيلية وقوات الدفاع لمكافحة العمل الفدائي داخل الارض المحتلة (المصدر نفسه) والجدير بالذكر ان زئيفي شغل منذ عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٢ منصب قائد القطاع الاوسط في اسرائيل والضفة الغربية .

وفي ١٩٧٥/١١/٢٧ اعلن ناطق عسكري فلسطيني ان الفدائيين دمروا بفعل عبوات ناسفة صباح ١٩٧٥/١١/٢٦ اجزاء كبيرة من مبان ومعدات وآلات بمصانع اسبا للمفروشات في بتاح تكفا في اواسط اسرائيل وقد قتل وجرح عدد من حراس المصانع . كما دمر الفدائيون بفعل العبوات الناسفة ايضا اليات مجمع لصناعة

النسيج في ديمونا وتقع في الجزء الشمالي من صحراء النقب الى الجنوب الشرقي في بئر السبع، وكبدوا العدو خسائر مادية كبيرة . وقال الناطق بأن الفدائيين الذين قاموا بالعمليتين عادوا الى قواعدهم سالمين . وقد اعترفت اذاعة العدو بالعمليتين وذكرت ان الخسائر تقدر بملايين الدولارات (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٧) .

وفي فجر ١٩٧٥/١١/٢٧ تصدى شباب قرية كفركلا اللبنانية الحدودية لقوة اسرائيلية حاولت دخول القرية بحثا عن الفدائيين فقد خاض رجال المقاومة الشعبية في البلدة معركة بطولية ضد قوة كبيرة من الكوماندوس الاسرائيلية تدعمها المجنزرات حاولت اقتحام البلدة فتصدى شباب البلدة لهذه القوة ببسالة واوقعوا فيها خسائر فادحة واجبروها على الارتداد الى ما وراء الحدود . واستمرت المعركة من الساعة (٠٢٣٠) حتى (٠٣٣٠) من فجر اليوم نفسه ، واستعملت فيها القنابل اليدوية والاسلحة الرشاشة . وقد استعان العدو بمدفعيته المتمركزة بالقرب من تل النحاس ، حيث قامت بقصف البلدة ، فيما تحركت بعض آلياته لتجدة القوات المغيرة . وكما لم يحقق العدو اي تقدم قرر الانسحاب بعدما فشل في مهمته . وقد مني العدو باكثر من ٢٥ اصابة بين قتيل وجريح في حين استشهد مواطن واحد وجرح اخر وتهدم منزل احد المواطنين . (المحرر ١٩٧٥/١١/٢٨) .

وفي ١٩٧٥/١٢/٢ هاجمت الطائرات الاسرائيلية بشكل لم يكن متوقعا مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في منطقتي طرابلس والنبطية . وقد شنت اسرائيل غاراتها الجوية الوحشية في اعقاب سلسلة الانتصارات التي حققها الشعب الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية في الساحة الدولية ، وفي اعقاب فشل الاحزاب والقوى الطائفية الانعزالية في لبنان في جر المقاومة الى اتون الصراع لاستنزاف طاقاتها وامكاناتها وجرها بعيدا عن ميدانها الحقيقي .

وقد اصدرت قيادة الثورة الفلسطينية بيانا قالت فيه انه « في صباح يوم ١٩٧٥/١٢/٢ اغارت الطائرات الاسرائيلية في الساعة (١٠١٥) على عدد من المخيمات الفلسطينية في لبنان وتصفت بقنابلها وصواريخها ورشاشاتها كلا من مخيمات النبطية ونهر البارد والبداوي . وقد استهدفت الطائرات في هجومها على مخيم النبطية مدرسة الاطفال وبعض بيوت المدنيين وكان من نتيجة القصف استشهاد ٢ وجرح ٦ اخرين . كما قصف العدو اثناء عدوان على مخيم النبطية قرى الدوير وزوطر وكفر تبنيت القريبة من النبطية حيث سقط نتيجة للقصف الجوي اربعة من المدنيين اللبنانيين كما استشهد احد العسكريين من الجيش اللبناني . كما دمرت الطائرات الصهيونية كافة البيوت الموجودة في خربة تول اللبنانية القريبة من النبطية . نجم عن القصف استشهاد ثمانية اشخاص وجرح ٢٠ اخرين وجميعهم من المدنيين وذلك بعد ١٣ هجمة جوية تعرضت لها المنطقة من قبل ست طائرات مقاتلة » . (فلسطين الثورة — ١٩٧٥/١٢/٧) كما ذكر شاهد عيان في منطقة النبطية ان الطائرات القت بقنابلها وصواريخها من ارتفاع منخفض ، واستخدمت الرشاشات في تمشيط المزارع وملاحقة المزارعين والمواطنين ، كما القيت قنابل موقوتة في المنطقة . وقد اجمل الناطق الفلسطيني الخسائر في منطقة النبطية بـ (١٧) شهيدا من بينهم (١١) امرأة وطفل و (٢٣) جريحا من بينهم (١٥) امرأة وطفل (المصدر نفسه) .

أما في الشمال حيث يقع مخيما نهر البارد والبداوي فقد اغارت الطائرات الاسرائيلية في الساعة (١٠١٥) على الاماكن السكنية في المخيمين ، واستمرت الغارة حتى الساعة (١٠٣٥) ، استخدمت فيها الطائرات قنابل وصواريخ من كافة الاحجام ، كما استخدمت قنابل موقوتة انفجر بعضها بعد ساعة من انتهاء الغارة . واستعملت الطائرات ايضا المدافع الرشاشة ضد المزل الذين حاولوا الهرب من المخيمات اثناء الغارة . وفيما كانت الطائرات المغيرة تقصف المخيمين كانت حوالي (٢٥) طائرة اخرى تشكل مظلة جوية لحماية الطائرات المعتدية وقد عطلت هذه الطائرات مفعول الصاروخ الفردي الموجه المضاد للطائرات نوع (سام — ٧) باطلاقها بالونات حرارية . هذا وقد اعلن الناطق الفلسطيني الخسائر في مخيمي نهر البارد والبداوي بـ (٥٧) شهيدا بينهم (٤٢) امرأة وطفل و (١٣٧) جريحا من بينهم (٩٢) امرأة وطفل . (المصدر نفسه) .

أما الناطق العسكري اللبناني فقد اعلن في ١٩٧٥/١٢/٢ في بلاغه العسكري المعلومات

الاتية . « اغارت بين الساعة (١٠٠٠ — ١١٠٠) من قبل ظهر ١٩٧٥/١٢/٢ حوالي ٣٠ طائرة معادية على مخيمي البداوي ونهر البارد في الشمال وعلى بلدة حاروف وكرم الزيتون قرب مفرق زوطر وحي البياض في النبطية ومخيم النبطية في الجنوب . فتحت اسلحتنا المضادة للطائرات النيران على الطائرات المعادية في جميع مناطق الاعتداءات المجاورة للمراكز العسكرية مما اضطرها للقصف من ارتفاعات شاهقة قبل دخولها الاجواء المحتلة . الخسائر غير معروفة حتى الان » (المصدر نفسه) .

أما العدو الاسرائيلي فقد اعلن في تل ابيب وعلى لسان مصدر عسكري البلاغ الاتي « قبل لحظات قليلة اغارت طائرات السلاح الجوي على عدد من قواعد « المخربين في منطقة النبطية في جنوب لبنان ، وعددا آخر في منطقة طرابلس . والقواعد التي هوجمت تابعة لمنظمات « المخربين المختلفة ، ومن بينها قاعدة هوجمت في منطقة النبطية تستخدم كمقر قيادة لمنظمة الصاعقة وهي المنظمة التي تشرف عليها سوريا . بدأ الهجوم نحو الساعة (١٠٠٠) واستمر نحو ٢٠ دقيقة وعادت جميع طائراتنا الى قواعدها سالمة . وقبل لحظات اعلن ناطق عسكري لبناني ان (٣٠) طائرة اشتركت في الهجوم وانها هاجمت مخيم البداوي ومخيم نهر البارد ومنطقة كرم الزيتون في منطقة النبطية » (رأ — ١٩٧٥/١٢/٣)

وعلى الفور ردت المقاومة الفلسطينية على القصف الجوي الهمجي الاسرائيلي بقصف كل من صفد ونهاريا ومسكاف عام بالصواريخ شديدة الانفجار . فقد جاء في البلاغ العسكري الفلسطيني ما يلي : « ردا على الاعتداءات الوحشية الغادرة التي قامت بها طائرات العدو صباح اليوم على مخيماتنا في نهر البارد والبداوي والنبطية ، صدرت الاوامر من القيادة العامة لقواتنا العاملة داخل الارض المحتلة بالرد الفوري على اهداف العدو العسكري . وقد بدأت قواتنا عملا في الساعة (١٧٠٠) بقصف مواقع العدو بالصواريخ الثقيلة ذات القوة التدميرية الشديدة ، واصابت الصواريخ اهدافها اصابات مباشرة واوقعت بين صفوفه ومنشآته خسائر في الارواح والمعدات . وقد اعترف العدو بالقصف وباصابات مباشرة بالافراد والمنشآت في كل من ظهر الحرش والمطلة وتلة رياق ، الا انه لم يحدد حجم هذه الاصابات » . (المحرر ١٩٧٥/١٢/٣) وفي بلاغ آخر قال الناطق « قامت ثلاث مجموعات من قواتنا العاملة في داخل الارض المحتلة في الساعة (٢٠٠٠) من ليلة ٢—١٩٧٥/١٢/٣ بقصف مركز بالصواريخ الثقيلة شديدة الانفجار ضد اهداف العدو العسكرية في كل من صفد ونهاريا ومسكاف عام . وقد اصابت الصواريخ اهدافها المحددة . (المصدر نفسه) .

وفي تل ابيب اعترف العدو بقصف مستعمراته ، وزعم ان شخصين فقط اصيبا بجراح قرب قرية كريات شمونه من جراء شظايا صاروخ من نوع « كاتيوشا » . وقال الناطق ان صواريخ من النوع نفسه اطلقت على مستعمرة المطلة (المصدر نفسه) لكنه لم يعترف بقصف كل من صفد ونهاريا ومسكاف عام . (المصدر نفسه) .

وقد اصبح واضحا ان مثل هذه الغارات الاسرائيلية لم تنجح مرة واحدة في تحقيق هدف ردع المقاومة الفلسطينية وايقاف مد عملياتها داخل الارض المحتلة ، ففي ١٩٧٥/١٢/٤ قام الفدائيون الفلسطينيون بعمليتين ضد العدو الاسرائيلي في قطاع غزة . فقد اورد الناطق العسكري الفلسطيني ما يلي « ان عددا من جنود العدو قتل وجرح في كمين نصب لدورية اسرائيلية صباح ١٩٧٥/١٢/٤ في منطقة بيارات الشيخ رضوان شمالي مدينة غزة . فنجم عن الهجوم تدمير آليه نصف مجنزرة وسيارة جيب بينما اعطبت آلية اخرى » . واضاف الناطق قائلا « ان الفدائيين قاموا في العملية الثانية التي تمت في ١٩٧٥/١٢/٤ بالقاء قنبلتين يدويتين على آليتين اسرائيليتين كانتا تقومان باعمال الدورية في الشارع الرئيسي في زفح . وقد تم اعطاب الاليتين وقتل وجرح عدد من ركابها » (المحرر ١٩٧٥/١٢/٥) .

الرائد الطيار حسين عويضه

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١١ — ١٩٧٥/١١/٣٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر البلاغ العسكري رقم	تاريخه
١	١١/ ٢	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوات اسفل سيارة في حي البقعة وابطل مفعولها	—	—	—	٧٥/٣١٥	١١/ ٣
٢	١١/ ٢	١٤٫٠٠	مسكاف عام/الجليل الاعلى	تفجير	الغام	١	—	تدمير جرار يستخدمه العدو لشق الطرق	—	—	—	٧٥/٣١٦	١١/ ٣
٣	١١/ ١	٢٢٫٠٠	رأس العين/جنوب بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد		تدمير جزء كبير من مبنى مركز الشرطة واندلاع النيران فيه.	—	—	—	٧٥/٣١٧	١١/ ٣
٤	١٠/ ٩	٢٠٫٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد		تدمير اجزاء كبيرة من مبنى بنك «ابوتيكاي» واشعال النيران فيه	—	—	—	٧٥/٣١٨	١١/١٤
٥	١١/ ٤	١٦٫٠٠	دورا/قضاء الخليل	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل	غير محدد		تدمير ثلاث باصات لشركة «اجد»	—	—	—	٧٥/٣١٩	١١/ ٥
٦	١١/ ٤	١٥٫٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد		تدمير مصنع البسة شتوية للجيش العدو واشعال النيران فيه	—	—	—	٧٥/٣٢٠	١١/ ٥
٧	١١/ ٨	١٤٫٠٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	تدمير سيارة ومقتل احد خبراء المتفجرات اثناء محاولة تفكيك العبوة	—	—	—	٧٥/٣٢١	١١/ ٩
٨	١١/ ٨	٢٤٫٠٠	رعنانة قرب هرتسليا(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير اجزاء من مبنى احدى المؤسسات واصابة المباني المجاورة باضرار	—	—	—	٧٥/٣٢٢	١١/ ٩
٩	١١/ ٨	١٤٫٠٠	رعنانة قرب هرتسليا(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير ملهى ليلى واصابة المبنى باضرار	—	—	—	٧٥/٣٢٢	١١/ ٩
١٠	١١/ ٨	٢٣٫٠٠	الخضيرة(١)	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد		تدمير معظم اجزاء مبنى ادارة معامل الكاوتشوك وتصدع الابنية المجاورة	—	—	—	٧٥/٣٢٢	١١/ ٩
١١	١١/١٠	٢٣٫٠٠	كفار جلعادي	اشتباك	اسلحة مختلفة	٢٥ اصابة		تدمير دبابة وناقلتي جنود في اشتباك دام اكثر من عشر ساعات	٤	—	—	٧٥/٣٢٤	١١/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر البلاغ العسكري رقم	تاريخه
١٢	١١/١٢	١٧٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير جزء كبير من باص لشركة ايجد	—	—	—	٧٥/٣٢٥	١١/١٢
١٣	١١/١٣	١٩٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير اجزاء كبيرة من الابنية المحيطة بساحة صهيون وتدمير عدد من السيارات والمحلات التجارية	—	—	—	٧٥/٣٢٦	١١/١٣
١٤	١١/١٥	٨٤٠٠	رام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير سيارتين للعدو	—	—	—	٧٥/٣٢٧	١١/١٥
١٥	١١/١٦	١٣٤٠٠	رام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير اجزاء كبيرة من مبنى مكتب وزارة الداخلية الصهيونية واصابة واجهة مبنى مكتب الحاكم العسكري باضرار	—	—	—	٧٥/٣٢٨	١١/١٧
١٦	١١/٢٠	٧٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوات في محطة الباصات ، وابطل مفعولها	—	—	—	٧٥/٣٢٩	١١/٢٠
١٧	١١/٢١	٣٤٣٠	جبنايم/	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير مبنى شركة صهيونية وتصدع عدد من المباني المجاورة وتدمير واعطاب عدد من السيارات	—	—	—	٧٥/٣٣٠	١١/٢١
١٨	١١/٢٠	٢٢٠٠٠	رمات مكشميم/الجولان	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غير محدد		اثناء الهجوم تمكن الثوار من السيطرة على المقر المحلي لشبيبة التلال واسر اثنين من افراده	—	—	—	٧٥/٣٣١	١١/٢١
١٩	١١/٢٣	٦٤٠٠	زخاريا قرب القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد		تدمير اجزاء كبيرة من مستودع مصانع تجميع الطائرات العسكرية واشعال النيران فيه	—	—	—	٧٥/٣٣٢	١١/٢٣
٢٠	١١/٢٣	١٣٤٠٠	النبي يعقوب/قرب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير استراحة للعدو في معسكر كتير وتدمير عدد من المهاجع وتدمير واعطاب عدد من الاليات	—	—	—	٧٥/٣٣٣	١١/٢٣

٢١ — ١١/٢٣	١٨٠٠	غـزة	كمـين	اسلحة رشاشةوقنابل يدوية	٤ اصابات	تدمير سيارة عسكرية	—	—	٧٥/٣٣٤	١١/٢٤
٢٢ — ١١/٢٦	—	بتاح تكفا(٢)	تفجـير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير اجزاء كبيرة من مبانـي مصانع « آسيا » للمفروشات وتدمير واعطاب معظم الاليات واحراق المستودعات	—	—	٧٥/٣٣٥	١١/٢٦
٢٣ — ١١/٢٥	٧٠٠	ديمونة/النقب	تفجـير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير عدد من اليات مصنـع للنسيج واندلاع النيران في اقسامـه الرئيسيـة والمستودعات	—	—	٧٥/٣٣٦	١١/٢٦
٢٤ — ١١/٢٨	١٣٠٠	تل ابيب	تفجـير	قذائف هاون مشركة	١ —	تدمير اجزاء من الطابق الاول لمكاتب احدى الشركات فـي شارع « شلوش »	—	—	٧٥/٣٣٧	١١/٢٨
٢٥ — ١١/٢٨	١٧١٥	افيفيم/شمال صفد	تفجـير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير واحراق عدد من المنشآت السكنية داخل مركز لاستيعاب المهاجرين واعطاب عدد مـن السيارات.	—	—	٧٥/٣٣٨	١١/٢٩
٢٦ — ١١/١١	١٥٠٠	القدس	هجـوم	اسلحة رشاشة	غير محدد	قتل وجرح عدد من افراد دورية قرب باب الخليل	—	—	٧٥/٣٣٩	١١/٢٩

* اعترف العدو بالعملية التي تمام بها ثوارنا بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٢٧ امام فندق « ايال » في القدس وادعى باصابة ثمانية جرحى وقدرت الخسائر المادية بمئات الاف الليرات . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٩٣١ ، صفحة ١ ، بتاريخ ١٩٧٥/١١/١) .

١ — ادعى العدو بان الانفجار الذي وقع في رعنانا يعود الى عملية تصفيـة حسابات وبان انفجار الخضيرة وقع على ضوء الاضراب في مصانع اليانس قبل اسبوعين . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٩٣٨ ، صفحة ١٥٩ ، بتاريخ ٧٥/١١/١٠) .

٢ — اعترف العدو بان انفجارا وقع في مصنع « آسيا » للادوية واعتبه حريق وادعى بان الحادث وقع في الثالثة والنصف من صباح يوم ١١/٢٦ وان اسبابه غير واضحة تماما . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل العدد ٩٥٢ ، صفحة ٥٥٩ ، بتاريخ ١٩٧٥/١١/٢٦) .

ملاحظة : تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامـة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١/١١ ــ ١٩٧٥/١١/٣٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة استشهاد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٤/١١	ــ	شتولا	قصف	بازوكا	ــ	ــ	لم يصب احد من افراد الدورية	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٣٤،ص٩٧	٥/١١
٢	٤/١١		الجليل	غير محدد	غير محدد	غير محدد		ادعى العدو بان مجموعة قامت باعطاب ثلاث باصات لشركة ايجد	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٣٤،ص١٠٠	٥/١١
٣	١١/١٠	ــ	كفار جلعادي	تفجير	اسلحة مختلفة	ــ	ــ		٤	ــ	ــ	ن.عدد٩٣٩،ص١٨٦	١١/١١
٤	١١/١٢	٦،٣٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	انفجار العبوة في باص لشركة ايجد	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤١،ص٢٣٥	١١/١٣
٥	١١/١٣	ــ	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	تم اكتشاف العبوة وابطال مفعولها في حي محانيه يهودا	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٢،ص٢٨٠	١١/١٤
٦	١١/١٣	١٩،٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	٧	٤٨	اصيبت المحلات التجارية والمنازل باضرار بالغة في ميدان صهيون	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٢،ص٢٨١	١١/١٤
٧	١١/١٥	١٠،٠٠	رام الله والبيرة	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	١	اعطاب سيارتين	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٣،ص٣٠٢	١١/١٥
٨	١١/١٦	ــ	رام الله	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	تدمير نوافذ مبنى وزارة الداخلية	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٤،ص٣٣١	١١/١٧
٩	١١/٢٠	٧،٣٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	تم اكتشاف العبوة وابطال مفعولها	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٧،ص٤٢٤	٢/١١
١٠	١١/٢٠	٦،٠٠	زرعيت	هجوم	قذائف بازوكا واسلحة رشاشة	ــ	ــ	لم تقع اصابات بين افراد دورية للعدو	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٧،ص٤٢٤	١١/٢٠
١١	١١/٢٠	٢٢،٠٠	رمات يوحشيميم/الجولان	هجوم	اسلحة رشاشة	٣	٢		ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٤٩،ص٤٦٢	١١/٢٢
١٢	١١/٢٣	ــ	غزة	كمين	اسلحة رشاشة	ــ	ــ	لم يصب احد من افراد دورية للعدو	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٥٠،ص٥٠٣	١١/٢٤
٢٣	١١/٢٧	ــ	تل ابيب	تفجير	قنبلة هاون ١٢٠	ــ	ــ	تم تفكيكها وابطال مفعولها	ــ	ــ	ــ	ن.عدد٩٥٤،ص٦١٠	١١/٢٨

ن ــ نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبـــار .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . أما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع، الورق وغلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى، يضاف اليها أجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل.ل. ، في اوروبة ١٥٠ ل.ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل.ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

المحتويات

صفحة ٢ رسالة الاخ ابو عمار ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، في الذكرى الحادية عشرة لانطلاق الثورة الفلسطينية ، **عام التصدي والتحفز** .

٦ **قرار ادانة الصهيونية بالعنصرية : ماذا يعني على الصعيد العملي ؟** الدكتور كلوفيس مقصود .

١٢ **ملاحظات سياسية حول قرار ادانة الصهيونية بالعنصرية ،** الدكتور صلاح الدين الدباغ .

٢٠ **حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية** ، صبري جريس .

٤١ **قراءة في الفسيفساء اللبنانية** ، مازن البندك .

٥٤ **الاثار السياسية والاقتصادية لمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس** ، حسين ابو النمل .

٦٠ **خليل حاوي يكتب ملحمة الانسان والحضارة** ، ريتا عوض .

٨٥ **تعيين الحدود الشمالية لفلسطين في الاعوام ١٩١٨ — ١٩٢٠** . يان نيلسن .

٩٤ **حوار مع المر بيرغر** ، مصطفى كركوتي .

١٠٣ **النخبة السياسية ليهود فلسطين ايام الانتداب البريطاني** ، الدكتور تيسير الناشف . مع **تعقيب** لعبد القادر ياسين .

١٣٩ **الحقيقة حول الصهيونية** ، رومان برودسكي .

١٧٤ **المبادرات الجماهيرية ولجان الاحياء الشعبية خلال الاحداث في لبنان** ، غازي الخليلي .

١٨٠ **مراجعات** : الاسرائيليات في الغزو الفكري ، عبد المنعم المشاط . كاتبة يهودية اميركية في مصر ، فارس المنصوري . تعليم الفلسطينيين : الواقع والمشكلات ، (١) سمير ايوب (٢) سميح سمارة .

١٩٩ **اسرائيليات** : (١) اسرائيل واحياء الجبهة الشرقية ، يوسف حمدان . (٢) الازمة اللبنانية الرامية كما عالجتها اذاعة اسرائيل باللغة العبرية ، محمد نصر ، (٣) تخفيض الليرة الاسرائيلية ، حسين ابو النمل .

٢١٨ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني ، (٢) القضية الفلسطينية دوليا ، (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي ، (٤) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار حسين عويضة ، (٥) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية واخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١/١١ حتى ١٩٧٥/١١/٣٠ ، غازي خورشيد .